غير مرخصة للطباعة

# مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
## لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
# يُوسُف القَرَضَاوِي

**المجلد الأول**

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

غير مرخصة للطباعة

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
## لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
# يُوسُف القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

## المُقَدِّمَات

المحور الأول

## التَّعْرِيفُ العَامُّ بِالإِسْلَامِ

١ مدخل لمعرفة الإسلام

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

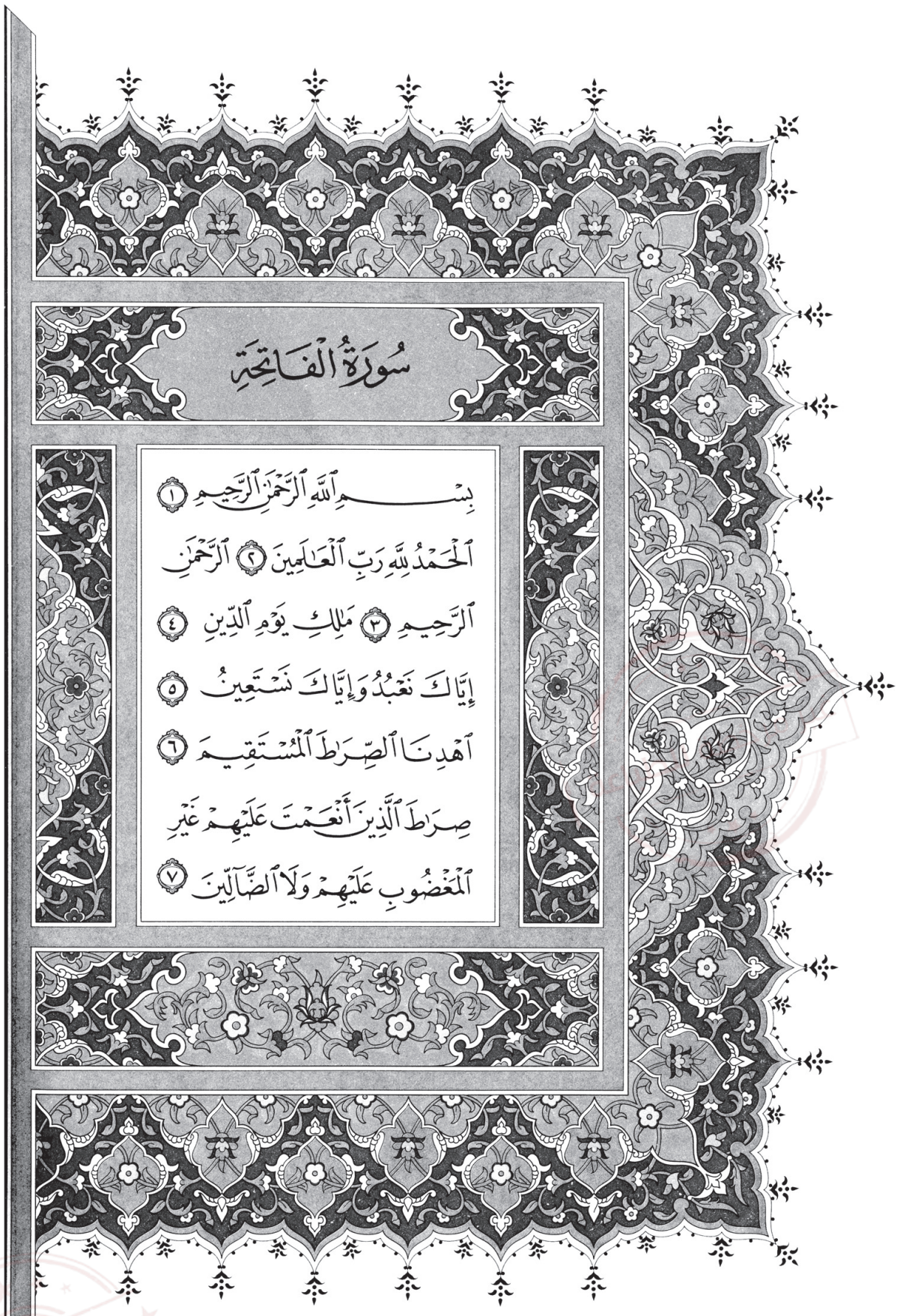


نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# من الدستور الإلهي للبشرية

## (القرآن الكريم)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٨٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١].

QaradawiBooks.com

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

QaradawiBooks.com

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

# من مشكاة النبوة

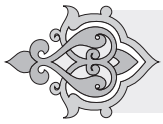

## (سنة رسول الله المبيِّنة للقرآن)

• عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقابه**». رواه أحمد.

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**». متفق عليه.

• عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**». رواه البخاري.

• عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، غير هذه الصحيفة، قال: فأخرجها، فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل. متفق عليه.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا**». متفق عليه.

• عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا، ولا تنفِّروا**». متفق عليه.

QaradawiBooks.com

• عن معاوية رضي الله عنه، سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على مَن خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون**». متفق عليه.

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ**». متفق عليه.

• عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**». متفق عليه.

• عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعَم**». متفق عليه.

• عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمَن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكلِّ ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت، فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**». متفق عليه.

• عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**نضَّر الله امرأً سمع منا شيئًا، فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع**». رواه الترمذي وصححه.

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطِّعون**» **قالها ثلاثًا**. رواه مسلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». رواه مسلم.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يجدد لها دينها**». رواه أبو داود والحاكم وصححه.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي**». رواه الحاكم وسكت عنه هو والذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

## من أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

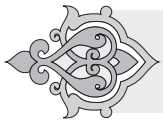

• قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: مَن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ، فإن محمدًا قد مات، ومَن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤]. **رواه البخاري.**

• عن عمر رضي الله عنه: إنا كنا أذلَّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله. رواه الحاكم وصححه على شرطهما.

• عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم. **رواه البخاري.**

• عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن الفقيه حق الفقيه، مَن لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمِّنهم من عذاب الله، ولم يَدَع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فَهم فيه، ولا قراءة لا تدبُّر فيها. **رواه الدارمي.**

• عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: تعلموا العلم، فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة. رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

QaradawiBooks.com

• قال ابن مسعود رضي الله عنه: مَن كان منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم.

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن أحدث رأيًا ليس في كتاب الله، ولم تمضِ به سنة من رسول الله ﷺ، لم يدرِ على ما هو منه إذا لقي الله عز وجل. رواه الدارمي.

• عن معمر قال: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، وأما التشديد فيحسنه كل أحد. رواه ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد، وروي مثله عن الثوري.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

باسم الله، والحمد لله.

أُهدي موسوعتي هــذه أول ما أهديها إلى ربي الأعلى، الذي هداني إلى حفظ القرآن وتجويده قبل أن أتم العاشــرة، وشــد أزري، وشــرح صدري، ويسَّر أمري، وحلَّ عُقدة من لساني، وطهَّر قلبي، وأمدَّني طوال حياتي بمــدده الثر، وعطائه الفيــاض، لم يتخلَّ عنــي ربي جل وعلا، وإمداده لا ينقطع عني أبدًا، لَحَظْتُه والله طفلًا، ولحظته مراهقًا، ولحظته شابًّا، ولحظته يافعًا، ولحظته شــيخًا، ولا زلت ألحظه يرافقني ويرعاني بفضله العظيم، وفيضه العميم.

**وإذا العنايــةُ لاحظتْــكَ عيونُهــا نَــم فالمخــاوفُ كُلّهــنَّ أمــانُ**
**واصطد بها العنقــاء فهي حبائلٌ واقتد بها الجوزاء فهــي عِنان**[1]

أهدي موسوعتي إلى ربي ومانحي كلَّ ما ساعدني عليها، هيأ لي كل المعينات، وأزاح مــن طريقي كل المعوقــات، وسهل صعبها، ومهَّد طريقهــا، وجعل أمامي كل عسير يسيرًا، وكــل مُرٍّ يراه الناس حلوًا عندي.

(١) من شعر أبي الطاهر ابن مكنسة، كما في وفيات الأعيان (٦١/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

عسى الله أن يتقبَّلها منِّي، ويغفر لي كلَّ ما كان من نفسي وخطئها وخطاياها، ويفتح لها العقول والقلوب، ويهدي بها عقولًا ضلَّت، ورؤوسًا زلَّت، ويصحِّح بها أغلاطًا، ويقوِّم بها مَن بعُد كثيرًا أو قليلًا عن الطريق، ويهيِّئ لها من ييسِّرها للناس ويوصِّلها إليهم، ويترجمها لهم، ويشرحها ويبين مفاهيمها لهم، فإن اختلاف اللغات لا ينبغي أن يكون مانعًا من وصول الحقائق إلى الآخرين.

وأُهديها ـ بعد ذلك ـ إلى الرسول الكريم ﷺ، الذي علَّمنا مما علمه الله ما لم نكن نعلم، وبلغنا القرآن العظيم، تبيانًا لكلِّ شيء، وهدى وحجة وبشرى للمسلمين، ثم ترك لنا سنته تبيِّن القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ثم أُهديها إلى كل إنسان في العالم، فهي موسوعة كُتبت للإنسان، مسلمًا كان أو غير مسلم.

فأما المسلم فهو الموجَّه إليه أساسًا هذه الموسوعة الإسلامية في أهدافها وفي موضوعاتها، وفي تكاملها وتوازنها وشمولها، وأفكارها ومقوماتها وخصائصها، هي تخاطب المسلم فردًا، وعضوًا في أسرة، وفي المجتمع، وفي الأمة، وفي العالم. تخاطبه دائمًا، إنسانًا متعاونًا، له أصول وفروع، وأعوان وإخوان، وجيران.

ثم أهديها للإنسان غير المسلم، فرسالة الإسلام كلها للعالَمين، مسلمين وغير مسلمين، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

QaradawiBooks.com

فأصل الرسالة للعالمين، شرقًا وغربًا، وعجمًا وعربًا، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وكل العالمين المخاطبين بالدعوة إما أمة إجابة، وإما أمة دعوة. والمسلمون الذين استجابوا للدعوة هم أمة الإجابة، وغير المسلمين هم أمة دعوة. وسيظلون أمة دعوة، حتى يستجيب منهم من يستجيب فيدخل في أمة الإجابة.

وعلى الأمة المسلمة أن تكون مهمتها: دعوة هذه الأمم التي تملأ الأرض في القارات الست، لتبلغهم رسالة الله إليهم، ومسؤولية دعوتهم على أمة الإسلام، فعليهم أن يستجيبوا لهذا. وعلى كل أمة أن تجعل من خيراتها وأموالها مجالًا لدعوة غير المسلمين، ويقوم بذلك الرجال والنساء، ويتعلم بعضهم من بعض، ويستفيد كل منهم من صاحبه، ما يكون ذخرًا لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

وعندنا وعود ومبشرات من نبي الإسلام بأن الأرض كلَّها ستنتهي إلى الإسلام الذي لا نجاة للعالَم بغيره، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# دعاء ومناجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٣].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: ١ ـ ٢].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ١ ـ ٢].

أبدأ حمدك يا رب بما حمدت به نفسك، في بدايات هذه السور الخمس التي بدأتها بالحمد، وبما حمدت به نفسك في كثير من سور القرآن الكريم، وفي كل كتاب أنزل، مما نعلمه ومما لا نعلمه.

QaradawiBooks.com

أدعوك بدعاء ملائكتك: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

أدعوك ربنا بدعاء أبينا الأول آدم، عبدك الذي خلقته بيديك، وسويته في أحسن تقويم، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك، وأسكنته وزوجه الجنة، وأبحت له أن يأكل من طيباتها، ومن ثمار شجرها ما يشاء، هو وزوجه إلا شجرة واحدة، حرَّمتها عليهما، فأغراهما الشيطان، فأكلا منها، ثم ندما وتابا، فقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

وأدعوك بدعاء أطول أنبيائك ورسلك عمرًا، نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وأثني عليك بثناء خليلك إبراهيم، الذي حكيت عنه في كتابك قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢].

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

وأستعينك بما استعانك به أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وقال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وأدعوك بما دعاك به عبدك يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وأدعوك بدعاء شعيب: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وأدعوك بدعاء كليمك ونبيك، وأحد أولي العزم من رسلك موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وبدعائه حين هاجر مضطرًّا: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وأدعوك يا ربنا بما دعاك به المؤمنون من قوم موسى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥ ـ ٨٦].

وأدعوك بما دعاك به موسى نفسه حين كُلِّف بتبليغ الرسالة إلى فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۝ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٩].

وأدعوك بما دعاك به سحرة فرعون حين أشرق في قلوبهم نور الإيمان: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وأدعوك بما دعاك به نبيك سليمان حين سمع النملة، فتبسم ضاحكًا من قولها: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وأدعوك بما دعاك به عبدك ورسولك محمد بن عبد الله، وحبيبك وخليلك، وخيرتك من خلقك، ختمت به أنبياءك ورسلك، ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ

QaradawiBooks.com

صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠]، ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٩٤].

وصلِّ اللهم على مَن اتّبع هذا الرسول الكريم، ومَن صحبه، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومَن اتبعهم بإيمان، وواصل جهادهم بإحسان، ونوَّهت بهم في كتابك فقلت: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وصلِّ اللهم على مَن حمل رسالة هذا الدين، في سائر القرون، وجعله نوره ومنهاجه وغذاءه ودواءه، وسراجه وضياءه، ينير له عقله بالإيمان، ويفتح له قلبه بالإخلاص، وينوِّر له حياته كلَّها بهداية القرآن، وصحيح السنة النبوية، ويهدي به العالم من حوله إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. آمين.

* * *

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# القرضاوي عالم زمانه

**بقلم الأستاذ الكبير: راشد الغنوشي**
**رئيس مجلس نواب الشعب التونسي ورئيس حركة النهضة التونسية**

غير مرخصة للطباعة

إنه لمن دواعي الفخر أن ينال شخصي المتواضع شرف كتابة ولو سطر واحد في موسوعة القرن للأعمال الكاملة، لشيخنا المبجل العلامة يوسف القرضاوي، الذي لم يحظَ عالم سواه في دنيا الإسلام المعاصر، بانتخابه انتخابًا حرًّا لرئاسة أكبر هيئة علمائية معاصرة انخرط فيها أكثر من عشرة آلاف عالم من جميع أرجاء المعمورة، منتمين لمختلف المذاهب والأحزاب الإسلامية، وذلك في دورات متكررة، اعترافًا برئاسته العلمية، وعظيم بلائه في خدمة الإسلام، وإظهار حجته البالغة والشهادة به للحق على الخلق، بما عرَّضه لصنوف بالغة من البلاء، لتمنعه من متابعة العطاء على كل الجبهات: الدعوية والحركية والسياسية، والأدبية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية، صائلًا وجائلًا في أرجاء أرض الله، حيثما هناك إسلام ومسلمون ودعوة إلى الله، محاضرًا في الجامعات والمنتديات، قارعًا الحجة بأكبر منها، معتليًا منابر كبريات الجوامع والجامعات، حاجزًا لنفسه أضخم المنابر الإعلامية الحديثة، مطلًّا منها على الأمة والعالم، ضاربًا له بسهم مُعلًّى في كل باب من أبواب «دعاية الإسلام»، حاملًا هموم الأمة، إذ الأمة عنده كيان حقيقي، وليست حلمًا ولا خيالًا ووهمًا، وهو قد نذر نفسه لخدمتها. ومع أنه قد أُشرب منذ نعومة أظفاره الانتماء إليها، من طريق انخراطه في أكبر الجماعات الإسلامية المعتدلة المعاصرة،

QaradawiBooks.com

الإخوان، إلا أنه انتهى إلى أن الموقع اللائق بعالم الأمة أن يكون للجميع على مسافة واحدة، فأعلن استقلاله عن الجميع، هو لكل المسلمين، جنديًّا، جسورًا، غير هياب من الانخراط في كل هيعة، الإسلام طرف فيها، سواء أكانت فكرية؛ ذبًّا عن الإسلام وحضارته ومشروعه المجتمعي، أم كانت سياسية؛ دفاعًا عن طائفة من المسلمين، مسَّها الضر والاضطهاد، فالمنبر القرضاوي إذًا جاهز للرد، وبالخصوص عبر الوسائل الإعلامية الحديثة، وعبر المؤتمرات، وجمع التبرعات للتخفيف عن معاناة المستضعفين المُضَامين، والشد من عزمات المنكوبين.

ولقد برزت مناصرته لثورات الربيع العربي منذ البداية، فقد كان أحد أسخن محاضنها، تتقدمها الثورة التونسية، التي مجَّدها باعتبارها باكورة الثورات العربية «وإنما الفضل للمبتدي، وإن أحسن المقتدي» بتعبيره. كما ناصر ثورة مصر المحروسة، وثورة سوريا العظيمة، وثورة ليبيا، وثورة اليمن المجيدة، لم يصرفه ذلك يومًا عن ثورة فلسطين، جرح الأمة الدامي، ومفجر غضبها الدائم.

ولأن فلسطين قلب الأمة الجريح، والعمل من أجل تحريرها هو معركة الأمة العُظمى؛ بل هي قلب الصراع الدولي، فإن انخراط القرضاوي بكله في معمعاتها، لا جرم أن يصيبه منها نصب غير قليل، كيف لا، وقد وضع يده، بل جسمه كله في عِش الدبابير؛ تحريضًا للأمة واستنهاضًا لطاقاتها؛ للقيام بواجبها في دعم حركات تحرير فلسطين والأقصى المحزون.

ومع ذلك كان من أعجب العجب أن يتحول القرضاوي في السنتين الأخيرتين في عديد المنابر «الإعلامية» من أصفى وأقوى صوت في مواجهة الإرهاب، ودحض كل حجة له شرعية أو عقلية، إلى «إرهابي»

QaradawiBooks.com

مطلــوب القبض عليه!!! وذلــك بعد أن سلخ أزيد مــن نصف قرن في مقارعة الإرهاب والتطــرف والتشدد منذ نبتت نابتتــه الأولى في مصر موطن الشيخ، بعد تغييب جماعات الاعتدال، فانبرى هو وشيخه الغزالي يدحضان كل أساس إسلامي مدعًى للعمل الإرهابي، بما نشراه من كتب، وألقياه من محاضرات وخطب وبرامج إعلامية، كان لها أعظم الإسهام في انحسار الإرهاب عن القلعة التي انطلق منهــا في مصر ـ ولو تمكن فيها لضاع الإسلام وهلكت الأمة بل البشرية. العجــب العجاب كيف أمكن للقوى المضادة للإسلام التحرري: أن تصيب قدرًا من النجاح في تحويل هذا الصوت القوي الذي صال وجال في منازلة الإرهاب ودحض بياناته وإغواءاتــه، إلى إرهابي ملاحَــق مطلوب القبض عليــه، متهمًا وهو في تسعينياته، أنه قد تمكن من القفز من أسوار السجن الحربي العالية؟

وعلى أهمية أعمالــه النضالية الإعلامية والدعويــة والحركية تبقى شخصية القرضاوي إنما تتقوم بتراثه في خدمة العلم الإسلامي والثقافة الإسلامية. المناضلون في الأمة والحمد لله كُثر، ولكن القليل من العلماء من يستنبطــون من الذكر فكرًا، يجلي الواقع علــى ما هو عليه مصطبغًا بصبغــة الله، ويرسم الخطــط والتوجيهات للمستقبــل، إذ يدير بحكمة واقتــدار الحوار الخــلاق المنتح: بيــن السماء والأرض، بيــن الثابت والمتطور، بين النص الدينــي والواقع الموَّار بالحركــة، بين «الشريعة والحياة» أحد أبرز عناوين فكر القرضاوي وبرامجه الإعلامية، والقاعدة الذهبية في منهاجه الاجتهادي.

إن ما سيبقــى للأجيال هــو القرضاوي العالم، أي هــذه الموسوعة الشاهدة بالقطع لا بالظن: أننــا إزاء قامة من قامات العلم والإصلاح في الإسلام وحضارته، يقف بلا استخذاء إلى جانب الإمام أبي حامد وابن

QaradawiBooks.com

تيمية وتلميذه ابـــن القيم والجويني والذهبي والدهلـــوي وعبده... إزاء عالم موسوعي قد اجتمع له ما تفرق في غيره، فهو الأصولي المقاصدي، الذي يمتح في كل علومه مهمـــا امتدت فروعها من معين واحد، استعار له من منبع الوحي قالبًا دعـــاه الوسطية: نهجًا متسقًا يصحبه ولا يغادره، على امتداد الحقول التي تحرك فيها وأبدع ـ ومـــا أرحبها ـ وسطية في العقائد، ووسطية في السلوك، وفي الفقه، وفي السياسة، وفي التربية.

إننا بحق إزاء أحد عظماء التجديد والاجتهاد في الإسلام المعاصر. وليس من المبالغة في شـــيء اعتباره مجدد القـــرن، هذا على مذهب الحمل الفـــردي للنص، فالرجل لـــم يقف عند التجديـــد في الفروع؛ منتهلًا من منهل الوحي كتابًا وسنة وما فـــي سياقهما من قياس.. فقد سار على نهج علماء المقاصد؛ مستنبطًا من عموم النصوص عددًا من المقاصد، تمديدًا لما استنبط علماء المقاصد من قبله. والرجل أصولي بالأساس، وهـــو ما أعانه على التوسع في بـــاب التعليل والبحث عن المصالح، في رؤية شمولية لا تغادر قط الساحة الواسعة التي ضبطها لحركة عقله الاجتهادي، ساحـــة الوسطية والتيسيـــر، والحرص على ارتباط نصوص الوحي بالواقع؛ إيمانًا عميقًا بصلاحية الدين لكل زمان ومكان، واعتبـــار الحرية مقصدًا عظيمًا من مقاصـــد الشريعة؛ بل هي تسبق الشريعة، وأن الدين إنما نـــزل لإصلاح الحياة والارتقاء بها إلى أفق أسمى، علـــى نحو تغدو معه عينا الفقيه تنتقـــلان أبدًا بين السماء والأرض بين «الشريعة والحياة».

ولقد عمل شيخنا العلامة على تنزيل منهجه الأصولي على الواقع، فأثمر مدونة فقهية شـــاملة لم تقتصر على مجالات الفقه التقليدي التي برزت بواكيرها في أول كتبه «الحلال والحرام»، والذي نال شهرة واسعة،

QaradawiBooks.com

وحظي بقبول عام لما اجتمع فيه من لغة سهلة متينة، وتأصيل ترفع عن تجاذبات المذاهب، وحوار مبـدع بين النص الديني وبين الواقع. وبلغة المؤلف بين الشريعة والحياة.

أما كتابه الفقهي الأشهر فهو بلا جدال أطروحته للدكتوراه المعنونة بفقه الزكاة التـي كشفت عـن فَقِيه اقتصـادي متبحر معًـا، في تراث المسلمين الاقتصادي، وفي مجالات الاقتصاد المعاصر، يحدو المؤلف مواجهة تحدي إثبات أن الزكاة ليسـت معاملة فردية هامشية بل العنوان الأبرز لنظام اقتصادي كامل، ولفلسفة اقتصادية شـاملة، تترجم مقاصد الإسلام في بسط العدل، والقضاء على الفقر، وتحقيق الكفاية.

أما السلطنة الفقهية لعلامتنا فقد تجلـت أكثر ما تجلت ـ بحسبنا ـ في كتابه الأضخم حجمًا في هذه الموسوعة التي تضم مئات من الكتب، أعني كتابه الضخم «فقه الجهاد» الذي مثل قمة نضج الفقيه، وجرأته في مواجهة أخطر ما واجه ويواجه الإسلام المعاصر: انحراف أحد أبرز مفاهيمه، أعني: مفهوم الجهاد، الذي كـاد يضيع بين جهل أبنائه وكيـد أعدائه، بله ضياع الإسلام كله، وذلك من خلال ما أشـاعته حوله نابتـة، اتخذته أداة انتقام وتشفٍّ ونكال، من كل من خالفها، من مسلم وغير مسلم؛ بل لقد انصبّ شرها وبلاؤها أساسًا على المسلم المخالف، في تنكب سافر!

على أننا في الجهاد إزاء نظام شديد التركيب، فالجهاد أنواع، أغلبها غير قتالي، وهذا الأخير منضبط بقواعد صارمـة، لا تغادر ساحة العدل والدفع، والإنصاف والرحمة، وحماية الحريات والحرمات، ومنها حرية الاعتقـاد المكفولة. وهذا التصـور الرحب للجهاد اقتضـى علَّامتنا: أن يخوض معارك تأويلية لنصـوص، أقيمت على تأويلاتهـا الخاطئة فِرق وجماعات، أهرقت سيولًا من دمـاء المسلمين وغيرهم، مثل تأويل الآية

QaradawiBooks.com

المنعوتة بآية السيف! مع أنهم اختلفـوا في تحديدها؛ ليبنوا عليها نتيجة خطيرة أن أصل العلاقة بين المسلم وغيره هي الحرب وليس السلم، وأنه مطلوب دينًا من المسلمين أن يحاربوا، حتى يصفو الأمر للإسلام وحده، وذلك في تجاهل أن الاختلاف سنـة كونية، وأن لا دين مع الإكراه، وأن الحقيقة التاريخية تثبت أن مجتمعات الإسلام علـى امتداد التاريخ بدءًا بمجتمع المدينة تحت القيادة النبوية المباشرة: ظلت أبدًا زاخرة بجماعات لا حصر لانتماءاتهـا الدينية والمذهبيـة. وعلى الضد مـن ذلك كانت المجتمعات المعاصرة لها من ديانات أخرى مسرحًا لحروب دينية طاحنة.

وأعجب ما فـي الأمر أن يُستقبل هـذا المنجز العلمـي والسياسي والقانوني الضخم، من طرف مجتمعات معاصـرة مسلمة وغير مسلمة، وهي تكتوي بالإرهاب: أي بالتأويلات الخاطئـة لمفهوم الجهاد، التي تصدى لها مؤلفنا بكفاءة عالية.. بـدل أن يُستقبل السفر الضخم ومؤلفه بالترحيب والتبجيل، والمبادرة إلـى ترجمته لمختلف اللغات، وإدراجه في برامج التعليم والكليات الحقوقية والسياسية: أُدرج المؤلف في قائمة الإرهاب، وتلقى حكم الإعدام!! في أي زمان نحن؟! ولولا أن الكتاب طبع حتى الآن مرات، مثل كل كتب مؤلفنا، وبعضها تجاوز عدد طبعاته السبعين، مثل الحلال والحرام، لتسرب اليأس إلى النفوس؛ ظنًّا خاطئًا أن الأمة قد تودع منها!!

كلا إن الخير لن يزال في الأمة وهو في ازدياد. كل المؤشـرات دالة على أن الإسلام يزيد ولا ينقص، يتمدد في الجغرافيا كما لم يحصل قط في تاريخه، ويفرش أجنحة وسطيتـه ورحمته على أزيد فأزيد من هموم البشر؛ مقدمًا لها الترياق. وما من شـك في أن لأعمال رجال الإصلاح منذ قرنين الأثر الكبير في ذلك.

QaradawiBooks.com

وتنتصب قامة القرضاوي بين الأئمة: الغزالـــي وابن تيمية، والأئمة الأربعة، والدهلوي، والشوكاني، وإقبال، والبنا، والمودودي، وابن نبي، وابن عاشور، والفاسي.. تنتصب قامته ممتشقة سامقة في سلكهم، تشهد على آثاره في فقـــه الأصول، وفقه الزكاة، وفقه الجهـــاد، وفقه السياسة، وفقه الأقليات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه المقاصد... بارك الله في عُمر وعمل شيخنا الحبيب ومجاهداته واجتهاداته. والمعذرة أني لم أوفكم شـــيخي الحبيب حتى بعض حقكم، فبضاعتي مزجاة، ولولا التأدب، وما يفرضه من واجب الاستجابة للطلب العزيز، ما أقدمت على هذه المغامـــرة، فمن أنا حتى يخصني شـــيخي المبجل من بين عشرات الآلاف من فطاحل مدرسته بهذا الشرف: شرف تقديم موسوعته الكاملة أغنى إرث إسلامي معاصر؟!

جزاكم الله كل الخير عن الإسلام وأهله، وعن تشجيعكم المتواصل لتلاميذكم. أسأل الله العزيز الرحيم أن يطيـــل عمركم ويمدكم بمدد منه لا ينقطع فـ«خيركم من طال عمره وحسن عمله».

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

## تصدير مجموعة أعمال القرضاوي

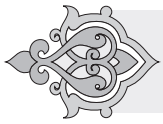

**بقلم سماحة الشيخ الإمام يوسف القرضاوي**

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على خاتم رسله، وصفوته من خلقه محمد، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجَّة على الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعَزَّرُوه ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون، وعلى مَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

ففي هذه المجموعة (**موسوعة الأعمال الكاملة للقرضاوي**)، كلُّ الكتب والرسائل والمقدمات، وكثير من المقالات والقصائد والأناشيد، وأغلب الفتاوى والأجوبة التي أجبت بها على الأسئلة التي وُجِّهت إليَّ، وما توفَّر لي من خطب خطبتُها على منبر الجمعة، في قطر، وفي بلاد شتَّى في أنحاء العالم: في آسيا وأفريقيا، وفي أوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وأستراليا. وما استطعنا أن نسجِّله، أو نحصل على تسجيله ونفرغه من محاضرات وندوات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا أزعم أن هذه الموسوعة قد استوعبت كلَّ ما هو موجود من تراثي، خاصة التراث المسجَّل، سواء كان تسجيلًا مرئيًّا أو مسموعًا، فقد فسد بعضه بفعل الزمن، واستولت السلطات في مصر على بعضه، وما بقي منه كثير بحمد الله.

وأكثر محاضراتي وتسجيلاتي وبرامجي المسموع منها والمرئي لم يُفرَّغ، بعضها موجود في مكتبي العلمي بالدوحة، وبعضها متناثر هنا وهناك، أوصي إخواني وتلاميذي وغيرهم من المهتمين بتراثي بالبحث عنها في مظانِّها، وإبرازها وتقريبها للناس، لينتفعوا بها في دينهم ودنياهم.

ومن هذه البرامج: برنامج (نور وهداية) في إذاعة قطر الذي كان يناقشني فيه الإذاعي الأردني الكبير محمود الشاهد مراقب البرامج في الإذاعة القطرية، يذاع قبل صلاة الجمعة، واستمرَّ بضع عشرة سنة. مرورًا ببرنامج (هدي الإسلام) في تلفزيون قطر، وكان من اقتراح أول مدير عام للإعلام في قطر، وهو الإعلامي الكبير الأستاذ محمود الشريف، وكان يدير هذا التلفزيون الأستاذ الأردني جواد مرقة، وقد ظللتُ عددًا من السنين أقدم هذا البرنامج، المشاهد في قطر وما حولها.

وفي تلفزيون أبو ظبي قدمت برنامج (المنبر)، وبرنامج (المنتدى)، وذلك بإلحاح من الشيخ عبد الله بن زايد وزير الإعلام في ذلك الوقت، هذا غير برنامج يومي مسجل كان يذاع في كل رمضان بعد المغرب يتناول الموضوعات الفكرية الإسلامية، وظللت على هذا الحال إلى أن منعت من دخول أبو ظبي.

وقد قدَّمتُ لتلفزيون الكويت برنامجًا عن الزكاة، خلال أحد الرمضانات طوال الشهر، كما شاركت في برامج متعددة في التلفزيون.

QaradawiBooks.com

ومنها: برنامجي الأشـــهر لشبكة الجزيرة (الشريعـــة والحياة)، الذي ظللتُ ما يقرب من عشرين عامًا أقدم جُلَّ حلقاته، وهو مسجَّل ومحفوظ في شبكة الجزيرة.

وقد شاركتُ في محاضرات ولقاءات وندوات في تلفزيونات عربية، كما في ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، كما ألقيتُ درسًا يوميًّا في التفسير خلال شهر رمضان في السنة التي أُعرت فيها إلى الجزائر، كان في تفسير سورة يوسف عليه السلام.

هذا غير ما كتبته من مســوَّدات بعض الكتب وضاع مني، بعضه شــبه مكتمل، وبعضه وضعت خطوطه الرئيسيــة، وهناك أعمالي الأولى قبل سن العشريــن، كمسرحية يوسف الصديــق، والتي اتبعت فيها نهج شــوقي في مسرحياته الشعرية، كمجنون ليلى وكليوباترا، لكنها للأسف فُقدت فيما فقد.

وهناك بحوثي ومناقشاتي التي شــاركت بها في المجامع والندوات العلمية والمؤسسات الدعوية، وقد يسَّر الله لي أن أطبع بعضها في كتب أو كُتَيِّبات، بعد أن أعدِّله وأعده للنشر، وبعضها لم يتهيَّأ لي أن أنشره.

فقد شاركت في مؤتمرات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، فقد انتُخبتُ لعضويته من قديم، أيام أن كان الشيخ ابن باز رئيسه، وكان من أعضائه كبار العلماء من أمثال الشيــخ أبي الحسن الندوي، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ محمد محمــود الصواف، والشيخ أحمد فهمي أبو سنة، والشيخ عبد الله البسام.

وشــاركتُ في المجمع الفقهي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، خبيرًا، ثم عضوًا. كما اختارني مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عضوًا فيه في عهد الشيخ سيد طنطاوي رحمه الله، ثم هيئة كبــار العلماء بعد ثورة يناير،

QaradawiBooks.com

إلى أن انضم الأزهر إلى الانقلاب العسكري في مصر، فاستقلنا من كليهما، ورمينا لهما باللقب الذي منحوه لنا، فهو لا ينفعنا في ديننا ولا دنيانا، وركبنا طيارتنا، وعدنا إلى بلدنا الحبيب دولة قطر، متمثلين بقول الشاعر[1]:

**عَدَسُ! مَا لِعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ أمنْتِ وهـذا تحمِلِين طَلِيق!**

ولنا في بعض البلاد مشاركات محفوظة في ندوات ومؤتمرات ومجامع وجامعات: في مصر، والسودان، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، وتركيا، والبلاد الإسلامية التي كانت تابعة لروسيا، والسنغال، وجنوب إفريقيا، ونيجيريا، وإثيوبيا، وسوريا، والأردن، ولبنان، وباكستان، والهند، وأفغانستان، وبنجلاديش، وماليزيا، وإندونيسيا، والصين وغيرها، وأهل هذه البلاد إخوة لنا مسلمون.

وهذا تراث أيضًا ضخم يحتاج إلى مَن يبحث عنه في مظانه ويرتبه ويهيئه للاستفادة به، ونشره للجمهور، وهو من أبواب عمل الخير، ومن الصدقات الجارية التي تنفع الإنسان بعد موته، فهو من العلم الذي ينتفع به.

وهأنذا أقدم لهذه الموسوعة وأنا في الثالثة والتسعين من عمري، الذي عشت جله داعيًا إلى الله تعالى بكل وسائل الدعوة التي أتيحت لي: الخطبة والتأليف والمحاضرة والتعليم والإعلام، سافرت إلى كلِّ قارات العالم؛ محاضرًا وخطيبًا وموجِّهًا وداعيًا إلى الله بإذنه. لا أقول هذا الكلام افتخارًا أو تعاليًا، وإنما أقوله فرحًا بفضل الله، واستشعارًا لنعمه عليَّ التي أحاطتني وأعانتني لأؤدي هذا الدور الذي هيَّأني الله له، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

(١) هو ابن مفرغ الحميري، كما في لسان العرب مادة (ع. د. س).

QaradawiBooks.com

أستعرض هذا العمر الطويل، فيملأ كياني إحساسٌ عميق بفضل الله عليَّ، ونعمه الوفيرة التي تغشاني من أمِّ رأسي إلى أخمص قدميَّ.

لقد نشأتُ في قرية من قرى الريف المصري (صفط تراب) ـ أو سفط أبي تراب كما ذكرها صاحب القاموس المحيط[1] ـ وقدَّر الله لي أن يموت أبي وأنا في الثانية من عمري، ولم يترك لي شيئًا من الأطيان ولا الأملاك، لكن هيَّأ الله لي عمي الذي كفلني، وضمَّني إلى أبنائه، وأَبَى أن يعاملني إلا كواحد منهم، وأن أناديَه إلا بأبي.

وهيَّأ الله لي الأمَّ الحريصة على أن تحفِّظني القرآن، فبدأتُ في سنٍّ صغيرة حفظَ القرآن في كُتَّاب الشيخ حامد أبو زويل، أحد الكتاتيب الأربعة في قريتنا. وكان الشيخ حامد قارئًا متقنًا لكتاب الله، عفيف النفس، وكان محفِّظًا جيدًا، ومعلِّمًا حازمًا، وكان يدعو لي أن أكون عالمًا كبيرًا.

ختمتُ القرآن قبل أن أُتمَّ العاشرة بعدة أشهر، ومن ذلك اليوم شيَّخني الناس، وسمَّوْني على صغر سنِّي (الشيخ يوسف)، ثم هيَّأ الله لي أن حصلتُ على أول جائزة في حياتي؛ الجائزة الأولى في حفظ القرآن على مستوى مديرية الغربية (جنيه وربع الجنيه).

تمنيتُ من صغري أن ألتحق بالأزهر، هذه الأمنية التي تشوَّفت لها، وكانت أمنية لجدي الحاج علي القرضاوي، أن يلتحق أحد أولاده الخمسة بالأزهر الشريف، وكان جدي رجلًا متدينًا، ذهب لحج بيت الله الحرام في وقت كان الذاهب كأنه مفقود، والعائد كأنه مولود. ومن حبه للدين والعلم، ذهب بعمي عبد العزيز قبلي إلى الكتاب، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى المعهد الديني

(١) القاموس المحيط مادة (س. ف. ط).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأزهري في طنطا. ولعل الله قد حقق بي أمنية جدي رَحِمَهُ اللَّهُ، إذ أصبح من ذريته عالم قرضاوي، يحمل اسمه، وينشر العلم في ربوع الأرض. والحمد لله.

تردد عمي أحمد في البداية شفقةً عليَّ، ورعايةً لما يراه في مصلحتي، وذلك لما كان عليه خريجو الأزهر من ضيق ذات اليد، وقلة فرص العمل، وضعف الراتب، لكن الله أرسل من يُقنعه بذلك، إذ مرَّ بنا ونحن في الغَيْط شيخ معمَّم، لا نعرفه ولا يعرفنا، ومال الشيخ إلى مجلسنا، يطلب الماء، وأعطيناه (القُلَّة) ليشرب منها، واختبرني فوجدني أحفظ القرآن، بل أتقن حفظه، وتعجَّب لماذا لم أدخل الأزهر، ودار حوار بينه وبين عمِّي، أقنَعَهُ فيه بأن يُدخلني الأزهر، وأن يترك المستقبل لمن بيده الخلق والأمر.

تحققت أمنيتي، ودخلت الأزهر، وكنتُ الأول في كل أو أغلب سنوات الدراسة، وكان يصرف لي (مكافأة الأولية) ثلاثة جنيهات، كنت أستعين بها على أموري ونفقاتي وشراء الكتب وما أحتاج إليه.

وكان من فضل الله عليَّ أن تعرفتُ على الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين وأنا في الصف الأول الابتدائي، استمعتُ إليه، ووعيتُ ما قال، ثم انضممتُ إلى جماعة الإخوان وأنا في الصف الرابع الابتدائي، وكان جُل نشاطي في الإخوان في قسم نشر الدعوة وقسم الطلاب، وقسم الأسر، وأرسلني الإخوان داعية إلى القرى القريبة والبعيدة، فضلًا عن قيادتي النشاط الطلابي في المعهد، ثم في كلية أصول الدين، فانفتحت لي بذلك آفاق من الفكر، ومجالات من الحركة، وأبعاد من فَهم الإسلام وقضاياه وهموم أمته، لم تكن لتنفتح لي لو

QaradawiBooks.com

قضيتُ سني الدراسة منكفئًا علـى الكتاب، منعزلًا عن الحركة والدعوة والنشاط العام.

قُتِل الإمام البنـا، واعتقلتُ أنا وعدد من إخوانـي، وأنا في الشهادة الثانوية فـي معتقل الطور مع الإخوان، فهيَّأ الله لـي أن ألتقي لأول مرة بالشيـخ محمـد الغزالي، والشيـخ سيد سابـق، والشيـخ عبد المعز عبد الستار، والأستـاذ عبد العزيز كامـل، والشيـخ عبد البديع صقر، والمهندس مصطفى مؤمن خطيب الجامعة وقائد طلابها.

ورغم ظروف الاعتقال إلا أني حصلتُ على الشهادة الثانوية في الدور الثاني، وكان ترتيبي الثاني على طلاب الدَّورين الأول والثاني في المملكة المصرية، التـي كانت تشمل وقتها مصر والسـودان، ونصحني الكثيرون بالالتحاق بكلية دار العلوم، قالوا: هي الأَوْلى بك، لتكون طريقك لتُبتعث إلى الخارج في إحدى الجامعات الأوربية العالمية الشهيرة، وأنت شـاعر تقـرض الشعر، فهي الأجدر لـك لتنمِّي ملكتك الشعريـة. ولكني كنتُ مقتنعًا بدوري في الأزهر، أريد أن أكون أحد علمائه الكبار.

هيَّأ الله لي أن أدخل كلية أصول الدين، وهي رغبتي الأساسية، حتى إني كتبت على غلاف كتابي في الفقه الحنفي في السنة الثانية من القسم الابتدائـي (مختصر القدوري): يوسـف القرضاوي الطالـب في السنة النهائية بكلية أصول الدين.

وكان الأزهـر بدأ لأول مرة يـوزِّع الطلاب علـى الكليات بحسب المجموع، ومن تدابير الله تعالى أن تقـلَّ درجاتي في مادة الفقه، لا عن تقصير مني، وإنما لأن المراقب أخذ يتحدَّث معـي أثناء الامتحان عن ظروف الاعتقال حتى ضاق الوقت، وتركـت سؤالًا لم أجب عنه، رغم

QaradawiBooks.com

معرفتي بإجابته، وبذلك رُشِّحْتُ لكلية أصول الدين لا كلية الشريعة. وحصلت منها على الشهادة العالية، وكان ترتيبي الأول.

لقد اخترتُ كلية أصول الدين؛ لأنها تضم العلوم النقلية والعقلية، ولما في مناهجها من تنوع تثرى به معارف الطالب، وتتسع مداركه وآفاقه، فقد درسنا التفسير والحديث والتوحيد والتاريخ طوال سنوات الكلية، ودرسنا الفلسفة في جميع السنوات، ومع تخرُّجي في كلية أصول الدين، فإنني لم أنقطع عن علم الفقه وعلم الأصول، اللذين تُعنى بهما كلية الشريعة. وقد أمدتني كلية أصول الدين بزاد نافع من الثقافة الفلسفية والتاريخية، بجانب الثقافة الإسلامية المتنوعة.

ثم حصلتُ على تخصُّص التدريس (الماجستير)، وكان ترتيبي الأول على أبناء الكليات الثلاث (أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية)، وعُيِّنتُ في التدريس، ولكن البوليس السياسي اعترض على اسمي.

وقد عوَّدني الله تعالى في حياتي كلِّها أن في طيِّ كلِّ محنة منحة، وأن لطفه لا ينفك عن قدره، وأن من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره. كما قال العلامة الواعظ ابن عطاء الله السكندري[1].

منعتُ من التدريس، ثم كان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، فرشَّحني الشيخ الغزالي والأستاذ البهي الخولي لأخطب في مسجد الزمالك بدل الشيخ الغزالي الذي تولى الخطابة في الجامع الأزهر، لرفع الروح المعنوية للشعب في هذه المرحلة الخطيرة في تاريخ مصر، فقبلت بعد إلحاح، وظللت أخطب فيه سنة كاملة، منعت بعدها من الخطابة.

(١) حكم ابن عطاء الله السكندري شرح الشيخ زروق صـ٢٣٣، تحقيق د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وشـــاء الله أن يزور مصر الشيخ عبد الله بن تركـــي السبيعي، مفتش العلوم الشرعية بوزارة المعـــارف القطرية، والمسؤول عـــن التعاقد مع علماء الأزهر وغيرهـــم لتدريس العلوم الشرعية فـــي مدارس قطر، وأن يحضر إحدى خطبي في الزمالك، فأعجب بهـــا، وأرسل بعد ذلك إلى وزير الأوقاف الشيخ الباقوري طلبًا بانتدابي إلى قطر.

وشـــاء الله تعالى لي في هذه الفترة حتى سفري إلى قطر عام ١٩٦١م، أن أعمل في مكتب شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت لأكون قريبًا منه، وأكلَّف أنا وأخي الشيخ أحمد العسال بجمع تراث الشيخ من مظانِّه.

وقد أخرجنا أربعة كتب كبيرة للشيخ شـــلتوت، هي: الإسلام عقيدة وشـــريعة، والفتاوى، ومن توجيهات الإسلام، وتفسيـــر القرآن الكريم: نظرات في الأجـــزاء العشرة الأولى. جمعناها مـــن الصحف والمجلات والإذاعة، ومن أوراق الشيخ ومسوَّداته، وبعضها كانت رسائل وكتيبات صغيرة، ضُمَّ بعضها إلى بعض في نسق جديد، لتصير كتبًا كبيرة.

ثم كُلِّفت من مشيخة الأزهر وبإشراف الإدارة العامة للثقافة الإسلامية في عهـــد مديرها الكبير الأستـــاذ الدكتور محمد البهـــي، بتأليف كتاب يتناول موضوع (الحلال والحرام)؛ ليترجـــم إلى الإنجليزية وغيرها من اللغات، فكـــان كتابي الأول الـــذي دخلتُ به عالـــم التأليف: (الحلال والحرام في الإسلام). وقد أحالـــت إدارة الثقافة في الأزهر الكتاب إلى محكِّم، سوري كبيـــر، وهو الأستاذ محمد المبـــارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشـــق، فأقره وأثنى عليـــه، وأقرته مشيخـــة الأزهر، وكتب الله للكتـــاب القبـــول، وانتشر انتشـــارًا منقطع النظيـــر في العالـــم العربي والإسلامي، حتـــى طبع ما يربو على سبعين طبعة شـــرعية، وترجم إلى

QaradawiBooks.com

عدة لغات، ونوَّه به كثير من العلماء المرموقين من أمثال الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى الزرقا، والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ علي الطنطاوي، والعلامة أبو الأعلى المودودي، وغيرهم، ثم توالت الكتب تباعًا حتى بلغت حوالي مائتي كتاب.

ثم هيَّأ الله لي السفر إلى قطر، وكان كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) بمثابة التعريف بي لدى العلماء وأهل البلد، فقد سبقني الكتاب إلى هناك، عن طريق أحد المصريين الذين سبقوني بالسفر إلى قطر، وهو الشيخ مصطفى جبر، وقد طبعه الشيخ فهد بن علي آل ثاني على نفقته، ليوزعه في قطر، وأعجب به إعجابًا شديدًا.

سافرت إلى قطر، ولم أكن أعرفها، ولا أعرف أحدًا فيها، ولكن كنت أعرف بعض أصدقائي الأزهريين الذين كانوا ذهبوا إليها قبلي، وحدَّثوني عنها، فأُعجبتُ بها، واستقبلني حُكَّامها ومشايخها وأهلها بالحفاوة والترحاب، ذلَّلوا أمامي الصعاب، وعشتُ فيها واحدًا من أهلها، وحصلت على جنسيتها، وبذلت ما في وسعي في سبيل رقيِّها، ولم تبخل عليَّ هي وأهلها بدعم مادي أو معنوي، وانطلقت من قطر نحو العالمية، محاضرًا وخطيبًا ومدرسًا، ثم عميدًا لكلية الشريعة، ومشاركًا في كبرى المجامع الفقهية والمنتديات العلمية، ومطلًّا من شاشة الجزيرة ـ كلَّ أحدٍ ـ على ناطقي الضاد من الخليج إلى المحيط، وأصبحت ـ بحمد الله ـ كتبي وفتاوي ومنهجي وتأثيري موضوعًا للرسائل العلمية في كبرى الجامعات العالمية.

يمر بخاطري قطار العمر وأنا أكتب هذه المقدمة لأعمالي الكاملة، فأجد عون الله وتأييده يلازماني في كلِّ محطة من محطاته، لقد ذلَّل الله لي الصعوبات، وأقال العثرات، وأزاح من طريقي العقبات، وشدَّ عزمي،

QaradawiBooks.com

وقوَّى إرادتي، ويسَّر لي كلَّ عسير، وذلَّل كل صعب، ولفَّني كُلِّي بعنايته ورعايته وتوفيقه في كلِّ مرحلة من مراحل حياتي.

كتب الله لي القبول بين أهلي، وفي قريتي، وكتب لي حب أستاذتي وتقديرهم في مراحل التعليم المختلفة، وحب إخواني الذين تآخيت معهم لله وفي الله، وحب الناس أينما انتقلت وذهبت، وفي الواقع كلما لاحظتُ حبَّ الناس لي، وقولهم في كل مكان: نحبُّك في الله! أقول: هذا من بركات دعاء أمي رحمها الله، التي كانت تدعو لي دائمًا وتقول: ربنا يحبِّب فيك الرب في عرشه، والجندي في فرشه، ويجعل في وشك (وجهك) جوهرة، وفي حنكك (فمك) سُكَّرة، ويحبِّب فيك الحصا في الأراضي، ويجعل لك في كل سكة سلامة.

أنت الذي أكرمتني منذ الصبا ... ورعيتني، والخيرُ منك مُقيَّضُ
وغرستني في الدين منذ حداثتي ... ووهبتني فضلًا يطُول ويعرُض
ورزقتني حبَّ الأنام تفضُّلًا ... إن المحبَّة بالعصا لا تُفرض
وغمرتني بالفضل من قرني إلى ... قدمي، يراه مُحدِق أو مُغمِضُ
فأتمَّ بالغفران فضلك والرضا ... مَن ذاق حُلوَك لم يُطقْ ما يَحمُض

ومن فضل الله علي أن مدَّ في عمري، وبارك فيه، حتى كان من ثمار هذا العمر هذه الموسوعة الفكرية العلمية الإسلامية الفقهية الأدبية: (موسوعة الأعمال الكاملة للقرضاوي)، التي أجمع فيها أكثر تراثي المكتوب، والتي أُقدِّر أن تكون في حوالي مائة مجلد.

وكم من العلماء قد ضاع على الأمة إنتاجُهم العلمي والثقافي الذي أفنوا أعمارهم فيه؛ لأنهم لم يجدوا مَن يهتم به، ويعتني بجمعه وترتيبه، وإبرازه للناس، وتعريف الناس به!

QaradawiBooks.com

فلله الحمد أولًا وآخـرًا، وظاهرًا وباطنًا، حمدًا كثيـرًا طيبًا مباركًا، حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، حمدًا دائمًا بدوامه، باقيًا ببقائه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

## منهجي الذي اتبعته طوال حياتي:

عرفـتُ الإسلام بشموله، ووعيته نظامًـا للحياة في كـلِّ جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة والثقافية والتعليمية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وكان المنهج الذي سرت عليه منذ كتابي الأول (الحلال والحرام في الإسلام) ـ بل منـذ بدأت الدعوة إلـى الله تعالى وتعليـم الناس ـ هو المنهج الوسط، الذي هـو خصيصة الأمة الإسلاميـة الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فاختـرت دائمًا النمط الأوسط الذي يلحق به التالي، ويرجع إليه الغالي.

تبنَّيت الوسطية المعتدلة، التي تنظر للناس وللحياة، والله والإنسان، والدنيا والآخرة، والفرد والمجتمع، والعقـل والقلب، والروح والفكر، والتجديد والالتزام، والمرونة والثبات، نظـرة متكاملة معتدلة متوازنة، بعيدًا عن الغلو والتفريط.

كان همِّي الـذي حملته طول حياتي، إبـراز روح الوسطية السمحة الميسرة المجددة في هذا الدين، والتي تُحدث فيمن يلتزمها التوازن بين الدنيا والآخرة، وبيـن الروحية والمادية، وبين الحـق والواجب، وبين الحاكم والمحكوم، وبين المثالية والواقعية، وبيـن الربانية والإنسانية، وبين الفردية والجماعية.

QaradawiBooks.com

دعوتُ إليها، ونافحتُ عنها، وجاهدتُ بالقلم واللسان كلَّ مَن وجدته يجنح عنها إفراطًا أو تفريطًا.

إنَّ (منهج الوسطية الإسلامية) هو حبل النجاة، وسفينة الإنقاذ اليوم لأمتنا العربية والإسلامية من التيه والضياع ـ بل الهلاك والدمار ـ الذي يُهدِّد حاضرها ومستقبلها.

فمعظم قضايا الأمة الفكرية والعملية الكبرى تضيع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين:

**الطرف الأول**: طرف الغلو والتطرُّف الذي يُرهق الأمة من أمرها عُسْرًا، ويوسِّع دائرة المُحرَّمات، ويقدِّم الأعسر دائمًا على الأيسر، ويأخذ بحرفيَّة النص، ولا يُراعي مقاصد الشرع، ويُوقع الأمة في الحَرَج، ويُعسِّر عليها ما يسَّر الله، ويُعقِّد ما سهَّله الدين، ويُضيِّق ما وسَّعه الشرع، لا يسمح لها برخصة، ولا يبيح لها ما تُوجبه الضرورة، ولا يعرف الظروف المُخَفِّفة، ولا يؤمن بتغيُّر الفتوى بتغيُّر الزمان والمكان والحال. ينكفئ على الماضي، ولا يُعايش الحاضر، ولا يستشرف المستقبل، أعمق حكمة عنده قول مَن قال: ما ترك الأول للآخر شيئًا، وليس في الإمكان أبدع ممَّا كان!

لا يقبل الآخر، ولا يحاوره، ولا يتسامح مع مخالف، ولا يرى العالم إلا من منظار أسود. يرى الناس كلَّ الناس أعداء للإسلام، يجب أن يُقاتَلوا في عقر دارهم ولو كانوا مسالمين، حتى يُسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فهو يرى الأصل في عَلاقات المسلمين بغيرهم: الحرب لا السلم.

QaradawiBooks.com

**والطرف الآخر**: طرف التسيُّب والتفريط والتقصير والتبعية، فلا يكاد يتشبَّث بعقيدة، أو يتمسَّك بفريضة، أو يُحـرِّم حرامًا. الدين عجينة لينة في يديه، يُشكِّله كيف يشاء، ومتى شـاء، ليس فيه ثوابت، بل كلُّ شيء فيه قابل لاجتهاد جديد، أو لقراءة جديدة، تنقله من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ما كان ثابتًا يمكن أن يُنفى، وما كان منفيًّا يمكن أن يثبت. ما كان حقًّا يمكن أن يصبح باطـلًا، وما كان باطلًا يمكن أن يصبح حقًّـا!! وكيف لا، وقد رفضـوا الفقه وأصولـه وأئمته، وتلاعبوا بالسُّنَّة، أو أنكروها، وعبثوا بالقرآن وتفسيره؟!

## نهلت من معين الفقه الإسلامي على اتساعه:

وكان من نعمة الله عليَّ أن تحرَّرتُ منذ وقت مبكر من رِبْقة التمذهب والتقليد والتعصب لقول عالم بعينه مهما بلغت رتبته، هذا التقليد الذي ابتُلي به فقهنا في عصر الركـود الفكري والجمود العلمي، وإن لم يخلُ عصر من العصور من شُـهُب تسطع في دياجير العصبية المذهبية، داعية إلى الاجتهاد داخل المذهب أو خارجه، مثل ابن العربي المالكي، وابن الهُمـام الحنفـي، والسُّبْكي الشافعـي، وابن تيمية الحنبلـي، وبعدهم الدهلوي والصنعاني والشوكاني، وغيرهم في شتَّى الأعصار والأمصار.

لم أحاول أن أقيِّد نفسي بمذهب فقهي مـن المذاهب السائدة في العالـم الإسلامي، فالله ورسوله لـم يقيدانا بواحد منهـا، والحقُّ غير محصور في مذهب واحـد، وأئمة هذه المذاهـب المتبوعة لم يدَّعوا لأنفسهم العصمة، ولم يدعوا الناس إلى اتباعهم واعتبارهم أئمة، وإنما هم مجتهدون في تعـرُّف الحقِّ، فإن أخطؤوا فلهـم أجر، وأن أصابوا فلهم أجران.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لذا أقول لإخواننا وأبنائنا من العلماء والدعاة المتميزين، ما قاله الأئمة الثقات، وما أُثر عن العلماء الأثبات: لا تقلِّدونا، ولكن خذوا من حيث أخذنا.

استفيدوا بمنهجنا في البحث والاستنباط والتدليل والترجيح، ولا تكونوا نسخًا كربونية لاجتهادات غيركم ـ ونحن منهم ـ ما أمكنكم الاجتهاد، والنصوص أمامكم، وعقولكم مثل عقولنا، ولعلها أرجح منها!

كنتُ أنظر إلى الفقه الإسلامي الواسع، لا أتقيَّد بفقه مذهب من المذاهب الأربعة أو الثمانية المتبوعة، وإنما انفتحتُ عليها كلِّها، وعلى فقه الصحابة والتابعين، وغيرهم من علماء الأمة الذين سبقوا أصحاب هذه المذاهب المشتهرة أو عاصروهم أو جاؤوا بعدهم، ونهلت من معين هذه المدارس جميعًا.

وأنا في تناولي للقضايا العقدية والفقهية والسلوكية والدعوية، لم أرضَ لديني أن أتخذ الغرب معبودًا لي، بعد أن رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا.

ولم أرضَ لعقلي أن أقلِّد مذهبًا معينًا في كلِّ القضايا والمسائل، أخطأ أو أصاب، فإن المقلِّد ـ كما قال ابن الجوزي ـ على غير ثقة فيما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه خُلق للتأمُّل والتدبُّر، وقبيح بمَن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة[1].

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي صـ ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

وغير لائق بعالم مسلم غاص في بحار العلم، ويملك وسائل الموازنة والترجيح، أن يكون أسير مذهب واحد، أو خاضعًا لرأي فقيه معيَّن. بل الواجب أن يكون أسير الحجَّة والدليل أيًّا كان صاحبه. فما صحَّ دليله، وقويت حجته، واقتنع به العقل، واطمأنَّ إليه القلب، فهو أولى بالاتباع. قال الإمام مالك: كلُّ أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبي ﷺ. وقال الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

## العناية بالتعليل والتدليل والموازنة:

وقد عنيتُ بالتدليل والتعليل والموازنة، مستعينًا بمحكمات القرآن، وصحيح السنة، ومستندًا إلى العقل الصريح، والفطرة السليمة، ومستفيدًا كلَّ الاستفادة من تراث علماء أمتنا الثقات كلٌّ فيما اتَّسع له واديه، ومسترشدًا بأحدث الأفكار العلمية والمعارف العصرية، وحاولت أن أقدم الإسلام غضًّا طريًّا، قابلًا للحياة، وسطيًّا معتدلًا، بعيدًا عن غلو الغالين، وتشدُّد المتنطِّعين، وانحرافات المتسيبين، وتبعية المتغربين، وتحريفات المبتدعين.

## رأيي هو أحد الآراء:

تعلمتُ أن رأيي هو أحد الآراء، لا يمتاز عن غيره إلا بما فيه من قوَّة الحجة، وألا ألزم أحدًا برأيي، فقد جرت سنة الله في الناس أن يختلفوا، وأوسع الله لنا أن نختلف في فروع الدين، ما دام اختلافًا في إطار الأصول الشرعية، والقواعد المرعية، وقد اختلف الصحابة والتابعون والأئمة الكبار؛ فما ضرَّهم ذلك شيئًا؛ اختلفت آراؤهم، ولم تختلف قلوبهم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## التشديد في الأصول والتيسير في الفروع:

ثم إني بلوتُ من فتن هذا العصر ومغرياتــه ومعوقاته، التي جعلتْ جمهور الناس ـ خصوصًا مَن يسمُّونهم المثقفين ـ يُعرضون عن الدين؛ ما جعلني أتَّخذ منهجًا يقــوم على التشديد في الأصــول، والتيسير في الفروع. ولا سيما فيما عمَّت به البلوى، فقــد رسخ في أذهان الكثيرين اليوم أن الإنسان لا يستطيع أن يكون عصريًّــا ومتدينًا في الوقت نفسه، فإما أن يكون عصريًّا متحلِّلًا، أو متدينًا متخلِّفًا!

وهذه فكرة شــديدة الخطر على التديُّن، فمعناهــا ومؤدَّاها عند مَن يؤمن بها أن كثيرين سيعيشون في هذا العصر مستغنين عن الدين، فلا بدَّ من إثبــات أن الدين لا يعــوق الإنسان على الانطــلاق العاقل الشريف للاستمتاع بطيبات الحياة، والمشاركة فيها، في غير إثم ولا عدوان.

فإذا كان هناك رأيان في المسألة، أحدهما أحوط، والآخر أيسر، أختار الأيسر؛ لأنه الأليق بروح الشريعة السمحة، وبطبيعة كتاباتي المؤلَّفة لعموم المسلمين، وبطبيعة العصر الذي أصبح الإسلام فيه غريبًا في أكثر البلدان.

وقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ **ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيســرهما**، ما لم يكن إثمًا[1]. وقال ﷺ: «**إنما بعثتم ميســرين، ولم تبعثوا معســرين**»[2]. فالأمة تحتاج إلى التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، فطبيعة الإسلام أنه دين واضح لا غموض فيه، ميسَّر لا تعسير معه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لذا فأنا ممَّن يتبنى التيسير في الفــروع، والتشديد في الأصول، وأنا أعلم أن تحريم الحلال على الناس لا يقلُّ خطرًا عن تحليل الحرام.

**اهتمامي بحاجات العصر العملية والعلمية:**

كان اهتمامي وأنا أؤلِّف: التركيز على ما يحتاج إليه المسلمون اليوم، فلا أسوِّد الصفحات وأكتب المطوَّلات في قضية لا يعبأ الناس بها، ولا تمسُّ حاجتهم إليها.

ولما كتبتُ عن (فقــه الزكاة) وجدت الكتابــات القديمة عن الزكاة تحمل طابع عصرها، كُتبت بلسان غير لسان عصرنا، لذلك كنتُ منشغلًا بالنظام المالي الجديد، وما نتج عنه من صور يسأل عنها الناس وتحتاج إلى اجتهاد عصري، مثــل: زكاة أسهم الشركــات المختلفة، والمصانع الكبيرة والآلات والأجهزة المتنوِّعة، ومختلف رؤوس الأموال الثابتة أو المنقولة، التي تدرُّ علــى أصحابها أموالًا غزيرة مــن إنتاجها أو كرائها (تأجيرها) للنــاس، كالسفن والسيارات والطائــرات والفنادق والمطابع والعمارات السكنية، إلى آخره.

فمن المعلوم أن لكلِّ عصر اهتماماته ومشكلاتــه الفكرية والنفسية والاجتماعية، التي تشغل أهله، وتترك أثرها في إنتاجهم العلمي وتراثهم الفكري، ثم يأتــي عصر آخر، فتنطفئ جمرة هــذه المشكلات، وتخفُّ حرارتها حتى تتحوَّل إلى رماد. على حين تثور قضايا ومشكلات جديدة تشغل أفكار اللاحقين، لم تكن ذات بال، بــل ربَّما لم يكن لها وجود عند السابقين.

لذا فقد اعتنيتُ بفقه الموازنات، وفقه النوازل، وفقه المآلات، وفقه المقاصد، وفقه الواقع، وهي أنواع من الفقه لا غنى عنها لعالم معاصر.

QaradawiBooks.com

## الاجتهاد والتجديد والدعوة إليهما:

إن الإسلام يدعو إلى الاجتهاد والتجديد في الدِّين، والعلماء يعتبرون الاجتهاد من (فروض الكفايات)، التي تجب على الأمة متضامنة، بحيث إذا توافر لها عدد من المجتهدين يلبون الحاجة، ويسدُّون الثغرة، ويؤدُّون الواجب، فيما يعتري الأمة من مشكلات مستجدة، تتطلَّب الحلَّ، وواقعات لم يسبق لعلمائنا الماضين أن عرفوها، فهنا تكون الأمة قد أدَّت ما عليها وبرئت من الإثم. وإلا أثمت الأمة عامَّة، وأولو الأمر والشأن فيها خاصة.

والحقُّ أن تجديد الدين الـذي بشَّر النبي ﷺ، به حيـن قال: «**إن الله يبعث علـى رأس كلِّ مائة عام لهذه الأمـة: مَن يجدد لهـا دينها**»[1]. هذا التجديد بمفهومه الصحيح أحـد العمد الرئيسية لمدرسـة الوسطية، كما ننشدها، ونفهمهـا، وندعو إليها، وكذلك فإن العـودة بالأمة إلى الوسطية جزء من مفهوم التجديد الحقيقي كما ننشده، وكما نفهمه، وكما ندعو إليه.

إن التجديد ليس معنـاه أن نُغيِّر معالم الدين حَسَـب أهواء الناس، وكأن الإسلام عجينة ليِّنة، يتغيَّر حسب أهواء الحُكَّام تارة، وحسب أهواء الشُعُوب تارة أخرى، إذا سـادتْ الرأسمالية كان الإسلام رأسماليًّا، وإذا سادت الاشتراكية كان الإسلام اشـتراكيًّا، وإذا سادت الديمقراطية كان الإسـلام ديمقراطيًّـا، وإذا سـادت الديكتاتوريـة كان الإسـلام فرديًّا ديكتاتوريًّا. هذا غير مقبول بحال؛ لأنه يحوِّل الدين إلى ألعوبة يتلاعب بها المتلاعبون باسم تجديدهم المزعوم.

(١) رواه أبـو داود في الملاحـم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسـط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحـم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي فـي فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إن تجديد مبنى أثري عريق، لا يعني أن نهدم القديم، وأن نُقيم مبنى جديدًا على أحدث طراز مكانه، هذا ليس تجديدًا.

ولكن التجديد حقًّا هو: أن نُبْقي على جوهره، وعلى خصائصه ومُقوِّماته ومعالمه الرئيسية، بل وحتى طريقة نقشه وزخرفته، لكنَّنا نُرمِّم ما تهدَّم منه، ونصلح ما خربته عوامل التعْرية وتطاول الزمن فيه، لنعيد إليه رونقه وبهاءه.

وكذلك التجديد للدين، معناه أن نُبقي على جوهر الدين، وعلى خصائصه ومقوِّماته، ونُحْسِن عرضه، بعد أن نحسن فَهمه، في ضوء النصوص القطعية، وفي ضوء المقاصد العامة للشريعة. فهذا هو التجديد الذي نفهمه وندعو إليه.

وهو يشمل تجديد الفَهم والفقه فيه، وهذا تجديد فكري، كما يشمل تجديد الإيمان به، وهذا تجديد روحي، وتجديد العمل له والدعوة إليه، وهذا تجديد عملي.

على أن هناك مساحة لا يدخلها التجديد بحال، وهي منطقة (القطعيات) التي قال فيها الإسلام كلمته البينة الحاسمة، سواء في مجال العقائد أو العبادات، أم الأخلاق، أم التشريع، وهي التي تجسد الوحدة العقدية والفكرية والشعورية والسلوكية للأمة المسلمة.

### البعد عن المهاترات:

منهجي طوال حياتي: أن أبني ولا أهدم، وأن أجمع ولا أفرِّق، وأدع كل امرئ وما اختار لنفسه، لا ألزم الناس برأيي واجتهادي، ولا يلزمونني برأيهم واجتهادهم، وإذا كان الله تعالى قد أمر رسوله الكريم أن يقول للكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

QaradawiBooks.com

فكيف لا أقول لإخواني المسلمين: لكم اجتهادكم ولي اجتهادي، لي عملي ولكم أعمالكم؟!

والعالم المسلم لا يَدين الله إلا بما انتهى إليه اجتهاده، صوابًا كان أم خطأ، فما كان صوابًا فهو مأجور عليه أجرين، وما كان خطأ فهو مأجور عليه أجرًا واحدًا. وهذا من روائع هذا الدين: أن يؤجر الإنسان على الخطأ ما دام بعد تحرٍّ واجتهاد من أهله في محله.

ولكن قومًا رفضوا أن يكون لي اجتهادي ورأيي، وفرغوا أنفسهم للتشويش علي، أعرضت عنهم، وقابلت تشويشهم بالحلم والسكوت، ودفع السيئة بالحسنة، وقد رأيتُ أن وقتي أغلى من أن أضيِّعه في الردِّ على المتربصين من الخصوم، فهذا عمل الفارغين الذين لا همَّ لهم، ولا قضية تشغلهم، لذلك آثرتُ أن أَدَعَ مَن يتكلَّم وينتقد ـ إذا كان النقد غير علمي ـ وما أراد، وأمضي في طريقي الذي خططتُه، ودربي الذي سلكتُه، نحو تحقيق أهدافي العلمية والعملية والدعوية والإصلاحية. وأنا على يقين أنني لو طاوعتُ نفسي، واستجبتُ لنزغات الشيطان، لذهب كثير من عمري في مهاترات لا فائدة منها، وملاسنات لا طائل من ورائها. ولأضعت قاعدة المنار الذهبية للشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه).

فإن وجدتُ نقدًا علميًّا، قبلتُه ممن قاله، وأجهدتُ نفسي في تدبُّره، متحرِّيًا الصواب، باذلًا ما في وسعي كي أصل إلى ما يستريح ديني وقلبي وعقلي وضميري إلى أنه الصواب، وأنه ألصق بشريعة الإسلام، وأقرب إلى مبادئه وأصوله.

QaradawiBooks.com

## وصية لإخواني العلماء:

وإن كان لي من نصح ووصية لإخواني من العلماء والدعاة إلى الله، بعد هذه التجربة الطويلة في العلم والدعوة، أقول:

يستطيع علماء الإسلام المعاصرون أن يعملوا الشيء الكثير، لضبط مسيرة الجيل بأحكام الإسلام، وللوقوف في وجه التيارات الغازية، ولتحقيق قيام المجتمع الإسلامي المتكامل:

١ ـ فهم يستطيعون أن يجعلوا من المساجد التي يخطبون بها ويدرسون فيها مراكز إشعاع، ومحاور نشاط إسلامي متعدِّد الألوان، إذا هم وعوا رسالة المسجد، وأعادوا له مكانته الأولى. وما زال روَّاد المساجد ـ ولا سيما في أيام الجمع ورمضان ـ يمثِّلون أكثرية المواطنين في العالم الإسلامي.

٢ ـ ويستطيعون أن يجوبوا البلاد فرادى ومثنى وثلاث ورباع، داعين إلى الإسلام، مذكِّرين به، ذابِّين عنه، وخاصة في المناسبات الإسلامية، وأن ينتقلوا إلى الناس بدل أن ينتظروا انتقال الناس إليهم.

٣ ـ ويستطيعون أن يؤلفوا الرسائل والنشرات والكتب للتبصير بالإسلام، وإيجاد رأي عام واعٍ يلتزم به، ويناصر دعاته، ويقف في وجه أعدائه.

٤ ـ ويستطيعون أن يكونوا في مواقعهم روادًا ومصلحين اجتماعيين، إلى جوار كونهم موجِّهين دينيين. ومعنى هذا أن يهتمُّوا بأحوال المجتمع، والاتصال بأفراده وأسره وجماعاته ومؤسساته، وأن يعملوا على تفهُّم أوضاعه وأمراضه ومشكلاته الدينية والسلوكية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأن يُسهموا في تشخيصها ووصف الدواء لها على هدي الكتاب والسنة.

QaradawiBooks.com

٥ ـ ويستطيع العلماء بكـــلِّ ما ذكرناه وبغيره، أن يخلقوا من الشعب قوة إسلامية تطالب الحكـــام بالرجوع إليه، وبإقامة حـــدوده، والالتزام بتشريعه وتوجيهه، بل تلزمهم بـــه وتدفعهم إليه دفعًا. وخاصة في البلاد الديمقراطية التي لها حق اختيار ممثليها في البرلمان.

٦ ـ ويستطيع علماء الإسلام أن يعقدوا ما بين حين وآخر مؤتمرات إسلامية لها صبغة عالمية، يلتقون فيها من كلِّ بلد، ليتدارسوا أوضاعهم، ومواضع القوة لديهم، ونقـــاط الضعف عندهم، ومكامـــن الخطر التي يتربَّص بها عدوهم، ليقدِّمـــوا الحلول لأمتهم الكبـــرى، ويضعوا أيدي زعمائهم علـــى الطريق الصحيـــح، ويبصروهم بمكامـــن الخطر ونقاط الضعف لتُتلافى، وينبهوا على مواطن القوة لتستغل.

٧ ـ ويستطيع علماء الإسلام أن يعملوا علـــى تكوين مجامع علمية متخصِّصة في شـــتى جوانب الثقافة الإسلامية، مهمَّتها أن تقدِّم البحوث العميقة، والدراسات المستفيضـــة التي تضع الحلول لمشكلات العصر، وتنير الطريق لمَن يريد العودة إلى الإسلام. على أن يناقشوا هذه البحوث ويمحِّصوها ليصلوا من وراء ذلك إلى اجتهاد جماعي معتبر، هو صورة (الإجماع) في عصرنا.

**الوصايا العشر للعلماء والدعاة:**

أوصي إخواني العلماء والدعاة بهذه الوصايا حتى يستطيعوا بواجبهم ومهمتهم:

١ ـ أن يكون ولاؤهم لله سبحانه ولدينه وحده، لا لقومية ولا لوطنية، ولا لأنظمة ولا لأحزاب ولا لأشـــخاص، إلا بمقـــدار اتصالها بالإسلام وقربها منه.

QaradawiBooks.com

٢ ـ أن يجعلوا مستندهم في كلِّ قضيــة الرجوع إلى كتاب الله وما صحَّ من سنة رسوله، مهتدين بهدي السلف الصالح لهذه الأمة في فَهمهم لرُوح الإسلام، واتباعهم لمناهجه، عاملين على تحرير الإسلام مما شابه وابتدع فيه على مرِّ القرون من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

٣ ـ أن يجهروا بكلمة الحقِّ في وجوه الطغاة والمتألِّهين، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، لا يخافــون في الله لومة لائم، ولا سطوة ظالم، كالذين وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

٤ ـ أن يضعوا نُصب أعينهم وصية النبــي ﷺ، لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشــعري حين بعثهما إلى اليمن وقال لهما: «**يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[1]. فما أحوج العلماء والدعاة إلى هذه الوصية في كلِّ وقت! وما أشد حاجتهم إليها في عصرنا خاصة!

ومعنى هذا، أن يكون شعارهم الرفق لا العنف، والتساهل لا التشدُّد، فإن الله يحبُّ الرفق في الأمر كلِّه، وقد قال الله لخير خلقه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والتساهل الذي أعنيه، هــو التساهل في الفــروع والوسائل، لا في الأصول والأهداف، وعلى هذا الأساس يجب أن نعامل الناس.

يجب أن نعدَّ كلَّ مسلم أدَّى الفرائض واجتنب الكبائر في هذا العصر صديقًا لنا، ونُشعره بأنه منَّا، وإن كان على بعض المكروهات والشبهات والصغائر التي لا يصرُّ عليها، مع دعوتنا له بالحكمة والموعظة الحسنة: أن يرتقي إلى ما هو أفضل.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣) كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

ومن الخطأ والخطر أن نعادي هذا الصنف ونعتبره ضدَّ الدين، فيختطفه عدو للإسلام، ويحتضنه ويجعل منه معولًا لهدم دينه وأمته.

٥ ـ أن يعرفوا عصرهم وعدوَّهم ومعركة وقتهم، فلا يشغلوا أنفسهم وطلَّابهم وجمهورهم بمعارك جانبية أو فرعية أو تاريخية، غافلين عن معركة الوقت ومعركة المصير، أعني معركة الإسلام والتيارات الغازية من الشرق والغرب، تحمل إلى أبنائنا الإلحاد، والتحلُّل، والاستخفاف بقيمنا وشرائعنا. فهذه التيارات الهدَّامة هي العدو الأكبر الذي ينبغي أن نوجِّه إليه جلَّ اهتمامنا، وجلَّ تفكيرنا، وجلَّ سعينا، لنحفظ على أمتنا شخصيتها وأصالتها، ونحميها من الذوبان والفناء في غيرها.

٦ ـ أن يتَّخذوا من قاعدة المنار الذهبية شعارًا لهم ودستورًا يتعاملون به فيما بينهم: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

٧ ـ أن يتسلَّحوا بما استطاعوا من معارف العصر، فالإمام الغزالي ما استطاع أن يهزم الفلسفة، ويُحيي علوم الدين، ويبين تهافت الفلاسفة، إلا بعد أن هضم الفلسفة، وأصبح فيها كأحد أساطينها.

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ما ردَّ على كلِّ الفئات المنحرفة وبيَّن عوارها، إلا بعد دراسة عقائدها وتعاليمها من كتبها، دراسة واعية فاحصة، حتى اليهودية والنصرانية. ولهذا لم يكن إمامًا في الشرعيات فحسب، بل في العقليات أيضًا، كما يدلُّ على ذلك تراثه الغني.

فلا غنى للعالِم في عصرنا عن دراسة الثقافة الحديثة قدر الاستطاعة، كعلوم النفس، والاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق، والفلسفة ومذاهبها وتاريخها.

QaradawiBooks.com

٨ ـ على أن هـذا كلَّه لا يتمُّ إلا بتحرُّرهم مـن الشعور بأنهم مجرَّد موظفين رسميِّين في معاهد الدولة ومدارسهـا وجوامعها، وأن يشعروا بأنهم أصحاب دعـوة، ورجال فكرة. ففـرق بين الموظفيـن والدعاة، فالأولون يتعيَّشون بالإسلام، يأكلون به، والآخـرون يعيشون للإسلام، ويموتون في سبيله.

٩ ـ أن يترابطوا ويتواصلوا فيما بينهم على مستوى العالم الإسلامي، فعلماء المسلمين قوَّة كبيـرة لها جمهورها وأتباعهـا وتأثيرها، لو أنهم اتَّحدوا داخل كـلِّ بلد، ثم حاولـوا التنسيق والتعـاون على المستوى الإسلامي العام.

إن أعـداء الإسلام يعرفـون الخلافات الصغيرة التـي تفرِّق بين علماء المسلمين، فهم لهـذا يقوُّونها ويضخِّمونهـا، ويعملون على إبقائها حيَّة بارزة، ويستخدمونها عند اللزوم لضرب بعضهم ببعض، موهمين فريقًا منهم أنهم معهم ضـدَّ خصومهم في الفكر، والحقيقة أنهم ضد الجميع، وعدو الجميع، وإنما هو التكتيك القذر الملعون. وعلينا نحن المسلمين أن نكون أبصر منهم وأوعى، وأن نردَّ كيدهم في نحورهم.

١٠ ـ أن يقفوا إلـى جانب كلِّ دعوة إسلامية سليمـة الاتجاه، تعمل على العودة بالإسلام إلى قيادة الحياة من جديد، وصبغ المجتمع بصبغة الإسلام، على علماء الإسلام أن يشدُّوا أزرها، ويأخذوا بأيديها، ويسدِّدوا خطاها، ويمدُّوها بكل ما استطاعوا من قوة، إن لم يكونوا هم في مقدمة صفوفها توجيهًا وعملًا وتضحية وبذلًا، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

QaradawiBooks.com

## هذه الموسوعة الكبيرة:

وهذه الموسوعة الكبيرة التي أحياني الله تعالى لأهيِّئها للطباعة، وأكتب مقدِّمتها، هي في الأساس تضم كتبي المنشورة، التي تتسع موضوعاتها لتشمل أغلب العلوم الإسلامية من تفسير وحديث، وفقه وأصول، وعقيدة وأخلاق، والفكر الإسلامي العام، بالإضافة إلى ما يدخل تحت باب الأدب من شعر وحوارات ومذكرات، وقد وجدنا بعض الثغرات التي تحتاج إلى أن تسدَّ ـ خصوصًا في محوري العقيدة والفقه ـ لموضوعات لم أكن كتبت عنها من قبل، فسددناها بما يسَّر الله لنا.

فهي موسوعة علمية فكرية شرعية اشتملتْ على أنواع الثقافة الإسلامية المختلفة وفروعها، وما يخدمها ويكملها.

## محاور الموسوعة:

وقد اشتملت هذه الموسوعة على بضعة عشر محورًا، جمعنا في كل محور الكتب المؤلفة فيه، ورتَّبناها وصنَّفناها وراجعناها، فإن وجدنا في المحور نقصًا أكملناه، أو ثغرة سددناها، لتكتمل الفكرة، وتتم عناصر المحور.

## المحور الأول: التعريف بالإسلام:

وأول محاور هذه الموسوعة هو (محور التعريف بالإسلام)، أي تقديم الإسلام العام إلى الأمة، وهو بمنزلة المقدمة والتمهيد للمحاور الأخرى.

نقدم في هذا المحور لمحات عامة حول نظام الإسلام العام: خصائصه العامة، وفلسفة الإيمان والعبادة فيه، وهل تصلح شريعته لعصرنا هذا وما يُستقبل من عصور وأزمان، وما مميزات الثقافة

QaradawiBooks.com

الإسلاميـــة وطبيعتها، وكيف تكـــون طبيعة خطابنا في عصـــر العولمة، وحاجة البشرية إلى رسالتنا، وما ماهية الوسطية والتجديد في الإسلام، وملامح المجتمع المسلم، ومركز المرأة المسلمة فيه؟

ولذلك نجد الكتـــب التي اخترناها هنا كُتُبًا لهـــا هذه الرُّوح العامة، تُشبه التمهيدات الكبيرة، والمقدِّمات الواسعة، والبحوث الوسيطة، التي لا بد من تقديمها قبل الموضوعات الكبيرة التي تحتاج إلى عقل متفتِّح، وقلب متشوِّق، وإرادة ناجزة، حتى تملأ جعابها، وتُشبع نهمتها، وتروي غُلتها، وتشفي عِلَّتها، كي يكوِّن القارئ لهذه الموسوعة تصوُّرًا كليًّا عن دين الإسلام، قبل الدخول فـــي مناقشة تفصيـــلات القضايا الإسلامية، والنقاشات العلمية حولها، والاختلافات والترجيحات والبراهين والأدلة.

**المحور الثاني: محور العقيدة:**

ثـــم تتسلسل المحـــاور تسلســـلًا منطقيًّـــا، فيأتي بعـــد ذلك محور (العقيـــدة)، والعقيدة أول شـــيء يُطْلَب في الدين، فقبـــل أن يُطلب من الإنسان أن يصلِّي أو يصوم أو يزكِّي أو يحجَّ، أو يعمل الخيرات، ويصل الأرحام، ويتحرَّى الحلال، ويبتعد عـــن الحرام، ويؤدِّي دوره في عمارة الأرض؛ لا بدَّ أن يتعرَّف: لمَن يعمل هذه الأعمـــال؟ لمَن يُقدِّم الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائرَ العبادات؟ لمن يقدِّم هذا كلَّه؟ إنه يقدِّمه لله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه.

لذلك كان أول ما يُطلَب من الإنسان المكلَّـــف هو أن يعترف بالله، قبل أن يعترف بالرسول، لا بد أن يعتـــرف بالمُرْسِل، والمرسِل هو الله، الذي خلقك وخلق الكون كله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]!

QaradawiBooks.com

فكان لا بدَّ من معالجة عقيدة الألوهية بتفاصيلها؛ أسماء الله وصفاته وأفعاله، وما ينبغي له وما لا ينبغي، إلى آخر ما جاء في الإلهيات الإسلامية، من اتصافه تعالى بكلِّ كمال، وتنزُّهه عن كلِّ نقص.

وكان لا بدَّ من الحديث عن الإيمان وأركانه، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهو ما ذكره القرآن، وما أكَّدته السُّنَّة، وأضافت الإيمان بالقدر خيره وشرِّه، وهو جزء من الإيمان بالله.

والإيمان برسول الله آخرِ الرسل، والذي لا رسول بعده، وهو ما أكَّده الواقع، فقد مضى أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ولم يُبعث فيها رسول يُسمع له.

وكذلك كل ما يتَّصل بالعقيدة من اليوم الآخر، وأشراط الساعة، والجنة والنار، والحساب والصراط، إلى آخره.

**المحور الثالث: في الفقه وأصوله وما يتعلق به:**

وهو الذي ينطلق إلى الجوانب العملية للإسلام، التي يُغيِّر بها حياة الناس وعقولهم، ويُحيي ضمائرهم، ويصنع حياتهم صناعة جديدة، بعيدًا عن الحياة الجاهلية وتوجهاتها الآثمة، التي أغلقت على الناس عقولها، وأفسدت عليهم حياتهم وضمائرهم، وهنا بدأ الإسلام يكوِّن الإنسان تكوينًا آخرَ غير تكوين الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء.

فالله الواحد هو الذي يعلِّم الناس، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، ويُعلِّمهم الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والعدل من الظلم، وأن يأكلوا الحلال، ويَدَعوا الحرام، ولا يأكلوا أموال الناس بالباطل، ويحفظ الأعراض والحرمات، ويصون المرأة أن تكون كلأ لكل سائم، إلا بالزواج

QaradawiBooks.com

الشرعي بشروطه وضوابطه، المرأة لرجـل واحد، يدفع لها مهرًا، ويهيئ لها بيتًا، وتصبح جزءًا منه، وهو جزء منها، يرعاها ويرعى أولادهما.

وعلى هذا قام الفقه الإسلامي، الذي نظَّم حياة الإنسان فردًا، وحياته في أسرة، وحياته مجتمعًا مع غيره من أبناء قبيلته أو قريته أو مدينته أو دولته، وحياة الأُمَّة كلها بعضها مع بعض، وعلاقة الأمة مع غيرها داخل المجتمع الإنسانيِّ الكبير.

وقد سددنا بعض الثغرات في هذا المحور، وأكملنا بعض النواقص ليستوعب أبواب الفقه الإسلامي القديم كله: فقـه العبادات من صلاة، وزكاة، وصيام، وحـج أكبر وأصغر (العمرة) ـ ويدخـل في ذلك الذكر والدعاء والاستغفار ـ والأحوال الشخصية (فقـه الأسرة والمرأة)، وفقه الدولة في الإسلام والسياسة الشرعية، وفقه الجهاد، والوقف، إلى آخره.

ويشمل أيضاً ما نطلق عليه الفقه العام: مثل الحلال والحرام، ورعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، وكذلك ما أفردناه من موضوعات الفقه في دراسـة مستقلة مثل: الضوابـط الشرعية لبنـاء المساجد، وفقـه الغناء والموسيقى، وفقه اللهو والترويح، وغيرها.

وأضفنا إليـه ما كتبناه عن أنواع الفقه الجديد فـي مسمَّاه، وإن كان قديمًا في مبناه ومعناه، من فقه المقاصـد والمصالح، وفقه الأولويات، وفقه الأقليات.

وبجانب علم الفقـه يشتمل هذا المحور على علـم (أصول الفقه)، وضعنا فيه ما كتبناه من قديم عن الاجتهاد وضوابطه، والفتوى وموجبات تغيرها، وفقه المقاصد، وقد زدنا على ما كتبناه من قبل تعريفًا عامًّا بعلم أصول الفقه وأهم مباحثه.

QaradawiBooks.com

وعلم أصول الفقه هو العلم الذي يفتح باب الاجتهاد لأهله، القادرين عليه، منضبطًا بما لا بد منه من القواعد والنصوص والمقاصد، يغوص فيه الأصولي يبحث عن لآلئه، فيجد في بحوث الأئمة ومعتركاتهم واختلافاتهم ما يحرك العقول لتفهم، والشعوب لتعمل، والحكومات لتنفذ، فينمو الاجتهاد، ويقل الضيق، ويُسد الخَلَل، ويتسع العطاء من أهل العلم والفضل، ويواجه علماء الشريعة ما يستجد من النوازل من غير إعنات بالناس ولا تمييع للدين.

ومحور الفقه وأصوله هو أعظم محاور الكتاب وأخصبها وأوسعها من الناحية العلمية والتأصيلية، ففيه من مصادر التشريع والأحكام الفقهية والمباحث الأصولية ما لا بدَّ منه لأهل العلم، والقائمين على أمور الناس بالحق.

وقد رأينا أن علم الفقه بمعناه العام يتسع لفقه السلوك والأخلاق والآداب، ولذلك أدخلنا فيه موضوعات مثل: الحياة الربانية والعلم، والنية والإخلاص، والتوكل، والتوبة، والزهد والورع، والمراقبة والمحاسبة، والصبر والشكر، والرجاء والخوف، وكل ما يتعلق بهذا الجانب مما اصطلح من قديم على تسميته: علم التصوف.

ولا ينبغي أن نستبعد علم التصوف من المباحث الإسلامية، باعتبار أنه علم دخيل على الإسلام، فلا شك أن أكثره أصوله إسلامية، ومصادره إسلامية، لا يستطيع عاقل يفهم الإسلام أن يجحد ذلك، ويدعي أن المتصوفة ابتدعوا علم التصوف من عند أنفسهم، وأقحموه على المسلمين رغمًا عنهم، وإن كانت بعض بحوثه دخيلة على الإسلام من ثقافات أخرى لا شك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا ننكر أنه دخل التصوف بعض الغلو والانحراف عن الطريق السوي، لكننا وقفنا من التصوف وقفة العلماء الراسخين من محققي أهل السنة وكبار علماء الاتجاه السلفي كابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم، الذين لم يطرحوا التصوف كلية وينفضوا منه أيديهم، بل أخذوا من الصوفية الجوانب المشرقة، كطاعة الله، ومحبة الخلق، ومعرفة عيوب النفس وآفاتها، وكيف نرتقي بها، ومداخل الشيطان وكيف نسدها، واهتمامهم بما يرقِّق القلوب، ويذكِّر بالآخرة، وقوَّموا ما وجدوه من اعوجاج وفق الكتاب والسنة.

**المحور الرابع: الفتاوى:**

وبعد محور الفقه وأصوله، يأتي محور آخر له أهمية بالغة لمَن يريد أن يتثقَّف بالثقافة الإسلامية، وأن يحيا حياته وَفق منهج الله تعالى، وأن يتدرب على إنزال ما تعلمه من علوم الشرع على أحوال الناس، وهو محور الفتاوى، جمعنا فيه فتاوانا المطبوعة (فتاوى معاصرة) والتي تبلغ ستة أجزاء، وقد رتَّبناها جميعًا ترتيبًا موضوعيًّا: العقائد، ثم العبادات، ثم العادات والمعاملات المختلفة، إلى آخره. ليكون كل مجلد منها يشتمل على عنوان كبير، فتكون الفتاوى المتعلقة بالعقائد في مجلد، والمتعلقة بالعبادات في آخر، وهكذا.

**المحور الخامس والسادس: القرآن والسنة وعلومهما:**

ثم ندخل بعد ذلك في المصادر الأصلية للإسلام، وأولها وأعظمها القرآن الكريم وتفسيره، نقدم فيه ما يهم كل مؤمن بشأن القرآن: خصائصه ومقاصده، وتاريخ المصحف، وكيف جُمع، وفضل تلاوته وآدابها، إلى آخره. ونتحدث عن علم التفسير، والأصول اللازمة لمفسر القرآن، والواجب على العلماء وتلاميذهم في هذا الجانب المهم.

QaradawiBooks.com

كما قدمنا نماذج من التفسير الموضوعي، مثل: الصبر في القرآن، والعقل والعلم في القرآن. وأخرى من التفسير التحليلي، الجزأين الأخيرين من المصحف، (جزء عم، وجزء تبارك)، بالإضافة إلى تفسير سور (الرعد، والحجر، وإبراهيم)، وبعض آيات متفرقة كنا فسرناها في دروس التراويح في سنين عدة، وقد جعلنا القرآن وعلومه في محور مستقل.

ثم يأتي الأصل الثاني من أصول الإسلام وهو: السنة النبوية وعلومها. وقد جعلناها أيضًا في محور مستقل.

والسنة عندنا نحن معاشر أهل السنة والجماعة. بل ومعنا الإباضية والزيدية، هي سنة النبي المعصوم ﷺ، خلافًا للشيعة الجعفرية الاثني عشرية الذين جعلوها سنة اثني عشر رجلًا ادَّعوا لهم العصمة عن المعصية والخطأ جميعًا.

والحق أنه ليس هناك دليل على عصمة غير الأنبياء، أما هؤلاء الأشخاص الموقرون من أهل البيت من عليِّ بن أبي طالب، وولديه: الحسن والحسين، وعلي زين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، ومَن بعدهم إلى محمد بن الحسن العسكري الذي ادعوا غيبته؛ بعض هؤلاء من الفقهاء المعدودين في الأُمة، مثل: محمد الباقر وجعفر الصادق. وبعضهم من أبناء الأمة الصالحين، ورجالها المجاهدين. ولكنهم لم يكونوا في حاجة إلى هذه العصمة، إذ لم يُتَح لهم أن يحكموا الأمة، ولو حكموها ما احتاجوا إلى عصمة، فنعمة العقل مع نعمة الشرع كلٌّ منهما كافٍ لهداية الأمة في القواصم التي تحتاج إلى عواصم. وقد عاش الناس بعد الأئمة، فما نقصوا، بعد ما زعموه من غياب آخرهم من أكثر من ألف ومائتي سنة، وما ضرَّ هذا الأمة شيئًا.

QaradawiBooks.com

المهم أن سنَّتنا ليست سنة اثني عشـــر رجلًا أو ثلاثة عشر رجلًا[١]. بل هي سنة محمـــد رسول الله وخاتم النبيين، الـــذي أعدَّه الله بما أنزل عليه من قرآن، وما هداه إليه من سنَّته المعصومة، واجتهاداته المنضبطة بالقرآن، فترك لنا سنة عملية وقولية فقهية وأصولية، يُقتدى بها فيهتدى، ويُحكم بها فتنفذ، ويعمل بهـــا فتيسِّر على عباد الله بعض ما تعسَّر، كما قال تعالـــى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

وتجد في هذا المحور علم الحديث الرواية، وعلم الدراية، بالإضافة إلى الأصول اللازمة والقواعد الحاكمة للتعامل مع السنة النبوية المطهرة.

**المحور السابع: فقه الأمة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلامية:**

ثم يأتي حديثنا عن الأمة الإسلامية تلك الحقيقة القائمة والتي يريد أعداؤها إخفاءها، وإخفات معناها في حياة المسلمين، وهو من أخصب المحاور وأهمها.

يتطرق إلى الحديث عن الدعوة الإسلامية المنظمة، سواء كان التنظيم رسميًّا أو شعبيًّا، فنتحدث عن رسالة الأزهر، هذا الصرح الذي حمل لواء الدعوة إلى الإسلام وتعليم العلم قرابة ألف عام أو يزيد، وكيفية النهوض به، لينهض أبناؤه وخريجوه بدورهم في حمل رسالة الإسلام.

ونتحدث عن الداعية والثقافة التي يحتاج إليها ليقوم بوظيفته.

---

(١) لأن بعضهم يجعلهم اثني عشر رجلًا مع علي، وبعضهم يجعلهم به ثلاثة عشر رجلًا.

QaradawiBooks.com

ونتحدث عن الصحوة الإسلامية، ذلك التيـار الشعبي العام الدافق الذي يشمل الأفراد والجماعات، المنظم منها وغير المنظم.

وعن الحركة الإسلامية في العصـر الحديث، ما أنجزته وما أخفقت فيه، محاولين تسديدها، وترشيد ما أثمرته من صحوة إسلامية مباركة.

تحدثنا عـن الصحـوة والحركـة والانتظـام، والمحـن والصدام والانتفاضة، والحل الإسلامي، وشبهات أعدائه.

**المحور الثامن: التاريخ الإسلامي:**

ثم يأتي محـور التاريخ الإسلامي، الـذي ندافع فيه عـن تاريخنا الإسلامي مما ناله من افتـراءات، ونعرِّف ببعض الشخصيات الإسلامية في القديم والحديث.

والتاريـخ الإسلامي لم يكن بعيـدًا في يوم من الأيـام، عن العلم الشرعي وأهلـه، بل نجد كثيرًا مـن أئمة علم الحديـث ونقاده وعلماء الجرح والتعديـل، هم في الوقت نفسه أئمة فـي التاريخ وأممه وملوكه وفاتحيه ورجاله المعروفين.

وجدنا منهم أبا جعفر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، شيخ المفسِّرين، وإمام المحدِّثيـن والفقهـاء، وهو كذلك شـيخ المؤرِّخيـن، يخوض الموضوعين بعقلية واحدة، عقلية الناقد المحقق للسند والمتن.

وكذلك وجدنا الفقيـه المالكي والمحدِّث الكبيـر، ابن عبد البر الأندلسي (ت ٤٦٣هـ)، صاحب التحقيقات في الفقه المالكي، والفقه المقارن، وشروحات موطأ مالك، وصاحب جامع بيان العلم وفضله، وهو كتاب رواية، له أيضًـا «الاستيعاب في معرفـة الأصحاب» وهو

QaradawiBooks.com

كتاب في تاريخ الصحابة، وله «الدرر في اختصار المغازي والسير» وهو كتاب في السيرة.

ونجد مؤرخ الإسلام الكبير الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) بكتابه الكبير «تاريخ الإسلام» وهو كتاب معروف، وقد خدمه وحققه الأستاذ البحاثة المحقق الدكتور بشار عواد، وكذا كتابه: «سير أعلام النبلاء» وهو موسوعة في التاريخ وفي الرجال، وليس بعد الذهبي مثله في هذا الشأن. بل كل مَن جاء بعده عالة عليه.

وبعد ذلك ابن كثير (ت٧٧٤هـ) صاحب «البداية والنهاية» في التاريخ، وصاحب الكتب الجمَّة في الحديث والتفسير.

ثم جاء الحافظ الإمام ابن حجر العسقلاني المصري (ت٨٥٢هـ)، صاحب «فتح الباري» وغيره في كتب الحديث، وصاحب «الإصابة في معرفة الصحابة»، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، و«تهذيب التهذيب»، و«لسان الميزان»، وغيرها.

ثم جاء الحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ)، ومعاصره الحافظ المؤرخ السيوطي (ت٩١١هـ)، ولكل منهما كتبه المعروفة في الحديث وفي التاريخ.

ولذلك لا نستبعد على أساتذة العقيدة والشريعة واللغة من علماء الأزهر الكبار، أن يكون منهم المؤرخون، الذين أثبتوا وجودهم في علم التاريخ كما أثبتوه في علم الحديث. وكان التبحر في التاريخ آية من آيات الإجادة بين الأجيال العلمية التي خدمت تراث الأمة الكبرى. فلا عجب أن يكون مِن بيننا مَن يشاركهم وإن لم يبلغ مبلغهم في العبقرية والنبوغ.

QaradawiBooks.com

ومن هنا اهتممنا بعض الاهتمام بتاريخ أمتنا العظيم، كما اهتممنا بالحديث ورجاله، وكان لنا كتابنا الذي جعلنا عنوانه: «تاريخنا المفترى عليه»، وتحدَّثنا كذلك عن بعض الشخصيات في تاريخنا، مثل: «الجويني إمام الحرمين بين المؤرخَيْن: الذهبي والسبكي». وكلاهما من أئمة الحديث والتاريخ، و«الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه».

كما كتبنا عن بعض علمائنا، وإن لم نستوعب استيعاب المؤرخين، كما في كتابنا عن الشيخ الإمام محمد الغزالي، والشيخ الإمام أبي الأعلى المودودي، والشيخ الإمام أبي الحسن الندوي، والعلامة محمد عمارة، وعن الإمام الجزائري محمد البشير الإبراهيمي، وكتبنا مقالات عن مجدد المائة الأولى عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ)، كما ترجمنا لعدد من إخواننا وأصحابنا في كتابنا «في وداع الأعلام».

**المحور التاسع: الأدب والشعر:**

ومن المحاور المهمة التي عرضنا لها، وكتبنا فيها: محور الأدب والشعر، وهو محور كبير يقيم له الأزهر كلية أساسية من كلياته الأصلية، هي كلية اللغة العربية، وهو أحد العلوم التي يتعلَّمها الأزهريون من أول سنة يدخلون فيها الأزهر، وقد وجدتُ علوم اللغة والنحو والصرف من أول ما دخلنا الأزهر من أيسر العلوم وأحبها إليَّ، ولم أجد فيها ما يشكو منه زملائي وإخواني من الطلاب، وكانوا يأتونني بأعوص المسائل والأمثلة، فأحلُّها لهم بمنتهى السهولة، ولذلك كان شيوخي بالمعهد الديني في اللغة العربية يحبونني ويقدِّمونني ويفرحون بي أمام إخوانهم من المشايخ.

وفي السنة الثانية الابتدائية بدأت أنشد بعض الأبيات من الشعر، فأجده موزونًا، ولا يجده إخواني إلا موزونًا، فقد عرفت أني أحسُّ

QaradawiBooks.com

بمجرد سماع بيت الشعر أن فيه كسرًا، دون أن أتعلَّم العروض، وإن لم أعرفْ مسمَّى هذا الكسر، فنحن لم نتعلم العروض إلا في السنة الأولى الثانوية، ولا تزال عندي هذه الملكة، التمييز بين البيت الموزون والبيت الذي به كسر في وزنه بمجرد السماع.

وقد أجدتُ الشعر في السنة الثالثة الابتدائية، أؤلف المقطوعات الصغيرة، وفي السنة الرابعة ألقيتُ أول قصيدة لي في شُعبة الإخوان المسلمين، وعُرفتُ بالشعر وتميَّزتُ به، وكنتُ أقوله في أعظم المحافل، وكان لي منه ديوانان: أولهما: «نفحات ولفحات». وثانيهما: «المسلمون قادمون».

وكان شِعري في أحفال الإخوان مسموعًا ومرحَّبًا به، ومحفوظًا لديهم، ولا سيما نونياته الشهيرة، نونية «ليلة القدر»، التي ألقيتُها بمعتقل الطور في ليلة ٢٧ من رمضان ١٣٦٧هـ الموافق الثالث من أغسطس ١٩٤٨م. وقصيدتي الثانية التي ألقيتُها في احتفال الإخوان بالمولد النبوي في السرادق الكبير الذي أقيم قرب مسجد السيدة زينب، وكان فيها أبيات هزَّت المحتفلين، وأعادتهم إلى تذكر دُور الإخوان التي أغلقتها الحكومة، وقلتُ فيها:

نشكو إليك حكوماتٍ تكيدُ لنا ... كيدًا، وتفتح للسكسون أحضانا
تتيح للهو حانات وأندية تؤوي ... ذوي العُهْر شرَّابًا ومُجَّانا
فما لدور الهدى تبقى مغلَّقة ... يبقى فتاها غريب الدار حيرانا؟!

ثم كانت القصيدة الثالثة الكبرى، وهي النونية الأشهر، التي ألقيتُها ونحن في السجن الحربي، في الفترة التي أُخذت منا الكتب والمصاحف وكلُّ أدوات القراءة والكتابة، فكنت في كل يوم أقرض عشرين بيتًا أو أقل أو أكثر، وأردِّدها على من حولي حتى أحفظها، ثم إذا نزلنا إلى دورة

QaradawiBooks.com

المياه، رويتها للإخـوة المشهورين بالحفظ، الذين يحفظون الأبيات من مرة أو مرتين، حتى صارت أكثر من ثلاثمائة بيت، سجَّلت فيها الأحداث بهذه الريشة التي لا تنكسر ولا تموت إن شاء الله:

صوَّرتُ فيهـا ما استطعتُ بريشتي ... وتركـتُ للأيـام ما يُعيينـي
ما همتُ فيها بالخيـال، فإنَّ لي ... بغرائـبِ الأحـداث ما يُغنينـي
أحداث عهـد عصابة حكموا بني ... مصـر بـلا خُلـقٍ ولا قانـونِ
أنْسَتْ مظالِمُهـم مظالمَ مَن خَلَوا ... حتـى ترحَّمنـا على «نيـرونِ»!
حسبوا الزَّمـانَ أصمَّ أعمى عنهمو ... قـد نوَّمُـوه بخطبـةٍ وطنيـن
ويراعـةُ التاريخ تسخـر منهمو ... وتقـومُ بالتَّسجيـل والتَّدويـن
وكفى بربِّـك للخليقـة مُحصِيًا ... فـي لوحِـه وكتابـه المكنـون

في هذين الديوانين: (نفحات ولفحات)، و(المسلمون قادمون) يجد القارئ لموسوعتنا عددًا من القصائد، والأناشيد، التي عبَّرت عما يجيش بصدور الشباب من المعاني والمشاعر الحيوية النابضة التي يفور بها دم الشباب، ومنها قصيدة أو نشيد: «مسلمون»:

مسلمـونَ مسلمـونَ مسلمـونْ ... حيث كان الحـقُّ والعدل نكون
نرتضي المـوت ونأبى أن نهون ... في سبيـل الله ما أحلـى المنون
نحن صممنـا وأقسمنـا اليمينْ ... أن نعيـش أو نمـوت مسلميـنْ
مستقيمين علـى الحـقِّ المبينْ ... متَحَدِّيـن ضـلال المبطليـن
جاهدين أن يسود المسلمون
يا أخا الإسـلام في كـلِّ مكان ... قم نفك القيـد، قـد آن الأوان
واصعد الرَّبـوة، واهتف بالأذان ... وارفع المصحـفَ دستور الزمان
وامـلأ الآفـاق: إنـا مسلمـون

QaradawiBooks.com

**مذكراتي (ابن القرية والكتاب):**

وفي محـــور الأدب والشعـــر مذكراتي، قد كتبت منهـــا بيدي أربعة أجزاء، وسمَّيتُها «ابن القرية والكُتَّاب، ملامـــح سيرة ومسيرة»، وصلت فيها إلى منتصف التسعينيـــات من القرن العشرين، وبقيـــت منها بقية، أردت أن أتمها، ثم شغلت بغيرها عنها، وأحداث الفترة الأخيرة منشورة في الصحف والمجلات ومواقع الإنترنت.

**مسرحيتي عالم وطاغية:**

وفي هذا المحور أيضا مسرحيتي النثرية (عالم وطاغية) التي تحكي قصة التابعي الجليل سعيد بـــن جبير، ومواجهتـــه للحجاج بن يوسف الثقفي، وقد مُثِّلت في أكثر من بلد ولقيت قبولًا، والحمد لله.

**المحور العاشر: نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام**

وهذا المحور يعنى بتوحيد رؤى العاملين للإسلام العقدية والفكرية، واتجاهاتهم الأصلية، ومواقفهم الأساسية، وإن اختلفوا في الأمور الفرعية والتفصيلية.

وذلك من خلال شرح «الأصول العشرين» للإمام حسن البنا، والتي جعلها أساسًا فكريًّا يجتمع عليـــه العاملون للإسلام في هذا العصر. وقد صاغها الأستاذ البنا صياغة موجزة مركزة حكيمة معتدلة، حاول فيها أن يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق. وتـــرك بعض المسائل دون أن يرجح فيها رأيًا.

ومن قـــرأ هذه الأصول وتدبّرهـــا حقّ التدبر، وكـــان له اطلاع على مصادر المعرفـــة الإسلامية: أيقن أنهـــا تمثل خلاصة مركـــزة، لقراءات

QaradawiBooks.com

طويلة، ودراسات عميقة، في أصول الدين والفقه والتفسير والحديث والسلوك، مع عقلية هاضمة مستوعبة موصولة بالحياة والعصر، قادرة على التأصيل والترجيح.

**عنايتي بالأصول العشرين:**

وقد عُنيت بهذه الأصول وشرحتها عدة مرات، في السجن الحربي، وفي زيارة للأردن، وفي قطر وسجّل على نحو عشرة أشرطة كاسيت، ووُزِّعت على نطاق واسع، واستقبلت بحفاوة واهتمام.

وقد بدأت في شرحها كتابة في مجلة الدعوة، ثم توقفت، إلى أن يسَّر الله لي العودة إلى الكتابة المنهجية المطولة حول هذه الأصول، فهي ليست مجرَّد شروح، بل هي بحوث أصيلة طويلة حول مفاهيم هذه الأصول ومعانيها. بحيث إنَّ بعض الأصول شرح الأصل الواحد فيها في كتاب كامل.

**المحور الحادي عشر: الخطب المنبرية:**

ومن المحاور الأساسية لموسوعتنا هذه: خُطَب الجمعة المنبرية، وبعض خطب الأعياد.

وإني أحمد الله تعالى أن وهب لي القدرة على الخطابة، وهذه لم أتعلمها من أحد، لم يُعلِّمها لي أستاذ، ولكني تعلَّمتها بالاستماع إلى الخطب، ولم يكن الخطباء في صغري ممن يُعلِّمون الخطابة، فقد كان خطباء الجمعة يقرؤون على المصلين خطبًا مطبوعة، مقسمة على أحداث العام، من أول شهر محرم إلى آخر شهر ذي الحجة، عن الهجرة، ومولد النبي ﷺ، والإسراء، وتحويل القبلة، واستقبال رمضان، إلى آخر تلك الموضوعات والأحداث.

QaradawiBooks.com

وهي قطع محفوظة تكرر كل عام، لا تعلِّم الناس شيئًا من أمر دينهم أو شؤون دنياهم، ولكنه كلام مسجوع مكرَّر، لا تحيا به نفس، ولا يتأثَّر به قلب، ولا يتَّعظ به متَّعظ، ولا يتذكَّر بـــه متذكِّر، لا يستفيد منه سامع الخطبة شيئًا في علاقته بربه، أو في معاملته للناس من حوله.

ثم ما لبث أن بدأ بعض الخطباء الشباب الجدد من خريجي الأزهر، وخصوصًـــا النابهين والمتفوقيـــن يخطبون خطبًا جديـــدة على غير هذه الطريقة القديمة، وهو ما بدأنا نتعلَّمه من خطب الشيخ عبد المطلب البتَّة الخريج الجديد في الأزهر، الذي كان يخطب الجمعة حول الموضوعات الحيَّة التي تُهم الناس وتفيدهم، كبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والتعامل مع الناس. فبدأنا نحسُّ بأن للخطبة معنى، وبدأ الناس يشعرون بالخطبة. ثم ما أسرع ما عُين الشيخ عبد المطلب مدرِّسًا في معهد شـــبين الكوم الديني! فحرمنا خطبه إلا من الصيف إلى الصيف.

ولما ذهبتُ إلى معهد طنطا كنتُ حريصًا على حضور خطبة الجمعة في جامع السيد البـــدوي، والاستفادة من الخطيـــب، فأعرف كيف يبدأ الخطبة ويستمر فيها وينتهي منها، وكنت قـــد أخذت في تدريب نفسي على الخطابة، وفي أواخر السنة الثالثة الابتدائية، طلبت من الشيخ أحمد مولانـــا أن أخطب الجمعة، فرحَّـــب بذلك أجمل ترحيـــب، وتمنَّى لي التوفيق، وقبل ذلك كنتُ ألقي بعض الـــدروس المسجدية التي أعجبت المستمعين.

كانت أول خطبة لي في مسجد حيِّنا، مسجد المتولِّي، وخطبتُ فيه عدَّة خطب. ثم لما ذهبتُ إلى طنطا، بعثني الإخوان إلى بعض المناطق القريبة من طنطا، مثل دفرة وبينها وبين طنطا عدة كيلو مترات.

QaradawiBooks.com

وأصبحتُ معروفًا في مديرية الغربية، التي كانت أكبر مديريات مصر، وحين انتقلت إلى القاهرة للدراسة الجامعية سعيت لأعيَّن خطيبًا في أحد مساجد المحلة الكبرى الأهلية، وهو مسجد آل طه، الذي أقمت فيه عدة سنوات، حتى اعتقلت، وخرجت من الاعتقال مرة أخرى، وعدت إلى الخطابة.

وظللنا هكذا بين المحنة والمنحة، أحيانًا يحتاجوننا للخطابة فيرجوننا، وأحيانًا يجدون التفاف الناس حولنا، فيرغبون عنا. حتى أُعرت إلى دولة قطر، فخطبت فيها مرات في بعض مساجدها، حتى بدأت قطر تبني مساجد كبيرة، مثل: مسجد أبي بكر الصديق، ومسجد عمر بن الخطاب. وبدأتُ الخطابة بانتظام في هذه المساجد، إلا أن أكون مسافرًا أو مريضًا.

وقد حرصت منذ جئت إلى قطر على تسجيل خطبي ودروسي في المساجد، وخصوصًا مسجد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ولي العهد ونائب الأمير، بعد صلاة العصر في رمضان، وقد سجَّلته لي إدارة الشؤون الفنية في وزارة المعارف، ثم أعطتني التسجيل، ولكن بعد عدة سنوات اكتشفت أنه قد تلف تمامًا، ولم يعد صالحًا، وحرصت أن أحافظ على تسجيلات الخطب بعد ذلك بطريقة علمية، ولكن أكثر خطبي أو محاضراتي خارج قطر قلَّما احتفظت بها.

**المحور الثاني عشر: المحاضرات العلمية:**

ومن محاور الموسوعة: محاضراتي عن الإسلام؛ عقيدته، وشريعته، وأخلاقه، وحضارته، وتاريخه، وأمته، وعلمائه وأدبائه ومؤلفيه وكلِّ ما يتصل به، منها ما ألقيته في مصر، ومنها في قطر، وفي غيرهما من

QaradawiBooks.com

البلاد العربية والإسلامية، وللجاليات الإسلامية في آسيا وأفريقيا وأوربا، وأمريكا بشمالها وجنوبها وأستراليا.

وقد سُجِّلت أغلبها، ولكن ليس كلها وصل إلينا، وقد هيَّأنا ما عندنا للطباعة، لما فيها من موضوعات قيمة نراهـــا مفيدة لموسوعتنا، بعضها طبع من قبل، وبعضها ينشر لأول مرة في موسوعتنا هذه.

**الحمد لله أولًا وآخرًا:**

وفي ختام تقدمتي لهذه الموسوعة الكبيرة التي أحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا على استيفائها، بعد أنْ مَدَّ الله لي في الأجل، وبارك لي في العمر، فلله الحمد والفضل والمنة على ما أولانا مما جمعناه وصنفناه.

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

أحمدك ربي مصبحًـــا، وأحمـــدك ممسيًا، وأحمدك فـــي حضري وفي سفري، وأحمدك صبيًّا، وأحمدك شابًّا، وأحمدك شيخًا، أحمدك طالب علم، وأحمدك معلِّمًا للناس ما علَّمتني، أحمدك فقيـــرًا، وأحمدك غنيًّا، وأحمدك ضعيفًا، وأحمدك قويًّا، أحمدك وقد أخرجتني من بطن أمي لا أعلم شـــيئًا، وأحمدك بعد أن آتيتني من العلـــم وعلَّمْتَني من التأويل، ورزقتني من الفهم لما قرأت وما سمعت، ما حاولت أن أعلِّمه غيري كما علَّمتني، وأن أهدي به الناس كما هديتني، مسلمين وغير مسلمين، فتقبَّلْ ذلك مني، ولا تؤاخذني إن نسيتُ أو أخطأتُ، فكلُّ بني آدم خطَّاء، وما سُمِّي الإنسان إلا لنسيه.

اللهم واجعل كلَّ ما قلتُه وما سجَّلتُه أو سجَّلَه لي غيري نافعًا للناس، ونافعًا لي عندك: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

QaradawiBooks.com

أحمــدك يا ربي أنك جعلت صوتــي يبلغ أنحاء المعمــورة، يُسمع الناس من مختلف القارات والأقطار كلمة الإسلام واضحة نيرة صريحة.

ولك الحمد يا ربِّــي على ما أعطيتني، ولك الحمــد أن أبقيتَ هذا بعــدي ليكون لي ذخــرًا عنــدك، إنك أنت أكــرم الأكرميــن، وأرحم الراحمين، وأجود الأجودين. اللهم كما حفظت تراثي فهيِّئ من يترجمونه إلى لغات الأرض، حتى ينتفع به خلقك.

ويا ربي أكرمني بأن تقبــل جهدي هذا، وتبارك فيــه، وتوصله إلى عبادك فــي كل أرض، وتدخلــه القلــوب، ليؤثِّر في العقــول، ويهدي الضالِّين.

**لا يشكر الله من لا يشكر الناس:**

وبعد حمد الله تعالى وشــكره كثيرًا على نعمه عليَّ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، أبدأ بشكر الخلق الذين أحسنوا إليَّ من فضل الله وإحسانه، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، وأول هــؤلاء عمي أحمد الذي كفلني بعد موت أبي.

وأشكر كل أقاربي من جهة أبي ومن جهة أمي، كخالي عبد الحميد الذي كان آية في الذكــاء، وحضور البديهة، وقــوة الذاكرة، وله حضور وفصاحة وجرأة وشخصية، وخالاتي، وأولاد أعمامي وعماتي وخالاتي، الذين أحبوني وحنوا علــيَّ وأحاطوا بي أفضل كما لــو كان أبي وأمي موجودين.

وأخص بالشكر مــن خالاتي: خالتــي بدوية، التي كانــت تعينني وتقضي كثيرًا من حاجاتي رحمها الله، وقد آوتني في بيتها وأنا مطارد في

QaradawiBooks.com

عهد عبد الناصر، وأخذوني من بيتها في جوف الليل إلى السجن الحربي، وأدخلوها في قضية إيواء أحد الإرهابيين المتهمين، وظلَّت تؤجَّل حتى بُرِّئت.

ولا أستطيع إلا أن أشكر كلَّ مَن ساعدني في رحلتي ومسيرتي، في أولها وأوسطها وآخرها، من الكتَّاب في القرية، إلى المعهد في طنطا، إلى الكلية في القاهرة حيث الدراسة العالمية والعليا، كل من علمني حرفًا، أو قدَّمني خطوة، أو أمدني بعون مادي أو أدبي، من أهلي وأقاربي وأهل قريتي، ومن مشايخي في معهد طنطا، وأساتذتي في القاهرة في كلية أصول الدين، وتخصص التدريس، وأساتذة التربية وعلوم النفس وغيرها، ورجال العلم الكبار من أمثال شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ عبد الحليم محمود، والدكتور محمد البهي، والدكتور محمد يوسف موسى، والدكتور محمد على السايس، والدكتور الشيخ محمد المدني.

وأشكر جماعة الإخوان المسلمين، التي رحبَّت بي شابًّا، وأوسعت لي مكاني شيخًا، وقدَّمتني لأعلى المناصب فيها، منصب المرشد العام، بعد وفاة عدد من مرشديها، ولكني استخرت الله تعالى، ووجدت أن أفضل مكان لي أن أكون بين المسلمين: يسألني الجميع، وأجيب الجميع، ويصلي ورائي الجميع، ويقرأ كتبي الجميع، ولا أحسب على فئة دون أخرى. وقد رضيت بهذا، ورضي الجميع مني هذا، فبقيت أخًا للجميع، ومفتيًا للجميع، وداعيًا ومعلمًا للجميع.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٨].

QaradawiBooks.com

وأشكر كل من ساعدوني من الدول والشعوب والجامعات والأفراد.

أشكر كل من شجَّعني بكلمة خير، وقال لي: سِرْ في طريقك، جزاك الله خيرًا. وكل مَـن كافؤوني بمكافآت مادية أو أدبيـة: المملكة العربية السعودية التي كافأتني بجائزة الملك فيصل، وجائزة الاقتصاد الإسلامي، ودولة الإمارات بجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ومملكة الأردن على وسام الاستقـلال من الدرجة الأولـى، الذي أهداه إلـيَّ جلالة الملك عبد الله بن الحسين.

ودولة ماليزيا بجائـزة العطاء العلمي التي سلمها لـي الأستاذ أنور إبراهيم، الرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وقد تبرَّعت بها لطلاب الكلية من الفقراء، وجائزة الهجـرة النبوية من ملك ماليزيا جلالة الملك تونكو ميزان زين العابدين، وسلطنة بروناي بجائزة سلطان بروناي السلطان حسن بلقية في الفقه الإسلامي.

ودولة قطر الحبيبـة بجائزة الدولـة التقديرية من دولـة قطر، وقد تسلمتها من يد أمير قطر وقتها سمو الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة حفظه الله.

وأشـكر المملكة العربيـة السعوديـة: أن فتحت لـي أبوابها على مصراعيها من أيام الملك فيصل، والملك فهد، والملك عبد الله، ودعيت لألقـي محاضراتي فـي الجامعات الكبيـرة في مختلـف المدن، وفي الجمعيات والأندية، والمجامع وغيرها.

وأشـكر لدولة الكويت أن استجابت لدعوتي لهـا أن تتبنى إقامة هيئة إسلامية عالَمية تنشئ صندوقًا عالَميًّا يغيث المسلمين في كل مكان، ويقف أمام هجمـة التنصيـر التي تستغـل فقـر المسلمين وجهلهـم ومرضهم

QaradawiBooks.com

ومشاكلهم، فكانت (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية). كما أشكر لها أن دعتنا مرارًا وتكرارًا، لنشارك في محاضراتها وندواتها الثقافية، وكم استجبتُ لدعوات صدرت من الجامعة، ووزارة الأوقاف، ووزارة الثقافة، وجمعية الإصلاح، وهيئة الرقابة الشرعية الإسلامية، والمعارض السنوية للكتاب.

وأشكر دولة البحرين في عهد أميرها السابق صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، الذي شكرني شكرًا خاصًّا حين زرت البحرين في افتتاح المقر الهائل الجديد لـ(جمعية الإصلاح الاجتماعي)، وقال لي: أنا من المتابعين لبرامجك في تلفزيون قطر، ولخطب الجمعة، والمعجبين بما تقدمه للمسلمين، واعتبرني من تلاميذك هنا، واعتبر البحرين بلدك مثل قطر، ونحن أهلك فيها، وأرجوك أن تواصلنا ولا تنقطع عنا. وكذلك قال ولي عهده الشيخ حمد بن عيسى (ملك مملكة البحرين اليوم)، ورئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان.

وقد شاركنا بنحو ذلك في البلاد الأخرى كعُمان التي زرتها وحاضرت فيها، وشاركت في ندواتها أكثر من مرة، بدعوة من سماحة مفتيها الشيخ أحمد الخليلي، صديقي ونائبي في رئاسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

وأخيرًا أخص قطر حفظها الله ورعاها، وسدَّد خطاها، وحفظ لها سناها، وهيَّأ لها كلَّ الخير في دنياها وأخراها، وأصلح الله مبدأها ومنتهاها. وأجزل الله لها الخير بما فتحت لي من أبواب الخير في المدارس والمعاهد، ثم في الكليات والجامعات، ثم في الوزارات والمؤسسات، ثم في كل المحافل والمنتديات، معلِّمًا وداعيًا ومفتيًا ومدرِّسًا ومُطِلًّا على أبناء المجتمع كلِّه، فالحمد لله أني وَجدتُ في قطر

QaradawiBooks.com

مجالًا أدعو فيه للإسلام الصحيح الذي أومن به، وأقوم بتعليمه، الإسلام القرآني النبوي، الإسلام الجامع المتكامل المتوازن، الذي ظللنا سنوات طوالًا نعلِّمه للأجيال في المدارس، ثم في الجامعة حين نشأتها، للرجال والنساء، فنجَّى الله قطر بالإسلام الصحيح المنقول من القرآن العظيم ومن السُّنَّة المطهرة، ومن أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فالحمد لله الذي عصم أبناء قطر من كيد الكائدين، وتحريفات المبطلين، وتأويلات الجاهلين.

وجزى الله كلَّ من أسهم بجهد ـ ولو صغيرًا ـ من أبناء جامعة قطر وكلية الشريعة فيها، ووزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية، ورجال الإعلام في إذاعة وتلفزيون قطر، وتلفزيون الجزيرة، وسعادة الشيخ حمد بن ثامر، وكل معاونيه ورجاله، الذين كان لهم دور في ظهور برنامجي الأسبوعي (الشريعة والحياة)، الذي استمر ما يقرب من عشرين عامًا، يبث أشَّعة نوره الإسلامي إلى العالم.

وأخص بالشكر صاحب السمو أمير البلاد المفدَّى الشيخ تميم بن حمد آل ثاني حفظه الله، الذي كان لموقفه المؤيد والمساند أثر كبير في نفسي، وكذلك موقف الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة الذي وقف معي، ونوه بموقفي في قطر، حيث قال: نحمد الله تعالى أن هيأ لنا وجودك في قطر مبكرًا، فظللت وحدك توجِّه الشباب بالحكمة والوسطية والاعتدال الرباني، فوقاها الله بك وبعلمك وتوجيهاتك من المآسي والأهوال التي أحاطت بكثير من جيراننا.

وأشكر سمو الشيخة موزا بنت ناصر حرم الأمير الوالد، ورئيسة مجلس إدارة (مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع)، التي قرَّرتْ

QaradawiBooks.com

إنشاء (مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد) تابعًا لكُلِّيَّة الدراسات الإسلامية، وكان معها الشيخ حمد بن خليفة، الذي تكفَّل بطبع هذه الموسوعة، التي هي حصيلة أكثر من سبعين عامًا في الدراسات الإسلامية والأدبية والتاريخية، على نفقته الخاصَّة، حفظه الله وجزاه خيرًا.

وأشكر سمو الأمير الجد الشيخ خليفة بن حمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي ظللت ألقي درسًا في مسجده الخاص به في عصر كل يوم من رمضان، منذ وصلت إلى قطر، ولم يكن يتخلف عن حضوره إلا لطارئ.

وأشكر كل المذيعين الذين تعاونوا معي في الإذاعة والتلفاز من ذكور وإناث، جزاهم الله خيرًا.

كما أشكر إخواني من علماء ومفكري البلاد العربية والإسلامية وخارجها الذين أبوا إلا أن يسهموا بأقلامهم ومقالاتهم الطويلة والمتوسطة والقصيرة في (السبعينية) التي خرجت في مجلدين بمناسبة بلوغي السبعين، ثم في (التسعينية) التي خرجت في خمسة مجلدات، احتفالًا ببلوغي التسعين، فجزاهم الله خيرًا عن أخيهم الذي أورثوه ذكرًا وحمدًا، هم الأحق به، أدعو الله سبحانه أن يجزيهم عني خيرًا، ويلهمهم رشدًا.

وأشكر لكل مَن كان له فضل عليَّ، كبر أو صغر، في توفير هذا العلم، وإعانة صاحبه على أن يتابع مسيرته، وهي مسيرة طويلة وشاقة، ولكنها كانت بفضل الله تعالى سهلة محبَّبة إلى صاحبها.

كما أشكر إخواني من أعضاء المكتب العلمي الذين ساندوني في السنوات الأخيرة، وأسأل ربي جلَّ وعلا أن يجزيهم عما قدَّموه لي خيرًا

QaradawiBooks.com

في دينهم ودنياهم، وفي أنفسهم وأولادهم وأحبابهم، ويجزيهم عني خير ما يجزي به العاملين المخلصين في الدنيا والآخرة، وهم بترتيب حروف الهجاء: الأستاذ أحمد سيِّد محمد النسناس، الشيخ إسماعيل إبراهيم متولِّي، د. حسن فوزي الصعيدي، الشيخ سليمان السّكْرمي، الأستاذ شريف علَّام، الشيخ عبد السلام قنديل، الشيخ عبد الله سليمان، د. فتحي أبو الورد، الشيخ مجد مكِّي، الشيخ محمد عبد الله المأمون، الشيخ محمد مرسي، الشيخ وليد أبو النجا.

ويضاف إليهم الأخ العالم الأديب المتميز الشيخ عبد السلام البسيوني، أحد العلماء والشعراء المتميزين بوزارة الأوقاف القطرية.

ويسرني أن أضيف إلى هؤلاء اثنين انضما إلى مكتبي العلمي من قبل، وعمل كل منهما فيه عددًا من السنوات، وهما: الأخ الشيخ عصام حلمي محمد تلِّيمة، أول سكرتير علمي اشتغل معي، دعوته من القاهرة فأجاب، واستمر في العمل وحده لعدة سنوات. والأخ الدكتور أكرم عبد الستار كساب، ثاني سكرتير لي تسلم العمل من عصام واستمر معي سنوات، وأخيرًا هيَّأ الله له أن يذهب إلى الولايات المتحدة، للعمل الإسلامي هناك، حفظه الله.

كما أشكر الكثير من الإخوة والأخوات والأبناء والبنات الذين أدوا دورًا أو أدوارًا، كبيرًا أو صغيرًا لهذا المكتب. جزاهم الله خيرًا، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧].

ولا أجد ما أختم به لإخواني وأخواتي ومشايخي وتلاميذي إلا أن أوصيهم بالسير على درب النبي ﷺ، خير قدوة، وأحسن أسوة، الذي أمره ربه بعد أن أكمل مهمته، وبلغ دينه، ودخل الناس بجهده وصبره

QaradawiBooks.com

وجهاده في دين الله أفواجًا فقال له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

فأقول: اللهم ما كان بيني وبينك من قول أو عمل أو ترك أو نية، مما لا تحبه ولا ترضاه، غلبتْني فيه نفسي، وأغراني به شيطاني، وأعانني عليه غيري، حتى وقعت فيه، مما قلَّ أو كثر، ومما صغر أو كبر، فأسألك بمنِّك وكرمك أن تغفره لي، وترحم فيه ضعفي، فأنت العفو الغفور الرحيم الذي وسعت رحمته كلَّ شيء، وسبقت رحمته غضبه.

خلقتني مهيَّأ للمعصية إلا أن تمدني بعونك وتأييدك، وتكلأني بحفظك وتثبيتك، اللهم فاغفر لي جِدِّي، وهَزْلي، وخَطَئِي، وعَمْدِي، وكل ذلك عندي.

وإن كان هذا الأمر من حقوق عبادك عليَّ في دينهم أو أنفسهم، أو عقولهم وأعراضهم وأموالهم وحرماتهم، فاغفره لي يا رب، فأنا الفقير وأنت الغني، وأنا الضعيف وأنت القوي، وأنا العاجز وأنت المقتدر، وأنت تعرف فقري وضعفي وعجزي، وحاجتي إليك، وإلى عفوك ومغفرتك، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرت، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم.

وأدعوكم يا إخواني ويا أحبتي، فيما اقترفته من أمر يخصُّ أحدكم في نفسه أو ولده أو أهله، أو قريبه أو العزيز عليه، أن يسامحني ويغفر لي، عرفه أو لم يعرفه، وأسأل الله له أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يغفر لي وله، ويعطيه من عنده ما يكفيه ويُرضيه، وهو خير الغافرين، وخير الراحمين.

QaradawiBooks.com

وأما من جهتي، فأسامحكم في كلِّ ما أسأتم فيه إلى شخصي، وقد تصدقت بـــه عليكـــم، ولا أؤاخذكم بـــه، فأنتم أحبتي وأهلـــي وأبنائي وإخواني، وأنتم أولى بي، وأنا أولى بكم.

غفر الله لكم، وهو الغفور الرحيم.

الدوحة في ذي القعدة ١٤٤١هـ ـ يونيو ٢٠٢٠م

يوسف القرضاوي

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

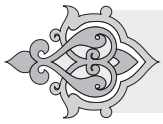

# السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ القرضاوي

**مولد الشيخ:**

ولد العلَّامة يوسف عبد الله علي يوسف القرضاوي في يوم الخميس، الموافق التاسع من الشهر التاسع سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٦م، الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ، في قرية صفْط تراب، مركز المحلة الكبرى، بمديرية (محافظة) الغربية، بالمملكة المصرية (جمهورية مصر العربية حاليًا).

**قرية صفط تراب:**

وقرية صفط تراب من قرى مصر العريقة، مذكورة في المعاجم باسم (سفط القدور) أو (سفط أبي تراب) أو (سفط عبد الله)، واستقرت من قرون على الاسم الحالي. ودفن فيها آخر الصحابة موتًا بمصر، عبد الله بن الحارث بن جَزء الزُّبَيدي (ت ٨٧هـ) رضي الله عنه، وهي مذكورة في عدد من كتب التراث، منها: (الشذا الفيَّاح من علوم ابن الصلاح) لبرهان الدين الأبناسي، و(الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر، و(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) و(فتح المغيث بشرح ألفية الحديث) لشمس الدين السَّخاوي، و(تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) للسيوطي، و(لب اللباب في تحرير الأنساب) للسيوطي، و(فتح الباقي بشرح ألفية

QaradawiBooks.com

العراقي) لزكريا الأنصاري، و(القاموس المحيط) للفيروزآبادي، وشرحه (تاج العروس) لمرتضى الزَّبِيدي، وغيرها.

وفيها يقول الشيخ يوسف مخاطبًا عبد الله الصحابي:

وحُقَّ لصفطنا بك أن تُسمَّى بصفط التِّبْر لا صفط التُّراب!

وكانت القرية عندما وُلِـدَ الشيخ قرية متديِّنـة، فيها خمسة مساجد ـ ليس في واحد منها مصلى للنساء ـ وأربعة كتاتيب، وعدد من حلقات القرآن، وبها عدد من علماء الأزهر وخِرِّيجيه، وبعض المتصوفة، وعدد كبير من حُفَّاظ القـرآن. وأهلها كأهـل الرِّيف المصـري يغلب عليهم التدين، ويحترمون علمـاء الدين، وإن لم يخل تديـن أهلها من بعض الخلل في الفهم والسلوك، وفيها مدرسة إلزامية للذكور والإناث.

وكانت قرية متواضعة بعيدة عن أسباب التمـدُّن والحضارة، كحال الريف المصري في ذلك الوقت، فلا مستشفى ولا ملعب ولا مكتبة ولا محطة قطار، ولا تمديدات لمياه الشرب والصرف الصحي، تقوم الحياة فيها على الزراعـة، وبها بعض الموظفين والعمـال وأصحاب الحرف، وبعض التُّجَّار كجد الشيخ لأمـه وخاله، والنقْد فيهـا قليل، وكثير من تعاملات الناس فيما بينهم بالمقايضـة، وكانت القرية مكتفية بذاتها في طعامها وشـرابها، معتمدة علـى غيرها في الملبوسـات والمنسوجات والصناعات، إلا القليل.

وهي من القرى الكبيرة مـن حيث عدد السكان، عدد سكانها عندما تخرج الشيخ يوسف من المدرسة الإلزامية، أكثر من عشرين ألف نسمة، والأهالي موزعون فيها على ثلاث طبقـات: الأولى: الأعيان وهم ملَّاك الأراضي الزراعية الكبيرة. والثانية وهي المتوسطة: أعيان الفلَّاحين وهم

QaradawiBooks.com

صغار الملاك، وبعض التجار وعلماء الدين. والثالثة: أغلبية أهالي القرية من الفلاحين والعمال والحرفيين وصغار التجار.

ومع ذلك كانوا مترابطين، متكافلين في السرَّاء والضرَّاء، يسود الأمن بيوت القرية، وأهل كل حارة بمثابة أسرة واحدة. وكان أمر الزواج يسيرًا، يقوم على الألفة والمودَّة، وإن لم يخلُ العرس من بعض العادات السيئة.

وكان الجانب الثقافي في القرية ضعيفًا، إذ الثقافة السائدة فيها ثقافة شعبية، تقوم جلها على الوعظ في خطب الجمع والجنازات، وفيها المواويل والأمثال، وقصصِ البطولة الشعبية التي يجتمع الناس لها بين حين وآخر لسماع قصة من شاعر الربابة، كقصص (عنتر وعبلة)، و(أبو زيد الهلالي)، و(سيف بن ذي يزن)، و(الزير سالم). ولما ظهر الراديو كان الناس ربما يجتمعون حوله لسماع نشرة الأخبار، وسماع القرآن الكريم، وخصوصًا من الشيخ محمد رفعت.

وأغلب مثقفي القرية كانوا من خريجي الأزهر، وبعض خريجي دار العلوم ودار المعلمين، وكان معظم خريجي الجامعات من أبناء الأعيان، وكان المسجد هو مصدر الثقافة في القرية بدروسه وخطبه.

ولم يكن لأهل القرية اهتمام بالسياسة، لانتشار الأمية، والانشغال بلقمة العيش. ولم يكن للناس ثقة في الحكومة بصفة عامة، وكانوا يهتمون بين الحين والآخر بالأحداث الوطنية والعربية والإسلامية والعالمية، وحين تتنافس الأحزاب السياسية في الانتخابات، التي كانت شبه محسومة لحزب الوفد، وزعيمه مصطفى النحاس باشا.

وقد أدرك الشيخ ولاية الملك فؤاد، ثم تُوفِّي وجاء ابنه الملك فاروق وهو في المدرسة الإلزامية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## لقب عائلة القرضاوي:

وعائلة القرضاوي موجودة في قرى شتَّى في مصر، وأشهر فروعها في قرية (سنهور المدينة)، مركز دسوق، بكفر الشيخ، وهي كذلك في بنغازي في ليبيا، ويقال: إن أصولها ترجع إلى قرية (القَرَضَة) بكفر الشيخ.

أما عائلة القرضاوي في قرية (صفط تراب) فقد كانت قليلة العدد، مستورة الحال، لم تكن تملك شيئًا من الأطيان، وأصلها الحاج علي القرضاوي ـ جد الشيخ القرضاوي ـ وإخوته، وكان تاجرًا، ومن حُجَّاج بيت الله القليلين في القرية في ذلك الوقت، وكان للجد أخ واحد توفي هو وابنته.

## أسرة الشيخ الصغيرة:

تزوج أبوه من والدته (عَرَب) وهي سيدة من عائلة الحجر ـ وهي عائلة تشتغل بالتجارة ـ وكان لها طفلة من زواج سابق من ابن عمتها اسمها روحية، أخت الشيخ لأمه. ورزقا بيوسف، وتوفي أبوه وهو في الثانية من العمر. فكفله عمه أحمد، وكان العم الوحيد الباقي من أعمامه الخمسة، وكان رجلًا أُمِّيًّا حكيمًا عاقلًا رقيقًا فلَّاحًا، يأكل من عمل يده، محافظًا على الصلوات قنوعًا. وكان يوسف محل اهتمام ورعاية من عمه، الذي أبى أن يخاطبه إلا بـ(أبي)، وأبناء عمه يقولون له: (أخي). كما كان محلَّ محبَّة وتكريم من جدِّه لأمه، ومن خاله وخالاته اللائي كن بمنزلة أمهات له بعد وفاة والدته وهو في الصف الأول الابتدائي.

## ختم القرآن:

وقد حثته والدته مبكِّرًا على حفظ القرآن في كُتَّاب الشيخ حامد زويل، والشيخ حامد من معلِّمي القرآن المحترمين، كان بسيطًا أنيقًا،

QaradawiBooks.com

عفيف النفس، يصلي الصلوات الخمس في المسجـد، ويؤمُّ الناس إن تغيَّب الإمام.

وفي الكُتَّـاب بدأ الشيـخ يوسف يحفـظ القرآن، ويتلقـن أحكام التجويـد، ويتعلَّم القراءة والكتابة، وشـيئًا من السيـرة النبوية، وبعض المتون اليسيرة في العقيدة.

وقد احتفل به الكُتَّاب عندما ختم (الختمـة الصغيرة) بحفظ سورة البقرة، ثم احتفل به وهو دون العاشـرة احتفالًا أكبر في الختمة الكبرى بحفظ القرآن الكريم كاملًا، وحضر الأهل والمعارف، ووُزِّعت الحلوى والمشروبات، ودُعي من يومها على حداثة سنه بالشيخ.

وفي الثانية عشرة حصل على أول جائزة لحفظ القرآن على مستوى مديرية الغربية، وقدرها جنيه وربع الجنيه، حصل منها الشيخ حامد على ربع جنيه.

**الالتحاق بالمدرسة الإلزامية:**

وفي السابعة من عمره التحـق بالمدرسة الإلزامية، فكان يجمع بين الكُتَّاب في الصباح والمدرسة بعد الظهر، وبعد أن أتمَّ حفظ القرآن قبل أن يتم العاشـرة، تفـرَّغ للمدرسة، وإن لـم ينقطع عـن الكتاب. وفي المدرسة تعلَّم الخط والإملاء والحسـاب والعلوم والتاريخ والجغرافيا، وغيرها.

وبعد أن أنهى المدرسة الإلزامية ظلَّ عدة سنوات يفكر في مستقبله وقلبُه معلَّق بشيء واحـد هو (الأزهر)، وأن يكون كعلمـاء البلد الذين رآهم: الشيخ أحمد صقر، والشيخ عبد المطلب البتَّة.

QaradawiBooks.com

ولكن كان الأزهري حينها لا يتخرج إلا بعد ستة عشرة سنة، ثم بعد تخرجه لا يجد وظيفة. ولذلك تردد عم الشيخ في إلحاقه بالأزهر خوفًا على مستقبله، حتى مرَّ بهم رجل من قرية (الهياتم) المجاورة، واختبره في القرآن، فوجده حافظًا للقرآن كله عن ظهر قلب، متقنًا لتجويده، فأعجب الرجل به، وشدَّد على عمه بضرورة إلحاقه بالأزهر، وأبدى الشيخ يوسف الاستعداد لترشيد النفقات إلى أبعد حد، وهو ما كان.

## الدراسة الابتدائية في معهد طنطا الأزهري:

التحق الشيخ بمعهد طنطا الأزهري بعد اجتياز امتحانات القبول في القرآن الكريم، وفي الحساب والإملاء، وتمذهب بالمذهب الحنفي.

وانتقل للإقامة بطنطا حيث المعهد الديني، مع زاد قليل في حجرة متواضعة، وكان المعهد يسلم للطلاب (بدل جِراية) معونة لهم على العِلْم من أوقاف المسلمين، وفي طنطا شاهد بعض مظاهر المدنية، ومولد السيد البدوي.

وفي السنة الدراسية الأولى، اكتمل يُتْم الشيخ يوسف القرضاوي بموت والدته، بعد حُمَّى شديدة أصابتها، وكان قد سافر إلى طنطا وودَّعها وهي في مرضها، ثم عاد للدراسة، ثم لم يلبث إلا أن جاءه الخبر، فسافر ليدركها قبل أن تُدفَن رحمها الله، وحضر الجنازة.

وفيها كذلك حرص على الاستماع لأول مرة إلى الشيخ حسن البنا في مناسبة الهجرة النبوية، عن وداع عام واستقبال آخر، وعن دروس الهجرة باعتبارها فاصلًا بين عهدين. فكان حديثًا مختلفًا عمَّا ألفه الناس من الوعاظ والخطباء من قصة العنكبوت والحمامة. ثم استمع إليه أكثر من مرة بعد ذلك، وأعجب به، وألقى قصيدة بين يديه.

QaradawiBooks.com

وكان ترتيب الشيــخ في أغلب سني دراستــه الأول، وكان الطلاب الثلاثة الأوائــل يأخذون ثلاثة جنيهات تسمى (مكافــأة الأولية)، أعانته على تكاليف الكتب والسكن والدراسة.

وكانت مطالعات الشيــخ في القرية في كتاب (إحيــاء علوم الدين) و(منهاج العابديــن) للغزالي، و(الذريعة إلى مكــارم الشريعة) للراغب الأصفهاني، و(العقــد الفريد) لابن عبــد ربه، ولم يشبــع ذلك نهمته للقراءة، وخصوصًا في الكتب الأدبية من نثر وشعر.

وفي طنطا، كانت مطالعاته في كتــب المنفلوطي والرافعي، وأحيانًا يقرأ للعقاد والمازني وطه حسيــن، وأحمد أمين، وأحمد حسن الزيات، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وغيرهم.

وما إن ختم الشيخ القرآن ثم التحق بالدراســة الأزهرية؛ حتى كان مقدَّمًا دائمًا بين أهل قريته، كثيرًا ما يؤمهــم في الصلوات، لا سيما في الصلوات الجهرية وشــهر رمضان، وفي فجر يــوم الجمعة، حيث عوَّد الناس أن يقرأ سورة السجدة كلها وسورة الإنسان، كما هي السُّنَّة، وكان شديد التأثر بآيات الله تعالى.

وفي هذه المرحلة بدأ الشيخ يلقي الدروس الدينية، فكان أول درس في مسجد المتولي حول (التوبة)، ثم تتابعت الدروس حول فقه الأحكام التي تبنَّى فيها الشيخ منهج التيسير، وكانت أول خطبة منبرية موضوعها (شــكر الله). كما بدأ في نظم الشعر وإلقائه، وفي الثانوية نشر أول عمل شــعري له يدخل به إلى ساحــة التأليــف والنشر: مسرحيــة (يوسف الصديق)، نسجًا على منوال شــوقي في (مصــرع كليوباترا) و(مجنون ليلى)، ثم كتب مسرحية نثرية (عالم وطاغية).

QaradawiBooks.com

### شيوخه في المرحلة الابتدائية:

وقد تتلمذ الشيخ في المرحلة الابتدائية على كل من الأستاذ البهي الخولي مدرس المحفوظات والجغرافيا، ومؤلف كتاب (تذكرة الدعاة)، والشيخ مصطفى غبارة مدرس الصرف، والشيخ شعث والشيخ رجب زبادي مدرسَي النحو، والشيخ عبد الوهاب غانم مدرس الرياضيات، والشيخ محمد الشناوي مدرس الفقه.

وفي السنة الرابعة الابتدائية انضم الشيخ إلى جماعة الإخوان المسلمين، وأصبح أحد أعضائها، ثم بعد ذلك أحد أعضاء قسم نشر الدعوة، الذي كان يشرف عليه الداعية الكبير الأستاذ البهي الخولي.

### المرحلة الثانوية:

وانتقل الشيخ في الثامنة عشرة من عمره إلى المرحلة الثانوية، وكانت فترة الثانوية فترة انطلاق النشاط الدعوي له، في مديرية الغربية وما حولها، حيث كانت شُعَب الإخوان تبعث إلى المكتب الإداري في طنطا لطلب الشيخ.

ثم اعتقل في معتقل الطور في (٨ ديسمبر ١٩٤٩م) مع قرار حل الإخوان المسلمين، ثم تخرج من الثانوية، وكان ترتيبه الثاني على معاهد القطر المصري كله.

وفي الثانوية تتلمذ على الشيخ الشاعر الأديب محمد متولي الشعراوي مدرس البلاغة، وزميله الشيخ المنوفي مدرس الأدب، والدكتور طه الدسوقي العربي الذي اضطهد بإرساله من الكليات إلى معهد طنطا، والشيخ أمين الدفتار مدرس العروض والقافية، والشيخ محمود الدفتار مدرس الفقه، والشيخ عبد الحفيظ الدفتار وكيل المعهد،

QaradawiBooks.com

ثم بعده الشيخ محمد الجهني، والشيخ محمد أبو طبل وكيل المعهد، وبعده الشيخ الحسيني سلطان.

وتعرف في المرحلة الثانوية على أحمد العسال، ومحمد الدمرداش مراد، ومحمد الوكيل، ومحمد الوزير، وعبد العظيم الديب، ومحمد حوطر، وعبد الستار نوير، وعلى محمد الصفطاوي، وسعد الدين العراقي، وعبد العزيز الزير، وعز الدين إبراهيم، وصادق حميدة، ومصطفى مؤمن، وفتحي عثمان.

ومن زملائه أيضًا في هذه المرحلة: محمد الوزير، وأحمد صقر حجازي، وعبد الوهاب البتانوني، ومصباح محمد عبده، وعبد اللطيف زايد، وصلاح أبو إسماعيل، وحسن الشافعي، وعلي عبد الحليم، ومحمد المطراوي، ومحمد الصوابي، وعلي أرسلان أيدن.

وقد زار الشيخ مع بعض رفاقه في هذه المرحلة المحدِّث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، والد الإمام حسن البنا ومؤلف كتاب (الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني)، وتحدث معه طويلًا في فنون الحديث وعلومه وكتبه، ولكن كان الأمل أن يعود إليه ليطلب الحديث منه. والشيخ مأمون الشناوي شيخ الأزهر، وقد تولى المنصب والشيخ في المرحلة الثانوية.

### بعض الكتب التي درسها في الابتدائية والثانوية:

وقد درس الشيخ في المرحلة الابتدائية عددًا من الكتب العربية والدينية، كـ(الآجرومية) و(الأزهرية) و(شرح قطر الندى) و(شرح شذور الذهب) لابن هشام، وكلها في النحو، و(نور الإيضاح) و(اللباب في شرح الكتاب) ـ أو (الميداني على القدوري) ـ في الفقه الحنفي.

QaradawiBooks.com

وفي المرحلة الثانوية درس (صفوة صحيح البخاري) للشيخ عبد الجليل عيسى، و(تهذيب السعد التفتازاني) في البلاغة، و(الاختيار شرح المختار) في الفقه، و(شرح الجوهرة) في التوحيد للقاني، و(تفسير النسفي).

ودرس (شرح ابن عقيل)، و(أوضح المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك) لابن هشام، و(زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع) للشيخ الحملاوي في علوم العربية والبلاغة.

**الدراسة في كلية أصول الدين:**

والتحق الشيخ بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وهي كلية الثقافة الإسلامية الواسعة والمتنوعة، وكان رئيسًا لاتحاد الطلاب فيها، وحصل منها على الشهادة العالية سنة ١٩٥٣م، وكان ترتيبه الأول على طلاب الكلية، وعددهم مائة وثمانون (١٨٠) طالبًا.

ومن شيوخه في أصول الدين الشيخ أحمد علي أستاذ التفسير، والشيوخ صالح شرف، والعيسوي، والشافعي الظواهري أساتذة علم الكلام، والشيخان محمد مختار بدير، ومحمد أمين أبو الروس أستاذا التفسير، والشيخان محمد أحمدين وعبد الحميد الشاذلي أستاذا الحديث، والشيوخ عبد الفتاح شحاته، ود. محمود فياض، وأبو زيد شلبي أساتذة التاريخ، والشيخان أبو بكر ذكري، ومنصور رجب أستاذا علم الأخلاق، والدكتور محمد غلَّاب أستاذ الفلسفة الشرقية، والدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة الإسلامية والحديثة، والشيخ الطيب النجار أستاذ أصول الفقه، والدكتور جمال الدين أستاذ علم النفس، والشيخ علي الغرابي أستاذ الفرق الإسلامية.

QaradawiBooks.com

ومما درسه في هذه المرحلة: كتب (العقائد النسفية) وشرحه للتفتازاني، مع حاشية الخيالي والعصام الإسفراييني، وحاشية عبد الحكيم السيالكوتي على الخيالي، و(القطب على الشمسية)، و(الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق) للدكتور إبراهيم بيومي مدكور، وفصول من (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا، و(المنقذ من الضلال) للغزالي، و(النظريات الأخلاقية) لأبو بكر ذكري، و(حي بن يقظان) لابن طفيل، و(صحيح مسلم بشرح النووي)، و(تدريب الرواي بتقريب النواوي) للسيوطي.

ثم التحق بتخصص التدريس، ودرس فيه علوم النفس، وعلوم التربية، وعلوم تخصص التدريس، وكان ممن درسه العلامة محمد عبد الله دراز أستاذ علم الأخلاق، والأستاذ الدكتور محمد قدري لطفي من أعلام التربية العملية، والدكتور الريدي، والدكتور مصطفى فهمي، وكان معظم الأساتذة من أعضاء الجامعات الكبرى المدنيَّة، غير الأزهر.

وتخرج وكان ترتيبه الأول على طلاب الكليات الثلاث: أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية.

**الدراسة في معهد الدراسات العربية:**

حصل الشيخ القرضاوي على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية في اللغة والأدب سنة ١٩٥٨م.

وقد درَّسه في المعهد الأستاذ ساطع الحصري مادة القومية العربية، وهو فيلسوفها وداعيتها الأول، ودرسه أيضًا الأمير مصطفى الشهابي: الاستعمار وأهدافه وآثاره في البلاد العربية، والشيخ أمين الخولي: قضايا لغوية، والدكتور محمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي، وجماعة

QaradawiBooks.com

أبولُّــو، والدكتور عبد القادر القــط: القصة المصريــة، والدكتور محمد النويهي: فلسفــة النقد وعلاقته بالأخــلاق، والاتجاهــات الشعرية في السودان، والدكتور ناصر الدين الأســد: الاتجاهات الأدبية في فلسطين والأردن، والأستاذ جميــل صليبا: الاتجاهات الفكريــة في بلاد الشام، والأستاذ سامي الكيالــي: النهضة الأدبية في حلــب، والدكتور إسحاق موسى الحسيني: النهضة الأدبية فــي فلسطين، وكان رئيس القسم الذي يدرس فيه الشيخ.

ومن زملائه في هذا المعهد الدكتور عبد الكريم الأشــتر، والدكتور عمر الدقاق وكلاهما من سورية، والأستاذ صالح الحصين من السعودية، والدكتور كامل سعفان من مصر.

### الدراسات العليا بالأزهر:

التحق الشيخ بالدراسات العليا في شــعبة التفسير والحديث، بكلية أصول الدين، ودرسَّه فيها الشيخ أحمد علي مادة التفسير، والشيخ محمد أحمدين الحديث، والشيخ السماحي مصطلــح الحديث، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

وحصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٤م، وكــان ترتيبه الأول بيــن زملائه من خريجــي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمسمائة طالب.

### رسالة الدكتوراه:

وكان مشرفه في رسالة الدكتــوراه الشيخ أحمد علي حتى توفاه الله، ثم الشيخ محمد أمين أبو الروس، وكلاهما أستــاذ للتفسير، ثم الشيخ

QaradawiBooks.com

الشاذلي، ثم الشيخ عبد الوهاب البحيري الذي اعتذر أخيرًا عن الإشراف لسفره إلى العراق، وكلاهما أستاذ للحديث.

وقد تكونت لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه من كل من: الدكتور عبد الرحمن عثمان أستاذ التفسير المساعد مشرفًا، والعلامة الشيخ محمد علي السايس عضو مجمع البحوث وعميد أصول الدين من قبل، والدكتور عوض الله حجازي عميد الكلية حينها مناقشين.

ونوقشت في ٢٣ يوليو ١٩٧٣م، في قاعة الإمام محمد عبده، وحصل عليها بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في الحديث وعلومه، عن موضوع: (الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية).

**الشخصيات المؤثرة في شخصيته:**

هناك شخصيات إسلامية أثرت في تكوين الشيخ القرضاوي وتوجيهه، منها شخصيات تاريخية، ومنها شخصيات معاصرة.

فمن الشخصيات التاريخية: الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) الذي كان أول من قرأ له وأعجب به، فقد قرأ في المرحلة الابتدائية بالمعهد الديني كتابيه: (منهاج العابدين) و(إحياء علوم الدين).

ثم عرف بعد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) وتلميذه الإمام ابن القيم (٧٥١هـ)، فانتقل إعجابه إلى هذه المدرسة التي تجمع بين السلفية والتجديد، وترفض التقليد والعصبية، وإن لم يرفض الغزالي بإطلاق.

وفي الأزهر تأثر بعدد من الشخصيات منها: الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز، والشيخ الدكتور محمد يوسف موسى، والشيخ الدكتور عبد الحليم

QaradawiBooks.com

محمود، والشيخ الدكتور محمد البهي، والشيخ محمد الأودن، وغيرهم من فطاحل العلماء الذين جمعوا بين أصالة العلماء واستقامة أهل التقوى وعزة المؤمنين.

ومن الشخصيات التي تأثر بكتبها وثقافتها وبمناهجها، وخصوصًا في علوم الحديث والتاريخ، شخصية الشيخ أحمد محمد شاكر، فقد انتفع الشيخ بقراءة كتبه وتحقيقاته ونقده. ويحكي أنه لقيه مرة وسلَّم عليه في الكلية. وإن لم يدرس له أي مادة أو مقرر. كما انتفع بالمدرسة الشاكرية، وخصوصًا أخيه محمود الذي زار قطر مع الشيخ عبد العظيم الديب رحمهم الله جميعًا.

وفي جماعة الإخوان تأثَّر بعدد من أعلام الدعوة الإسلامية، على رأس هؤلاء مؤسس الجماعة الإمام حسن البنا، الذي كان عالمًا وداعية ومربيًا ومجددًا ومصلحًا، ويراه أعظم شخصية تأثر بها. وقد استمع إليه منذ كان طالبًا في السنة الأولى الابتدائية بالمعهد.

كما تأثر بعددٍ من دعاة الإخوان الكبار منهم: البهي الخولي، ومحمد الغزالي، وسيد سابق، وعبد العزيز كامل، وعبد المعز عبد الستار، وعبد القادر عودة، وسيد قطب وغيرهم.

**أعماله الرسمية:**

ـ عمل الدكتور القرضاوي فترة بالخطابة والتدريس في المساجد، واجتاز مسابقة التعيين في وزارة الأوقاف، وكان ترتيبه الثاني، وعُيِّن بالأوقاف، ثم انتدب للعمل في مراقبة الشؤون الدينية، وكلفه المراقب العام للشؤون الدينية الأستاذ البهي الخولي بالإشراف على (معهد الأئمة)، التابع لوزارة الأوقاف في مصر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ نقل بعد ذلك بطلب من الشيخ شلتوت، إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على جمع الأعمال العلمية للشيخ شلتوت شـــيخ الأزهر، والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد، وكُلِّف هو والشيخ أحمد العسَّال من الأستاذ الدكتور محمد البهي بجمع تراث الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

ـ أعير إلى دولة قطر بعد اجتياز اختبـــار لجنة الابتعاث ـ وكان أول الناجحين ـ بطلـــب من الشيخ عبد الله بن تركي، مديـــرًا للمعهد الديني الثانوي ١٩٦١م، فعمل على تطويـــره وإرسائه على أمتـــن القواعد، التي جمعت بين القديم النافع والحديث الصالح، وقد تخرج من المعهد عدد من الوزراء والقـــادة والسفراء في قطر وغيرها مـــن دول الخليج، وظل مديرًا له لمدة اثني عشر عامًا.

ـ في سنـــة ١٩٧٣م أنشئت كليتا التربية للبنيـــن والبنات نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

ـ في سنة ١٩٧٧م أسست جامعة قطر، وكُلِّف الشيخ بتأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراســـات الإسلامية، وظل عميدًا لها إلـــى نهاية العام الجامعي ١٩٨٩م ـ ١٩٩٠م، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر.

ـ أعير من دولة قطر إلى جمهورية الجزائر الشقيقة في العام الدراسي ١٩٩٠/١٩٩١م، فقد طلب رئيس الجمهوريـــة الشاذلي بن جديد من الشيخ خليفة بـــن حمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ التفضل بإرســـال الشيخ، وقـــد استشير في ذلك، فرحَّب، وأُعير ليترأس المجالس العلمية لجامعتها في قسنطينة ومعاهدها الإسلامية العليا، وليساعد وزارة الشؤون الدينية في تطويرها، فكان عمله

QaradawiBooks.com

في قسنطينة بالجامعة، وفي الجزائر للشؤون الدينية، ثم عاد إلى عمله في قطر مديرًا لمركز بحوث السنة والسيرة.

غير مرخصة للطباعة

**صلات الشيخ بكبار علماء الإسلام:**

وللشيخ صلات بكبار علماء الإسلام: الشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيد سابق، والأستاذ سيد قطب، والدكتور فتحي عثمان، والدكتور حسان حتحوت، والدكتور عبد الودود شلبي، والدكتور أحمد شوقي الفنجري، والشيخ مناع القطان، والدكتور محمد البهي، والدكتور محمد يوسف موسى، والشيخ محمد الأودن، والأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف، والأستاذ الدكتور عبد الوهاب حمودة، والأستاذ عبد العزيز كامل، والدكتور أحمد الشرباصي، والشيخ محمد الراوي، والشيخ أبو الأعلى المودودي، والشيخ أبو الحسن الندوي، والمستشار عبد الله العقيل، والأستاذ مصطفى السباعي، والأستاذ مصطفى الزرقا، والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ عمر الأميري، ود. معروف الدواليبي، والشيخ سعيد حوى، والدكتور محمد رجب البيومي، والفضيل الورتلاني، والشيخ محمد الحامد، والدكتور إسحاق الفرحان، والدكتور محمد عبد الله دراز، والشيخ عبد الله المشد، والأستاذ عبد الحليم أبو شقة، والشيخ عبد البديع صقر، والشيخ فيصل مولوي، ود. حسن الترابي، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ زهير الشاويش، والشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ أمين سراج، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ علي الخفيف، والدكتور صبحي الصالح، والأستاذ عصام العطار، وغيرهم الكثير.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**الجوائز التي حصل عليها الشيخ:**

ـ جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام ١٤١١هـ.

ـ جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام ١٤١٣هـ.

ـ جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام ١٩٩٦م.

ـ جائزة السلطان حسن بُلقية سلطان بروناي في الفقه الإسلامي لعام ١٩٩٧م.

ـ جائزة سلطان العويس في الإنجاز الثقافي والعلمي لسنة ١٩٩٩م.

ـ جائزة دبي للقرآن الكريم فرع شخصية العام الإسلامية ١٤٢١هـ.

ـ جائزة الدولة التقديرية للدراسات الإسلامية لدولة قطر لعام ٢٠٠٨م.

ـ جائزة الهجرة النبوية للشخصيات الإسلامية من ماليزيا لعام ١٤٣١هـ.

ـ وسام الاستقلال من الدرجة الأولى من الملك عبد الله الثاني ملك الأردن ٢٠١٠م.

وغيرها من الجوائز والتكريمات.

**جهوده ونشاطه في خدمة الإسلام:**

تنوعت جهود الشيخ ونشاطه حتى شملت كل المجالات التي يمكن أن يقوم بها عالم أو مفكِّر أو مصلح، وهذه هي أهم هذه المجالات وأبرزها:

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**١ ـ مجال التأليف العلمي:**

الكتابة والتأليف من أهم ما برز فيه العلامة القرضاوي، فهو كما وصفه العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه (رسائل الأعلام): عالم مؤلف محقِّق. ووصف سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كتبه بأنها: لها ثقلها وتأثيرها في العالم الإسلامي.

والناظر في كتبه وبحوثه ومؤلفاته يجد أنه كاتب عالم مفكر أصيل، أثرت المكتبةُ الإسلامية بكتبه، التي تتميز بأنه لا يقلِّد فيها غيره، ولا يطرق من الموضوعات إلا ما يعتقد أنه يضيف فيه جديدًا؛ من تصحيح فهم، أو تأصيل فكر، أو توضيح غامض، أو تفصيل مجمل، أو رد شبهة، أو بيان حكمة، أو نحو ذلك.

وقد ألَّف في مختلف جوانب الثقافة الإسلامية كتبًا قاربت المائتين، أصيلة في أبوابها، تلقاها أهل العلم في العالم الإسلامي وخارجه بالقبول والتقدير، وطبع بعضها عشرات الطبعات، وتُرجم أكثرها إلى اللغات الإسلامية والعالمية.

وقد تميَّزت كتبه بمزايا عديدة، من أهمها:

ـ الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين التمحيص العلمي والتأمل الفكري والتوجه الإصلاحي.

ـ التحرر من التقليد والعصبية المذهبية، فضلًا عن التبعية الفكرية للمذاهب المستوردة من الغرب أو الشرق.

ـ الاعتدال والوسطية والتجديد.

ـ التصدي لدعوات الهدم والغزو من الخارج، ودعوات التحريف

QaradawiBooks.com

والانحراف من الداخل، والالتـــزام بالإسلام الصحيح بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وإلى جانب الكتب العلمية للشيخ، هناك عدد من الرسائل والكتيبات الموجزة في موضوعات تهم المسلم المعاصر، وعدد من الكتب الأدبية، مثل: (ديوان نفحات ولفحات)، وديوان (المسلمون قادمون)، ومذكراته الشخصية (ابن القرية والكتاب)، وعدد كبير مـــن البحوث والدراسات والمقالات والحوارات نشرت في الحوليات والمجلات العلمية: الفصلية والشهرية والأسبوعيـــة، منها: (مجلة الأزهر)، و(نـــور الإسلام) و(منبر الإسلام) و(الدعوة) و(لواء الإسلام) و(الاعتصام) و(الأهرام العربي) في مصر، و(حضارة الإسلام) بدمشق، و(الوعـــي الإسلامي) و(المجتمع) و(العربـــي) بالكويـــت، و(الشهـــاب) و(المسلم المعاصر) فـــي لبنان، و(البعث الإسلامي) بالهند، و(الدعـــوة) بالرياض، و(الدوحة) و(الأمة) في قطر، و(منار الإسلام) في أبو ظبي.. إلى جانب الصحف الأسبوعية واليومية في عدد من الأقطار.

كما اشـــترك الشيخ في تأليف عدد من الكتب المدرسية التي قُرِّرت على طلاب المدارس الحكومية في قطر، وعلى المعهد الديني بالدوحة، وطبعتها وزارة التربية، زادت على عشرين كتابًا.

**٢ ـ مجال الفقه والفتوى:**

ومن الجهود البـــارزة للشيـــخ القرضاوي ما قدمه فـــي مجال الفقه والفتوى خاصة. فقد اهتم الشيخ مبكِّرًا بالإجابـــة على أسئلة السائلين، عقب الخطب والدروس والمحاضرات والندوات، وتحظى فتاواه بقَبول عامٍّ من العلماء، فضلًا عن جماهير المثقفين المسلمين في بلاد العالم،

QaradawiBooks.com

لما اتسمت به من النظرة العلميـــة، والنزعة الوسطية، والقدرة الإقناعية، والأصالة الإسلامية.

وقد استمر الشيخ في تقديم برنامج (نور وهداية) الإذاعي مدة سبعة عشر عامًا يجيب فيه على أسئلة السائلين، ثم قدم برنامج (هدي الإسلام) في تلفزيون قطر، ثم برنامج (الشريعة والحياة) لمدة حوالي عشرين سنة، ممـــا جعله مرجعًا مـــن المراجع المعتمـــدة لدى المسلميـــن في العالم الإسلامي وخارجـــه، وفي تلفزيـــون أبو ظبي قدم برنامجـــي: (المنبر) و(المنتدى).

يضاف إلى هـــذا عضوية الشيخ فـــي المجامع الفقهيـــة، كالمجلس الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الدولي المنبثق من رابطة العالم الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن.

وقد جمع عددًا كبيرًا من هذه الفتاوى فـــي كتابه (فتاوى معاصرة)، ولخص الشيخ منهجه في الفتوى في مقدمة الجزء الأول منه، وهو يقوم على: (التيسير لا التعسير، والاعتماد على الحجة والدليل، والتحرر من العصبية والتقليد، والانتفاع بالثروة الفقهية للمذاهب المعتبرة، ومخاطبة النـــاس بلغة عصرهـــم، والاهتمام بمـــا يصلح شـــأنهم والإعراض عما لا ينفعهم، والاعتدال بين الغـــلاة والمقصرين، وإعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح والتعليل).

### ٣ ـ مجال الدعوة والتوجيه:

ومن الهموم الرئيسية للشيخ، هم الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، بشتى وسائـــل الدعوة، ولـــم يشغله عن ذلـــك اهتماماتـــه المتنوعة

QaradawiBooks.com

الأخرى، فهو رجل دعوة في المقـام الأول، فالدعوة إلى الله لُحمته وسَداه، وهي شـغله الشاغل، وهي محور تفكيـره واهتمامه وعلمه وعمله.

وقد مارس الشيخ دعوته من خلال المنابر الآتية:

**أ ـ المسجد:**

فقد بدأ الشيخ مبكـرًا في إلقـاء خطبة الجمعة والـدروس الدينية بـ(مسجد المتولي) في قريته بعد أن التحق بالمعهد الأزهري، ثم عمل خطيبًا وهـو طالب بكلية أصول الدين بأحـد المساجد الأهلية بالمحلة الكبرى وهو (مسجد آل طـه)، وكان الناس يفدون لسمـاع خطبته من المدن القريبة: طنطا وسمنود وطلخا والمنصورة وغيرها.

وبعد خروجه من المعتقل سنة ١٩٥٦م استدعَتْه وزارة الأوقاف عقب العدوان الثلاثي في حرب السويس ليخطب في جامع الزمالك بالقاهرة، وقد كان يؤمُّه جمهور كبير، حتى منع من الخطابة بعد ذلك.

ومنذ أعير لدولـة قطر سنة ١٩٦١م ظل يخطـب الجمعة ويدرس في مساجد قطـر المختلفة: مسجـد الشيخ خليفة، ومسجـد بنَّا الدرويش، ومسجد الشيـوخ، ومسجد الشيـخ خالد بن حمد، ومسجـد أبو بكر الصديق، ومسجد عمر بن الخطاب، وغيرها من المساجد.

أضف إلى ذلك دروسه الأسبوعية بعـد صلاة الجمعة، ودروسه في التفسير التي استمرَّت زمنًا، ودروس التراويح.

كما خطب كثيرًا من خطب عيد الفطر وعيد الأضحى بميدان عابدين وبإستاد الإسكندرية، وبعض مساجد قطر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كما خطب ودرَّس وحاضر في عدد من الدول، في أشهر مساجدها، منها: الجامع الأزهر.

كما كان له درس رمضاني بالدروس الحسنية بالمغرب سنة ١٩٧٨م.

**ب ـ وسائل الإعلام:**

فقد اتخذها الشيخ منبرًا لدعوته، وتنوعت دروسه الدعوية وأحاديثه التعليمية في الإذاعـــات والتلفزيونات، في تفسير القرآن الكريم في عدد من التلفزيونات العربية، وفي شـــرح الحديث الشريف في برنامج (من مشكاة النبوة) في إذاعة قطر، وغيرها.

**ج ـ الدعوة بالقلم:**

من خلال الكتب والرسائل والمقالات، كما سبق أن أشرنا.

وتتميز مدرسة الشيخ الدعوية بالخصائص التالية: إفهام العامَّة وإقناع الخاصة، مخاطبة العقل مع إلهـــاب العاطفة، استلهام التراث والاستفادة من ثقافـــة العصر، المزج بين الدعـــوة النظرية والنمـــاذج العملية، ربط التدين الفردي بهموم الأمة الإسلامية الكبرى وقضاياها المصيرية، وصل الدعوة بالفقه وغيره من علوم الشريعة.

**٤ ـ مجال المؤتمرات والندوات العلمية:**

وقد شارك فضيلة الشيخ القرضاوي في كثير من المؤتمر والملتقيات والندوات حول الفكر والدعوة الإسلامية، وشارك في كثير منها بالبحوث أو بالمناقشات، ومن هذه المؤتمرات على سبيل المثال:

ـ المؤتمر العالمـــي الأول للاقتصاد الإسلامي تحـــت رعاية جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة تحت رعاية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ـ المؤتمر العالمي الأول للفقه الإسلامي بالرياض تحت رعاية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ـ المؤتمر العالمي الأول لمكافحة المسكرات والمخدرات والتدخين تحت رعاية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ـ المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة. ١٩٧٦م.

ـ مؤتمرات اتحاد طلاب المسلمين بأمريكا ١٩٧٦م (MSA)، ومؤتمرات رابطة الشباب المسلم العربي (المايا)، ومؤتمرات الطلبة المسلمين، ومؤتمر مناصرة البوسنة والهرسك ١٩٩١م، ومؤتمرات قضايا الزكاة المعاصرة.

ـ مهرجان العيد المئوي لندوة العلماء بلكهنؤ بالهند ١٩٨٠م، ومؤتمر الإسلام والمستشرقين الذي نظمته ندوة العلماء بالتعاون مع دار المصفين بمدينة (أعظم كره) بالهند، وقد اختير بالإجماع رئيسًا للمؤتمر.

ـ مؤتمرات السيرة النبوية والسنة الشريفة التي عقدت في أكثر من بلد، وقد انتخب في المؤتمر الذي عقد في قطر نائبًا للرئيس.

ـ وندوة التشريع الإسلامي في ليبيا ١٩٧٢م

ـ مؤتمر الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد ١٩٧٣م.

ـ مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

ـ مؤتمرات المصارف الإسلامية في دبي وفي الكويت وإستانبول وغيرها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ ومؤتمرات الهيئة العليا للرقابة الشرعية بالبنوك الإسلامية.

ـ ندوة (الاقتصاد الإسلامي في مجال التطبيق) في أبو ظبي.

ـ ندوات (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) بالكويت.

ـ وندوات البركة الاقتصادية والإعلامية في جدة، و(مؤتمرات الزكاة) بالكويت.

ـ مؤتمرات رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة وغيرها.

ـ ومؤتمرات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن.

ـ وملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر بين ١٩٨٢ و١٩٩٠م.

ـ وندوة موسوعة شاملة للحديث النبوي ١٩٩٠م.

ـ وندوة الإمام الشاطبي ١٩٩١م.

ـ ومؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بإسلام آباد.

ـ وندوة الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي بعمان.

ـ ومؤتمرات الإسلام والطب بالقاهرة.

ـ وندوات المجلس الأوربي للإفتـــاء والبحوث، ومؤتمرات الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

ـ مؤتمرات الشؤون الإسلامية التركية.

**٥ ـ مجال المحاضرات والزيارات الجامعية:**

دعي العلامة القرضاوي لزيارة عدد من الجامعات العربية والإسلامية لإلقاء محاضرات بها، علـــى طلابها وهو الأكثر، أو علـــى أعضاء هيئة التدريس، أو على الفريقين معًا في محاضرات عامة.

QaradawiBooks.com

من ذلك عـــدد من الجامعـــات المصريـــة مثل: جامعـــة القاهرة، والأزهر، وعين شمس، والإسكندرية، وطنطا، والمنصورة، وأسيوط، وسوهاج، والمنيا.

ومنها جامعة الخرطوم، وجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

وبالمملكة العربية السعودية: الجامعـــة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وجامعة الظهـــران للبترول والمعادن، وجامعة الملك فيصل بالدمام، وجامعة الملك سعود بالرياض.

ومنها جامعة الكويت، وجامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين، وجامعـــة الخليج بالبحريـــن، والجامعـــة الأردنية وجامعـــة اليرموك بالأردن، وجامعة محمد الخامس بالربـــاط، وجامعة القاضي عياض بمراكش بالمغرب، وجامعة صنعاء باليمن، وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، وعدد من الجامعات الجزائرية بالجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران وتبسَّا.

ومنها: الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، وجامعة البنجاب بلاهور، وجامعة الملايو، والجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، ودار العلوم ومعهدها العالي للفكر الإسلامي بندوة العلماء في لكهنؤ بالهند، وجامعة أحمدو بللو بنيجيريـــا، وجامعة ابن خلدون وغيرها بإندونيسيا، وجامعة مندنـــاو بجنـــوب الفلبين، ومعهـــد الملك فيصـــل للدراسات الإسلامية بهـــا، والجامعة الإسلامية بمدينة مـــراوي، وبعض الجامعات بطوكيو باليابان، وسيول بكوريا الجنوبية.

كما دعاه عـــدد من المراكـــز والمعاهد والجمعيـــات العلمية لإلقاء محاضرات بها مثل:

QaradawiBooks.com

مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجدة، وجمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة، ومركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا، والمجمع الثقافي بأبو ظبي، والنادي الأدبي بهـا، ونادي العلوم في دبـي، والنادي الأدبـي بمكة المكرمة، وجدة، والنادي الثقافي بسلطنة عمان.

هذا إلى جانـب دعوات يعسـر إحصاؤها من الـوزارات والهيئات والمؤسسات والمراكز والجمعيات والنقابات والأندية المختلفة، حكومية وأهلية، لإلقاء محاضرات في موضوعات عامة أو خاصة، وفي مناسبات إسلامية عدة.

وإلى جوار ذلك زار الشيخ القرضـاوي عددًا كبيرًا من الأقطار العربية والإسلامية في آسيا وإفريقيا، زار سوريا والأردن ولبنان وفلسطين والسودان والسعودية والجزائـر والبحرين والكويت والإمـارات المغرب وموريتانيا وليبيا، وتركيا وباكستان، وماليزيا وإندونيسيا، وسنغافورة، وهونج كونج، والفلبين، وكوريا الجنوبية، واليابان، والهند، وأمريكا، وكندا، وبنجلاديش، وسيرلانكـا، وأوغنـدا، وتنزانيا، ونيجيريـا، وجنوب إفريقيـا، والصين، والسنغال، وسويسرا، وأستراليا، والمملكة المتحدة، وأوزبكستان.

وزار الكثير من تجمعات الأقليات والجاليات الإسلامية في أوروبا والأمريكتين وأستراليا، وكـان له فيها محاضرات ولقـاءات وأحاديث تركت وراءها أثرًا طيبًا.

### ٦ ـ مجال المشاركة في المجالس والمؤسسات:

ونظرا للثقة التي يتمتع بها الشيخ القرضاوي، فقد أصبح عضوًا في عدد غير قليل مـن المجالس والمراكز والمؤسسـات العلمية والدعوية

QaradawiBooks.com

والتربوية والاقتصادية والاجتماعية، فتـــرة من الفترات، وبعضها مستمر حتى الآن:

١ ـ عضو مجلـــس الأمناء لمنظمـــة الدعوة الإسلامية فـــي إفريقيا، ومركزها الخرطوم.

٢ ـ عضو مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٣ ـ خبير بالمجمع الفقهي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.

٤ ـ عضو المجلس الأعلـــى للجامعة الإسلامية بالمدينة ١٩٧٥م لمدة ثلاث سنوات.

٥ ـ عضو مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد.

٦ ـ عضو مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية في شيتاجونج في بنجلاديش.

٧ ـ عضو مجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد.

٨ ـ عضو رابطة الأدب الإسلامي.

٩ ـ عضو مؤسس بجمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة.

١٠ ـ عضـــو مجلـــس إدارة مركز بحـــوث إسهامـــات المسلمين في الحضارة في قطر.

١١ ـ عضو مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي بالأردن.

١٢ ـ عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١٣ ـ عضو مؤسس بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، وكان عضوًا بمجلس إدارتها ولجنتها التنفيذية حتى وقت قريب.

QaradawiBooks.com

١٤ ـ نائب رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة بالكويت، لعدة سنوات. عضو مجلس أمناء الوقف الإسلامي لمجلة المسلم المعاصر وعضو هيئتها الاستشارية.

١٥ ـ عضو هيئة المستشارين لمجلة (المنار الجديد).

١٦ ـ رئيس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.

١٧ ـ الرئيس المؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

١٨ ـ رئيس مجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية.

١٩ ـ رئيس منظمة النصرة للرسول ﷺ بالكويت.

٢٠ ـ رئيس مجلس إدارة جمعية البلاغ الثقافية المشرفة على إسلام أون لاين، سابقًا.

٢١ ـ عضو بمجمع البحوث الإسلامية ولجنة كبار العلماء بالأزهر.

٢٢ ـ عضو بالمجلس الأعلى للتربية في قطر، لسنوات عدة.

٢٣ ـ رئيس المجلس العلمي للكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في فرنسا.

٢٤ ـ رئيس مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية الأمريكية بـ(كانسس سيتي).

**٧ ـ مجال الاقتصاد الإسلامي:**

كان لموضوع رسالة الشيخ للدكتوراه دور كبير في اهتمامه بالجانب الاقتصادي الإسلامي، من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية.

فمن الناحية النظرية ألقى كثيرًا من المحاضرات والدروس حول الجانب الاقتصادي في الإسلام، وألف مجموعة من الكتب منها: (فقه

QaradawiBooks.com

الزكاة)، و(مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام)، و(بيع المرابحة للآمر بالشراء كما تجريه المصارف الإسلامية)، و(فوائد البنوك هي الربا الحرام)، و(مقاصد الشريعة المتعلقة بالمال).

ومن الناحية التطبيقية، ساند الشيخ قيام البنوك الإسلامية، وتعاون مع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، وكان مستشارًا شرعيًّا متطوعًا لبنك دبي الإسلامي أول بنك إسلامي، ومستشارًا لشركة الاستثمار الخليجي، وعضوًا للهيئة العامة للرقابة الشرعية بدار المال الإسلامي في جنيف، وبشركة الراجحي للاستثمار بالمملكة العربية السعودية، كما رأس هيئة الرقابة الشرعية في مصرف قطر الإسلامي بالدوحة، وبنك قطر الدولي الإسلامي، ومصرف فيصل الإسلامي بالبحرين وباكستان، وبنك التقوى في لوجانو بسويسرا، وبنك أبو ظبي الإسلامي، ومجموعة بنوك البركة في البلاد الإسلامية، وبنك التقوى في سويسرا، ودار المال الإسلامي بها، والبنك الإسلامي الأول في البحرين.

وكان عضوًا بمجلس إدارة بنك فيصل الإسلامي المصري، وعضوًا مؤسِّسًا بجمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة.

وتقديرًا لجهود الشيخ في هذا المجال قرَّرت لجنة البنك الإسلامي للتنمية اختيار فضيلته للفوز بجائزة البنك للعام ١٤١١هـ في الاقتصاد الإسلامي، منوِّهة بمساهمته المتميِّزة والعميقة في هذا المجال.

### ٨ ـ مجال العمل الاجتماعي والخيري:

وللدكتور القرضاوي اهتمام خاص بالعمل الاجتماعي والخيري، وعلى إثر انعقاد مؤتمر التنصير في كولورادو سنة ١٩٧٨م، لوضع خطة لتنصير المسلمين في العالم، وجمع ألف مليون دولار، بعد إنشاء معهد

QaradawiBooks.com

(زويمر) لتخريج المنصِّرين، تحرَّكت همَّة الشيخ القرضاوي، وطاف عددًا من الأقطار، وألقى عددًا من المحاضرات، دعا فيها للتصدي لهذا المخطط، وجمْع ألف مليون (مليار) دولار للحفاظ على عقيدة المسلمين وشخصيتهم، من خلال العمل الخيري، وأطلق شعار: ادفع دولارًا تُنقذ مسلمًا!

وبناء على دعوته، تأسست (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) بالكويت، واختير الشيخ يوسف الحجي أمينًا عامًّا لها، بناء على اقتراح الشيخ الذي كان أول عضو بها، فضلًا عن عضويته بجمعيتها التأسيسية، ومجلس إدارتها، ولجنتها التنفيذية، وعضويته في أكثر من لجنة من لجانها، حتى وقت قريب.

وقد ساهم الدكتور القرضاوي بجهده وماله في إقامة عدد من المؤسسات الدينية والخيرية في مصر: مثل معهد ومسجد ومستشفى الصحوة في قريته صفط تراب، ومسجد الرحمة في مدينة نصر، وفي عدد من البلدان الأخرى.

**٩ ـ مجال ترشيد الصحوة:**

ومن أبرز ما اهتم به الشيخ: ترشيد الصحوة الإسلامية. فقد شارك بلسانه وقلمه وفكره وعلمه وجهده في هذا المجال، وحضر الكثير من المؤتمرات واللقاءات التي ينظمها شباب الصحوة، داخل البلاد الإسلامية، وخارجها في أوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وكندا، وأستراليا، يردُّ على أسئلة الشباب، ويفند الشبهات المثارة، ويجيب على الأسئلة الشائكة حول الإسلام وعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته وأمته.

QaradawiBooks.com

ويعتبر الشيخ موضع ثقة شباب الصحوة وقبولهم، لما يرونه فيه من تمكُّنه من العلم، ورحابة أفقه الفكـــري، وإخلاصه في الدعوة، وحرصه على البناء لا الهدم، وعلى الجمع لا التفريق، وتحرِّيه دائمًا الاعتـــدال والوسطيـــة التي تتســـم بالتيسيـــر لا التعسيـــر، وبالرفق لا العنف.

وقد كان الشيـــخ علمًا من أعـــلام الصحوة الإسلاميـــة وجنديًّا من جنودها، وقدم كل ما يستطيع في خدمتها وتوجيها وترشيدها بعيدًا عن الغلو والتطرف والعنف، أو الانحـــلال والتسيب، والرد على خصومها، بمـــا نشره مـــن مقالات، ومـــا ألفه مـــن كتب، ومـــا ألقـــاه من خطب ومحاضرات، باعتبارهـــا المعبر الحقيقي عن طمـــوح الأمة الإسلامية، وتطلعها إلى الحياة الإسلامية الكاملة.

وللشيـــخ مجموعة كتب مهمة تتعلق بترشـــيد الصحـــوة نشرت في سلسلة ترشيد الصحوة الإسلامية.

**١٠ ـ مجال العمل الحركي والجهادي:**

اتصل الشيخ القرضاوي مبكِّرًا بحركـــة الإخوان المسلمين، وتعرف على الإمام الشهيد حسن البنا، وهيَّأ له ذلك أن يجوب محافظات القطر المصري مـــن الإسكندرية إلى أســـوان، وإلى سينـــاء، وأن يزور بعض الأقطار العربية مثل فلسطين وسوريا ولبنان والأردن. بتكليف من الأستاذ حسن الهضيبي، المرشد الثاني للإخوان المسلمين؛ لنشر الدعوة، وكان لا يزال طالبًا بكلية أصول الدين.

وقد شـــارك الشيخ في النشاط الطلابي في معهـــد طنطا، وفي كلية أصول الدين كان رئيسًا لاتحاد الطلاب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد لقي في سبيل ذلك كثيرًا من الأذى والاضطهاد والاعتقال عدة مرات منذ كان طالبًا في المرحلة الثانوية في عهد فاروق سنة ١٩٤٩م، وبعد ذلك في عهد الثورة في يناير سنة ١٩٥٤م، ثم في نوفمبر من نفس السنة حيث استمر اعتقاله نحو عشرين شهرًا، ثم في سنة ١٩٦٣م.

ومما يذكر للشيخ القرضاوي أنه برغم ارتباطه بحركة الإخوان المسلمين، وانتمائه المبكر إليها، نراه يدعو برفق إلى النقد الذاتي لمواقفها، لترشيد مسيرتها، وتحسين أدائها، وتطوير مناهجها، كما دعا إلى التعاون مع كل الحركات الإسلامية الأخرى، ولم يرَ بأسًا من تعدد الجماعات العاملة للإسلام، إذا كان تعدد تنوع وتخصص لا تعدد تعارض وتناقض، على أن تتفاهم وتنسق فيما بينها، وتقف في القضايا الإسلامية الكبرى صفًّا واحدًا، وتعمِّق مواضع الاتفاق، وتتسامح في مواضع الخلاف، في دائرة الأصول الإسلامية الأساسية القائمة على مُحْكَمات الكتاب والسُّنَّة.

وقد ألَّف الشيخ عدة كتب ورسائل في هذا الاتجاه، تشمل كل جوانب الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق والتصوف والتفسير والحديث والدعوة والتاريخ.

وقد عُرض على الشيخ تولي منصب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين مرتين أو أكثر، إلا أنه فضل أن يكون للأمة كلها، لا لجماعة بعينها.

ويعتبر الشيخ ظهيرًا قويًّا للقضايا الإسلامية في مختلف بقاع الأرض، لا سيما قضية فلسطين والقدس والأقصى، وحق المسلمين والعرب فيها،

QaradawiBooks.com

وحقهم فـــي الدفاع عنها، وتحريرهـــا من المحتليـــن، وقضايا الأقليات الإسلامية، وبعضها أقليات كبرى كالأقلية الإسلامية في الهند التي تزيد منذ سنوات على مائتي مليون مسلم.

وقد شـــارك الشيخ في العديد مـــن المؤسسات العلميـــة والفكرية والأدبية والخيرية كما سبق ذكرها.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

# رسائل علمية جامعية
# عن سماحة الشيخ الإمام القرضاوي

| م | العنوان | الباحث | المشرف والمناقشون | الكلية والجامعة والقسم | السنة | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | قضايا المرأة في فكر الدعاة: الشيخ محمد عبده والشيخ سعيد النورسي والدكتور يوسف القرضاوي؛ دراسة مقارنة | محمد أحمد جاد عامر قحيف. | د. عبد المنعم صبحي أبو شعيشع | جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، قسم أصول الدين والدعوة والثقافة الإسلامية، مصر. | | دكتوراه |
| ٢ | الفقه المقاصدي عند يوسف القرضاوي | سميرة أشبيلو | | جامعة الحسن الثاني، المغرب | | |
| ٣ | الجانب الفكري في مؤلفات القرضاوي | نادية وردة | | كندا | | |
| ٤ | القرضاوي ومسيرته العلمية | قمر الزمان | | | | |
| ٥ | ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات الشيخ يوسف القرضاوي | محمد صالح إبراهيم البيك | د. حمدان عبد الله الصوفي | الجامعة الإسلامية، غزة | ١٤٣٠هـ | ماجستير |

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | العنوان | الباحث | المشرف والمناقشون | الكلية والجامعة والقسم | السنة | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ٦ | وسطية الإسلام ودور العلماء في إبرازها (القرضاوي أنموذجًا) | أكرم عبد الستار كساب | د. عدنان محمد زرزور، د. صلاح الدين سلطان، د. محمود السيد داود | جامعة مكة المكرمة المفتوحة | ١٤٣٢هـ | دكتوراه |
| ٧ | الفكر التجديدي عند الدكتور يوسف القرضاوي | عبد الإله الحوطي | | جامعة الإمام محمد الخامس، الرباط | ١٩٨٨م | |
| ٨ | الدكتور يوسف القرضاوي: منهجه وجهوده وأثره في الدعوة إلى الله | وليد أبو النجا | أ. د. عبد الباسط السيد مرسي، أ. د. جلال البشار، أ. د. عمارة نجيب | كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر | ٢٠٠٣م | ماجستير |
| ٩ | الفكر التربوي لدى الشيخ يوسف القرضاوي | شرف غالب محمد حساني | | جامعة صنعاء، اليمن | ٢٠٠٣م | ماجستير |
| ١٠ | الدكتور يوسف القرضاوي شاعرًا | محمود حسن يوسف حسن | يحيى محمد أحمد عيد | جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، فرع المنصورة | ٢٠٠٣م | ماجستير |
| ١١ | منهج يوسف القرضاوي في التفسير وعلوم القرآن دراسة في النظرية والتطبيق | عبد الواسع عبده زهير المخلافي | د. جابر علي مهران، د. أحمد سيد محمد، د. حيدر مختار محمود | كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة أسيوط | ٢٠٠٤م | دكتوراه |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | العنوان | الباحث | المشرف والمناقشون | الكلية والجامعة والقسم | السنة | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٢ | فقه الأقليات المسلمة للدكتور يوسف القرضاوي تحليل نقدي لترجمة سابقة مع ترجمة كاملة جديدة ودراسة موضوعية تحليلية | عبد الرحمن الخضري سعد الدين | | كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر القاهرة | ٢٠٠٥م | ماجستير |
| ١٣ | الطابع الأدبي في خطاب القرضاوي | سيد هريدي سيد محمد | | كلية اللغة العربية جامعة الأزهر | ٢٠٠٥م | ماجستير |
| ١٤ | تربية المرأة في فكر القرضاوي | إنصاف أيوب المومني | د. عباس محجوب، د. شادية التل | كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة اليرموك | ٢٠٠٥م | ماجستير |
| ١٥ | الخطاب التربوي في كتابات يوسف القرضاوي | مجدي معوض السيد | | جامعة كفر الشيخ | ٢٠٠٦ | دكتوراه |
| ١٦ | جهود التجديد الديني عند الشيخ يوسف القرضاوي | إبراهيم حسن عبد الله التركاوي | د. مصطفى حلمي | كلية دار العلوم جامعة القاهرة قسم الفلسفة الإسلامية | ٢٠٠٦م | ماجستير |
| ١٧ | معالم التيسير في فقه الأقليات عند الشيخ يوسف القرضاوي | منتهى أرتاليم | | كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية | ٢٠٠٦م | ماجستير |

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | العنوان | الباحث | المشرف والمناقشون | الكلية والجامعة والقسم | السنة | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٨ | منهج الدكتور القرضاوي في تجديد الفقه الإسلامي | أكرم رضا موسى جمعة | د. أحمد يوسف | كلية دار العلوم جامعة القاهرة قسم الشريعة | ٢٠٠٧م | ماجستير |
| ١٩ | تربية الداعية المسلم في فكر يوسف القرضاوي | محمد عثمان محمود خلف | د. محمد علي المرصفي، د. حسن إبراهيم عبد العال، د. عبد العزيز الغريب صقر | كلية التربية جامعة طنطا قسم أصول التربية | ٢٠٠٧م | ماجستير |
| ٢٠ | فقه المقاصد وأثره في فتاوى المرأة والأسرة عند الشيخ يوسف القرضاوي | أحمد ذكير الله بن محمد شعراني | | كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا قسم الفقه وأصوله | ٢٠٠٨م | ماجستير |
| ٢١ | مقاصد الشريعة عند القرضاوي دراسة في ضوء المنهج والتطبيق | ياسر محمد الصغير يحيى العمري | | الجامعة اليمنية، صنعاء | ٢٠٠٨م | ماجستير |
| ٢٢ | منهج الشيخ يوسف القرضاوي في التفسير | صديق بكر محمود | | جامعة الإمام الأعظم، بغداد | ٢٠٠٩م | |
| ٢٣ | القرضاوي أنموذج للتربية | مجدي معوض السيد | د. مصطفى رجب، د. عصام الدين علي هلال، د. محمد منوفي، د. أميرة عبد السلام | كلية التربية جامعة كفر الشيخ | ٢٠١٠م | دكتوراه |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | العنوان | الباحث | المشرف والمناقشون | الكلية والجامعة والقسم | السنة | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٤ | تعامل الداعية مع المستجدات الفقهية (الشيخ القرضاوي أنموذجًا) | حذيفة عبود السامرائي | | كلية الإمام الأعظم، بغداد وطبعت في دار الكتب العلمية ٢٠١٣م | ٢٠١١م | دكتوراه |
| ٢٥ | دراسة نقدية لمؤلفات وأعمال الدكتور يوسف القرضاوي | مسعود عالم فلاحي | | جامعة دلهي، قسم اللغة العربية وآدابها، الهند | ٢٠١١م | دكتوراه |
| ٢٦ | منهج الإفتاء عند القرضاوي بين النظرية والتطبيق دراسة في ضوء مقاصد الشريعة | ياسر محمد الصغير يحيى العمري | | جامعة إفريقيا العالمية، السودان | ٢٠١٢م | دكتوراه |
| ٢٧ | القرضاوي وجهوده العلمية في الاقتصاد الإسلامي في كتابيه مشكلة الفقر وفقه الزكاة | محمد عبد الله خلف العبيدي | | كلية الشريعة، بغداد | ٢٠١٢م | |
| ٢٨ | مسالك العلة وأثرها في الاستدلال عند العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي | كمارا زومانا | د. خالد حمدي عبد الكريم | كلية العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية بماليزيا قسم الفقه وأصوله | ٢٠١٥م | ماجستير |

QaradawiBooks.com

| م | العنوان | الباحث | المشرف والمناقشون | الكلية والجامعة والقسم | السنة | الدرجة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٩ | المسائل التي خالف فيها القرضاوي المذاهب الأربعة في العبادات | عبد الرحيم توفيق قاسم خليل | د. حسام الدين عفانة | جامعة لاهاي الهولندية من مكتبها في رام الله، ونشر في دار الدراسات العلمية، مكة المكرمة، ٢٠١٥م | ٢٠١٧م | دكتوراه |

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# كتب منشورة
# عن سماحة الشيخ الإمام القرضاوي

غير مر... طباعة

| م | الكتاب | المؤلف | دار النشر | السنة |
|---|---|---|---|---|
| ١ | المنهج الدعوي عند القرضاوي | د. أكرم كساب | مكتبة وهبة | |
| ٢ | روائع أشعار العلَّامة القرضاوي | | دار اليمن للنشر والتوزيع والإعلام | |
| ٣ | د. يوسف القرضاوي وتجديد علم الفقه | د. أكرم رضا | دار الأندلس الجديدة | |
| ٤ | لقاء مفتوح مع العلَّامة القرضاوي في البحرين | | مكتبة وهبة | |
| ٥ | المرأة في الخطاب الإسلامي المعاصر: أنموذج يوسف القرضاوي | السيد أحمد هندية | | |
| ٦ | حقيقة الشفاعة: حوار هادئ رفيع المستوى بين د. مصطفى محمود ود. يوسف القرضاوي | أ. عبد القادر يحيى الديراني | دار نور البشير، دمشق | |
| ٧ | تخريج أحاديث مشكلة الفقر | الشيخ محمد ناصر الدين الألباني | المكتب الإسلامي، بيروت | ١٩٨٤م |
| ٨ | هموم المسلم المعاصرة في فكر الداعية الدكتور يوسف القرضاوي | أ. ياسر فرحات | مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة | ١٩٨٨م |
| ٩ | غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام | الشيخ ناصر الدين الألباني | المكتب الإسلامي، بيروت | ١٩٩٤م |

QaradawiBooks.com

| م | الكتاب | المؤلف | دار النشر | السنة |
|---|---|---|---|---|
| ١٠ | أوراق في الفقه السياسي: فتوى وحوار يوسف القرضاوي | د. حسن علي دبا | دار البشير، طنطا | ١٩٩٥م |
| ١١ | الدكتور يوسف القرضاوي المدرسة الفكرية والمشروع الفكري | د. محمد عمارة | دار نهضة مصر، القاهرة | ١٩٩٧م |
| ١٢ | في أصول الدعوة.. مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي | أ. مصطفى ملائكة | مكتبة وهبة | ١٩٩٩م |
| ١٣ | القرضاوي فقيهًا | الشيخ عصام تليمة | دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة | ٢٠٠٠م |
| ١٤ | في ظلال كتب العلَّامة القرضاوي | أ. محمد سيف الأنصاري | دار البشير، طنطا | ٢٠٠٠م |
| ١٥ | كفاية الراوي عن العلَّامة الشيخ يوسف القرضاوي | د. محمد أكرم الندوي | دار القلم، دمشق | ٢٠٠١م |
| ١٦ | الشيخ يوسف القرضاوي، شخصية العام الإسلامية، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م | مكتبة وهبة | مكتبة وهبة | ٢٠٠١م |
| ١٧ | معالم التيار الفكري عند القرضاوي: أجوبة نافعة لابن باز وابن عثيمين وللألباني وللفوزان واللجنة الدائمة وغيرهم | أ. إبراهيم عبده الشرقاوي | دار النصر للطباعة الإسلامية | ٢٠٠١م |
| ١٨ | يوسف القرضاوي: فقيه الدعاة، وداعية الفقهاء | الشيخ عصام تليمة | الدار الشامية، بيروت | ٢٠٠١م |
| ١٩ | فتاوى وأحكام للقرضاوي | أ. شريف كمال عزب | دار الروضة، القاهرة | ٢٠٠٢م |
| ٢٠ | القرضاوي فقيهًا | د. مسعود عالم الفلاحي | آسي أكاديمي، الهند | ٢٠٠٢م |

QaradawiBooks.com

| م | الكتاب | المؤلف | دار النشر | السنة |
|---|---|---|---|---|
| ٢١ | يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه وبحوث في فكره (السبعينية) | مجموعة علماء | جامعة قطر، ودار السلام، القاهرة | ٢٠٠٣م |
| ٢٢ | العلامة الدكتور يوسف القرضاوي شاعرًا | أ. زكريا عبد المجيد النوتي | إيتراك للنشر والتوزيع | ٢٠٠٤م |
| ٢٣ | القرضاوي وذاكرة الأيام | د. حسن علي دبا | مكتبة وهبة | ٢٠٠٤م |
| ٢٤ | في ظلال كتب العلَّامة القرضاوي | د. عدنان زرزور | دار البشير | ٢٠٠٥م |
| ٢٥ | قضايا المرأة في فقه القرضاوي | د. عمرو عبد الكريم سعداوي | قطر الندى | ٢٠٠٦م |
| ٢٦ | المنهج الدعوى عند القرضاوي: مواهبه وأدواته، وسائله وأساليبه، سماته وآثاره | د. أكرم كساب | مكتبة وهبة | ٢٠٠٦م |
| ٢٧ | القرضاوي مرتكزات دعوته وجبهاته الدعوية | د. أكرم كساب | مكتبة وهبة | ٢٠٠٧م |
| ٢٨ | القرضاوي شاعرًا إسلاميًّا | د. يحيى محمد أحمد عيد | المركز العالمي للوسطية، الكويت | ٢٠٠٧م |
| ٢٩ | دور القرضاوي في تأصيل الوسطية وإبراز معالمها | د. أكرم كساب | مكتبة وهبة | ٢٠٠٨م |
| ٣٠ | التكوين العلمي والفكري للقرضاوي | د. صلاح سلطان | سلطان للنشر | ٢٠٠٨م |
| ٣١ | القرضاوي بين الإخوان والسلطان | أ. مجاهد خلف | دار الجمهورية للصحافة، القاهرة | ٢٠٠٨م |
| ٣٢ | الوسطية السياسية عند يوسف القرضاوي | الشيخ راشد الغنوشي | مركز الناقد الثقافي | ٢٠٠٩م |
| ٣٣ | القرضاوي، فقيه الصحوة الإسلامية: سيرة فكرية تحليلية | د. معتز الخطيب | مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي | ٢٠٠٩م |

QaradawiBooks.com

| م | الكتاب | المؤلف | دار النشر | السنة |
|---|---|---|---|---|
| ٣٤ | المنهج المقاصدي عند الشيخ يوسف القرضاوي | أ. محمد شاويش | دار الفكر للطباعة | ٢٠٠٩م |
| ٣٥ | الإفتاء عند الشيخ القرضاوي: المنهج والتطبيق | د. مسعود صبري إبراهيم | دار البصائر للطباعة والنشر | ٢٠٠٩م |
| ٣٦ | دور العلَّامة القرضاوي في الاقتصاد الإسلامي | د. أشرف دوابة | القاهرة | ٢٠١٠م |
| ٣٧ | خواطر شاعر إلى سماحة الإمام القرضاوي | د. محمد بن عبد الله الأنصاري | الدوحة | ٢٠١٠م |
| ٣٨ | القرضاوي والرافضة وجهًا لوجه | مؤسسة النبأ الاجتماعية | مؤسسة النبأ الاجتماعية، صنعاء | ٢٠١٠م |
| ٣٩ | رعاية المقاصد في منهج القرضاوي رؤية استقرائية تحليلية تطبيقية | د. وصفي عاشور أبو زيد | دار البصائر بالقاهرة | ٢٠١١م |
| ٤٠ | القرضاوي الإمام الثائر | د. وصفي عاشور أبو زيد | سلطان للنشر، الولايات المتحدة | ٢٠١١م |
| ٤١ | القرضاوي أديبًا وشاعرًا | د. مسعود عالم الفلاحي | آسي أكاديمي | ٢٠١٢م |
| ٤٢ | الشيخ القرضاوي كما عرفته | د. مسعود عالم الفلاحي | آسي أكاديمي، الهند | ٢٠١٢م |
| ٤٣ | الإمام يوسف القرضاوي وملحمة الإنتربول الدولي | د. وصفي عاشور أبو زيد | دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة | ٢٠١٢م |
| ٤٤ | جهود الدكتور يوسف القرضاوي في خدمة الإسلام والقضية الفلسطينية | مجموعة باحثين | مركز الإعلام العربي، القاهرة | ٢٠١٢م |
| ٤٥ | وقائع زيارة الدكتور يوسف القرضاوي للجماهيرية العظمى | جمعية الدعوة الإسلامية | طرابلس | ٢٠١٣م |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | الكتاب | المؤلف | دار النشر | السنة |
|---|---|---|---|---|
| ٤٦ | المتشابهات بين ابن تيمية الحراني والقرضاوي الصفطاوي | د. اليماني الفخراني | مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع | ٢٠١٤م |
| ٤٧ | سماحة الشيخ يوسف القرضاوي إمام الوسطية والتجديد | مجموعة علماء | مركز الإعلام العربي ومركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب، تركيا | ٢٠١٦م |
| ٤٩ | العلامة يوسف القرضاوي ريادة علمية وفكرية وعطاء دعوي وإصلاحي (التسعينية) | مجموعة علماء | الدار الشامية ـ طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر | ٢٠١٧م |

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

# قائمة بأسماء العلماء والقادة والباحثين الذين شاركوا في السبعينية

## القسم الأول: الكلمات التكريمية:

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١ | فضيلة الشيخ محمد الغزالي | يوسف القرضاوي سبق سبقًا بعيدًا |
| ٢ | الداعية الإسلامي الشيخ أبو الحسن الندوي | القرضاوي من كبار العلماء والمربين |
| ٣ | المحدث العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة | فقيهنا ومرشدنا العلامة الشيخ يوسف القرضاوي |
| ٤ | الفقيه الكبير مصطفى الزرقا | القرضاوي حجة العصر وهو من نعم الله على المسلمين |
| ٥ | فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار | يوسف القرضاوي |
| ٦ | الأستاذ كامل الشريف | يوسف القرضاوي على قمة السبعين |
| ٧ | الدكتور حسان حتحوت | البواكير |
| ٨ | الدكتور حسن الترابي | العالم الدكتور يوسف القرضاوي |
| ٩ | الدكتور إسحاق أحمد فرحان | الشيخ يوسف القرضاوي عالمًا فذًا ومجددًا مصلحًا |
| ١٠ | الأستاذ عصام العطار | يوسف القرضاوي وكفى |
| ١١ | الدكتور عبد الله عمر نصيف | القرضاوي قمة في العطاء |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٢ | عبد الله العقيل | رجل المرحلة وفقيه العصر |
| ١٣ | القاضي محمد تقي العثماني | فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي كما أعرفه |
| ١٤ | فضيلة الشيخ حسين أحمد القاضي | الفقيه الداعية العلامة الشيخ يوسف القرضاوي مدرسة علمية وفقهية ودعوية |
| ١٥ | الدكتور أحمد محمد الأصبحي | كلمة وفاء |
| ١٦ | الشيخ عبد الله بن بية | القرضاوي إمام من أئمة المسلمين |
| ١٧ | الدكتور محمد عمر زبير | القرضاوي حامل لواء التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة |
| ١٨ | الشيخ سعيد عبد الرحمن الأعظمي الندوي | مرحبًا بالعلامة الدكتور يوسف القرضاوي في ندوة العلماء |
| ١٩ | الشيخ عبد المجيد الزنداني | الشيخ المجاهد يوسف القرضاوي |
| ٢٠ | آية الله محمد علي التسخيري | الشيخ القرضاوي كما عرفته |
| ٢١ | الشاعر أحمد محمد الصديق | تهنئة وتكريم |
| ٢٢ | الدكتور محمد قطبة | إمام الفتاوى |
| ٢٣ | الدكتور يوسف أبو هلالة | فرحة الحصاد الثمين |

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## القسم الثاني: المقالات والأبحاث في فكر الشيخ ومنهجه:

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١ | يوسف القرضاوي فقيه المقاصد | الدكتور أحمد الريسوني |
| ٢ | يوسف القرضاوي وحوار العروبة والإسلام | الدكتور أحمد صدقي الدجاني |
| ٣ | الداعية الفقيه الشيخ يوسف القرضاوي ومسيرة خمسين عامًا في الدعوة إلى الله | الدكتور أحمد العسَّال |
| ٤ | شاهد القرن الشيخ العلامة الفقيه المجدد | الدكتور أحمد علي الإمام |
| ٥ | القرضاوي والسنة النبوية | الدكتور أكرم ضياء العمري |
| ٦ | الشيخ القرضاوي والمؤسسات المالية الإسلامية | الدكتور توفيق الشاوي |
| ٧ | الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي أضواء على مسيرته الدعوية | الدكتور حامد عبد العزيز الأنصاري |
| ٨ | المفكر والفقيه والداعية الإسلامي الكبير د. يوسف القرضاوي | الدكتور حسن علي دبا |
| ٩ | القرضاوي في رحاب القرآن | الأستاذ الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر |
| ١٠ | الشيخ القرضاوي في قطر | الدكتور خليفة بن جاسم الكواري |
| ١١ | الوسطية في الفكر الإسلامي للقرضاوي | الشيخ راشد الغنوشي |
| ١٢ | القرضاوي كما عرفته | الأستاذ الدكتور زغلول النجار |
| ١٣ | شخصية العام الإسلامية يوسف القرضاوي صاحب مدرسة فريدة | الأستاذ الدكتور سعيد حارب |
| ١٤ | في بدء الصحبة الفكرية للشيخ القرضاوي | المستشار طارق البشري |
| ١٥ | فقيه الدعاة وداعية الفقهاء | الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٦ | القرضاوي فقيه الوسطية الإسلامية في عصرنا | الأستاذ عادل حسين |
| ١٧ | القرضاوي وجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم | الدكتور عارف الشيخ |
| ١٨ | أبي، يوسف القرضاوي | الشاعر عبد الرحمن القرضاوي |
| ١٩ | القيادة الحكيمة في مسيرة التأصيل والتجديد والتوجيه | الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس |
| ٢٠ | مقومات الاجتهاد عند القرضاوي | الأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب |
| ٢١ | القرضاوي فقيه التيسير | فضيلة الشيخ عبد القادر العماري |
| ٢٢ | الشيخ القرضاوي | الأستاذ الدكتور عبد اللطيف آل محمود |
| ٢٣ | الشمول في فكر القرضاوي | الأستاذ الدكتور عبد المجيد عمر النجار |
| ٢٤ | المجدد الموفق فقيه العصر | الأستاذ الدكتور عدنان زرزور |
| ٢٥ | الشخصية الشمولية لفضيلة الشيخ القرضاوي | الأستاذ الدكتور عزالدين إبراهيم |
| ٢٦ | القرضاوي علامة العصر وفقيه الأمة مرحلة قاصدة وجهاد نبيل | الدكتور عصام البشير |
| ٢٧ | خصائص المشروع الفقهي للشيخ القرضاوي | الشيخ عصام تليمة |
| ٢٨ | الشيخ القرضاوي معلمًا لمحات وخواطر | الأستاذ الدكتور علي المحمدي |
| ٢٩ | فقه القرضاوي في الزكاة | الأستاذ الدكتور علي محيي الدين القرداغي |
| ٣٠ | القرضاوي الأديب والشاعر | الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل |
| ٣١ | الشيخ القرضاوي وموقفه من التصوف | الأستاذ الدكتور عمّار الطالبي |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ٣٢ | القرضاوي والمؤتمرات الإسلامية | الشيخ فيصل أنور مولوي |
| ٣٣ | القرضاوي العالم الموسوعي والفقيه المعاصر | الأستاذ الدكتور مانع بن حماد الجهني |
| ٣٤ | يوسف القرضاوي باحث دقيق وداعية صبور | الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي |
| ٣٥ | المنهج والمنهجية في فكر الشيخ يوسف القرضاوي | الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند |
| ٣٦ | جهود الدكتور يوسف القرضاوي في خدمة السنة النبوية | الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا |
| ٣٧ | منهج الشيخ القرضاوي في دراسة العقيدة | الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي |
| ٣٨ | الدكتور يوسف القرضاوي المدرسة الفكرية والمشروع الفكري | الأستاذ الدكتور محمد عمارة |
| ٣٩ | الفقيه الداعية البصير بالواقع المعيش | الأستاذ الدكتور محمد فتحي عثمان |
| ٤٠ | فقيه الحنيفية السمحة | الدكتور محمد هيثم الخياط |
| ٤١ | القرضاوي وموقفه من الحضارة الغربية | الأستاذ منير شفيق |
| ٤٢ | الشيخ يوسف القرضاوي ومنهج الوسطية الإسلامية | الأستاذ هاني محمد طايع |
| ٤٣ | المرأة وتيار الوسطية الإسلامية | الدكتورة هبة رؤوف عزت |
| ٤٤ | العلامة القرضاوي والقضية الفلسطينية | الأستاذ ياسر الزعاترة |
| ٤٥ | الجانب الاقتصادي في فكر أ. د. يوسف القرضاوي | الأستاذ الدكتور يوسف إبراهيم يوسف |
| ٤٦ | الدكتور يوسف القرضاوي ونداء العدالة الاجتماعية الهيئة الخيرية وصندوق الزكاة | الشيخ يوسف جاسم الحجي |

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# قائمة بأسماء العلماء والقادة والباحثين الذين شاركوا في التسعينية

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١ | صاحبة السمو الشيخة موزا بنت ناصر المسند | يوسف القرضاوي رائد وإمام الوسطية في هذا العصر |
| ٢ | معالي رئيس الوزراء المغربي الدكتور سعد الدين العثماني | تصنيف التصرفات النبوية: إسهامات الدكتور يوسف القرضاوي |
| ٣ | سعادة الوزير الدكتور خالد بن محمد العطية | تحية إلى العلامة الدكتور يوسف القرضاوي |
| ٤ | سعادة الأستاذ طارق الهاشمي | الشيخ القرضاوي رجل حمل هموم أمة |
| ٥ | سعادة الأستاذ إسماعيل عبد السلام هنية | الإمام الوسطي المجتهد المجدد يوسف القرضاوي من أعظم أعلام الأمة اليوم |
| ٦ | سعادة السيد عبد الله بن حمد العطية | علم من أعلام الأمة المعاصرين |
| ٧ | سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي | الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي داعية وفقيهًا ومفكرًا |
| ٨ | سماحة الشيخ الدكتور محمد غورمَز | الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي وجهوده المنهجية في فهم السنة |
| ٩ | سعادة الأستاذ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن المانع | القرضاوي علَّامة سبق عصره |

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٠ | سعادة الدكتور عصام أحمد البشير | الإمام القرضاوي أمَّة في رجل وقارة في وطن |
| ١١ | سعادة الأستاذة شيخة المحمود | الشيخ القرضاوي نموذج المسلم الحق |
| ١٢ | فضيلة الشيخ مصطفى تسيريتش | صانع الزمان ومصلح الأنام العلَّامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي |
| ١٣ | سعادة الشيخ عبد الرحمن آل محمود | الشيخ يوسف القرضاوي ورسالة التعليم |
| ١٤ | سعادة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله بن تركي السبيعي | معالم من مسيرة شيخنا الجليل فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي |
| ١٥ | سعادة الدكتور عبد الله سلمان | مع القرضاوي ذكريات قرابة نصف قرن |
| ١٦ | فضيلة الشيخ الدكتور عكرمة سعيد صبري | الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: الداعية والعالم العامل |
| ١٧ | أ. د. محمد محسوب | فقه الاستقلال والحرية في فكر القرضاوي |
| ١٨ | سعادة الأستاذ صلاح عبد المقصود | الإمام العلامة القرضاوي سلطان العلماء وفقيه الأمة |
| ١٩ | سعادة الأستاذ الدكتور سعيد شيبان | القرضاوي صاحب الاجتهادات الموفقة في قضايا العصر |
| ٢٠ | سعادة الدكتورة أمل محمَّد صيام | هكذا عرفت القرضاوي |
| ٢١ | د. عبد اللطيف عربيات | الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي المفكر والقائد الإصلاحي الكبير |
| ٢٢ | الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي | الداعية المصلح سماحة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ٢٣ | سعادة السفير نزار الحراكي | علامة العصر |
| ٢٤ | الشيخ راشد الغنوشي | الجديد في فقه الجهاد للقرضاوي |
| ٢٥ | الأستاذ خالد مشعل | العلامة القرضاوي كما عرفته وعايشته |
| ٢٦ | د. رمضان عبد الله شلَّح | القرضاوي شيخ الصحوة وفقيه العصر |
| ٢٧ | الأستاذ إبراهيم منير | يوسف القرضاوي إمام عصره ومواقف ثلاثة |
| ٢٨ | م. أبو العلا ماضي | دور القرضاوي في ترشيد الصحوة الإسلامية في السبعينات في مصر |
| ٢٩ | د. طارق الزمر | إمام زماننا |
| ٣٠ | د. عبد المنعم أبو الفتوح | القرضاوي رائد الصحوة الإسلامية الشيخ المجدد |
| ٣١ | الشيخ عبد الهادي بن أوانج محمد | العلامة الشيخ القرضاوي الذي عرفته |
| ٣٢ | الأستاذ أبو جرة سلطاني | الحضور الدعوي للشيخ القرضاوي في الجزائر ترشيد الصحوة الإسلامية |
| ٣٣ | د. عبد الرزاق مَقْري | الشيخ يوسف القرضاوي والثورات العربية |
| ٣٤ | الدكتور محمد حكمت وليد | ذكريات مع الشيخ يوسف القرضاوي |
| ٣٥ | الأستاذ علي صدر الدين البيانوني | سماحة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي كما عرفته |
| ٣٦ | أ. د. همام عبد الرحيم سعيد | الإمام القرضاوي مسيرة حافلة في العلم والعمل والدعوة |
| ٣٧ | الأستاذ إبراهيم المصري | الشيخ يوسف القرضاوي رائد الوحدة الإسلاميّة وفكر الوسطيَّة والاعتدال |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ٣٨ | أ. د. إبراهيم أبو محمد | العلَّامة القرضاوي داعيةً وفقيهًا ومُجتهدًا ومفكرًا ينهضُ ويقودُ |
| ٣٩ | فضيلة الشيخ أحمد المحلاوي | صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي |
| ٤٠ | سماحة الشيخ أحمد شفيع | الداعية العبقري الإمام يوسف القرضاوي |
| ٤١ | أ. د. بشار بن عواد | الإمام العلامة الفقيه النَّظار الجهبذ الشيخ يوسف القرضاوي |
| ٤٢ | أ. د. خالد عبد الله المذكور | من آثار القرضاوي في الكويت |
| ٤٣ | الأستاذ الدكتور زغلول راغب محمد النجار | فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي إمام عصره بلا منازع |
| ٤٤ | د. سعيد الأعظمي الندوي | العلامة الدكتور يوسف القرضاوي نبذة عن مجهوداته الدعوية وخدماته العلمية |
| ٤٥ | فضيلة الشيخ الدكتور سلمان العودة | الشيخ يوسف القرضاوي الفقيه الداعية |
| ٤٦ | فضيلة الشيخ سلمان الحسيني الندوي | الشيخ الإمام الدكتور يوسف القرضاوي العالم الرباني والداعية الفقيه والمفكر الإسلامي ورائد الوسطية في الفكر والمنهج |
| ٤٧ | فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم | الشيخ العلَّامة يوسف القرضاوي الحكيم الفيلسوف بلا ميتافيزيقا |
| ٤٨ | سماحة الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع | القرضاوي جبل من جبال العلم والسماحة |
| ٤٩ | أ. د. عبد المجيد النجار | الإمام الشيخ القرضاوي بين العلم والعمل |

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ٥٠ | أ. د. عدنان محمد زرزور | الإمام الشيخ يوسف القرضاوي الشاهد العَلَم |
| ٥١ | أ. د. علي محيي الدين القرداغي | خصائص وفتاوى القرضاوي من خلال معرفتي الشخصية |
| ٥٢ | فضيلة الشيخ كُريِّم راجح | العلامة الكبير والعلم الشهير والمفكر العبقري الشيخ يوسف القرضاوي |
| ٥٣ | فضيلة الشيخ محمد أحمد الراشد | الظاهرةُ القَرَضاوية |
| ٥٤ | فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو | الوارث الأول |
| ٥٥ | سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي | الدكتور يوسف القرضاوي مفكر إسلامي كبير وداعية رباني جليل |
| ٥٦ | محمد أنس مصطفى الزرقا | ماذا تعلمت من الشيخ: قضايا ومواقف؟ |
| ٥٧ | فضيلة الدكتور محمد عبد المقصود العفيفي | القرضاوي كما عرفته |
| ٥٨ | أ. د. محمد عمارة | القرضاوي فقيه الأمة |
| ٥٩ | فضيلة الشيخ محمد محمد عوامة | كلمة عن كتاب الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم |
| ٦٠ | د. أحمد محمد توتونجي | الشيخ القرضاوي والتعاون البنَّاء لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين |
| ٦١ | د. ثقيل بن ساير بن زيد الشمري | الإمام يوسف القرضاوي رمز من رموز الأمة |
| ٦٢ | الشيخ صالح عبد الله كامل | القرضاوي واجه بقوة وحزم دعوات الفرقة والهدم وقاوم التحريف والانحراف |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ٦٣ | د. طارق سويدان | نجم العلماء والدعاة |
| ٦٤ | د. عبد الحميد أبو سليمان | القرضاوي أحد كبار علماء العصر |
| ٦٥ | الأستاذ الدكتور عبد الله جاب الله | الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي علامة سبق سبقًا بعيدًا |
| ٦٦ | المستشار عبد الله عقيل العقيل | في تسعينية العلامة يوسف القرضاوي شهادة حق وكلمة وفاء |
| ٦٧ | أ. د. عجيل جاسم النشمي | خواطر قلب |
| ٦٨ | د. محمد بن عبد الرحمن العريفي | الشيخ القرضاوي حياته قدوة |
| ٦٩ | د. مـوسى أبو مرزوق | العالم المصلح الموسوعي |
| ٧٠ | أ. وضاح خنفر | القرضاوي والمصالحة الكبرى مع الأمل |
| ٧١ | الأستاذ يوسف ندا | لمحات من ماضي وحاضر الإمام القرضاوي |
| ٧٢ | إحسان الفقيه | ابن تيمية العصر |
| ٧٣ | أ. أحمد إدريس نصر الدين | كلمة وفاء اعترافًا بفضل الشيخ القرضاوي على الأمة الإسلامية |
| ٧٤ | د. أمينة الجابر | العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي درَّة العلماء وفقيه المعاصرين |
| ٧٥ | أ. حسن عبد الحميد | العلَّامة الإمام يوسف القرضاوي أجرأ الأصوات في ميدان الدعوة إلى الله |
| ٧٦ | أ. رضوان دعبول | الشيخ يوسف بن عبد الله القرضاوي |
| ٧٧ | أ. رفاه أحمد مهندس | العمامة الناصعة |
| ٧٨ | أ. زهير سالم | الشيخ يوسف القرضاوي أمتع الله به تجديد منهجي في العقول والقلوب |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ٧٩ | د. سعيد البديوي المري | الشيخ العَلَم يوسف القرضاوي |
| ٨٠ | أ. د. صالح مهدي السامرائي | الإمام القرضاوي نجم تألق |
| ٨١ | الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل | عن الإمام القرضاوي أتحدث |
| ٨٢ | د. عبد الرحمن بن عمير النعيمي | القرضاوي عالم الأمة |
| ٨٣ | الشيخ عبد العزيز صباح الفضلي | القرضاوي إمامًا |
| ٨٤ | الشيخ عبد الواحد أمان | سيرة داعية «من يرد الله به خيرًا يُفَقِّهُه في الدين» |
| ٨٥ | د. عبد الوهاب الطريري | جيل القرضاوي |
| ٨٦ | د. علي محمد محمد الصَّلَّابي | سماحة الشيخ العلَّامة يوسف القرضاوي |
| ٨٧ | د. فضل عبد الله مراد | شيخ الإسلام |
| ٨٨ | د. محمد الصغير | الإمام الأُمَّة |
| ٨٩ | د. محمد بن عبد الله الأنصاري | ممثل المشيخة الحقيقية التقية الصافية العطرة |
| ٩٠ | فضيلة الشيخ محمد سلطان ذوق الندوي | الداعية الوسطي العلَّامة يوسف القرضاوي |
| ٩١ | د. يحيى إسماعيل | شيخنا القرضاوي إمام أئمة وشيخ شيوخ |
| ٩٢ | فضيلة الدكتور محمد يسري إبراهيم | ثلاثة أرباع قرن سنة من العطاء |
| ٩٣ | الأستاذ منتصر الزيات | القرضاوي الإمام ومناحة الإعلام المصري |
| ٩٤ | الأستاذ مهنا الحبيل | العلَّامة القرضاوي ومدرسة الاعتدال الإسلامي |
| ٩٥ | أ. ناصر الدويلة | جيل قرآني فريد |
| ٩٦ | الشيخ سليمان السكرمي | الإمام القرضاوي والتفسير |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ٩٧ | الشيخ صديق بكر محمود | منهج الشيخ القرضاوي في علوم القرآن |
| ٩٨ | الشيخ عبد الله سليمان | القرضاوي والقرآن الكريم من القرية والكُتَّاب إلى العالمية والدَّعوة |
| ٩٩ | أ. د. عمار الطالبي | سماحة الشيخ الجليل يوسف القرضاوي والقرآن الكريم |
| ١٠٠ | د. مسعود صبري | فقه القرآن عند القرضاوي |
| ١٠١ | الشيخ نشأت أحمد محمد إبراهيم | الشيخ القرضاوي المفسِّر |
| ١٠٢ | أ. وفاء عبد العظيم عبد الوهاب | أثر الدكتور القرضاوي في الدراسات القرآنية التفسير الموضوعي نموذجًا |
| ١٠٣ | د. عبد الجبار سعيد | السُّنَّة عند الإمام القرضاوي فكرًا ومنهجًا |
| ١٠٤ | د. خالد خليفة السعد | القواعد الفقهية في كتابات وفتاوى الشيخ القرضاوي |
| ١٠٥ | د. خالد محمد حنفي | مرتكزات التجديد الفقهي عند القرضاوي |
| ١٠٦ | وليد أبو النجا | سمات الاجتهاد عند الشيخ القرضاوي |
| ١٠٧ | د. حسن فوزي الصعيدي | القرضاوي وفقه الواقع |
| ١٠٨ | د. علي بن حمزة العُمري | العلَّامةُ القرضاوي ابن زمانه |
| ١٠٩ | د. أشرف محمد دوابة | عطاءات العلَّامة القرضاوي في الاقتصاد الإسلامي |
| ١١٠ | د. فتحي أبو الورد | منهج القرضاوي في فقه المعاملات تأصيلًا وتنزيلًا |
| ١١١ | د. أكرم كساب | وسطية القرضاوي في التعامل مع الثورات |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١١٢ | د. رجب أبو مليح محمد | قراءة في كتاب (فقه الجهاد) للإمام العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي |
| ١١٣ | سيكو مارافا توري | التعددية في خطابات القرضاوي وأثرها على السِّلم العالمي |
| ١١٤ | د. محمد صالح المسفر | يوسف القرضاوي مدرسة فقهية مبنية بروح وطنية |
| ١١٥ | أ. عبد الله أنس | فقيه النوازل |
| ١١٦ | أ. د. محسن عبد الحميد | الإمام القرضاوي مفتي العصر الحديث |
| ١١٧ | د. منذر قحف | الشيخ كما تعلمت منه |
| ١١٨ | أ. د. أبو يعرب المرزوقي | الشيخ القرضاوي (الربانية) أو طبيعة ما يرثه العلماء من الأنبياء |
| ١١٩ | أ. إسماعيل إبراهيم متولي | القرضاوي والتصوف |
| ١٢٠ | د. جمال نصار | البُعد الأخلاقي في فِقْه الإمام القرضاوي |
| ١٢١ | د. جاسم المهلهل | نبضةُ حبٍّ وكلمةُ وفاءٍ لهامةِ عملاقٍ سكنَ قلوبَ الدعاةِ العلامة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي |
| ١٢٢ | د. رمضان خميس الغريب | الإمام القرضاوي وأثره في علم السنن الربانية بين التأصيل والتنزيل |
| ١٢٣ | د. ياسر محمد الصغير | معالم منهج القرضاوي الدعوي |
| ١٢٤ | الشيخ جمال الدين سيروان والدكتور محمد أنس عوض | بلاغة الإمام القرضاوي وعلم التفكير الإبداعي كتاب (العقل والعلم في القرآن الكريم) أنموذجًا |

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٢٥ | د. عبد الله رمضان | السخرية في شعر العلماء (العالم الشاعر يوسف القرضاوي أنموذجًا) |
| ١٢٦ | أ. محمد القدوسي | القرضاوي شاعرًا |
| ١٢٧ | د. نعيم محمد عبد الغني | لغة الخطاب الدعوي القرضاوي أنموذجًا |
| ١٢٨ | أحمد محمد الصديق | معًا وراء المصطفى |
| ١٢٩ | الدكتور محمد الأمين بن الشيخ بن مزيد | أحببت في القرضاوي |
| ١٣٠ | أ. د. محمد الشيخ محمد صيام | تحية للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي |
| ١٣١ | الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح | يا يوسف الخير |
| ١٣٢ | د. أحمد الحمادي | شيـخـي |
| ١٣٣ | د. عبد الغفار عزيز | أستاذنا القرضاوي |
| ١٣٤ | أ. محمد سليم منسيري (ويران) | ذكريـات طالب هندي في المعهد الديني القطري |
| ١٣٥ | أ. محمد إلهامي | قراءة في منهج الشيخ يوسف القرضاوي وإسهاماته في ساحة التاريخ |
| ١٣٦ | أ. أحمد الشيخ | شيخنا العلامة يوسف القرضاوي |
| ١٣٧ | أ. خديجة بن قنة | حوارات (الشريعة والحياة) مع الشيخ القرضاوي التجربة التي عمَّقت فهمي للشريعة وخبرتي بالحياة |
| ١٣٨ | د. عثمان عثمان | وقفات مع شيخنا القرضاوي |
| ١٣٩ | د. فيصل القاسم | القرضاوي أستاذًا في الإعلام تعلموا فن التعامل مع وسائل الإعلام من العلامة الشيخ يوسف القرضاوي |

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٤٠ | أ. نوال السباعي | مع الشريعة والحياة |
| ١٤١ | د. مالك بدري | حياة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي وإسهاماته من منظور نفسي بالتركيز على خبرات طفولته |
| ١٤٢ | أحمد النسناس | لبيك شيخي |
| ١٤٣ | د. حلمي الجزار | ترشيد الصحوة عند الدكتور القرضاوي تجربة شخصيَّة من عام ١٩٧٤ حتى ٢٠١٦م |
| ١٤٤ | د. عبد الرحمن بيراني | دور العلامة الشيخ يوسف القرضاوي في ترشيد الصحوة الإسلامية في إيران |
| ١٤٥ | الشيخ عصام تليمة | القرضاوي بين نقد الذات ونقد الآخر له |
| ١٤٦ | أ. د. محمد الجوادي | العلامة الدكتور يوسف القرضاوي من وجهة نظر أستاذ الفلسفة وتاريخ العلم |
| ١٤٧ | الشيخ حميد بن عبد الله الأحمر | القرضاوي شيخ القدس |
| ١٤٨ | أ. ياسر الزعاترة | فلسطين في ضمير الشيخ القرضاوي وعلى لسانه وقلمه |
| ١٤٩ | د. أحمد رجائي الجندي | لمحة عن مسيرة فضيلة الشيخ العلامة د. يوسف القرضاوي مع (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) بالكويت |
| ١٥٠ | د. صهيب حسن عبد الغفار | الشيخ يوسف كما عرفته |
| ١٥١ | د. عبد الله بن يوسف الجديع | القرضاوي رئيسًا للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث |
| ١٥٢ | أحمد بن راشد بن سعيّد | القرضاوي إمامًا |
| ١٥٣ | د. حلمي القاعود | القرضاوي من المنفى إلى الميدان |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٥٤ | أ. محمد عبد القدوس | ثائر في التسعين من عمره |
| ١٥٥ | أ. د. بشير نافع | الشيخ يوسف القرضاوي الإصلاحية الإسلامية في طور جديد |
| ١٥٦ | أ. جميلة تِلوت | المرأة في اجتهادات الدكتور القرضاوي دراسة للأسس المنهاجية والتصورية |
| ١٥٧ | د. سلطان إبراهيم الهاشمي | منهج العلامة القرضاوي في معالجة الإرهاب |
| ١٥٨ | د. سيتياوان بين لاهوري | العلامة القرضاوي رائد الفكر الوسطي (قراءة في أطروحات القرضاوي الفقهية والفكرية في مرونة الشريعة الإسلامية) |
| ١٥٩ | الشيخ عبد الله آدم عبد الله الإلوري النيجيري | الإمام القرضاوي حامل لواء الوسطية في العصر الحديث |
| ١٦٠ | د. إبراهيم الزعفراني | ذكريات مع فضيلة الشَّيخ يوسف القرضاوي |
| ١٦١ | أ. د. أحمد زكي حماد | شيخ الوسطية وشاهد العصر الشَّيخ العلَّامة يوسف عبد الله القرضاوي |
| ١٦٢ | أ. د. جاسر عودة | الشَّيخ القرضاوي الهمة العالية والعقل الحر |
| ١٦٣ | د. جمال عبد الستار محمد | مرتكزات النجاح في حياة الإمام القرضاوي |
| ١٦٤ | د. حسن يشو | الشَّيخ يوسف القرضاوي كاتبًا ومؤلفًا |
| ١٦٥ | د. فيصل بن جاسم آل ثاني | القيادة الفكرية للشَّيخ العلَّامة يوسف القرضاوي |
| ١٦٦ | د. كوثر يونس | قطرة من مناقب القرضاوي |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٦٧ | د. محمد تكريتي | الإمام المُعلِّم |
| ١٦٨ | أ. د. محمد السيد الجليند | قراءة في فكر الشيخ القرضاوي رؤية تحليلية لبنية العقل المسلم المعاصرة |
| ١٦٩ | محمد نزّال | العلَّامة القرضاوي بصيرة ووفاء وأصالة معدن |
| ١٧٠ | أ. د. محمد يوسف عدس | أستاذنا القرضاوي ملامح من علاقات حميمة وبحث في منهجه الفكري |
| ١٧١ | د. مصطفى بولند داداش | القرضاوي أكثر من عالم |
| ١٧٢ | د. نزيهة امعاريج | بعض مناقب العلَّامة الشَّيخ يوسف القرضاوي |
| ١٧٣ | أ. د. يوسف محمود الصديقي | القرضاوي المرآة المجلوَّة التي انعكست عليها قضايا عصره |
| ١٧٤ | د. أسماء يوسف القرضاوي | أبي الحبيب الغالي |
| ١٧٥ | أ. سامي عبد الجواد | القرضاوي كما عرفته (حكاية نسب) |
| ١٧٦ | عائشة لمفنن | الإمام القرضاوي زوجًا |
| ١٧٧ | أ. علا يوسف القرضاوي | أبي الحنون |
| ١٧٨ | أ. د. علي علي خلف | الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي نبوغ مبكر وعطاء مستمر |
| ١٧٩ | أ. محمد حمزة العزوني | فقيه الثورة وإمام الثُّوار |
| ١٨٠ | أ. مدحت الششتاوي العزوني | جانب من حياة الإمام القرضاوي في مسقط رأسه (صفط تراب) |
| ١٨١ | إبراهيم حسب الله | رحلة التواصل مع العلَّامة القرضاوي |

QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٨٢ | م. أحمد توفيق حمدان | رسالة في حب الإمام يوسف القرضاوي |
| ١٨٣ | د. جمال بدوي | مكالمة لا أنساها ما حييت |
| ١٨٤ | أ. حسني أدهم جرار | ذكرياتي مع الشَّيخ العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي |
| ١٨٥ | د. عادل حسن أمين الحرازي الندوي | ذكريات أول لقاء بفضيلة العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي بجامعة ندوة العلماء بالهند |
| ١٨٦ | د. عبد الرحمن سعودي | العلَّامة المربي الكبير والأستاذ الفاضل والشَّيخ الجليل والأب الكريم |
| ١٨٧ | الشيخ عبد السلام حسن محمد قنديل | خواطر محب لعالم الأمة وإمامها |
| ١٨٨ | د. عزام التميمي | الشيخ يوسف القرضاوي في لندن |
| ١٨٩ | أ. د. علي المحمدي | في صحبة القرضاوي |
| ١٩٠ | د. عمر عبد المعز عبد الستار | عمنا الوالد العلَّامة المجاهد الشَّيخ يوسف القرضاوي |
| ١٩١ | الشيخ مجد مكي | في صحبة شيخنا العلَّامة القرضاوي |
| ١٩٢ | أ. محمد صبرة أبو زيد | القرضاوي الذي لا يعرفه أحد |
| ١٩٣ | أ. محمد عبد الله المأمون | محب من أرض بنجلاديش |
| ١٩٤ | محمد فوزي النتشة | العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي مذكّرات وذكريات |
| ١٩٥ | الشيخ محمد مرسي | من قلب محب |
| ١٩٦ | أ. محمد وهب | أخي وأبي وشيخي وقائدي |
| ١٩٧ | أ. مريم عبد الحليم أبو شقة | أسرة صديقة |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| م | الاسم | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٩٨ | أ. موسى زينل | تحية تقدير |
| ١٩٩ | أ. ناصر محمد العثمان | الشيخ يوسف القرضاوي كما عرفته |
| ٢٠٠ | أ. يوسف جاسم الدرويش | صفحات من الذاكرة |
| ٢٠١ | الشيخ إبراهيم حسين المليباري | القرضاوي إمام الوسطية |
| ٢٠٢ | الدكتور أحمد الراوي | القرضاوي رائدًا في التنوير بين الدين والحياة |
| ٢٠٣ | د. صفوت خليلوفيتش | الشَّيخ العلَّامة يوسف القرضاوي فكره وكتبه وأثره في البوسنة والهرسك |
| ٢٠٤ | الشيخ فايز عبد الله النوبي سبَّاق | ذكريات دعوية ومواقف تربوية مع سماحة الإمام العلَّامة د. يوسف القرضاوي |
| ٢٠٥ | د. فريد شكري | الشيخ القرضاوي عَلَم وقَلَم |
| ٢٠٦ | أ. محمد بلبشير الحسني | من أثر الشيخ القرضاوي في المغرب |
| ٢٠٧ | أ. محمد صايب | محطات العلَّامة الكبير الدكتور يوسف القرضاوي في الجزائر في سطور |
| ٢٠٨ | د. محمد نذير | أثر الشيخ في الفلبين |
| ٢٠٩ | د. جاسم السلطان | العلَّامة يوسف القرضاوي |
| ٢١٠ | أ. فليح حسن السامرائي | قراءة في السيرة الذاتية لسماحة الشيخ يوسف القرضاوي |

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

## بعض المؤسسات التي شارك فيها الشيخ[١]

### (١)
### المعهد الديني بقطر[٢]

اتفق الشيخ ابن تركي مع سماحة الشيخ حين لقيه في مصر، على أن يتسلَّم إدارة المعهد الديني الثانوي في قطر، خلفًا لمديره السابق فضيلة الشيخ الدكتور عبد الغني الراجحي، الذي تسلَّم إدارته لسنة واحدة، كانت كل عمر المعهد الناشئ.

أنشئ المعهد سنة ١٩٦٠م، أي قبل سنة واحدة من إتيان الشيخ لقطر، وأنشئ من صفَّيْن أو فرقتين: الصف الأول، والصف الثاني. وكان الطلاب في الصفَّين من تلاميذ معهد ديني ابتدائي أنشئ قديمًا، وكان مديره الشيخ عبد الله الأنصاري، ثم رُئي إغلاقه، وحُوِّل طلابه إلى مدرسة صلاح الدين، فلما أُريد إنشاء معهد

(١) بعض المؤسسات التي أدارها سماحة الشيخ، أو كان صاحب فكرتها، أو رأسها أو ما يزال يرأسها.

(٢) تولى الشيخ إدارة المعهد الديني بداية من السنة الدراسية (١٩٦١ ـ ١٩٦٢م) إلى السنة الدراسية (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥م).

QaradawiBooks.com

ثانوي ـ بدل المعهد الابتدائي القديم ـ جيء بالطلاب القدامى ليكونوا نواة المعهد الجديد. فنشأ منهم المعهد بصفَّيه الأول والثاني، كل طالب حسَب صفه الدراسي.

وكانت فكرة المعهد قائمة على أساس أنه (معهد ثانوي) على غرار معاهد الأزهر الثانوية القديمة، ومدة الدراسة فيه خمس سنوات. ويدرس الطلبة في هذا المعهد ما كان يدرسه طلاب المعاهد الثانوية قديمًا في الأزهر، قبل قانون تطوير الأزهر ومعاهده.

ولهذا كان الطلبة يدرسون في الصف الأول الثانوي: شرح ابن عقيل على الألفية، في النحو والصرف، ويدرسون في البلاغة (زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع).

كما يدرسون علم المنطق من كتاب (شرح السُّلَّم) المعروف لطلبة الأزهر. ويدرسون الفقه في كتاب على مستوى الثانوي أيضًا من كتب الفقه الحنبلي، وهو كتاب (الروض المربع شرح زاد المستقنع).

ويدرسون في التفسير كتاب (تفسير النسفي)، وفي الحديث (صفوة صحيح البخاري)، ولا يدرسون من العلوم والرياضيات والمواد الاجتماعية واللغة الإنجليزية إلا القليل.

وقد عمل الشيخ على تصحيح أوضاع المعهد وترتيب أموره، فقرَّر على طلابه دراسة اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، واستبدل بالكتب القديمة كتبا أخرى مثل (النحو الواضح) للأستاذ علي الجارم والأستاذ مصطفى أمين بأجزائه ومستوياته الثلاثة، في النحو، وكتاب (منار السبيل شرح الدليل) لابن ضويان في الفقه وهو كتاب سلس سهل العبارة، يهتم بالأدلة، وجعل دراسة المنطق والبلاغة في المرحلة الثانوية.

QaradawiBooks.com

**بروز المعهد الديني:**

وكان المعهد الديني ـ على حداثة سنه وصغر حجمه ـ يمثل نموذجًا حيًّا للجمع بين القديم والحديث، أو الأصيل والمعاصر. وكان طلابه نماذج حية للاجتهاد في التحصيل وحسن الفهم، والالتزام الديني والخلقي.

وكان الطلبة يتنافسون فيما بينهم في التفوق العلمي، والنشاط المدرسي، والسلوك الأخلاقي، وعلى لقب (الطالب المثالي)، الذي يشترك في اختياره الطلاب والأساتذة والإدارة، ممن يبرز من الطلاب في العلم والنشاط الطلابي، وحسن العلاقة مع الأساتذة والزملاء.

وكان الطلَّاب هم الذين يتناوبون حكم المعهد داخليًّا، عن طريق نظام الأُسر. فهناك أسرة أبي بكر الصديق، وأسرة عمر بن الخطاب، وأسرة صلاح الدين الأيوبي، وأسرة أحمد بن حنبل. وكل أسرة تشرف على المعهد نظافة ونظامًا لمدة أسبوعين، ثم تسلِّمه لمن بعدها.

وقد ساعد الشيخ على أداء مهمته إداريون متفاهمون متعاونون، منهم: وكيل المعهد الشيخ عليوة مصطفى، وكان رجلًا فاضلًا، شاعرًا، خفيف الروح. وسكرتير المعهد الأخ أحمد المنيب حسين، ثم الأخ يوسف السطري، وأمين المخازن الأخ حسني أدهم جرار، وضابط هو الأستاذ أحمد سعد، وكلهم كانوا أعوانًا صادقين، وإخوانًا متحابِّين.

كما ساهم في نجاح المعهد: عدد من الأساتذة في مختلف المواد الشرعية والعربية والاجتماعية والعلمية، كانوا كأنهم أسرة واحدة، يعملون في المعهد بروح صاحب الرسالة، لا بمجرد الوظيفة، منهم: الشيخ عبد اللطيف زايد، والشيخ رشدي المصري، وغيرهم من المدرسين.

QaradawiBooks.com

### نشاطٌ متنوِّع في المعهد:

في هذا الوقت أصبح المعهد الديني في قطر ساحةً لأنشطة متنوعة، يشغل بها طلابه، ويحفزهم، وينمِّي قدراتهم ومواهبهم، كما فتح أبوابه في المساء لنشاط ثقافي يسهم به في التوعية والتنوير للجمهور القطري. فكانت هناك مسابقات أدبية للطلبة، بعضها لأحسن خطيب، وبعضها لأحسن مقال.

ومن الأنشطة الطلابية التي عُنِي بها الشيخ: المطارحات الشعرية، التي دفعت الطلاب إلى حفظ الشعر، والاطلاع على دواوين الشعر وكتب الأدب في مكتبة المعهد.

وكانت جوائز المتفوقين جوائز رمزية، لكنها كانت تسر الطلاب، وتحفز هممهم، مثل بعض الكتب، أو كتابة اسم الفائز في (لوحة الشرف)، وإعلان اسمه في طابور الصباح.

### نشاط ثقافي عام بالمعهد:

أما النشاط الثقافي العام، فقد أخذ عدة صور منها: الاحتفاء بالمناسبات الإسلامية، مثل: الهجرة النبوية، وذكرى الإسراء والمعراج، وذكرى غزوة بدر ونحوها، يدعى فيها مَن يتحدث من الخطباء المرموقين؛ مثل فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار، والدكتور عز الدين إبراهيم، والشيخ عبد الله بن تركي، والشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

ومنها: إقامة موسم محاضرات، وقد ألقى الشيخ المحاضرة الأولى، وعنوانها: (نظرات في الاقتصاد الإسلامي).

QaradawiBooks.com

ومنها: إقامة نـدوات شـعرية، يتبارى فيهـا الشعراء بإلقـاء أروع قصائدهم. وكانت أول ندوة من نوعها تقام في قطر، وقد تبارى فيها عدد من الشعراء الذين لـم يكن الجمهـور يعرفهم حق المعرفـة، فأبدعوا وأحسنوا، ونالـوا إعجاب الحضور، من هؤلاء: أحمـد محمد الصِّدِّيق، وسعيد تيّم، ومعروف رفيق، والشيخ عليوة مصطفى. وكان لهذه الندوات صداها الواسع في الأوساط الثقافية والأدبية في قطر.

وقد تكررت هذه النـدوات، لا سيما إذا وجدت مناسبة إسلامية، أو مناسبة وطنية، وكانـت المناسبة الحية والحاضـرة باستمرار هي قضية القضايا، قضيـة العرب والمسلميـن الأولى: قضيـة المسجد الأقصى، وفلسطين.

**خريجون من المعهد الديني:**

لقد تخرج في المعهد الديني مئات من الطلاب القطريين ممن صاروا نجومًا في المجتمـع، فممن تولى الوزارة: الأستـاذ عبد العزيز عبد الله تركي، ود. حمد عبد العزيز الكواري، والأستاذ أحمد عبد الله المحمود، واللواء حمد بن عبد الله بن قاسم آل ثاني، والشيخ عبد الرحمن عبد الله المحمود (رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية)، والشيخ محمد بن عيد آل ثاني، ود. محمد عبد الرحيم كافود الذي كان وزيرًا للتعليم.

وتخرج في المعهد عدد من السفراء: منهم: محمد سالم الكواري، وعتيق ناصر البدر، وأحمد غانم الرميحي، وعبد الله طالب المري، وحسن إبراهيم التميمي، ومعهم عدد من الملحقين والمستشارين في شتى السفارات.

وعدد مـن القيادات في الـوزارات المختلفة، منهـم: العميد مقرن هجرس العتيق فـي القوات المسلحـة. ويوسـف عبد الرحمن الملا،

QaradawiBooks.com

ومحمد عبد الله الأنصاري، وعبد الرحمن عبد الله المولوي، في وزارة التربية. وفي الجامعة: د. عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، ود. علي محمد يوسف المحمدي، ود. عبد العزيز عبد الرحمن كمال، ود. مصطفى عقيل الخطيب، ود. عبد الرحمن الدرهم. وكذلك مانع عبد الهادي، ويوسف عبد الرحمن المظفر في الإعلام ثم الأوقاف، ومحمد فرج قاسم في رعاية الشباب. وآخرون في مواقع مختلفة.

أما في الإمارات، فقد كان من أبناء المعهد: د. محمد عبد الرحمن البكر (وزير العدل والشؤون الإسلامية)، ود. سعيد عبد الله سلمان (وزير التربية والتعليم العالي)، والأستاذ شبيب عبد الله المرزوقي الأمين العام لجامعة الإمارات. والأساتذة: ماجد الخزرجي، وخليفة سيف، وأحمد ناصر النعيمي، وصقر المري، وجمعة بطي، وغيرهم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# (٢)
# الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

## مؤسسة خيرية إنسانية عالمية العطاء:

تعد الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية أحد أهم وأبرز المؤسسات الخيرية الإنسانية في العالم العربي والإسلامي في حجم مشروعاتها وتنوعها وتواجدها في المحافل الدولية والأممية.

## تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية:

في سنة ١٩٧٨م أقيم مؤتمر تنصيري في ولاية (كولورادو) في الولايات المتحدة بهدف: تنصير المسلمين في العالم!! وقد رُصد لمؤتمر كولورادو مليار دولار، جُمعت في الحال.

فأخذ الشيخ القرضاوي على عاتقه تنبيه الأمة على ما يحاك لها، وهو ما دعاه لأن يحاضر في عدد من البلدان الإسلامية داعيًا إلى إنشاء صندوق، أو تكوين مؤسَّسة، أو هيئة لمقاومة هذه الغزوة التنصيرية الجديدة، وجمْع ألف مليون دولار لحماية المسلمين من خطر التنصير، ومواجهة الظروف التي يستغلها المنصرون من فقر وجهل ومرض، وقد وضع الشيخ لهذا المشروع شعار: (ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا). أي من الوقوع في براثن المنصِّرين. على عكس شعار (الصهاينة): ادفع دولارًا تقتل عربيًّا!

وانتهت هذه الجهود بتأسيس (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية)، واختيرت الكويت لتكون مقرَّ الهيئة، واختير الشيخ يوسف الحجي

QaradawiBooks.com

ليكون أول أمين لهذه الهيئة، وأعلن الشيخ ذلك في أحد اجتماعات البنوك الإسلامية، وكانت المليون دولار الأولى من تبرع عبد الله المطوع (أبي بدر)، أودعت في بيت التمويل الكويتي.

وتكونت الجمعية العامة للهيئة من حوالي (١٦٠) فردًا من جميع أنحاء العالم، وصدر مرسوم أميري بإنشاء الهيئة من أمير الكويت جابر الأحمد الجابر الصباح، واجتمعت جمعيتها العمومية أول مرة سنة ١٩٨٦م.

**رسالة الهيئة:**

الهيئة لا تعمل في المجال السياسي ولا العسكري، إنما مجالها النشاط الخيري والاجتماعي والتنموي، كما حدَّد ذلك نظامها الأساسي، ومهمتها الأولى أن توفر الطعام للجائع، والكساء للعريان، والدواء للمريض، والإيواء للمشرد، والرعاية لليتيم، والتعليم للجاهل، والتشغيل للعاطل، والتدريب للعامل، والارتفاع بمستوى المسلمين حيثما كانوا، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والرد العلمي الموضوعي على شبهات خصوم الإسلام وأباطيلهم، وبيان حقائق الدين، ونشر اللغة العربية، وتعليم القرآن بأساليب العصر.

**إشراف مباشر:**

تشرف الهيئة على برامجها ومشاريعها المنتشرة في (١٣٦) دولة، من خلال التواصل المباشر مع الجهات المستفيدة، ومن خلال مكاتبها الميدانية، وهي (١٢) مكتبًا في كل من: البحرين، والسودان، والأردن، ونيجيريا، وبينين، والنيجر، وأوغندا، وبوركينا فاسو، وأذربيجان، وأوزبكستان، وكازاخستان، وألبانيا.

QaradawiBooks.com

لدى الهيئة (٢٤) مكتبًا وفرعًا محليًّا، تتوزع في مختلف مناطق الكويت، وتحظى باهتمام وتواصل من قبل جمهور المحسنين. ويندرج تحت إدارة الهيئة لجان عمل، تقوم على إدارة المشاريع والبرامج في الدول والمناطق التي تعمل بها، ومنها لجان: (فلسطين، ومسلمو آسيا، ولجنة ساعد أخاك المسلم). بالإضافة إلى عدد من المراكز المتخصصة وأهمها: (مركز الروَّاد، ومركز الشروق، ومركز الدراسات والتطوير، ومركز التواصل الحضاري).

وللهيئة وقفيات محدَّدة وصناديق وقفية، مثل: (الصندوق التعليمي، والصندوق الصحي، والصندوق الاجتماعي، والصندوق الثقافي، والصندوق الإنتاجي، والصندوق الإغاثي، والصندوق العام).

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## (٣)

# جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت وموقع إسلام أون لاين

كان الدافع الأساسي لإطلاق موقع (إسلام أون لاين Islam On line) على الإنترنت هو شعور الدكتور القرضاوي بالواجب الملقى على كاهل العلماء والدعاة، وأهل الفكر والرأي، في تبليغ الدعوة إلى غير المسلمين، وفي تعليم المسلمين أنفسهم حقائق الإسلام، من خلال تأسيس موقع يضطلع بخدمة الإسلام ورسالته، ويقدم الإسلام الوسطي المعتدل، بأسلوب عصري يتناسب مع الإنسان المعاصر، عبر الشبكة العالمية ذات الإمكانات الهائلة في الاتصال (الإنترنت)، التي يتَّسع نطاقها يومًا بعد يوم، ويُقبل الناس على الاستفادة والتعلُّم منها في الشرق والغرب بعشرات الملايين ومئات الملايين، فهي ـ كما ذكر الدكتور القرضاوي في كلمته الموجهة لمؤسسي جمعية البلاغ ـ تخترق الأسوار، وتجتاز القفار والبحار، لتغزو الأقطار، وتغير الأفكار، وهي صالحة لأن تهدم وأن تبني، وأن تُحيي وأن تُميت، وأن تزرع الخير أو الشر، فلنستخدمها نحن في سبيل الحقِّ والخير، لا الباطل والشر، ولنجعل منها أداة بناء، لا معول هدم. خاصة أن غيرنا اتخذوا منها منبرًا لنشر أديانهم الباطلة، ونِحلهم المضلَّة، وفلسفاتهم المدمِّرة.

كانت خطوة الانطلاق الأولى أن دعا الدكتور القرضاوي لتأسيس (جمعية عالمية للدعوة الإسلامية عبر الإنترنت)، ومن ثَمَّ تأسست (جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت)، واجتمع مؤسسوها

QaradawiBooks.com

في يوم الخميس ١٩٩٥/١٠/٥م الموافق العاشر من جمادى الأولى ١٤١٦هـ في مدينة الدوحة بدولة قطر، وأقرُّوا نظامها الأساسي، ووقَّعوا عليه، وإن أُشهرت رسميًّا في ١٩٩٨/١١/٩م الموافق ١٩ من رجب ١٤١٩هـ، بقرار وزير الأوقاف القطري بالموافقة على عقد تأسيسها ونظامها الأساسي.

وفي حفل كبير شارك فيه مائة شخصية من أنحاء العالم الإسلامي وخارجه من الأقليات المسلمة، في يوم ٤ أكتوبر ١٩٩٩م، أطلق رسميًّا موقع (إسلام أون لاين)، وقال العلامة القرضاوي في كلمته التي ألقاها في حفل الافتتاح: «إن هذا هو جهاد العصر المطلوب منا، فلم نعُد في حاجة إلى تجييش الجيوش، لإزاحة السلطات الظالمة، حتى نتيح للشعوب أن تسمع كلمة الإسلام، بل فتحت لنا هذه الوسائل الطريق لنصل مباشرة إلى هذه الشعوب.

ونحن بهذه الآليات الحديثة ـ وعلى رأسها الإنترنت ـ نستطيع أن نصل إلى الشعوب ونخاطبها بألسنتها المختلفة في أنحاء الأرض، ولا نحتاج إلى إذن الملوك والسلطات الحاكمة، المهم أن يكون عندنا القدرات البشرية والعلمية والفنية لمخاطبة العالم بلغاته، وهذا يحتاج إلى تجنيد جيوش من العاملين، وإلى إعداد هائل لإطارات بشرية متنوعة مدرَّبة قادرة على العطاء.

إن هذا العمل الطموح هو مشروع الأمة لبداية قرن جديد».

**أغراض جمعية البلاغ الثقافية:**

١ ـ نشر الثقافة الإسلامية، والتعريف بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف وأحكامه وأخلاقياته عن طريق تقديم معلومات وخدمات للمسلمين وغيرهم باستخدام أحدث وسائل الاتصال التي توصلت إليها التكنولوجيا المعاصرة.

QaradawiBooks.com

٢ ـ استخدام أحـدث وسائل الاتصـال والمتمثلة حاليًـا في موقع الإنترنت، وما قد يُستحـدث في المستقبل من وسائـل، وذلك لتقديم معلومات صحيحة عن الإسلام، وخدمات للمسلمين وغيرهم، عن طريق هذه الوسائل.

٣ ـ التعاون مـع الجمعيات التي تسعى إلى تحقيـق أهداف مماثلة لأهدافها.

**مجلس إدارة الجمعية:**

وقد تشكَّل أول مجلس إدارة لجمعية البلاغ من كلٍّ من:

١ ـ أ. بدر عبد الله الدرويش.

٢ ـ أ. جاسم محمد المنصوري.

٣ ـ د. حامد عبد العزيز الأنصاري.

٤ ـ أ. حسام عبد السلام أبو عيسى.

٥ ـ د. درويش غلوم العمادي.

٦ ـ أ. عبد الرزاق محمد الصِّدِّيقي.

٧ ـ أ. عبد الله أحمد المهنَّدي.

٨ ـ عبد الله زيد آل طالب.

٩ ـ أ. د. يوسف عبد الله القرضاوي.

وقد اختير العلامة القرضاوي رئيسًا للجمعية منذ تأسيسها حتى عام ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

## أهمية موقع إسلام أون لاين:

تعتبر تجربة (إسلام أون لاين) تجربة رائدة في مجال الدعوة عبر الإنترنت، حيث صار الموقع في غضون أشهر قليلة من أكبر المواقع العربية والإسلامية وأشهرها، وذلك بفضل تعدد مادته، وتنوع محتواه ما بين ديني وإخباري وثقافي وفني واجتماعي، كل ذلك في إطار من المهنية والتخصص، فكان بحق أحد الإسهامات المتميِّزة في مسيرة النهضة الإسلامية الشاملة، وقدم صورة حيَّة للإسلام، تتماشى مع التقدم العلمي والحضاري في كل المجالات.

وقد قدم الموقع خلال أربع سنوات ـ من بداية عام ٢٠٠٠م إلى نهاية ٢٠٠٣م ـ محتوى بلغ نحو (٣٠٦٦٩١) مادة، منها (٢٣٣٢٢٣) بالعربية، و(٧٣٤٨٦) بالإنجليزية. وطالع زواره خلال العام ٢٠٠٣م وحده (١٢٤,٥٣٠,٠٠٠) صفحة مقروءة، هي عبارة عن محتوى ثقافي جادٍّ، وليست صفحات خدمات إلكترونية أو «دردشة».

ووفقا لنظام الترتيب العالمي لمواقع الإنترنت (ألكسا) (alexa) الذي يرتب ملايين المواقع بمئات اللغات حَسَب قوتها الجماهيرية، احتل (موقع إسلام أون لاين. نت) عام ٢٠٠٤م المرتبة الأولى للمواقع الإسلامية، والمرتبة الثانية للمواقع الدينية والروحية عامة، والمرتبة الثالثة على كافة المواقع العربية الإخبارية والسياسية والترفيهية بعد موقع (الجزيرة)، وموقع (جوجل) (google)، والمرتبة الأولى على مواقع المراجع العربية، والمرتبة السادسة والعشرين على المواقع الاجتماعية في العالم.

وقد حاز الموقع في ديسمبر ٢٠٠٤م شهادة الجودة العالمية (الأيزو ISO 9001: 2000) في نظم الإدارة، ليصبح بذلك أول موقع إعلامي إلكتروني عربي يحصل على شهادة الجودة العالمية.

QaradawiBooks.com

**السياسة الإعلامية لموقع إسلام أون لاين:**

وقد حدد موقع إسلام أون لاين سياسته الإعلامية ـ والتي التزمها بشكل كبير فيما يقدمه من مواد ـ بأنها:

ـ عالمية في الطرح: توجيه الخطاب للإنسانية جمعاء، مع تجنب الارتباط أو التعبير عن بلد أو مذهب أو حزب أو فئة أو هيئة أو مؤسسة.

ـ شمولية في المضمون: العمل على تقديم صورة شاملة ومتكاملة ومترابطة للإسلام، على مختلف صفحات المشروع المعلوماتية والخدماتية.

ـ وسطية في المنهج: تبنِّي المنهج الوسطي للإسلام، مع البعد عن الإفراط والتفريط، والإعراض عن الآراء الشاذَّة والغريبة.

ـ موضوعية في المعالجة: تحرِّي الدقة والعلمية في المعالجة، والتزام الحياد والابتعاد عن المواقف المسبَّقة.

ـ أخلاقية التناول: تجنُّب التعرض بالقدح أو المدح للأشخاص والهيئات والدول، والابتعاد عن أساليب الإثارة والدعاية، أو الاستفزاز والتحريض.

ـ التشويق في العرض: الحرص على عرض الموادِّ بمهنيَّة عالية توفِّر المتعة للمستخدم.

**جمهور إسلام أون لاين:**

انطلق مشروع (إسلام أون لاين) والجمعية المشرفة عليه من دولة قطر، ليتوجه إلى العالم كله، مشرقه ومغربه، شماله وجنوبه، وامتد جمهوره عبر ما يزيد على مائتي دولة، وأصبح أهم ساحة للتواصل بين المسلمين وغير المسلمين بلغتين عالميتين هما: العربية والإنجليزية.

QaradawiBooks.com

وقد خاطب الموقع الناس كافَّةً بكل فئاتهم، مسلمين وغير مسلمين، بغضِّ النظر عن الحواجز الجغرافية والدينية واللغوية، ودون اعتبار للخلفيَّات أو فروق الثقافة والجنس.

**النوافذ الرئيسية للموقع:**

تضمن موقع إسلام أون لاين عدة نوافذ أهمها:

١ ـ أخبار وتحليلات: يتضمَّن الأخبار اليومية والسياسية في العالم مع التركيز على أخبار العالم العربي والإسلامي.

٢ ـ شرعي: ويحتوي على بنك للفتاوى، وفتاوى مباشرة، واستشارات للحج والعمرة، وفقه وسيرة، بالإضافة إلى تاريخ وحضارة، والإسلام وقضايا العصر، الذي يتناول من وجهة شرعية أهم قضايا الاقتصاد والتنمية والثقافة وقضايا المرأة.

٣ ـ مدارك: وهي نافذة تهتم بالفكر والثقافة الإسلامية المعاصرة.

٤ ـ الإسلاميون يهتم بشؤون الطرق الصوفية والحركات الإسلامية.

٥ ـ نماء لمعالجة قضايا تنمية الفرد والمجتمع المحلي والمؤسسة الصغيرة.

٦ ـ علوم وصحة: يطرح القضايا الطبية وما يتعلَّق بها، من الإسعافات الأولية، والتخصصات الطبية، إلى جانب موضوعات متعلِّقة بالبيئة والتكنولوجيا والإعجاز العلمي.

٧ ـ ثقافة وفن: يتناول القضايا الثقافية والفنية، وأخبار الأدب، والفنون التشكيلية، وغيرها من الفنون.

٨ ـ حواء وآدم: الذي يتناول العلاقة بين الرجل والمرأة.

QaradawiBooks.com

٩ ـ مشاكل وحلول: الذي يقدم استشارات خاصة بالشباب والنشء.

١٠ ـ وسائط متعددة: وتضم مكتبة الموقع الصوتية والمرئية.

١١ ـ استشارات (شبابية ـ إيمانية ـ دعوية ـ صحية ـ الزكاة ـ الحج والعمرة ـ معا نربي أبناءنا ـ اسألوا أهل الذكر).

١٢ ـ ساحات الحوار: الذي يطرح بعض القضايا للمناقشة مع الجمهور.

كما أطلق الموقع إذاعة على الإنترنت خاصة به، ونسخة للموقع باللغة الإنجليزية، ومشروع (رحمة للعالمين) للتعريف بالنبي ﷺ باللغات المختلفة، وقناة فضائية استمرَّت عدة سنوات.

وقد كان للمحسنين في قطر وغيرها من البلاد العربية دور كبير في دعم الموقع، وعلى رأس هؤلاء الشيخة موزا بنت ناصر المسند، حرم الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

**الملامح العشرة لموقع إسلام أون لاين:**

وُضعت هذه الملامح منذ التفكير الأوليِّ في تأسيس الموقع، وذكرها الدكتور القرضاوي في كلمته الافتتاحية أمام الجمعية التأسيسية لجمعية البلاغ المشرفة على الموقع، وأقر بالإجماع تضمينها بالنظام الأساسي للجمعية، وهي:

١ ـ أنه يخاطب المسلمين وغير المسلمين بالإسلام، ليصحِّح المفاهيم، ويجيب عن التساؤلات، ويفنِّد الشبهات، ويردُّ على المفتريات.

٢ ـ يقدِّم الإسلام بشموله وتكامله: عقيدة وعبادة، وأخلاقًا وآدابًا، وتشريعًا وحضارة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

QaradawiBooks.com

٣ ـ يستمدُّ تعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه من ينابيعه الصافية: القرآن الكريم، وصحيح السنة، كما فهمها خير قرون الأمة: الصحابة ومَن تبعهم بإحسان، منطلقًا من أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة.

٤ ـ يعتمد الوسطية في فَهمه للإسلام وفَهمه للواقع، فلا يجنح إلى غلو المُفْرِطين، ولا إلى تقصير المفَرِّطين، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٥ ـ يعتمد التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، امتثالًا لما أمر به الرسول الكريم: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»[(١)]، وإذا كان الناس في حاجة إلى التيسير والتبشير في كل زمان، فهم أحوج ما يكونون إليه في عصرنا.

٦ ـ يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهو يستلهم تراثنا الغني، ويرجع إلى أئمتنا الكبار، ليأخذ عنهم، ويستفيد منهم، ولكنه لا ينسى أنه يعيش في القرن الخامس عشر الهجري، والحادي والعشرين الميلادي، وفي الأثر: رحم الله امرأً عرف زمانه، واستقامت طريقته.

٧ ـ لا يتعصَّب لرأيٍ قديم، ولا لفكر جديد، ولا لمدرسة أو شخص، فكلُّ واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه، إلا المعصوم ﷺ، ولهذا يستفيد من كلِّ المدارس وكلِّ العلماء، ويأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت، فالحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها.

٨ ـ يتعامل مع الناس ـ حتى المخالفين ـ باللين لا بالغلظة، وبالرفق لا بالعنف، وبالحوار بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أخشن، ويغلب الناس بالحب لا بالكراهية، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسِّيَر (١٧٣٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ولهذا لا يبدأ أحدًا بعداوة، ولا يستثير عداوة أحد، ولكنه يردُّ على مَن تطاول على الإسلام عامدًا، وأصرَّ على ذلك مكابرًا، بالعلم لا بالسب.

٩ ـ يتكامل هذا الموقع مع غيره من المواقع الإسلامية، بحيث نستغني عن الازدواج والتكرار بغير حاجة ولا مبرر، ويتعاون مع كلِّ العاملين في هذه الساحة، وينسِّق معهم ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

١٠ ـ يجمع بين العلمية في المضمون، والتشويق في الشكل وأسلوب العرض، فإن الله جميل يحب الجمال، وقد قال المشركون عن القرآن: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة.

ولضمان (العلمية) قامت عليه لجنة من كبار علماء الشريعة الثقات، ولضمان (التشويق) قامت عليه جماعة من المتخصصين في علوم الحاسوب.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

## (٤)

# المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث

**اسم المجلس وصفته ومقره:**

المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، هيئةٌ إسلاميةٌ متخصصةٌ مستقلةٌ، يتكون من مجموعة من العلماء.

المقر الحالي للمجلس: الجمهورية الأيرلندية.

**اللقاء التأسيسي:**

عقد اللقاء التأسيسي لـ(المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث) في مدينة لندن في بريطانيا في يومي ٢١ و٢٢ من ذي القعدة ١٤١٧هـ الموافق ٢٩ و٣٠ من شهر آذار (مارس) ١٩٩٧م، بحضور ما يزيد عن خمسة عشر عالمًا. وكان ذلك تلبية لدعوة من قبل (اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا).

وفي هذا اللقاء تم إقرار مسودة الدستور لهذا المجلس (النظام الأساسي).

**أهدافه:**

يتوخى المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث تحقيق الأهداف التالية:

ـ إيجاد التقارب بين علماء الساحة الأوربية، والعمل على توحيد الآراء الفقهية فيما بينهم، حول القضايا الفقهية المهمة.

ـ إصدار فتاوى جماعية تسدُّ حاجة المسلمين في أوربا، وتحلُّ مشكلاتهم، وتنظِّم تفاعلهم مع المجتمعات الأوربية، في ضوء أحكام الشريعة ومقاصدها.

QaradawiBooks.com

ـ إصدار البحوث والدراسات الشرعية، التي تعالج الأمور المستجدَّة على الساحة الأوربية، بما يحقِّق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.

ـ ترشـــيد المسلمين في أوربا عامةً، وشباب الصحوة خاصةً، وذلك عن طريق نشر المفاهيم الإسلامية الأصيلة والفتاوى الشرعية القويمة.

**وسائل تحقيق الأهداف:**

يسعى المجلس لتحقيق أهدافه من خلال اعتماد الوسائل التالية:

ـ تشكيل لجان متخصِّصة من بين أعضاء المجلس ذات مهمة مؤقتة أو دائمة، ويعهد إليها القيام بالأعمـــال التي تساعد على تحقيق أغراض المجلس.

ـ الاعتماد على المراجع الفقهية الموثوق بها، وخصوصًا تلك التي تستند إلى الأدلة الصحيحة.

ـ الاستفادة من الفتـــاوى والبحوث الصادرة عـــن المجامع الفقهية والمؤسسات العلمية الأخرى.

ـ بذل المساعي الحثيثة لدى الجهات الرسميـــة في الدول الأوربية للاعتـــراف بالمجلس رسميًّـــا، والرجوع إليـــه لمعرفة أحكـــام الشريعة الإسلامية.

ـ إقامة دورات شرعية لتأهيل العلماء والدعاة.

ـ عقد ندوات لدراسة بعض الموضوعات الفقهية.

ـ إصدار نشـــرات وفتـــاوى دورية وغيـــر دورية وترجمـــة الفتاوى والبحوث والدراسات إلى اللغات الأوربية.

QaradawiBooks.com

ـ إصـــدار مجلة باسم المجلـــس، تنشر فيها مختـــارات من الفتاوى والبحوث والدراسات التي يناقشها المجلس أو التي تُحقِّق أهدافه.

**مصادر الفتوى وضوابطها:**

يعتمد المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث في إصدار الفتوى على:

ـ مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليهـــا بين جمهور الأمة وهي: القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس.

ـ مصادر التشريع المختلف فيها كالاستحسان، والمصلحة المرسلة، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعرف، ومذهب الصحابي، وشـــرع من قبلنا، وذلك بشروطها وضوابطها المعروفة عند أهل العلم، ولا سيما إذا كان في الأخذ بها مصلحة للأمة.

**كما ترتكز منهجيته على:**

ـ اعتبار المذاهب الأربعة وغيرها من مذاهب أهل العلم ثروةً فقهيةً عظيمةً، ويُختار منها ما صحَّ دليله وظهرت مصلحته.

ـ مراعاة الاستـــدلال الصحيح فـــي الفتوى، والعزو إلـــى المصادر المعتمدة، ومعرفة الواقع ومراعاة التيسير.

ـ وجوب مراعاة مقاصد الشرع واجتنـــاب الحيل المحظورة المنافية لتحقيق المقاصد.

**طريقة إصدار الفتاوى والقرارات:**

تصدر الفتاوى والقـــرارات باسم المجلس في الـــدورات العادية أو الطارئة بإجماع الحاضرين إن أمكـــن، أو بـ(أغلبيتهم المطلقة)، ويحق

QaradawiBooks.com

للمخالف أو المتوقف من الأعضاء إثبات مخالفته، حسب الأصول المعمول بها في المجامع الفقهية.

وينصُّ (النظام الأساسي) على أنه لا يحق لرئيس المجلس ولا لعضو من أعضائه إصدار الفتاوى باسم المجلس ما لم يكن موافَقًا عليها من قِبَل المجلس نفسه، ولكلٍّ منهم أن يفتي بصفته الشخصية، من غير أن يذيِّل فتواه بصفة عضويته في المجلس، أو أن يكتبها على أوراق المجلس الرسمية.

**العضوية:**

نصَّ دستور المجلس على أنه يجب أن تجتمع في العضو الشروط التالية:

ـ أن يكون حاصلًا على مؤهل شرعي جامعي، أو ممَّن لَزِمَ مجالس العلماء وتخرَّج على أيديهم، وله معرفة باللغة العربية.

ـ أن يكون معروفًا بحسن السيرة والالتزام بأحكام الإسلام وآدابه.

ـ أن يكون مقيمًا على الساحة الأوربية، أو من المهتمين بفقه المسلم المقيم في ديار غير إسلامية.

ـ أن يكون جامعًا بين فقه الشرع ومعرفة الواقع.

ـ أن توافق عليه الأكثرية المطلقة للأعضاء.

كما نصَّ على أنه يحقُّ لأعضاء المجلس اختيار بعض العلماء لعضوية المجلس من خارج الساحة الأوربية، ممن تجتمع فيهم شروط العضوية السابقة، ما عدا الشرط الثالث، إذا وافقت عليهم الأغلبية المطلقة للأعضاء، على ألا يتجاوز عددهم (ربع) أعضاء المجلس.

QaradawiBooks.com

ويراعى في اختيار الأعضاء تمثيل الدول الأوربية التي للمسلمين فيها وجود ظاهر، كما يراعى تمثيل المدارس الفقهيـة المختلفة. ويعتمد في الترشيح لعضوية المجلس تزكية ثلاثة من أهل العلم الثقات المعروفين.

**اللقاء الدوري للمجلس:**

ينصُّ (النظام الأساسـي) للمجلس، على اجتمـاع دوري سنوي تعقده هيئته العامة، تتمُّ فيه مناقشة الأبحاث المقدَّمة إليه في الموضوعات المختلفة التي تمسُّ إليها حاجة المسلمين في أوربـا، مع تولِّي الإجابة عما يرد عليه من استفتاءات تتطلَّب الجواب الجماعي، ويجيز (النظام الأساسي) للمجلس الاستعانة بأهـل الخبرة، ودعوتهم لحضور دورة الانعقـاد التي يعرض فيها ما يتعلَّق باختصاصاتهم، من غير أن يكون لهم حقوق التصويت.

ومنذ تأسيس المجلس عقد سبعًا وعشرين دورة: وذلك في عدة مدن أوربية، منها: سراييفو (البوسنـة والهرسك)، وباريس (فرنسا)، وكولون (ألمانيا)، وبلنسية (إسبانيا)، واستوكهولم (السويد)، ولندن (بريطانيا)، وإستانبول (تركيا)، إضافة إلى مقر المجلس دبلن (أيرلندا)، وغيرها.

وتم في هـذه الدورات مناقشة عـدة قضايا وموضوعـات مما يهم المسلمين في أوربـا، والإجابة عن عدد من الأسئلة الـواردة، كما عقد المجلس عدة ندوات تخصصية تعينه على أداء رسالته.

**اللجان الفرعية التابعة للمجلس:**

نظرًا لتباعـد انعقـاد الاجتماع الـدوري للمجلـس، وانشغاله في اجتماعاته بمناقشة القضايا الأكثر أهمية، ورغبة منه في تلبية حاجة عموم المسلمين في أوربا، والتعجيل بإجابة استفتاءاتهم، فقد اعتمد في دورته

QaradawiBooks.com

الثانية تأسيس لجنتين فرعيتين للفتوى: إحداهما في فرنسا، والأخرى في بريطانيا. باشـــرتا عملهما منذ ذلـــك الحين، كما أضيفـــت لاحقًا لجنة بألمانيا. كذلك أنشأ المجلس لجنة للبحوث والدراسات، تتولَّى إصدار مجلة المجلس، كما تهتم بالبحوث والدراسات التي تعين المجلس على إصدار قراراته وفتاويه.

**إصدارات المجلس:**

ـ المجموعة الأولى والثانية من الفتاوى، وقد ترجمتا إلى الإنجليزية والفرنسية والبوسنية والأوردو والألبانية.

ـ كتاب القرارات والفتاوى من الدورة الأولى حتى العشرين.

ـ كتاب المجلس، ويصدر كل فترة على هيئة كتاب يحوي موضوعًا من الموضوعات التي تهم المسلمين في الغرب، وهي على النحو التالي:

- الديـــن والسياسة تأصيل ورد شـــبهات لسماحـــة العلَّامة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي.
- تقسيم المعمورة للشيخ الدكتور عبد الله الجديع.
- المشاركة السياسية للمسلمين في الغرب للأستاذ حسام شاكر.
- فقه المواطنة للأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار.
- نظام الوقف في الفقه الإسلامـــي لسماحة العلَّامة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي.
- تعيين أوائل الشهور القمرية بين الرؤية والحساب للأستاذ الدكتور محمد الهواري.

QaradawiBooks.com

• نظرية القضاء الشرعي خارج ديار الإسلام تأصيلًا وتنزيلًا، للشيخ سالم الشيخي.

ـ المجلة العلمية: أصدر المجلس أعدادًا من مجلته العلمية المحكَّمة، والتي تُعنى بالبحوث والدراسات التي تقدم للمجلس، وقد بلغت ثلاثة وعشرين عددًا.

هذا وقد أقام المجلس أو شارك في دورات للأئمة والدعاة في عدد من الدول الأوربية منها: (فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، والسويد، والنمسا، وهولندا، وبلجيكا، وإيطاليا، وأيرلندا).

وقد انتخب الدكتور عبد الله الجديع رئيسًا للمجلس خلفًا للدكتور القرضاوي، في دورته الثامنة والعشرين في نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠١٨م الموافق ربيع الأول ١٤٤٠م.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## (٥)

# الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

تعود فكرة تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إلى اهتمام قديم للشيخ يوسف القرضاوي بضرورة وجود اتحاد شعبي يجمع علماء الأمة الإسلامية حول العالم.

وفي يوم ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ الموافق ١١ يوليو (تموز) ٢٠٠٤م، في لندن ببريطانيا، اجتمعت أول جمعية عمومية تأسيسية للاتحاد بحضور ثلاثمائة عالم من العالم كله، بوصفهم أعضاء مؤسسين للاتحاد، وذلك بعد تسجيله قانونيًّا بدبلن ـ أيرلندا.

والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين مؤسسة إسلامية شعبية (غير حكومية)، ذات نفع عام، وهو مؤسسة دعوية تسعى لنشر الدين الإسلامي وإحياء التراث العلمي الإسلامي وتحقيقه ونشره وتبني المنهج الوسطي.

يضم الاتحاد في عضويته ما يقارب ثلاث آلاف من علماء العالم الإسلامي، وعلماء الأقليات المسلمة خارج العالم الإسلامي، كما تنضوي تحت لوائه ما يقارب خمسين جمعية ورابطة واتحاد إقليمي ووطني للعلماء.

ويعمل الاتحاد من خلال أعضائه في أكثر من سبعين بلدًا في آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا، لتنفيذ برامجه ومشاريعه وأنشطته، وعبر مكاتبه وفروعه، وبالشراكة مع مؤسسات ومنظمات ذات الأهداف المشتركة.

وقد تأسس الاتحاد سنة ٢٠٠٤م بمدينة دبلن بأيرلندا، ومقره الرئيسي الحالي بالدوحة، وله ثلاثة فروع في الدول المختلفة.

QaradawiBooks.com

والاتحاد مفتوح لكل علماء الإسلام من خريجي الكليات الشرعية والأقسام الإسلامية، وكلِّ مَن له عناية بعلوم الشريعة، والثقافة الإسلامية، وله فيها إنتاج معتبر، أو نشاط ملموس.

**الهياكل الإدارية للاتحاد:**

**الجمعية العامة:**

تتكوَّن من أعضاء الاتحاد، وتعتبر ـ كما في كل المؤسسات والهيئات ـ أعلى سلطة في الاتحاد، ولها سلطة اتخاذ القرارات، ومناقشة التقارير، ووضع اللوائح والنظم وتغييرها، وانتخاب الرئيس ومجلس الأمناء، وتجتمع مرة كل أربع سنوات.

**مجلس الأمناء:**

يتكون من خمسين عضوًا تختارهم الجمعية العامة بالانتخاب المباشر، ومن حق الأعضاء المنتخبين ضم عدد من الكفاءات التي يحتاج إليها المجلس، ويعتبر هو مجلس إدارة الاتحاد، وعليه اتخاذ القرارات اللازمة لتسيير نشاطات الاتحاد العلمية والدعوية والفكرية والثقافية، وينتخب هذا المجلس كل أربع سنوات من الأعضاء الذين مر على عضويتهم سنتان على الأقل، ويختار مجلس الأمناء من بين أعضائه نائبين للرئيس، وأمينًا عامًّا، وأمينًا للصندوق، ويعقد المجلس اجتماعًا كل ستة أشهر.

**الأمانة العامة:**

يرأسها الأمين العام، وتضم عددًا كافيًا من الموظفين والإداريِّين، ومقرُّها في المقر الرئيسي للاتحاد، أو في المكان الذي يحدده مجلس الأمناء.

QaradawiBooks.com

وتدير الأمانة العامة العملَ اليومي للاتحاد، والأمين العام هو المتحدث باسم الاتحاد، الذي تصدر عنه بيانات الاتحاد، وهو المسؤول عن الإعداد لاجتماعات الاتحاد، وتنفيذ قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمناء، ومتابعة الأحوال الإسلامية في العالم، واقتراح ما تراه مناسبًا.

**رئاسة الاتحاد:**

اختير العلامة يوسف القرضاوي من قِبَل الجمعية العامة رئيسًا للاتحاد منذ تأسيسه حتى نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠١٨م الموافق ربيع الأول ١٤٤٠هـ، حيث خلفه الدكتور الريسوني في رئاسة الاتحاد.

**الرؤية:**

أن يكون الاتحاد مرجعية شرعية أساسية في تنظير وترشيد المشروع الحضاري للأمة المسلمة في إطار تعايشها السلمي مع سائر البشرية.

**الرسالة:**

دراسة وتشخيص مشكلات الأمة الإسلامية وتقديم الحلول لها وخدمة قضاياها من خلال إطار مؤسسي يكون لعلمائها فيه الدور الريادي.

**المبادئ العامة:**

١ ـ **الإسلامية:** فهو اتحاد إسلامي خالص، يتكون من علماء مسلمين، ويعمل لخدمة القضايا الإسلامية، ويستمد من الإسلام منهجه، ويستهدي به في كل خطواته؛ وهو يمثل المسلمين بكل مذاهبهم وطوائفهم.

٢ ـ **العالمية:** فهو ليس محليًّا ولا إقليميًّا، ولا عربيًّا ولا عجميًّا، ولا

QaradawiBooks.com

شـــرقيًّا ولا غربيًّا، بل هو يمثل المسلمين في العالم الإسلامي كله، كما يمثل الأقليات والمجموعات الإسلامية خارج العالم الإسلامي.

٣ ـ **الشعبية**: فهو ليس مؤسسة رسمية حكومية، وإنما يستمد قوته من ثقة الشعوب والجماهير المسلمة به. ولكنـــه لا يعادي الحكومات، بل يجتهد أن يفتح نوافذ للتعاون معها على ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

٤ ـ **الاســـتقلال**: فهـــو لا يتبـــع دولة مـــن الـــدول، ولا جماعة من الجماعات، ولا طائفة من الطوائف، ولا يعتـــز إلا بانتسابه إلى الإسلام وأمته.

٥ ـ **العلمية**: فهـــو مؤسسة لعلمـــاء الأمة، فلا غـــرو أن يهتم بالعلم وتعليمه وبتراثنا العلمي وإحيائه وتحقيقه ونشره.

٦ ـ **الدعوية**: فهو مؤسسة تُعنى بالدعوة إلى الإسلام باللسان والقلم، وكل الوسائل المعاصرة المشروعة، مقروءة أو مسموعة أو مرئية، ملتزمة بمنهج القرآن بالدعوة بالحكمة والموعظـــة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

٧ ـ **الوســـطية**: فهو لا يجنح إلى الغلـــو والإفـــراط، ولا يميل إلى التقصير والتفريط، وإنما يتبنى المنهج الوسط للأمة الوسط، وهو منهج التوسط والاعتدال.

٨ ـ **الحيوية**: فلا يكتفي بمجـــرد اللافتات والإعلانـــات، بل يُعنى بالعمل والبناء، وتجنيد الكفاءات العلمية والطاقات العملية، تقودها ثلة من العلمـــاء المشهود لهم بالفقه فـــي الدين، والاستقامـــة في السلوك، والشجاعة في الحق، والاستقلال في الموقـــف، والحائزين على القبول بين جماهير المسلمين.

QaradawiBooks.com

**أهداف الاتحاد:**

١ ـ الحفاظ على الهوية الإسلامية للأمة؛ لتبقى دائمًا أمة وسطًا، شهيدة على الناس، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر.

٢ ـ مواجهة التيارات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام، والأخطار الثقافية، داخلية كانت أم خارجية، بجميع الوسائل المتاحة، وذلك بنشر الفكر الإسلامي الوسطي، وتوسيع نطاق الفقه في الدين، وتيسير تعليمه وتَعلُّمه.

٣ ـ مواجهة الغلو في الدين والانحراف في تأويل نصوصه، بما تمليه وسطية الإسلام وسماحته وشموله: عقيدة وشريعة، وعبادة ومعاملة، وفكرًا وسلوكًا، كما يعمل على مواجهة مظاهر التفريط في القيم والأخلاقيات الإسلامية.

٤ ـ تقوية الروح الإسلامية في الشخصية الفردية والجماعية لتهيئة الأمة للقيام بدورها العبادي، ورسالتها في عمارة الأرض، وأداء واجبات الاستخلاف والشهود الحضاري على البشرية، بحيث تكون ثمرة تدينها عملًا نافعًا متقنًا، وخلقًا قويمًا، ورشدًا في الفكر، وسموًّا في الأخلاق، وتكون أسوة حسنة للناس كافة.

٥ ـ تثبيت قواعد العمل لتطبيق الشريعة، من خلال الاجتهادات المعاصرة المعتبرة التي تصدر من جهات موثَّقة أو من علماء مشهود لهم بالكفاية والأمانة، باعتبار ذلك سبيلًا إلى تحقيق صلاحية الإسلام لكلِّ زمان ومكان، وتأكيد قدرة أحكام شريعته وقواعدها على تلبية الحاجات الجديدة والأوضاع المتطوِّرة في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات.

نسخة مجانية غير مرخص بطباعة
QaradawiBooks.com

٦ ـ توحيد قوى الأمة بمختلف مذاهبها واتجاهاتها، وتوحيد جهود العلماء ومواقفهم الفكرية والعلمية، في قضايا الأمة الكبرى لتواجه التحديات صفًّا واحدًا.

غير مرخصة للطباعة

**مجالات العمل:**

١ ـ التعليم وإعداد العلماء.

٢ ـ المجتمع الأهلي والتعاون مع المؤسسات.

٣ ـ العمل الدعوي.

٤ ـ الإعلام.

٥ ـ التأليف والبحوث والفقه والإفتاء.

٦ ـ قضايا الأمة والأقليات الإسلامية.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
## لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
# يُوسُف القَرَضَاوِي

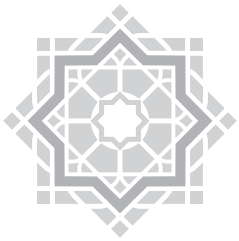

## المِحْوَرُ الأَوَّلُ
# التَّعْرِيفُ العَامُّ بِالإِسْلَامِ

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

# الإسلام

هو دين الله الذي أنزل به آخر كتبه، وبعث به آخر رسله، ليُخرج به الناس من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

وأحكام الإسلام هي مجموعة التكاليف والتعاليم التي دعا إليها رسول الله ﷺ وبلَّغها لأمته مما أخبر الله به في كتابه، أو على لسان رسوله، من حقائق الوجود، وعوالم الغيب، من كل ما يتصل بالألوهية، أو النبوة، أو الآخرة، ومما أمر به سبحانه، أو نهى عنه، أو أباحه لعباده، في شؤون الدين والحياة.

فأحكام الإسلام لا تقتصر على الجانب العملي أو التشريعي فحسب من العبادات والمعاملات، مما يعالجه علم «الفقه»، ولا على الجانب النظري أو العقائدي فقط، وهو ما يعالجه علم «التوحيد» أو «الكلام»، ولا على الجانب الروحي أو الخُلُقي، مما يعالجه علم «التصوف» أو «الأخلاق»، وإنما يشمل ذلك كله في توازن وتكامل واتساق.

والقرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان المعصومان اللذان تستمد منهما أحكام الإسلام جميعًا، فالقرآن هو المصدر الأول، والسنة هي المصدر الثاني.

يوسف القرضاوي

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور الأول

التعريف العام بالإسلام

١

# مدخل لمعرفة الإسلام

## مقوماته، خصائصه، أهدافه، مصادره

الإمام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

# من الدستور الإلهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩، ٢٠].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**». متفق عليه.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**». متفق عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: «**رأيته يأمر بمكارم الأخلاق**». متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». متفق عليه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، محمد وآله وصحبه، ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الكتاب نافذة على الإسلام، أو مدخل للتعريف به، لمَن لا يعرفه، أو يعرفه معرفة قاصرة أو مشوَّهة، وتذكير وتأكيد لمَن يعرفه، والذكرى تنفع المؤمنين. تعريف بمقوماته الأساسية، وبخصائصه العامة، وبأهدافه الرئيسية، وبمصادره المعصومة، بالإضافة إلى بيان الحاجة إلى الدين عامة، وإلى الإسلام خاصة.

وبهذا تحدَّدت الأبواب التي يتكوَّن منها هذا الكتاب:

**الباب الأول**: في الحاجة إلى الدين: حاجة العقل والنفس والفِطرة في الفرد، وحاجة المجتمع إلى بواعث وضوابط.

**والباب الثاني**: في مقومات الإسلام، من العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والتشريع.

**والباب الثالث**: في خصائص الإسلام، من الربانية، والإنسانية، والشمول، والوسطية، والجمع بين الثبات والمرونة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة ورقية
QaradawiBooks.com

**والباب الرابع**: في أهداف الإسلام، من بناء الإنسان الصالح، والأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح، والأمة الصالحة، والدولة الصالحة، والدعوة لخير الإنسانية عامة.

**والباب الخامس**: في مصادر الإسلام، وهي القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية مبينته وشارحته.

وقد استفدتُ في بيان هذه الأمور الهامة في الإسلام مما كتبتُه من قبل في كتبي الأخرى، مثل: الإيمان والحياة، والعبادة في الإسلام، والخصائص العامة للإسلام، والمرجعية العليا للقرآن والسُّنَّة، وبيِّنات الحل الإسلامي، وغيرها.

فمَن أراد أن يتوسَّع في معرفة الفصول التي كتبتُها هنا فليرجع إلى مظانِّها في كتبنا.

وأرجو أن يكون ما كتبتُه هنا كافيًا للمسلم المعاصر للوقوف على الحقائق الكبرى المتعلقة بالإسلام، وأن يمنحه زادًا من الثقافة الإسلامية اللازمة للإنسان المسلم في عصرنا، ليتعرَّف على جوهر دينه، مبرَّأً من التجزئة والتجميد والتمييع والتشويه، سالمًا من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

كما يمكن أن يعطي غير المسلم ـ الذي يرغب في معرفة شيء عن الإسلام ـ صورة صادقة عن أساسيات هذا الدين، الذي أنزل الله به آخر كتبه، وبعث به خاتم رُسُله، رحمة للعالمين، وحجَّة على الناس أجمعين.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الدوحة في رجب ١٤١٦هـ ـ ديسمبر ١٩٩٥م

الفقير إلى مولاه

يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## الباب الأول

# الحاجة إلى الدين

- معنى الدين.
- حاجة الإنسان إلى الدين.
- كلام الإمام محمد عبده.
- شهادة التاريخ والواقع.
- لا بديل عن الدين.
- تفنيد مقولة: الدين أفيون الشعوب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# معنى الدين

قبل أن نتحدَّث عن الحاجة إلى الدين عامة، وإلى الإسلام خاصة، ينبغي لنا أن نبيِّن المعنى المراد بكلمة «الدين».

ولا نريد أن نطيل الحديث في ذلك عند اللُّغويين وعند مؤرِّخي الأديان، وفلاسفة المِلل والنِّحل، وندخل في الموضوع مباشرة.

وقد بحث ذلك شيخنا الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيم «الدين»، ثم خرج بالتعريف التالي للدين، أي دين، صحيح أو فاسد، كتابي أو وثني. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الدين هو: «الاعتقاد بوجود ذات ـ أو ذوات ـ غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرُّف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد.

وبعبارة موجزة هو: الإيمان بذات إلهية، جديرة بالطاعة والعبادة. هذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين.

أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة فنقول: هو جملة النواميس النظرية التي تحدِّد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها»[1].

(١) الدين أ. د. محمد عبد الله دراز صـ ٥٢، نشر دار القلم، الكويت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذا التعريف يشمل الدين من حيث هو، ولو كان قائمًا على الشرك والوثنية، ذلك أن القرآن سمَّاه دينًا، كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد عرف علماء الإسلام الدين بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى ما فيه الصلاح في الحال والفلاح في المآل[1].

## الأديان السماوية ووحدتها:

ومن المعروف للدارسين أن الأديان نوعان:

١ ـ أديان سماوية أو كتابية، على معنى أن لها كتابًا نزل من السماء، يحمل هداية الله للبشر، مثل «اليهودية» التي أنزل الله فيها كتابه «التوراة» على رسوله «موسى» عليه السلام، ومثل «النصرانية» التي أنزل الله فيها كتابه «الإنجيل» على رسوله المسيح «عيسى» عليه السلام، ومثل «الإسلام» الذين أنزل الله فيه «القرآن» على خاتم رسله وأنبيائه «محمد» ﷺ.

وفرق ما بين الإسلام والأديان الكتابية الأخرى: أن الله تعالى حفظ أصول الإسلام ومصادره بوصفه الرسالة الأخيرة للبشر، فلم يصبها تحريف ولا تبديل، في حين لم يحفظ مصادر الأديان الأخرى وكتبها المقدَّسة، فحُرِّفت وبُدِّلت، أو ضاعت.

٢ ـ وأديان وثنية أو وضعية، تنسب إلى الأرض لا السماء، وإلى البشر لا إلى الله مثل «البوذية» في الصين واليابان، و«الهندوسية» في

(١) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي (٨١٤/١)، تحقيق د. علي دحروج، نشر مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

الهند، و«المجوسية» في فارس قديمًا، وغيرها من الأديان في آسيا وإفريقيا. فهي إمَّا من وضع البشر أساسًا، مثل البوذية. وإما أن يكون لها كتاب في الأصل ثم ضاع ولم يبقَ له أثر، كما في المجوسية.

والأصل أن الأديان السماوية واحدة في أصولها العقائدية، وإن اختلفت شرائعها باختلاف أزمنتها، وهذا ما بيَّنه القرآن وأكَّده: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

بل قرَّر القرآن أن دين الله واحد، أنزل به جميع كتبه، وبعث به جميع رسله، وهو «الإسلام»، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. فكل رسل الله كانوا مسلمين، ودعوا إلى الإسلام، ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ [آل عمران: ٦٧]، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وموسى قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، والحواريون أصحاب عيسى قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

ومحمد خاتم الرسل بُعث بالإسلام ـ دين الرسل جميعًا ـ مصدقًا لما بين يديه ـ أي ما تقدَّمه ـ من الأديان، ومؤكِّدًا لما تضمَّنته كتبها من حقائق الدين، وقواعد السلوك، كما جاء القرآن مهيمنًا على تلك الكتب، مصحِّحًا لما أصابها من تحريف لفظي أو معنوي لكلمات الله فيها، متمِّمًا لمكارم الأخلاق التي جاء بها رسل الله من قبل، حتى تبلغ غايتها بعد أن بلغت البشرية أشدَّها، واستكملت رشدها.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

يقول تعالى مخاطبًا رسوله محمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

وسنبيِّن في هذا الباب حاجة الإنسان ـ فردًا ومجتمعًا ـ إلى الدين بصفة عامة، وإلى الأديان الكتابية بصفة خاصة، وإلى الإسلام خاتمتها على وجه أخص.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# حاجة الإنسان إلى الدين

إن حاجة الإنسان إلى الديــن عامة، وإلى الإســلام خاصة، ليست حاجة ثانويــة ولا هامشية، إنها حاجــة أساسية أصيلــة، تتَّصل بجوهر الحياة، وسرِّ الوجود، وأعمق أعماق الإنسان.

وفي أقصى ما يمكن من الإيجاز ـ غير المخل ـ نبيِّن هنا وجه الحاجة إلى الدين في حياة الإنسان:

**١ ـ حاجة العقل إلى معرفة الحقائق الكبرى في الوجود:**

حاجة الإنسان إلى عقيدة دينية تنبثق ـ أول ما تنبثق ـ من حاجته إلى معرفة نفسه، ومعرفة الوجود الكبير من حولــه، أي إلى معرفة الجواب عن الأسئلة التي شُغلت بها فلسفات البشر ولم تقُل فيها ما يشفي.

فالإنسان منــذ نشأته تلحُّ عليه أسئلة يحتاج إلــى الجواب عنها: من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟! ومهما تشغلــه مطالب العيش عن هذا التساؤل، فإنه لا بدَّ واقف يومًا ليسأل نفسه هذه الأسئلة الخالدة:

(أ) يقول الإنسان في نفسه: من أين جئتُ وجاء هذا الكون العريض من حولي؟ هل وُجِدتُ وحدي أم هناك خالق أوجدني؟ ومَن هو؟ وما

QaradawiBooks.com

صلتي به؟ وكذلك هذا العالَم الكبيـــر بأرضه وسمائه، وحيوانه ونباته وجماده وأفلاكه، هل وُجِد وحده أم أوجده خالق مُدبِّر[1]؟

(ب) ثم ماذا بعد هذه الحياة وبعد الموت؟ إلى أين المسير بعد هذه الرحلة القصيـــرة على ظهر هذا الكوكب الأرضـــي؟ أتكون قصة الحياة مجرد «أرحام تدفع، وأرض تبلع»، ولا شـــيء بعد ذلك؟ وكيف تستوي نهاية الأخيار الطاهرين الذين ضحَّوا بأنفسهـــم في سبيل الحق والخير، ونهاية الأشرار الملوَّثين الذين ضحوا بغيرهم في سبيل الهوى والشهوة؟ أتختتم الحياة بالمـــوت؟ أم هناك وراء الموت حيـــاة يُجزى فيها الذين أساؤوا بما عملوا والذين أحسنوا بالحسنى؟

(جـ) ثم لماذا وُجِد الإنسان؟ لماذا أُعطي العقل والإرادة وتميز عن سائر الحيوان؟ لماذا سُخِّر له ما فـــي السماوات وما في الأرض؟ أهناك غاية من وجوده؟ أله مهمة في حياته؟ أم وُجِد لمجرد أن يأكل كما تأكل الأنعام ـ ثم يَنْفُق كما تَنفُق الدواب؟ وإن كانت هناك غاية من وجوده فما هي؟ وكيف يعرفها؟

أسئلة تلحُّ على الإنسان في كل عصر وتتطلب الجواب الذي يشفي الغليل ويطمئن به القلب، ولا سبيل إلى الجواب الشافي إلا باللجوء إلى الدين، إلى العقيدة الدينية الصافية. الدين هو الذي يعرِّف الإنسان ـ أول ما يعرِّفه ـ أنه لم يخرج من العدم إلى الوجـــود صدفة، ولا قام في هذا الكون وحده، وإنما هو مخلوق لخالق عظيم، هو ربُّه الذي خلقه فسوَّاه فعدَّله، ونفخ فيه مـــن روحه، وجعل له السمع والبصـــر والفؤاد، وأمدَّه

(١) انظر: الله يتجلى في عصر العلم لنخبة من العلماء الأمريكيين صـ ٥٢، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، نشر دار القلم، بيروت.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بنعمه الغامرة، منذ كان جنينًا في بطن أمه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣].

وهذا الكون الكبير من حوله ليس غريبًا عنه ولا عدوًّا له، إنه مخلوق مثله لله لا يسير جزافًا ولا يمشي اعتباطًا، كل شيء فيه بقَدَر، وكل أمر فيه بحساب وميزان، إنه نعمة من الله للإنسان ورحمة، يَنعم بخيراته، ويستفيد من بركاته، ويتأمَّل في آياته، فيستدلُّ به على ربه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢ ـ ٣]، ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

بهذه العقيدة يرتبط الإنسان بالوجود الكبير، وبربِّ الوجود كلِّه، ولا يعيش منطويًا على نفسه، معزولًا عما حوله، أو خائفًا منه.

والدين هو الذي يُعرِّف الإنسان: إلى أين يسير بعد الحياة والموت؟ إنه يعرِّفه أن الموت ليس فناءً محضًا، ولا عدمًا صِرفًا، إنما هو انتقال إلى مرحلة أخرى، إلى حياة برزخية، بعدها نشأة أخرى تُوفَّى فيها كل نفس ما كسبت، وتُخَلَّد فيما عملت، فلا يضيع هناك عمل عامل من ذكر أو أنثى، ولا يفلِت من العدل الإلهي جبار أو مستكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨]. بهذا يعيش الإنسان بوجدانه في الخلود، ويعلم أنه خلق للأبد، وإنما ينتقل بالموت من دار إلى دار.

والدين هو الذي يُعرِّف الإنسان: لماذا خُلِق؟ ولماذا كُرِّم وفُضِّل؟ يُعرِّفه بغاية وجوده، ومهمَّته فيه، إنه لم يُخلق عبثًا، ولم يُترك سدًى، إنه خُلِق ليكون خليفة الله في الأرض، يعمرها كما أمر الله، ويُسخِّرها لما يحبُّ الله، يكشف عن مكنوناتها، ويأكل من طيِّباتها، غير طاغٍ على حقِّ

QaradawiBooks.com

غيره، ولا ناسٍ حقَّ ربِّــه. وأول حقوق ربِّه عليــه: أن يعبده وحده، ولا يُشرك به شيئًا، وأن يعبده بما شرع، على ألسنة رسله، الذين بعثهم إليه هداة معلمين، مبشِّرين ومنذرين، فإذا أدَّى مهمته في هذه الدار المحفوفة بالتكليف والابتلاء، وجد جزاءه هناك في الدار الآخرة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

بهذا يدرك الإنسان سرَّ وجوده، ويستبين مهمَّته في الحياة، التي بيَّنها له بارئ الكون، وواهب الحياة، وخالق الإنسان.

إن الذي يعيش بغير دين ـ بغير عقيدة في الله والآخرة ـ إنسان شقي محروم حقًّا. إنه في نظر نفسه مخلوق حيواني، لا يفترق عن الحيوانات الكبيرة التي تدبُّ على الأرض من حوله، والتي تعيش وتتمتع ثم تموت وتنفق، بدون أن تعرف لهــا هدفًا، أو تدرك لحياتها ســرًّا، إنه مخلوق صغير تافه لا وزن له ولا قيمــة، وُجِد ولا يعرف كيــف وُجِد، ولا مَن أوجده؟ ويعيش ولا يدري: لماذا يعيش؟ ويموت ولا يعلم لماذا يموت؟ وماذا بعد الموت؟ إنه في شــك ـ بل في عمى ـ من أمــره كلِّه: محياه ومماته، مبدئه ومنتهاه، كالذين قال الله فيهم: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

وما أقسى حياة إنسان يعيش في جحيم الشكِّ والحيرة أو في ظلمات العمى والجهل، في أخصِّ ما يخصُّه، في حقيقة نفسه، وسرِّ وجوده، وغاية حياته. إنه الشقــي التعيس حقًّا، وإن غرق في الذهــب والحرير وأسباب الرفاهية والنعيم، وحمل أرقى الشهادات، وتسلَّم أعلى الدرجات!

وفرق كبير بين إنسان كعمر الخيام يقول في حال حيرته وشكِّه:

QaradawiBooks.com

لبستُ ثوب العمر لم أُستشر وحرتُ فيه بين شتَّى الفكر!
وسوف أنضو الثوب عني، ولم أدرِ: لماذا جئتُ، أين المفر؟

وبين آخر يقول في يقين وطمأنينة:

وما الموت إلا رحلة، غير أنها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي[١]!

ويقول عمر بن عبد العزيز: إننا خُلِقنا للأبد، وإنما نُنقل من دار إلى دار[٢].

إن حاجة الإنسان إلى الدين تنبثق ـ قبل كل شيء ـ من حاجته إلى معرفة حقيقة نفسه وإلى معرفة حقائق الوجود الكبرى، وأول هذه الحقائق وأعظمها: وجود الله تعالى، ووحدانيته وكماله سبحانه. فبمعرفته والإيمان به جلَّ شأنه، تنحلُّ عُقَد الوجود، ويتَّضح للإنسان الغاية والوجهة، ويتحدَّد المنهج والطريق.

## ٢ ـ حاجة الفِطرة البَشرية:

ما ذكرناه من حاجة الإنسان إلى الدين يتَّصل بحاجاته العقلية، ولكن هناك حاجة الوجدان والشعور أيضًا، فالإنسان ليس عقلًا فقط، كالأدمغة الإلكترونية، إنما هو عقل ووجدان وروح، هكذا تكوَّنت فطرته، ونطقت جبلته. فالإنسان بفطرته لا يقنعه علم ولا ثقافة، ولا يُشبع نهمته فن ولا أدب، ولا يملأ فراغ نفسه زينة أو متعة، ويظلُّ قلق النفس، جوعان الروح، ظمآن الفطرة، وشاعرًا بالفراغ والنقص، حتى يجد العقيدة في الله، فيطمئن بعد قلق، ويَسْكن بعد اضطراب، ويأمن بعد خوف، ويحسُّ بأنه وجد نفسه.

(١) البيت لأبي العتاهية، انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ ١٥١، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة.

QaradawiBooks.com

يقول الفيلسوف «أوجست سباتييه» في كتابه «فلسفة الأديان»: «لماذا أنا متديـــن؟ إني لم أُحرِّك شـــفتي بهذا السؤال مـــرة، إلا وأراني مسوقًا للإجابة عليه بهذا الجـــواب، وهو: أنا متدين؛ لأنـــي لا أستطيع خلاف ذلك، لأن التدين لازم معنوي من لوازم ذاتي. يقولون لي: ذلك أثر من آثار الوراثـــة أو التربية أو المزاج. فأقول لهم: قـــد اعترضتُ على نفسي كثيرًا بهذا الاعتراض نفسه، ولكني وجدته يقهقر المسألة ولا يحلُّها»[(١)].

ولا عجب أن وجدنا هذه العقيـــدة عند كل الأمم: بدائية ومتحضرة، وفي كلِّ القارات، شرقية وغربية. وفي كل العصور، قديمة وحديثة. وإن كان الأكثرون قد انحرفوا بها عن الصراط المستقيم.

يقول المؤرخ الإغريقي «بلو تارك»: قد وُجِدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصـــور، ومدن بلا مدارس، ولكـــن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد[(٢)].

ولهذا جعل القرآن الدين ـ بمعنى العقيدة ـ هو الفطرة البشرية نفسها: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠].

### ٣ ـ حاجة الإنسان إلى الصحة النفسية والقوة الروحية:

وثمة حاجة أخرى إلى الدين: حاجة تقتضيها حياة الإنسان وآماله فيها، وآلامه بها. حاجة الإنسان إلى ركن شديد يأوي إليه، وإلى سناد متين يعتمد عليـــه، إذا ألمَّت به الشدائد، وحلَّـــت بساحته الكوارث،

(١) الإسلام دين عام خالد تحليل دقيق لأصول الدين الإسلامي تحت ضوء العلم والفلسفة صـ ١٠، ١١، نشر مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ط ١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

(٢) انظر: الله والإنسان لمصطفى محمود صـ ١١٦، نشر دار الجمهوريـــة، القاهرة، سلسلة كتب للجميع، العدد (١١٣).

QaradawiBooks.com

ففقد ما يحبُّ، أو واجه ما يكره، أو خاب ما يرجو، أو وقع به ما يخاف، هنا تأتي العقيدة الدينية، فتمنحه القوة عند الضعف، والأمل في ساعة اليأس، والرجاء في لحظة الخوف، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس.

إن العقيدة في الله وفي عدله ورحمته، وفي العوض والجزاء عنده في دار الخلود، تهب الإنسان الصحة النفسية والقوة الروحية، فتشِع في كيانه البهجة، ويغمر روحَه التفاؤلُ، وتتسع في عينه دائرة الوجود، وينظر إلى الحياة بمنظار مشرق، ويهون عليه ما يلقى وما يكابد في حياته القصيرة الفانية، ويجد من العزاء والرجاء والسكينة ما لا يقوم مقامه، ولا يُغني عنه علم ولا فلسفة، ولا مال ولا ولد، ولا مُلْك المشرق والمغرب.

ورضي الله عن عمر إذ قال: ما أصبتُ بمصيبة إلا كان لله عليَّ فيها أربع نِعَم: أنها لم تكن في ديني، وأنها لم تكن أكبر منها، وأنني لم أحرم الرضا عند نزولها، وأنني أرجو ثواب الله عليها[1].

أما الذي يعيش في دنياه بغير دين، بغير إيمان، يرجع إليه في أموره كلها ـ وبخاصة إذا ادلهمَّت الخطوب، وتتابعت الكروب، والتبست على الناس المسالك والدروب. يستفتيه فيفتيه، ويسأله فيجيبه، ويستعينه فيعينه، ويمنحه المدد الذي لا يغلب، والعون الذي لا ينقطع ـ الذي يعيش بغير هذ الإيمان ـ يعيش مضطرب النفس، متحيِّر الفكر، مبلبل الاتجاه، ممزَّق الكيان، شبَّهه بعض فلاسفة الأخلاق بحال «رافاياك» التعس، الذي يحكون عنه أنه اغتال الملك ـ هنري الرابع ـ فكان جزاؤه أن يُربط من يديه ورجليه

(١) فيض القدير للمناوي (١٣٣/٢)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ. وانظر كتابنا: الإيمان والحياة، موضوع: الثبات في الشدائد، والقوة.

QaradawiBooks.com

إلى أربعة مـــن الجياد، ثم ألهب ظهر كل منها، لتتجـــه مسرعة، كل واحد منها إلى جهة من الجهات الأربع، حتى مُزِّق جسمه شر مُمزَّق[١]!

هذا التمزق الجسمي البشع مثل للتمزق النفسي الذي يعانيه مَنْ يحيا بغير دين، ولعـــل الثاني أقســـى مـــن الأول وأنكى في نظـــر العارفين المتعمِّقين؛ لأنه تمزق لا ينتهي أثره فـــي لحظات، بل هو عذاب يطول مداه، ويلازم مَن نُكِب به طول الحياة.

ولهذا نرى الذين يعيشون بغير عقيدة راسخة يتعرَّضون أكثر من غيرهم للقلق النفســـي، والتوتر العصبـــي، والاضطراب الذهنـــي، وهم ينهارون بسرعة إذا صدمتهم نكبات الحياة، فإما انتحروا انتحارًا سريعًا، وإما عاشوا مرضى النفوس، أمواتًا كالأحياء! على نحو ما قال الشاعر العربي قديمًا:

ليس مَن مات فاستراح بميِّتٍ ... إنمـــا المَيْتُ مَيِّـــتُ الأحياء!

إنما المَيْتُ مَـــن يعيش كئيبًا ... كاسفًا باله قليـــلَ الرجاءِ[٢]!

وهذا ما يقرِّره علماء النفس وأطباء العلاج النفسي في العصر الحديث. وهو ما سجَّله المفكرون والنُّقَّاد في العالم كله.

يقول المؤرخ الفيلسوف «أرنولد توينبـــي»: «الدين إحدى الْمَلَكات الضرورية الطبيعية البشرية، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه إلى حالة من اليـــأس الروحي، تضطره إلى التمـــاس العزاء الديني على موائد لا تملك منه شيئًا»[٣].

---

(١) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة لأندريه كريسون صـ ٥٣، ٥٤، ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر ذكري، نشر دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) من شعر عدي بن الرعلاء الغساني، كما في الأصمعيات صـ١٥٢، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣م.

(٣) مختصر دراسة التاريخ لأرنولـــد توينبي (١٧٩/٣)، ترجمة فؤاد محمد شـــبل وآخران، نشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

ويقول الدكتور «كارل يونج» في كتابه «الإنسان العصري يبحث عن نفسه»: «إن كلَّ المرضى الذين استشاروني خلال الثلاثين سنة الماضية، من كلِّ أنحاء العالم، كان سبب مرضهم هو نقص إيمانهم، وتزعزع عقائدهم، ولم ينالوا الشفاء إلا بعد أن استعادوا إيمانهم»[١].

ويقول «وليم جيمس» فيلسوف المنفعة والذرائع: «إن أعظم علاج للقلق ـ ولا شك ـ هو الإيمان»[٢].

ويقول الدكتور «أ. أ. بريل»: «إن المرء المتدين حقًّا لا يعاني قط مرضًا نفسيًّا».

ويقول «ديل كارنيجي» في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة»: «إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين، كفيلان بأن يقهرا القلق، والتوتر العصبي، وأن يشفيا من هذه الأمراض»[٣].

وقد أفاض الدكتور «هنري لنك» في كتابه «العودة إلى الإيمان» في بيان ذلك والتدليل عليه بما لمسه وجرَّبه من وقائع وفيرة، خلال عمله في العلاج النفسي[٤].

---

(١) انظر: الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان صـ ٢٥٩، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة د. عبد الصبور شاهين، نشر المختار الإسلامي، القاهرة، ط ٧، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م

(٢) انظر: دع القلق وابدأ الحياة لديل كارنيجي صـ ٢٠٩، تعريب عبد المنعم محمد الزيادي، نشر مكتبة الخانجي، ط ١٦.

(٣) المصدر السابق صـ ٢١١، ٢١٢ بتصرف.

(٤) انظر كتابنا: الإيمان والحياة، فصل: بين العلم والإيمان، وبخاصة ما كُتِب تحت عنوان: الطب النفسي في موكب الإيمان.

QaradawiBooks.com

### ٤ ـ حاجة المجتمع إلى بواعث وضوابط أخلاقية:

وهناك حاجة أخرى إلى الدين: حاجة اجتماعية، إنها حاجة المجتمع إلى بواعث وضوابط: بواعث تدفع أفراده إلى عمل الخير، وأداء الواجب وإن لم يوجد من البشر مَن يراقبهم، أو يكافئهم. وضوابط تحكم علاقاتهم، وتُلزم كل واحد منهم أن يقف عند حدِّه، ولا يتعدَّى على حقِّ غيره أو يُفرِّط في خير مجتمعه، من أجل شهوات نفسه، أو منفعته المادية العاجلة.

ولا يقال: إن القوانين واللوائح كافية لإيجاد هذه الضوابط وتلك البواعث، فإن القوانين لا تخلق باعثًا، ولا تكفي ضابطًا، فإن الإفلات منها ممكن، والاحتيال عليها ميسور، ولهذا كان لا بدَّ من بواعث وضوابط أخلاقية، تعمل من داخل النفس الإنسانية لا من خارجها. لا بدَّ من هذا الباعث الداخلي، ومن هذا: الوازع الذاتي، لا بد من الضمير، أو «الوجدان» أو «القلب» ـ سمِّه ما شئتَ ـ فهو القوة التي إذا صلحت صلح عمل الإنسان كلُّه، وإذا فسدت فسد كلُّه.

ولقد عرف الناس بالمشاهدة والتجربة واستقراء التاريخ، أن العقيدة الدينية لا يغني غناءها شيء في تربية الضمير وتزكية الأخلاق، وتكوين البواعث التي تحفِّز على الخير، والضوابط التي تردع عن الشرِّ، حتى قال بعض قضاة العصر في بريطانيا، وقد هاله ما رأى من جرائم موبقة، رغم تقدُّم العلم، واتساع الثقافة، ودقَّة القوانين: «بدون أخلاق لا يوجد قانون، وبدون إيمان لا توجد أخلاق»[1].

ولا غرو أن اعتراف بعض الملاحدة أنفسهم بأن الحياة لا تستقيم بدون دين، بدون عقيدة في الله وفي الجزاء في الآخرة، حتى قال «فولتير»:

(١) انظر كتابنا: الإيمان والحياة، فصل: الإيمان والأخلاق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«لو لم يكن الله موجودًا لوجب علينا أن نخلقه»[١]! أي نخترع للناس إلهًا يرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويلتمسون رضاءه، فيعملون الصالحات، ويتجنبون السيئات، ويقول مرة أخرى ساخرًا: «لِمَ تشككون في وجود الله، ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي»!

وقال «بلو تارخ»: «إن مدينة بلا أرض تقوم عليها، أسهل من قيام دولة بلا إله»[٢]!

### ٥ ـ حاجة المجتمع إلى التعاون والتماسك:

ثم إن للدين دورًا كبير الأهمية في توثيق الصلة بين الناس بعضهم وبعض، باعتبارهم جميعًا عبيدًا لربٍّ واحد خلقهم، وأبناء لأب واحد نسلهم، فضلًا عما ينشئه الدين بينهم من أخوة العقيدة، وآصرة الإيمان.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وما تحدثه هذه الأخوة الدينية من آثار في الأنفس والحياة، حتى نجد أحدهم يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، بل يؤثر أخاه على نفسه، ولو كان به خصاصة.

يقول شيخنا الدكتور محمد عبد الله دراز، في كتابه القيم «الدين»: «لا حاجة بنا إلى التنبيه على أن الحياة في الجماعة لا قيام لها إلا بـ «التعاون» بين أعضائها، وأن هذا التعاون إنما يتم بـ «قانون» ينظِّم علاقاته، ويحدِّد حقوقه وواجباته، وأن هذا القانون لا غنى له عن «سلطان» نازع وازع، يكفل مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته.

---

(١) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٦٦/٣٨)، ترجمة د. زكي نجيب محمُود وآخرين، نشر دار الجيل، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨م.

(٢) الله والإنسان لمصطفى محمود صـ ١١٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تلك كلُّها مبادئ مقررة، والحديث فيها معاد مملول.

وإنما الشأن كلُّ الشأن في هذا السلطان النازع الوازع: ما هو؟

فالذي نريد أن نثبته في هذه الحلقة من البحث هو أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التديُّن أو تدانيها في كفالة احترام القانون، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه.

السرُّ في ذلك أنَّ الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرُّفاته الاختيارية يتولَّى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يوضع في يده ولا عنقه، ولا يجري في دمه، ولا يسري في عضلاته وأعصابه، وإنَّما هو معنى إنساني روحاني، اسمه الفكرة والعقيدة، فالإنسان أبدًا أسير هذه الفكرة والعقيدة.

ولقد ضلَّ قوم قلبوا هذا الوضع وحسبوا أن الفكر والضمير لا يؤثران في الحياة المادية والاقتصادية، بل يتأثَّران بها، هذا الرأي الماركسي هو قبل كلِّ شيء نزول بالإنسان عن عرش كرامته، ورجوع به القهقرى إلى مستوى البهيمية، ثم هو تصوير مقلوب للحقائق الثابتة المشاهدة في سلوك الأفراد والجماعات في كلِّ عصر؛ فلكي يختار الناس أن يحيوا حياة مادية لا نصيب فيها للقلب ولا للروح، لا بدَّ أن يقنعوا أنفسهم بادئ ذي بدء بأن سعادتهم هي في هذا النوع من الحياة. فالإنسان مقود أبدًا بفكرة: صحيحة أو فاسدة، فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كلُّ شيء؛ وإن فسدت فسد كلُّ شيء.

أجل إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيَيْن وحدهما لإقامة مدينة فاضلة تُحترم فيها القوانين، وتُؤدَّى الواجبات على وجهها الكامل؛ فإنَّ الذي

QaradawiBooks.com

يؤدِّي واجبه رهبة من السَّوط أو السجن أو العقوبة المالية، لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون.

ومن الخطأ البيِّن أن نظنَّ أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانًا للسلام والرخاء، وعوضًا عن التربية والتهذيب الديني والخلقي؛ ذلك أن العلم سلاح ذو حدَّين: يصلح للهدم والتدمير، كما يصلح للبناء والتعمير. ولا بدَّ في حسن استخدامه من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض، لا إلى نشر الشرِّ والفساد. ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان»[1].

* * *

(١) الدين لشيخنا الدكتور محمد عبد الله دراز صـ ٩٨، ٩٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# كلام الإمام محمد عبده

وقد بيَّن الأستاذ الإمام محمد عبده في كتابه الفريد «رسالة التوحيد» وجوه حاجة البشر إلى النبوة والرسالة الإلهية، وأنَّها للنوع الإنساني بمثابة العقل للفرد الإنساني، وأن البشر لا يستغنون عن هداية الله لهم بحال، لهذا أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤][(١)]. ولقد أكَّد هذا في تفسيره لسورة الفاتحة وبيان حاجة الناس إلى هدى الله سبحانه عند آية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، كما نقله صاحب المنار رحمهما الله جميعًا[(٢)].

وعاد إلى ذلك في تفسير قوله تعالى من سورة النساء عقب بيان أحكام المواريث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء: ١٣]، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «طاعة الرسول هي طاعة الله بعينها؛ لأنه إنما يأمرنا بما يوحيه إليه الله من مصالحنا التي فيها سعادتنا في الدنيا والآخرة، وإنما يذكر طاعة الرسول مع طاعة الله؛ لأن من الناس مَن كانوا يعتقدون قبل

(١) رسالة التوحيد صـ ٤٢٨ ـ ٤٣٤ ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق د. محمد عمارة، نشر دار الشروق، القاهرة، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة، ٢٠٠٨م ـ ٢٠٠٩م.

(٢) تفسير المنار للسيد رشيد رضا (٥٣/١)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

اليهودية وبعدها، وكذلك بعد الإسلام إلى اليوم: أن الإنسان يمكن أن يستغني بعقله وعمله عن الوحي، يقول أحدهم: إنني أعتقد أن للعالم صانعًا عليمًا حكيمًا، وأعمل بعد ذلك بما يصل إليه عقلي من الخير واجتناب الشرِّ. وهذا خطأ من الإنسان، ولو صحَّ ذلك لما كان في حاجة إلى الرسل، وقد تقدَّم في تفسير سورة الفاتحة: أن الإنسان محتاج بطبيعته النوعية إلى هداية الدين، وأنها هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للإنسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل، فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيًا لهداية أمة من أممه، ومرقيًا له بدون معونة الدين».

**اعتراض من الملحدين وجوابه:**

وقد عقَّب العلامة السيد رشيد رضا في تفسير المنار على كلام الشيخ محمد عبده بإيراد اعتراض من المرتابين والملاحدة وأجاب عنه إجابة مطولة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يرد على هذا من جانب المرتابين والملاحدة: إنَّنا نرى كثيرًا من أفراد الناس لا يدينون بدين، وهم في درجة عالية من الأفكار والآداب، وحسن الأعمال التي تنفعهم وتنفع الناس، حتى إن العاقل المجرد عن التعصب الديني يتمنى لو كان الناس كلهم مثله، بل يسعى كثير من الفلاسفة لجعل الأمم مثل هؤلاء الأفراد في آدابهم وارتقائهم.

وأجيب عن هذا أولًا: بأن الكلام في هداية الجماعات من البشر، كالشعوب والقبائل والأمم الذين يتحقَّق بارتقائهم معنى الإنسانية في الحياة الاجتماعية، سواء كانت بدوية أو مدنية، وقد علَّمنا التاريخ أنه لم تقُم مدنية في الأرض من المدنيات التي وعاها وعرفها إلا على أساس الدين، حتى مدنيات الأمم الوثنية، كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين. وعلَّمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من

QaradawiBooks.com

الله ﷻ، لهدايتها. فنحن بهذا نرى أن تلك الديانات الوثنية كان لها أصل إلهي، ثم سرت الوثنية إلى أهلها حتى غلبت على أصلها، كما سرت إلى مَن بعدهم من أهل الديانات، التي بقي أصلها كلُّه أو بعضه على سبيل القطع، أو على سبيل الظنِّ.

وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظًا تامًّا إلا الديانة الإسلامية، وهو مع ذلك قد دوَّن في أسفاره كيفية سريان الوثنية الجلية أو الخفية إلى كثير من المنتسبين إليها، كالنصيرية، وسائر الباطنية وغيرهم، ممَّن غلب عليهم التأويل أو الجهل، حتى إنه يوجد في هذا العصر من المنتمين إلى الإسلام مَن لا يعرفون من أحكامه الظاهرة غير قليل مما يخالفون به جيرانهم، كجواز أكل لحم البقر في الأطراف الشاسعة من الهند! وكيفية الزواج، ودفن الموتى في بعض بلاد روسيا وغيرها! فمَن علم هذا لا يستبعد تحوُّل الديانات الإلهية القديمة إلى الوثنية.

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية؛ لأن الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المادي. وها نحن أولاء نقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين في هذا العصر «هربرت سبنسر» أن آداب الأمم وفضائلها التي هي قوام مدنيَّتها مستندة كلها إلى الدين، وقائمة على أساسه، وأن بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين، وبناءها على أساس العلم والعقل، وأن الأمم التي يجري فيها هذا التحويل، لا بدَّ أن تقع في طور التحويل في فوضى أدبية، لا تعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها. هذا معنى كلامه في بعض كتبه. وقد قال هو للأستاذ الإمام في حديث له معه: إن الفضيلة قد اعتلَّت في الأمة الإنجليزية وضعفت في هذه السنين الأخيرة، من حيث قوي فيها الطمع المادي.

QaradawiBooks.com

ونحن نعلم أن الأمة الإنجليزية من أشدِّ أمم أوروبا تمسكًا بالدين، مع كون مدنيتها أثبت، وتقدُّمها أعم؛ لأن الدين قوام المدنية بما فيه من روح الفضائل والآداب، على أن المدنية الأوروبية بعيدة عن روح الديانة المسيحية، وهو الزهد في المال والسلطان وزينة الدنيا، فلولا غلبة بعض آداب الإنجيل على تلك الأمم لأسرفوا في مدنيَّتهم المادية إسرافًا غير مقترن بشيء من البرِّ وعمل الخير، وإذن لبادت مدنيتهم سريعًا. ومَن يقل: إنه سيكون أبعدها عن الدين أقربها إلى السقوط والهلاك لا يكون مفتاتًا في الحكم، ولا بعيدًا عن قواعد علم الاجتماع فيه.

فحاصل هذا الجواب الأول عن ذلك الإيراد: أن وجود أفراد من الفضلاء غير المتدينين لا ينقض ما قاله الأستاذ الإمام، من كون الدين هو الهداية الرابعة لنوع الإنسان التي تسوقه إلى كماله المدني في الدنيا، كما تسوقه إلى سعادة الآخرة.

وثانيًا: إنه لا يمكن الجزم بأن فلانًا الملحد الذي تراه عالي الأفكار والآداب قد نشأ على الإلحاد وتربى عليه من صغره، حتى يقال: إنه قد استغنى في ذلك عن الدين. لأننا لا نعرف أمة من الأمم تربَّى أولادها على الإلحاد، وإننا نعرف بعض هؤلاء الملحدين الذين يعدون في مقدمة المرتقين بين قومهم، ونعلم أنهم كانوا في نشأتهم الأولى من أشدِّ الناس تدينًا واتباعًا لآداب دينهم وفضائله، ثم طرأ عليهم الإلحاد في الكبر، بعد الخوض في الفلسفة التي تناقض بعض أصول ذلك الدين الذي نشؤوا عليه. والفلسفة قد تغيِّر بعض عقائد الإنسان، وآرائه، ولكن لا يوجد فيها ما يقبِّح له الفضائل والآداب الدينية، أو يذهب بملكاته وأخلاقه الراسخة كلِّها، وإنما يسطو الإلحاد على بعض آداب

QaradawiBooks.com

الدين، كالقناعة بالمال الحلال، فيزيِّن لصاحبه أن يستكثر من المال ولو من الحرام، كأكل حقوق النـاس، والقمار، بشـرط أن يتقي ما يجعله حقيرًا بين مَن يعيش معهم، أو يلقيه في السجن، وكالعفة في الشهوات، فيبيح له من الفواحـش ما لا يخلُّ بالشرط المذكـور آنفًا. هذا إذا كان راقيًا في أفكاره وآدابه، وأما غير الراقين منهم فهم الذين لا يصدُّهم عن الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل إلا القوة القاهرة.

ولـولا أن دول أوروبا قد نظمـت فِرَق المحافظين علـى الحقوق من الشِّحنة والشُّرطة «البوليس والضابطة» أتم تنظيم، وجعلت الجيوش المنظمة عونًا لهـم عند الحاجة، لما حفـظ لأحد عندها عـرض ولا مال؛ ولعمَّت بلادها الفوضى والاختلال، ولقد كانت الحقـوق والأعراض محفوظة في الأمم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيـام كان الدين مرعيًّا في الآداب والأحكام. فتبيَّن بهذا أن طاعة الله ورسله لا بد منها لسعادة الدنيا»[1].

* * *

(١) تفسير المنار (١٥٣/٤ ـ ٣٥٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# شهادة التاريخ والواقع

إن تجارب التاريخ وتجارب الواقع كلَّها تنطــق بأصالة الإيمان في الحيــاة، وضرورته للإنسان، فهو ضرورة للفــرد ليطمئن ويسعد ويزكو، وهو ضرورة للمجتمع ليستقرَّ ويتماسك ويرقى.

يقول الأستاذ العقاد: «إن تجارب التاريخ تقــرِّر لنا أصالة الدين في جميع حركــات التاريخ الكبرى، ولا تسمح لأحــد أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تُلغيَه، ويستطيع الفرد أن يستغنيَ عنه، في علاقته بتلك الجماعة، أو فيما بينه وبين سريرته المطوية من حوله، ولو كانوا من أقرب الناس إليه.

ويقرِّر لنا التاريخ أنه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الإنسانية أثر أقوى وأعظم من عامل الدين، وكلُّ ما عداه من العوامل الأخرى في حركات الأمم، فإنها تتفاوت فيه القوة بمقدار ما بينه وبين العقيدة الدينية من المشابهة في التمكُّن من أصالة الشعور وبواطن السريرة.

هذه القوة لا تضارعها قوة العصبية ولا قوة الوطنية ولا قوة العُرف، ولا قوة الأخلاق، ولا قوة الشرائع والقوانيــن، إذ كانت هذه القوة إنما ترتبط بالعلاقــة بين المرء ووطنــه، أو العلاقة بينه وبيــن مجتمعه، أو العلاقة بينه وبين نوعه، على تعدد الأوطان والأقوام.

QaradawiBooks.com

أما الدين فمرجعه إلى العلاقة بين المرء وبين الوجود بأسره، وميدانه يتسع لكلِّ ما في الوجود من ظاهر وباطن، ومن علانية وسر، ومن ماضٍ أو مصير، إلى غير نهاية، بين آزال لا تُحصى في القِدَم، وآباد لا تُحصى فيما ينكشف عنه عالم الغيوب. وهذا على الأقل هو ميدان العقيدة الدينية في مثلها الأعلى، وغاياتها القصوى، وإن لم تستوعبها ضمائر المتدينين في جميع العصور.

ومن أدلة الواقع على أصالة الدين: أنك تلمس هذه الأصالة عند المقابلة بين الجماعة المتدينة، والجماعة التي لا دين لها، أو لا تعتصم من الدين بركن مكين.

وكذلك تلمس هذه الأصالة عند المقابلة بين فرد يؤمن بعقيدة من العقائد الشاملة، وفرد معطَّل الضمير، مضطرب الشعور، يمضي في الحياة بغير محور يلوذ به، وبغير رجاء يسمو إليه.

لهذا، الفارق بين الجماعتين، وبين الفردين، كالفارق بين شجرة راسخة في منبتها وشجرة مجتثَّة من أصولها!

وقَلَّ أن ترى إنسانًا معطَّل الضمير، على شيء من القوة والعظمة، إلا أمكنك أن تتخيله أقوى من ذلك وأعظم، إذا حلَّت العقيدة في وجدانه محلَّ التعطُّل والحيرة»[1].

* * *

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه صـ ١٥، ١٦، نشر المكتبة العصرية، بيروت.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# لا بديل عن الدين

ومن الناس مَن يتصور إمكان الاستغناء عن الدين بالعلم الحديث حينًا، أو المذاهب الفكرية «الأيديولوجيات» الحديثة حينًا آخر.

وكلا التصورين خطأ. فقد بيَّن الواقع الناطق أنه لا شيء يغني عن الدين، ويقوم بديلًا عنه في أداء رسالته الضخمة في حياة الإنسان.

**العلم ليس بديلًا عن الدين:**

أما العلم فليس بديلًا عن الدين والإيمان بحال، فإن مجال العلم غير مجال الدين. وأريد بـ «العلم» هنا العلم بمفهومه الغربي المحدود، لا بمفهومه الإسلامي الشامل ـ الذي يشمل العلم بالظواهر الجزئية للكون، والعلم بحقائق الوجود الكبرى ـ أي ما يشمل علم الدنيا، وعلم الدين. فليس هو علم المادة وخواصها فحسب، بل العلم المتعلق بالكون والحياة والإنسان، وخالقها سبحانه.

العلم بالمفهوم الغربي لا يصلح بديلًا عن الدِّين؛ لأنَّ مهمة هذا العلم أن يُيسِّر للإنسان أسباب الحياة، لا أن يفسِّر له ألغازها. العلم يعين الإنسان على حل مشكلة العيش، ولكن لا يعينه على حل مشكلة الوجود وقضاياه الكبرى.

نسخة مجانية

ولهذا نرى أعظم البلاد فـــي عصرنا تقدمًا في العلم، وأخذًا بأسبابه، يشكو أهلها من الفراغ الروحي، والقلق النفسي، والاضطراب الفكري، والشعور الدائم بالتفاهة والاكتئاب والضياع. ونرى شـــبابها ينقلبون بين شتى البِدع الفكرية والسلوكية، ثائرين على آلية الحياة، ومادية الحضارة، وإن لم يهتدوا إلى المنهج السليم، والصراط المستقيم.

وهذا هو سر العوج والشذوذ والانحرافات، التي لمسها العالم كله في سلوك أولئك الشباب الحائرين، الذين يسمونهم «الخنافس» أو «الهيبيين» وأشباههم ممن ضاق ذرعهم بتفاهة العيش، وتمردوا على حضارة الغرب وإن نشؤوا بين أحضانها.

إن العلم الحديث محدود الوسع، محدود القُدرة، محدود المجال.

في وسع العلم أن يمنح الإنسان الوسائـــل والآلات، ولكن ليس في وسعه ولا من اختصاصه أن يمنحه الأهداف والغايات، وما أتعس الإنسان إذا تكدَّست لديه الوسائل دون أن يعرف لنفسه هدفًا ولا لحياته قيمة، إلا أهداف السباع في العدوان، أو أهداف البهائم في الأكل والسِّفاد. أما هدف رفيع يليق بمواهب الإنسان، وخصائص الإنسان، وكرامة الإنسان، فلا.

إن الدين وحده هو الذي يمنح الإنســـان أهدافًا عليا للحياة وغايات كبرى للوجود، ويجعل له فيه مهمة ورسالة، ولحياته قيمة واعتبارًا، كما يمنحه القِيَم الخُلُقية والمُثُل العليـــا التي تحبسه عن الشرِّ، وتحفِّزه على الخير، لغير منفعة مادية عاجلة.

لقد قوَّى العلم الجانـــب المادي في الإنسان إلـــى أبعد حدٍّ، ولكنه أضعف الجانب الروحي فيه إلى أدنى مستوى.

QaradawiBooks.com

فقد أعطى العلم الإنسان جناحي طائر فحلَّق في الفضاء، وأعطاه خياشيم حوت فغاص في أعماق الماء، ولكنه لم يعطِه قلب إنسان!

وحين يعيش الإنسان في الحياة بغير «قلب الإنسان» تستحيل أدوات العلم في يديه إلى مخالب وأنياب تقتل وتُرهب، وإلى معاول وألغام تنسف وتُدمِّر.

تستحيل أدوات العلم إلى أسلحة نووية، وقنابل (نابالم)، وغازات سامة، وأسلحة كيماوية وجرثومية، تنشر الموت والخراب عند استعمالها، وتشيع الذعر والخوف قبل استعمالها[1].

أجل، قد استطاع العلم أن يضع قدم الإنسان على سطح القمر، ولكنه لم يملك أن يضع يده على سرِّ وجوده وغاية حياته!

لقد اكتشف الإنسان بالعلم «أشياء» كثيرة، ولكنه لم يكتشف حقيقة نفسه! أوصله علم القرن العشرين إلى القمر، ولكنه لم يوصله إلى السعادة والطمأنينة على ظهر الأرض! جلب من هناك بعض الصخور والأتربة، ولكنه لم يجد هناك ما يُخرجه من التعاسة والقلق والضياع في كوكبه!

أصلح العلم ظاهر الإنسان، وعجز عن إصلاح باطنه، لم يستطع أن ينفذ إلى تلك «اللطيفة الربانية» المدركة الواعية، الشاعرة الحسَّاسة، التي إذا صلحت صلح الإنسان كلُّه، وإذا فسدت فسد الإنسان كلُّه، ألا وهي القلب، أو النفس، أو الروح، سمِّها ما شئتَ، فهي حقيقة الإنسان!

أعطى العلم إنسان القرن العشرين سلاحًا انتصر به على بعض قوى

(١) انظر: الأسلحة الكيماوية والجرثومية د. نبيل صبحي ـ لترى ما يحضِّره أعداء الإنسانية لإفناء الأحياء بسلطان العلم ومقدرة العلماء! ـ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

الطبيعة، ولم يعطه ما ينتصر به على نفسه: على شهواته، وشكِّه، وقلقه، وخوفه، وتخبُّطه، وصراعه الداخلي والاجتماعي.

لقد تقدَّم الطب الحديث والجراحة إلى أقصى حدودهما في هذا القرن، وبدأ الأطباء يقولون: إن العلم يستطيع القضاء على كلِّ مرض غير الموت والشيخوخة! ولكن الأمراض تكثر وتتشعَّب وتنتشر بسرعة مذهلة، ومنها «الأمراض العصبية والنفسية»، التي هي نتائج وأعراض «التناقض» الشديد الذي يمرُّ به الفرد والمجتمع. وسرُّ ذلك أن العلم المادي ـ على سَعَته واكتشافاته ـ لم يعرف حقيقة الإنسان، الذي عرف المادة وقوانينها، ولكنه لم يعرف نفسه، ولا غرو أن كتب أحد أقطاب العلم «ألكسيس كاريل» كتابه الشهير: «الإنسان ذلك المجهول».

ومن هنا حاول العلم الحديث أن يغذي كلَّ الجوانب المادية في الجسم الإنساني، ولكنه فشل في تغذية النفس الإنسانية بما فيها من شعور وأمانيّ وإرادة. وكانت حصيلة ذلك جسمًا طويل القامة، قوي العضلات، ولكن الجانب الآخر ـ وهو أصل الإنسان ـ أصبح يعاني من أزمات لا حلَّ لها.

لقد أكدت إحصائية أنَّ ثمانين في المائة (٨٠٪) من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضًا ناتجة عن أزمات نفسية وعصبية من ناحية أو أخرى.

ويقول علم النفس الحديث: إن من أهم جذور هذه الأمراض النفسية: الكراهية والحقد والخوف والإرهاق واليأس والترقب والشك والأثرة والانزعاج من البيئة، وكلُّ هذه الأعراض تتعلَّق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله[1].

(١) انظر: الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان صـ ٢٥٥، ٢٥٦. وكتابنا: الإيمان والحياة، الباب الثاني: أثر الإيمان في حياة الفرد.

QaradawiBooks.com

## الفلسفة ليست بديلًا عن الدين:

لقد تبيَّن لنا أن إنسان العلم الحديث هو «ذلك المجهول»، الذي لم يستطع العلم أن يسبر غوره، وأن يتعرَّف على حقيقته، وأن ينفذ إلى أعماقه، كما بيَّن ذلك «ألكسيس كاريل» و«رينيه دوبو»، وغيرهما. لقد عرف العلم الجمادات أو المادة، وحلَّلها واكتشف قوانينها، ولكنه عجز عن معرفة الإنسان؛ لأن الإنسان من التركيب والتعقيد بحيث لا يعرفه إلا مَن خلقه فسوَّاه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وما دام العلم يجهل الإنسان، فلا يؤمل منه أن يُحسن توجيهه وتربيته والتشريع له، بل بدا اليوم أن العلم ـ وبعبارة أدق: تطبيقاته التكنولوجية ـ أصبح خطرًا على فِطرة الإنسان، وبيئة الإنسان.

و«إنسان الفلسفة» ليس أحسن حظًّا من إنسان العلم، والفلسفة رغم اهتمامها بالإنسان ـ منذ أنزلها «سقراط» من السماء إلى الأرض ووجَّه العقل الإنساني إلى محاولة اكتشاف ذاته: اعرف نفسك ـ لم تتَّفق على رأي في نظرتها إلى الإنسان: أهو روح أم مادة؟ جسم يفنى أم روح يبقى؟ عقل أم شهوة؟ ملاك أم شيطان؟ الأصل فيه الخير أم الشر؟ أهو إنسان كما نراه، أم ذئب مقنَّع؟ أهو أناني أم غيري؟ أهو فردي أم جماعي؟ أهو ثابت أم متطور؟ أتجدي فيه التربية أم لا تجدي؟ أهو مختار أم مجبور؟

اختلفت الفلسفات في الإجابة عن هذه التساؤلات وتناقضت، فلا تستطيع أن تخرج منها بطائل، حتى قال شيخنا الدكتور عبد الحليم محمود ـ وهو أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين ـ قبل أن يكون شيخًا للأزهر: «الفلسفة لا رأي لها؛ لأنها تقول الرأي وضده، والفكرة ونقيضها»[1].

(١) مقال الفلسفة، مجلة البحوث، العدد الخامس (١٤١/٥)، محرم ـ جمادى الثانية، ١٤٠٠هـ، وراجع: مقدمة الإمام عبد الحليم محمود للمشكلة الأخلاقية والفلاسفة لأندريه كريسون صـ ٣١.

QaradawiBooks.com

هنا نجد الفلسفة الإلهية مناقضة للفلسفة المادية، والفلسفة المثالية مناقضة للفلسفة الواقعية، وفلسفة الواجب معارضة لفلسفة المنفعة أو اللَّذة، إلى آخر ما نعرفه من تناقضات في الساحة الفلسفية، فهذا يثبت وذاك ينفي، وهذا يبني وذاك يهدم.

ومن هنا لا تستطيع الفلسفة وحدها أن تهدي الإنسان سبيلًا، أو تشفيَ له غليلًا، أو تمنحه منهجًا يركن له، ويطمئن إليه، ويقيم حياته على أساسه.

وأبعد الفلسفات عن هداية الإنسان وإسعاده هي الفلسفات المادية، التي تنكر أن للكون إلهًا، وأن للإنسان روحًا، وأن وراء الدنيا آخرة. وعلى رأس هذه الفلسفات: الفلسفة الماركسية القائمة على المادية الجدلية، والتي تتبنى مقولة بعض الفلاسفة الماديين: ليس صوابًا أن الله خلق الإنسان، بل الصواب أن الإنسان هو الذي خلق الله[1]!

ومثل ذلك: الفلسفات العبثية والعدمية والشكيَّة، فكلُّها فلسفات تهدم ولا تبني، وتميت ولا تُحيي.

ويبيِّن شيخنا الدكتور دراز الفرق بين الفلسفة والدين، فيرى أن الفلسفة فكرة هادئة باردة، أما الدين فهو قوة دافعة، فعالة، خلاقة، لا يقف في سبيلها شيء في الكون إلا استهانت به، أو تبلغ هدفها.

ذلك هو فصل ما بين الفلسفة والدين، غاية الفلسفة المعرفة؛ وغاية الدين الإيمان، مطلب الفلسفة فكرة جافة، ترتسم في صورة جامدة؛ ومطلب الدين روح وثابة، وقوة محركة.

(١) انظر: قصة الحضارة لول ديورانت (١٦٦/٣٨).

QaradawiBooks.com

لا نقول كما يقول كثير من الناس: إن الفلسفة تخاطب العقول؛ وإن الدين يخاطب القلوب، ويستهوي المشاعر، غير مبالٍ بمبادئ المنطق وقواعد العلم. أو كما قال القديس أوغسطين: أومن بهذا لأنه محال. فذلك وصف لا ينطبق على كل الأديان، ولكنا نقول: إن الدين في كلِّ أوضاعه لا يقنع بعمل العقل قليلًا أو كثيرًا، حتى يضم إليه ركون القلب.

الفلسفة تعمل ـ إذن ـ في جانب من جوانب النفس، والدين يستحوذ عليها في جملتها. ومن هنا يستنبط فرق دقيق بين الفلسفة والدين: ذلك أن غاية الفلسفة نظرية، حتى في قسمها العملي، وغاية الدين عملية، حتى في جانبه العلمي، فأقصى مطالب الفلسفة أن تعرفنا الحق والخير ما هما؟ وأين هما؟ ولا يعنيها بعد ذلك موقفنا من الحقِّ الذي تعرفه، والخير الذي تحدده. أما الدين فيعرفنا الحق لا لنعرفه فحسب، بل لنؤمن به ونحبه ونمجده، ويعرفنا الواجب لنؤدِّيه ونوفِّيه، ونكمِّل نفوسنا بتحقيقه.

ثم يبيِّن شيخنا أن الدين حركة شعبية «ديمقراطية» عامة، والفلسفة حركة «أرستقراطية» خاصة. فالدين يسعى بطبيعته إلى الانتشار، والفلسفة تجنح إلى العزلة، داعية الدين وسط الجماهير، ورجل الفلسفة في برجه العاجي، فإذا رأيتَ فيلسوفًا يدعو إلى مذهبه فقد تغيَّر وضعه، وتحوَّلت فكرته إلى إيمان، وإذا رأيتَ مؤمنًا لا يهتمُّ إلا بنفسه فقد استحالت نار إيمانه إلى رماد[1].

* * *

(١) الدين صـ ٧١ ـ ٧٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# تفنيد مقولة «الدين أفيون الشعوب»

أما دعوى الماركسيين: أن الدين «أفيون الشعوب»، يفعل في عقولها ما تفعله المخدرات بالأفراد، ويشغلهم عن حقوقهم المسلوبة، بأماني الآخرة، ويخضعهم لإرادة الظلمة والطغاة، فيطيعونهم وهم راضون. فهي دعوى مردودة.

ذلك أن الدين الصحيح لا يُخدِّر الشعب، ولا يلهيه عن المطالبة بحقِّه في الدنيا، استغراقًا بطلب النعيم في الآخرة! الدين الصحيح لا يقرُّ الظلم، ولا يرضى بالفساد والانحراف، فإن صحَّ هذا الادعاء في شأن بعض الأديان، فلا يصحُّ بحال في شأن الإسلام.

الإسلام في الحقيقة ثورة إنسانية كبرى، ثورة لتحرير الإنسان ـ كلِّ إنسان ـ من العبودية والخضوع لغير خالقه. ثورة في عالم الفكر والضمير والشعور، وثورة في عالم الواقع والتطبيق.

وكان عنوان هذه الثورة هي هذه الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله». فكلُّ مدَّعٍ أو متعاطٍ للألوهية في الأرض، بالقول أو بالفعل، هو مزوِّر لا وجود له، ولا يستحقُّ البقاء. وكلُّ الذين زعموا لأنفسهم ـ أو زعم لهم بعض الناس ـ أنهم أرباب مع الله، أو من دون الله، يجب أن يسقطوا إلى الأبد، ويتواروا عن مسرح الحياة.

QaradawiBooks.com

الناس إذن سواسية، لا يجوز أن يستعبد بعضهم بعضًا، أو يطغى بعضهم على بعض، فإذا ظلم بعض الناس وطغى وأفسد، كان على الناس أن يعترضوا طريقه، ويأخذوا على يديه، وإلا كانوا شركاءه في الإثم واستحقاق العقوبة العادلة من الله.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

ويقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

ويقول الرسول ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه، أوشك الله أن يعمَّهم بعقاب من عنده**»(١).

ويوجب على كلِّ مَن رأى منكرًا ـ أي ظلمًا أو فسادًا أو انحرافًا ـ أن يعمل على تغييره بكلِّ ما يستطيع من قوة: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(٢).

والتغيير بالقلب ـ الذي هو أدنى الدرجات وأضعف الإيمان ـ ليس أمرًا سلبيًّا تافهًا. إنها جمرة الغضب والكراهية للفساد والمنكر تتوهج وتتقد في الجوانح حتى تجد الفرصة للتغيير بالقول أو الفعل، باللسان أو اليد، وأدنى ثمراته العاجلة النفور من الظَّلَمة والمفسدين والمقاطعة لهم، فلا يؤاكلهم ولا يشاربهم، ولا يجالسهم ولا يصاحبهم.

---

(١) رواه أحمد (١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وقد عَدَّ النبي ﷺ، مقاومة الظلم والفساد الداخلي، كمقاومة الغزو والعدوان الخارجي، كلاهما جهاد في سبيل الله، بل حين سُئِل: أي الجهاد أفضل؟ قال: «كلمة حق عند سلطان جائر»[١]، فاعتبر ذلك أفضل الجهاد وأعلاه.

فهذا دين يحرِّض على مقاومة الظلم حتى الموت، ويعدُّ الميت في سبيل ذلك شهيدًا في سبيل الله، بل في طليعة الشهداء المرموقين، بجوار حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، كما قال ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[٢].

إن الإسلام يُربِّي المسلم على الشعور بالكرامة وعزَّة النفس، ويجعل ذلك من خصائص الإيمان وآثاره: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، بل من خصائص الإنسانية ولوازمها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولهذا يبرأ الإسلام مِن كلِّ مَن يرضى لنفسه بالذلِّ والمهانة، ويصبر على القيد يوضع في رِجله، أو الغُل يوضع في عنقه، دون أن يقاوم الظلم، أو يحاول التخلُّص منه، ولو بالهجرة إلى أرض الله الفسيحة، يقول القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

---

(١) رواه أحمد (١٨٨٢٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والنسائي في البيعة (٤٢٠٩)، عن طارق بن شهاب.

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: الصفار لا يدري من هو. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

QaradawiBooks.com

ويرد الرسول ﷺ، منطق الاستسلام الجبري أو السلبي لأحداث الحياة ووقائع الدهر، باسم الإيمان بالقَدَر، ويعتبر ذلك ضربًا من العجز المذموم في دين الله. قضى النبي ﷺ، بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونِعْمَ الوكيل! فقال النبي ﷺ: «**إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر، فقل: حسبي الله ونعم الوكيل**»(١).

كره النبي ﷺ، من الرجل أن يواري عجزه بالحسبلة والحوقلة، بدل أن يواجه الأمر بما ينبغي له من الحكمة والتفطُّن، فذِكْر الله في غير موضعه عجز واستسلام.

ومن هنا جاء في وصاياه ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف... احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجِز**»(٢).

وجاء في أدعيته التي علَّمها لبعض أصحابه: «**اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهر الرجال**»(٣).

ففي هذا الدعاء استعاذة بالله تعالى من كلِّ مظاهر الضعف التي تعتري الإنسان فتغلبه وتقهره وتذلُّه.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٨٣)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف لضعف بقية، وجهالة سيف. وأبو داود في الأقضية (٣٦٢٧)، عن عوف بن مالك الأشجعي.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة. والعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف. والكيس: العقل وحُسن التصرف.

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥)، عن أبي سعيد الخدري، وفي سنده راوٍ ليِّن الحديث، ولكن المفردات المستعاذ منها ثبتت في الصحاح.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك ما جاء في دعاء القنوت الذي يرويه ابن مسعود، ويقرؤه الأحناف في صلاة الوتر كلَّ ليلة: «**اللهم إنَّا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكَّل عليك، ونُثني عليك الخير كلَّه، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك مَن يفجرك**»[1]. فانظر ما تحمله هذه العبارة: «ونخلع ونترك مَن يفجرك». من تحريض سافر على خلع ومقاومة كلِّ ظالم فاجر، مهما تكن مكانته ومنصبه في الناس.

فهل يقال في مثل هذا الدين الذي يدعو إلى الثورة على الباطل والضعف والعجز والعبودية، ويحرِّض على نُصرة الحقِّ والقوة والحرية: إنه أفيون الشعب، يُخدِّره ويمنِّيه بنعيم الجنة، ليسكت على مظالم حياته الدنيا؟!

لعل «ماركس» كان معذورًا حين قال ما قال؛ لأنه لم يعرف الإسلام، ولم يعرف موقفه من الظلم والبغي والفساد، مع أن المنهج العلمي كان يُلزمه ألا يصدر حكمه عامًّا شاملًا إلا بعد استقراء كامل، ودراسة تامة لكلِّ الأديان ـ أو للأديان الكبرى على الأقل ـ وأثرها في الأمم على مدار التاريخ، فإن لم يستطع، كان عليه أن يحكم على الدين الذي عرَفه، لا على غيره. هذا هو مقتضى الأمانة العلمية والمنهج العلمي.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق (٤٩٦٨)، وابن أبي شيبة (٧١٠٠)، والبيهقي (٢١٠/٢)، ثلاثتهم في الصلاة، وصححه الألباني في الإرواء (٤٢٥)، عن عمر موقوفًا.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

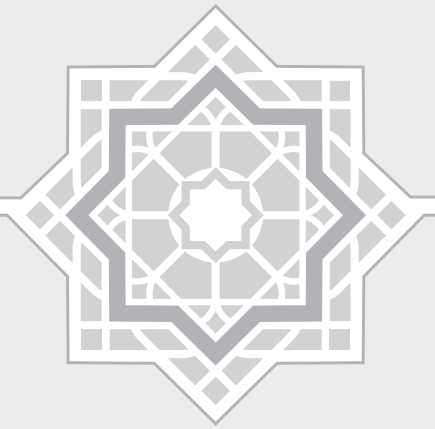

## الباب الثاني

# مقومات الإسلام

غير مرخصة للطباعة

- العقيدة.
- العبادة.
- الأخلاق.
- التشريع.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# العقيدة

العقيدة الإسلامية هي خاتمة العقائد السماوية، وقد تكفَّل ببيانها والتدليل عليها القرآن الكريم، وسُنَّة الرسول العظيم، متمثِّلة في الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

هذه العقيدة هي التي تحلُّ لغز الوجود، وتُفسِّر للإنسان سرَّ الحياة والموت، وتُجيب عن أسئلته الخالدة: من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟ هذه العقيدة ليست من مستحدثات الإسلام، ولا مما ابتكره محمد ﷺ، إنها العقيدة المصفاة، التي بُعِثَ بها أنبياء الله جميعًا، ونزلت بها كتب السماء قاطبة، قبل أن ينال منها التحريف والتبديل، إنها الحقائق الخالدة التي لا تتطوَّر ولا تتغيَّر، عن الله، وعن صلته بهذا العالم، ما نبصره منه وما لا نبصره، وعن حقيقة هذه الحياة، ودور الإنسان فيها، وعاقبته بعدها.

إنها الحقائق التي علَّمها آدم لبنيه، وأعلنها نوح في قومه، ودعا إليها هود وصالح عادًا وثمود، ونادى بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله، وأكَّدها موسى في التوراة، وداود في الزبور، وعيسى في الإنجيل.

كلُّ ما فعله الإسلام، هو أنه نقَّى هذه العقيدة من الشوائب الدخيلة، وصَفَّاها من الأجسام الغريبة، التي أدخلتها العصور عليها، فكدَّرت

QaradawiBooks.com

صفاءها، وأفسدت توحيدها بالتثليث والشفاعات واتخاذ الأرباب من دون الله، وأفسدت تنزيهها بالتشبيه والتجسيم ونسبة ما في البشر من قصور ونقص إلى الله ـ تعالى علوًّا كبيرًا ـ وشوَّهت نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان، وعلاقته بالله ووحيه، وما جاء به من تعاليم، كما عرض الإسلام هذه العقيدة عرضًا جديدًا، يليق بالرسالة التي اقتضت حكمة الله أن تكون خاتمة الرسالات الإلهية، وأن تكون غاية لكلِّ البشر إلى قيام الساعة.

جاءت عقيدة الإسلام فنَقَّت فكرة التوحيد وكمال الألوهية مما شابها على مرِّ العصور، ونَقَّت فكرة النبوة والرسالة مما عراها من سوء التصور، ونَقَّت فكرة الجزاء الأخروي مما دخل عليها من أوهام الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، ودجل المشعوذين.

والعناصر الأساسية لهذه العقيدة هي: الإيمان بالله، والإيمان بالنبوَّات، والإيمان بالآخرة.

ويمكن أن تُجمَل في: الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالله يشمل: الإيمان بوجوده، والإيمان بوحدانيته، والإيمان بكماله.

- **وجود الله تعالى:**

لقد قامت الأدلة على أن وراء هذا الكون قوة عُليا تحكمه وتُديره وتُشرف عليه، سمَّاها أحدهم: «العِلَّة الأولى». وسمَّاها غيره: «العقل الأول». وسمَّاها ثالث: «الْمُحَرِّك الأول». وسمَّاها القرآن العربي المبين، وكتبُ السماء بهذا الاسم الجامع لصفات الجمال والجلال: «الله».

هذه القوة العُليا، وبعبارة أخرى: هذا الإله العظيم، ليس في استطاعة

QaradawiBooks.com

العقل البشري إدراك كُنهه، ولا معرفة حقيقته، كيف وقد عجز عن معرفة كُنه ذاته، وعن كُنه النفس وحقيقة الحياة، وكثير من حقائق الكون المادية من كهربية ومغناطيسية وغيرها؟ وما عرف إلا آثارها، فكيف يطمع في معرفة ذات الله العلِيِّ الكبير؟

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣].

هذا الإله ليس إلَـهَ فصيلة محدودة، ولا إلهَ شـعب خاص، ولا إلهَ إقليم معين. وإنما هـو: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤]، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ولنستمع إلى ما قَصَّه القرآن علينـا من حوار موسى وفرعون ليتبين لنا شـمول ربوبيتـه ﷻ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۞ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٨].

**وقد دلَّل القرآن على وجود الله بطرق عديدة:**

١ ـ فهو يلفت العقول والأذهـان إلى ما في الكون من آيات تنطق بأن وراءها صانعًا حكيمًا. وهو قانون بدهـي عند العقل الذي يؤمن بمبدأ «السببية» إيمانًا طبيعيًّا لا يحتاج إلى اكتساب أو تدليل: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

QaradawiBooks.com

فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

هذا الخلق لا بد له من خالق، وهـذا النظام لا بد له من مُنَظِّم: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۞ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٤٩، ٥٠].

٢ ـ ويستثير الفطـرة الإنسانية السليمة التي بها يـدرك المرء إدراكًا مباشـرًا أن له ربًّا وإلهًا قويًّا عظيمًا يكلـؤه ويرعاه: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وإذا اختفت هذه الفطرة في ساعات الرخـاء واللهو فإنها تعود إلى الظهور عند الشدَّة والبأساء، وسرعان ما يذوب الطلاء الكاذب، وينكشف المعدن الأصيـل للنفس البشرية، فتعود إلى ربهـا داعية متضرعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢].

وتبدو هذه الفطرة حين يُفاجأ الإنسان بالسؤال عن مصدر هذا الكون ومُدبِّره فلا يملك بفطرتـه إلا أن ينطق معلنًا «الله»: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

QaradawiBooks.com

٣ ـ ويستشهد القرآن بالتاريخ الإنساني على أن الإيمان بالله وبرسله كان سفينة النجاة لأصحابه، وأن التكذيب به وبرسله كان نذير الهلاك والبوار، ففي نوح يقول: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤].

وفي هود يقول: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٢].

وفي صالح وقومه ثمود يقول: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٢، ٥٣].

وفي رسل الله جميعًا يقول تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

## • إنما اللهُ إلهٌ واحد:

وهو تعالى إله واحد ليس له شريك، ولا له مثيل في ذاته أو صفاته أو أفعاله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وكلُّ ما في الكون من إبداع ونظام يدلُّ على أن مُبدعه ومُدبِّره واحد، ولو كان وراء هذا الكون أكثر من عقل يُدبِّر، وأكثر من يد تُنظِّم، لاختلَّ نظامه، واضطربت سُننه، وصدق الله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ

QaradawiBooks.com

مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

هو تعالى واحد في ربوبيته، فهو ربُّ السماوات والأرض ومَن فيهن وما فيهن، خلق كلَّ شيء فقدَّره تقديرًا، وأعطى كلَّ شيء خَلْقَه ثم هدى، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يدَّعي أنه الخالق أو الرازق أو المدبِّر لذرَّة في السماء أو في الأرض: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١١].

وهو تعالى واحد في ألوهيته، فلا يستحقُّ العبادة إلا هو، ولا يجوز التوجُّه بخوف أو رجاء إلا إليه. فلا خشية إلا منه، ولا ذُلَّ إلا إليه، ولا طمع إلا في رحمته، ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه. والبشر جميعًا ـ سواء أكانوا أنبياء وصِدِّيقين أم ملوكًا وسلاطين ـ عباد لله، لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فمن أَلَّهَ واحدًا منهم، أو خشع له وحنى رأسه، فقد جاوز به قدره، ونزل بقدر نفسه.

ومن ثَمَّ كانت دعوة الإسلام إلى الناس كافة وإلى أهل الكتاب خاصة: ﴿ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ومحمد نبي الإسلام لم يقُل القرآن عنه إلا أنه: ﴿ رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ولم يقل هو نفسه إلا أنه «**عبد الله ورسوله**»[(١)].

والأنبياء جميعًا ليسوا ـ في نظر القرآن ـ إلا بشرًا مثلنا، اصطفاهم الله لحمل رسالته إلى خلقه، ودعوتهم إلى عبادته وتوحيده.

---

(١) في الصحيح: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا: عبد الله ورسوله». رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر بن الخطاب.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن هنا كان عنوان العقيدة الإسلامية يتمثَّل في هذه الكلمة العظيمة التي عُرِفت لدى المسلمين بكلمة «التوحيد»، وكلمة «الإخلاص»، وكلمة «التقوى»، وهي: «لا إلَهَ إلا الله».

كانت «لا إلهَ إلا الله» إعلان ثورة على جبابرة الأرض وطواغيت الجاهلية، ثورة على كلِّ الأصنام والآلهة المزعومة من دون الله: سواء أكانت شجرًا أم حجرًا أم بشرًا.

وكانت «لا إله إلا الله» نداءً عالميًّا لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان والطبيعة وكل مَن خَلَقَ الله وما خَلَقَ الله.

وكانت «لا إله إلا الله» عنوان منهج جديد، ليس من صنع حاكم ولا فيلسوف، إنه منهج الله الذي لا تعنو الوجوه إلا له، ولا تنقاد القلوب إلا لحكمه، ولا تخضع إلا لسلطانه.

وكانت «لا إله إلا الله» إيذانًا بمولد مجتمع جديد، يغاير مجتمعات الجاهلية، مجتمع متميِّز بعقيدته، متميِّز بنظامه، لا عنصرية فيه ولا إقليمية ولا طبقية؛ لأنه ينتمي إلى الله وحده، ولا يعرف الولاء إلا له سبحانه.

ولقد أدرك زعماء الجاهلية وجبابرتها ما تنطوي عليه دعوة «لا إله إلا الله» من تقويض عروشهم، والقضاء على جبروتهم وطغيانهم، وإعانة المستضعَفين عليهم، فلم يألوا جهدًا في حربها، وقعدوا بكلِّ صراط يُوعِدون ويَصدُّون عن سبيل الله مَن آمنَ ويبغونها عِوجًا.

لقد كانت مصيبة البشرية الكبرى: أن أناسًا منهم جعلوا من أنفسهم، أو جعل منهم قوم آخرون آلهة في الأرض، أو أنصاف آلهة، لهم يخضع الناس ويخشعون، ولهم يركعون ويسجدون، ولهم ينقادون ويسلِّمون.

QaradawiBooks.com

لكن عقيدة التوحيد سمت بأنفس المؤمنين، فلم يعد عندهم بشر إلهًا، ولا نصف إله، أو ثلث إله، أو ابن إله، أو محلًّا حلَّ فيه الإله!

ولم يعد بشر يسجد لبشر، أو ينحني لبشر، أو يُقبِّل الأرض بين يدي بشر، وهذا أصل الأخوة الإنسانية الحقة. وأصل الحرية الحقَّة، وأصل الكرامة الحقَّة، إذ لا أخوة بين عابد ومعبود، ولا حرية لإنسان أمام إله أو مدِّعي ألوهية، ولا كرامة لمَن يركع أو يسجد لمخلوق مثله، أو يتخذه حكمًا من دون الله.

- **كمال الله تعالى:**

ولا بد مع الإيمان بوجود الله ووحدانيته من الإيمان بأنه تعالى متَّصف بكلِّ كمال يليق بذاته الكريمة، منزَّه عن كلِّ نقص: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

دلَّ على ذلك: هذا الكون البديع وما فيه من إحكام عجيب، وهدت إلى ذلك الفطرة البشرية النيِّرة، وفصَّلت ذلك رسالات الله تعالى إلى أنبيائه.

فهو سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهو العزيز الفعَّال لما يريد، الذي لا يغلبه شيء، ولا يقهر إرادته شيء: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

QaradawiBooks.com

وهو القدير الذي لا يُعجزه شيء، يُجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويُحيي العظام وهي رميم، ويُعيد الخلق كما بدأهم أول مرة وهو أهون عليه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وهو الحكيم الذي لا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يترك شيئًا سُدًى، ولا يفعل فعلًا، أو يُشرِّع شرعًا إلا لحِكَم، عرفها مَن عرفها وجهلها مَن جهلها. وهذا ما شهد به الملائكة في الملأ الأعلى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]. وما شهد به أنبياء الله وأولياؤه، وأولو الألباب من عباده: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وهو الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه، ووسِعَتْ رحمته كلَّ شيء، كما وسِعَ علمه كلَّ شيء، وقد حكى القرآن دعاء الملائكة: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وقد بدأ سور القرآن بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]. للدلالة على سعة رحمته وتقوية الرجاء في قلوب عباده، وإن تورَّطوا في الذنوب والآثام: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

الإله في الإسلام ليس بمعزل عن هذا الكون وما فيه ومَن فيه، كإله أرسطو الذي سمَّاه «الْمُحرِّك الأول» أو «العِلَّة الأولى» ووصفه بصفات كلها «سُلوب» لا فاعلية لها ولا تأثير، ولا تصريف ولا تدبير، فإن هذا الإله ـ كما صورته الفلسفة الأرسطية ـ لا يعلم إلا ذاته، ولا يدري شيئًا عما يدور في هذا الكون العريض.

QaradawiBooks.com

إله أرسطو والفلسفة اليونانية لم يخلق هذا الكون من عدم، بل العالم عندهم أزلي غير مُحْدَث ولا مخلوق.

وإله أرسطو لا صلة له بهذا العالم، ولا عناية لـه به، ولا يُدبِّر أمرًا فيه؛ لأنه لا يعلم ما يجري فيه، مما يلج في الأرض أو يخرج منها، وما ينزل من السماء أو يعرج فيها. كل ما يقوله أرسطو ومَن تبعه عن الإله: إنه ليس بجوهر ولا عَرَض، وليس لـه بداية ولا نهاية، وليس مُركَّبًا ولا جزءًا من مُركَّب، وليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلًا به ولا منفصلًا عنه[1]. وهذه السلبيات لا تجعل الإله كائنًا يُرجى ويُخشى، ولا تربط الناس بربِّهم رباطًا محكمًا يقوم على المراقبة والتقوى والثقة والتوكُّل والخشية والمحبَّة.

هذا الإله المعزول عن الكون، الذي عرفه الفكر اليوناني، وعنه انتقل إلى الفكر الغربي الحديث: لا يعرفه الإسلام، وإنما يعرف إلهًا: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٤ ـ ٨]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الإله في الإسلام هو خالِقُ كلِّ شيء، ورازق كلِّ حيٍّ، ومُدبِّر كلِّ أمر، أحاط بكلِّ شيء علمًا، وأحصى كلَّ شيء عددًا، ووسع كلَّ شيء

(١) انظر في تفصيل ذلك: الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية للعقاد صـ ١٤١ ـ ١٤٤، فصل: الفلسفة، نشر المكتبة العصرية، بيروت.

QaradawiBooks.com

رحمة، خلق فسوَّى، وقدَّر فهدى، يَسمع ويَرى، ويعلم السرَّ والنجوى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المجادلة: ٧].

له الخلق والأمر، وبيده ملكوت كلِّ شيء، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويُخرج الحي من الميت، ويُخرج الميت من الحي، ويرزق مَن يشاء بغير حساب.

الكون كلُّه؛ عاليه ودانيه، ناطقه وصامته، أحياؤه وجماداته، أفلاكه ونجومه، كله خاضع لأمر الله، منقاد لقانون الله، شاهد بوحدانيته وعظمته، ناطق بآيات علمه وحكمته، دائم التسبيح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

إن تسبيح الكون لله، وسجوده لله، حقيقة كبيرة، عميت عنها أعين، وصمَّت عنها آذان، ولكنها تجلَّت للذين ينظرون بأعين بصائرهم، ويسمعون بآذان قلوبهم، فإذا هم يرون الوجود كلَّه محرابًا، والعوالم كلُّها ساجدة خاشعة، ترتِّل آيات التسبيح والثناء على العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ١ ـ ٣].

QaradawiBooks.com

### • الإيمان بالنبوَّات:

والإيمان بالنبوَّة ليس بالأمر العجيب بعد الإيمان بكمال الله وحكمته ورحمته، ورعايته للكـــون وتدبيره للعالم، وتكريمـــه للإنسان، بل هذا الإيمان فرع عن ذلـــك ولا بد. فما كان الله ليخلق الإنســـان، ويُسَخِّر له ما في الكون جميعًا، ثم يتركـــه يتخبَّط على غير هُدًى، بل كان من تمام الحكمة أن يهديه سبيل الآخرة كما هداه سبيل الحياة الدنيا، وأن يُهيئ له زاده الروحـــي، كما هيأ لـــه زاده المادي، وأن ينزل الوحـــي من السماء ليحيي به القلوب والعقول، كما أنزل من السمـــاء ماءً لتحيا به الأرض بعد موتها.

ما كان من الحكمة أن يُترك الإنسان لنفسه، تتنازع الفرد قواه وملكاته المختلفة، وتتنازع الجماعة أهواؤها ومصالحها المتضاربة، وإنما كانت الحكمة في عكس هذا. كانت الحكمة في إرسال رسله بالبينات، ليهدوا الناس إلى الله، ويقيموا الموازين بالقسط بين العباد.

ولهذا استنكر رسل الله من قومهم أن يعجبوا لإرسال الله رسولًا عنه يُبلِّغهم بأمره ونهيه، فيقول نـــوح: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۞ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦١ ـ ٦٣].

ويقول هود لقومه ما يقرب من هذه المقالة.

ويقـــول القرآن ردًّا علـــى المشركين الجاحديـــن برسالة محمد ﷺ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

QaradawiBooks.com

والهداية بالوحي هي أعلى مراتب الهداية التي منحها الله للإنسان.

**فهناك الهداية الفطرية الكونية**، وهي التي عَبَّر عنها أحد العلماء حين قيل له: متى عَقِلْتَ؟ قال: منذ نزلتُ من بطن أمي، جُعتُ فالتقمتُ الثديَ، وتألمتُ فبكيتُ[1]!

وهذه الهداية ليست خاصة بالإنسان، بل تشمل الحيوان والطير والحشرات وهي التي عَبَّر عنها بالوحي في شأن النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، بل هي منبثَّة في أجزاء الكون كلِّه: في النبات الذي يمتص غذاءه من عناصر الأرض بنسب محدودة وقدر معلوم، وفي الكواكب التي يسير كلٌّ منها في مداره الذي لا يتعدَّاه، وَفق قانون لا يتخطَّاه: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، فهي هداية عامة للمخلوقات علويها وسفليها، ولهذا ذكر لنا القرآن جواب موسى لفرعون حين قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣].

**والمرتبة الثانية للهداية:** مرتبة الحواس الظاهرة، كالسمع والبصر والشم والذوق. والباطنة، كالجوع والعطش والفرح والحزن. وهذه المرتبة أرقى من الأولى، ففيها نوع من الانتباه، وقدر من الإدراك، وإن كانت لا تسلم من الخطأ، كما نرى في السراب الذي يحسبه الرائي ماءً، وفي الظل الذي يظنه ساكنًا وهو متحرك.

(١) انظر: الحيوان للجاحظ (٣٤/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

**والمرتبة الثالثة:** هداية العقل بملكاته وقواه المختلفة، وهو أرقى رتبة من الحواس، وإن كان كثيرًا ما يعتمد على الحسِّ في الحكم والاستنباط. وبذلك يتعرَّض للخطأ، كما يتعرَّض له في ترتيب المقدمات واستخلاص النتائج. والعقل في عملياته العليا من خصائص الإنسان، التي تَفرَّد بها عن الحيوان.

**والمرتبة الرابعة:** هي هداية الوحي، وهي التي تصحِّح خطأ العقل، وتنفي وهم الحواس، وترسم الطريق إلى ما لا سبيل للعقل أن يصل إليه وحده، وترفع الخلاف فيما لا يمكن أن تتَّفق عليه العقول.

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

## • الإيمان بالآخرة:

أهذا ملخص قصة الحياة والإنسان؟ أرحام تدفع، وأرض تبلع، ولا شيء بعد هذا؟ أو كما عبَّر القرآن عن قوم: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧].

إذن فما سرُّ هذا الشعور الخفي، والوجدان الكامن الذي يغمر فطرة الإنسان من قديم الزمن بأنه لم يُخلق لمجرد هذه الحياة، ولتلك المدة القصيرة؟ ما سر هذا الشعور بأن الإنسان في هذه الدنيا غريب أو عابر سبيل، وأنه ضيف يوشك أن يرتحل إلى دار إقامة؟

QaradawiBooks.com

هذا الشعور الذي رأيناه عند قدماء المصريين فحنطوا ـ استجابة له ـ جثث الموتى، وبنوا الأهرام، والذي ظهرت آثاره في أمم شتى بأساليب مختلفة.

ثم كيف يسيغ العقل أن ينفـضَّ سوق هذه الحياة وقد نهب فيها مَن نهب، وسرق فيهـا مَن سرق، وقتل فيها مَن قتـل، وبغى فيها مَن بغى، وتجبَّر مَن تجبَّر، ولم يأخـذ أحد من هؤلاء عقابه، بـل تستَّر واختفى فأفلت ونجا، أو تمكَّن من إخضاع الناس له بسيف القهر والجبروت.

وفي الجانـب الآخر: كم أحسن قوم، وضحَّـوا وجاهدوا ولم ينالوا جزاء ما قدَّموا، إما لأنهم كانوا جنودًا مجهولين، أو لأن الحسد والحقد جعل الناس يتنكَّرون لهم بدل أن يعرفوا فضلهم، أو لأن الموت عاجلهم قبل أن ينعموا بثمرة ما عملوا من خير. وكم من قـوم دعوا إلى الحقِّ، واستمسكوا بـه، ودافعوا عنه، فوقـف الظالمون في طريقهـم، وأُوذوا وعُذبوا واضطُهِدوا وشُرِّدوا، وسقطوا صرعى في سبيله. وأعداؤهم الطغاة في أمن وعافية بل في ترف ونعيم.

ألا يسيغ العقـل ـ الذي يؤمن بعدالة الإله الواحـد ـ بل يطلب، أن توجد دار أُخرى يُجزَى فيهـا المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؟ هذا ما تنطق به الحكمة السارية في كـل ذرَّة في السماوات والأرض: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٤٠].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨].

QaradawiBooks.com

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١، ٢٢].

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣١].

أما بعث الأحياء بعد الموت فليس بعزيز على مَن خلقهم أول مرة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

## • خصائص العقيدة الإسلامية:

### ١ ـ عقيدة واضحة:

للعقيدة الإسلامية مزايا لا تتوافر لغيرها من العقائد. فهي عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض، تتلخَّص في أن وراء هذا العالم البديع المنسَّق المحكم ربًّا واحدًا خلقه ونظَّمه، وقدَّر كلَّ شيء فيه تقديرًا، وهذا الإله أو الربُّ ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد: ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦].

وهذه عقيدة واضحة مقبولة، فالعقل دائمًا يطلب الترابط والوحدة وراء التنوُّع والكثرة، ويريد أن يُرجع الأشياء دومًا إلى سبب واحد.

فليس في عقيدة التوحيد ما في عقائد التثليث أو المثنوية ونحوها من الغموض والتعقيد الذي يعتمد دائمًا على الكلمة المأثورة عند غير المسلمين: «اعتقد وأنت أعمى».

QaradawiBooks.com

**٢ ـ عقيدة الفطرة:**

وهي عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدَّد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وصريح الحديث النبوي: «**كلُّ مولود يُولد على الفطرة ـ أي على الإسلام ـ وإنما أبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه**»(١). فدلَّ على أن الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين.

أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء والأمهات.

**٣ ـ عقيدة ثابتة:**

وهي عقيدة ثابتة محدَّدة لا تقبل الزيادة والنقصان، ولا التحريف والتبديل فليس لحاكم من الحكام، أو مجمع من المجامع العلمية، أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية، أن يُضيف إليها أو يُحوِّر فيها، وكلُّ إضافة أو تحوير مردودة على صاحبها، والنبي ﷺ يقول: «**مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»(٢). أي مردود عليه.

والقرآن يقول مستنكرًا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. وعلى هذا فكلُّ البدع والأساطير والخرافات التي دُسَّت في بعض كتب المسلمين أو أُشيعت بين عامتهم باطلة مردودة لا يقرُّها الإسلام، ولا تؤخذ حجة عليه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

**٤ ـ عقيدة مبرهنة:**

وهي عقيدة «مبرهنة» لا تكتفي في تقرير قضاياها بالإلزام المجرَّد والتكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد الأخرى: «اعتقد وأنت أعمى»، أو «آمن ثم اعلم»، أو «أغمض عينيك ثم اتبعني»، أو «الجهالة أُمُّ التقوى». بل يقول كتابها بصراحة: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ولا يقول أحد علمائها ما قاله القديس الفيلسوف المسيحي «أوغسطين»: «أومن بهذا لأنه محال»[1]! بل يقول علماؤها: إن إيمان المقلِّد لا يُقبل.

وكذلك لا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساسًا للاعتقاد، بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة، والبرهان الناصع، والتعليل الواضح، الذي يملك أَزِمَّة العقول، ويأخذ الطريق إلى القلوب، ويقول علماؤها: إن العقل أساس النقل، والنقل الصحيح لا يُخالِف العقل الصريح.

فنرى القرآن في قضية الألوهية يقيم الأدلة من الكون، ومن النفس، ومن التاريخ على وجود الله، وعلى وحدانيته وكماله.

وفي قضية البعث يُدلِّل على إمكانه بخلق الإنسان أول مرة، وخلق السماوات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها، ويُدلِّل على حكمته بالعدالة الإلهية في إثابة المحسن، وعقوبة المسيء: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١].

(١) الدين صـ ٧١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**٥ ـ عقيدة وسط:**

وهي عقيدة وسط لا تجد فيها إفراطًا ولا تفريطًا.

هي وسط بين الذين ينكرون كلَّ ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم، وبين الذين يُثبتون للعالم أكثر من إله، بل يُحلِّون روح الإله في الملوك والحكام! بل في بعض الحيوانات والنباتات، مثل الأبقار والأشجار! فقد رفضت الإنكار الملحد، كما رفضت التعديد الجاهل، والإشراك الغافل، وأثبتت للعالم إلهًا واحدًا، لا إله إلا هو: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩].

وهي عقيدة وسط في صفات الإله.

فليس فيها الغلو في التجريد، الذي جعل صفات الإله مجرَّد سُلوب لا تعطي معنى، ولا تُوحي بخوف أو رجاء ـ كما فعلت الفلسفة اليونانية ـ فكلُّ ما وصفت به الإله أنه ليس بكذا وليس بكذا، من غير أن تقول ما صفات هذا الإله الإيجابية؟ وما أثرها في هذا العالم؟

ويقابل هذا أنها خلت من التشبيه والتجسيم الذي وقعت فيه عقائد أخرى، كاليهودية، التي جعلت الخالق كأحد المخلوقين من الناس، ووصفته بالنوم والتعب والراحة، والتحيز والمحاباة والقسوة... وجعلته يلتقي ببعض الأنبياء فيصارعه فيغلبه ويصرعه، فلم يتمكَّن الرب من الإفلات منه حتى أنعم عليه بلقب جديد!

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# العبادة

## • مهمة الإنسان في هذا الوجود:

لماذا وجدتُ؟ وما مهمتي في هذا الوجــود؟ وما رسالتي في هذه الحياة؟

سؤال واجب على الإنسان ـ كلِّ إنسان ـ أن يسأله لنفسه، وأن يفكِّر مليًّا في جوابه. فــإن كلَّ جهل ـ مهما عظمت نتائجه ـ قــد يُغتفر، إلا أن يجهل الإنسان سرَّ وجوده، وغاية حياته، ورسالة نوعه وشخصه في هذه الأرض!

وأكبر العار على هذا الكائن الــذي أوتي العقل والإرادة ـ الإنسان ـ أن يعيش غافلًا، يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام، لا يفكر في مصيره، ولا يدري شــيئًا عن حقيقة نفسه، وطبيعة دوره في هــذه الحياة حتى يوافيه الموت بغتة، فيواجه مصيره المجهول، دون استعــداد له، ويجني ثمرة الغفلة والجهــل والانحراف في عمره الطويــل أو القصير، وحينئذ يندم حين لا ينفع الندم، ويرجو الخلاص ولات حين مناص.

لهذا كان لزامًا على كل بشر عاقــل أن يبادر فيسأل نفسه بجد: لماذا خُلقتُ؟ وما غاية خلقي؟ لماذا خُلق الإنسان؟

والجواب عن هذا السؤال عند المؤمنيــن حاضر؛ ذلك أن كل صانع يعرف سرَّ صنعته: لماذا صنعها؟ ولماذا صنعها على نحو معيَّن دون غيره؟

QaradawiBooks.com

والله تعالى هو صانع الإنسان وخالقه ومدبِّر أمره، فلنسأله: يا رب، لماذا خلقتَ هذا الإنسان؟ هل خلقتَه لمجرَّد الطعام والشراب؟ هل خلقتَه للهو واللعب؟ هل خلقتَه لمجرَّد أن يمشي على التراب، ويأكل مما خرج من التراب، ثم يعود كما كان إلى التراب، وقد ختمت القصة؟ هل ليعيش تلك الفترة القصيرة المعذَّبة ما بين صرخة الوضع وأنَّة النزع؟ إذن فما سرُّ هذه القوى والمَلَكات التي أودعتها الإنسانَ من عقل وإرادة وروح؟

وسيردُّ الله على تساؤلنا بما بيَّن لنا في كتابه ـ كتاب الخلود ـ أنه خلقه ليكون خليفة في الأرض، وهذا واضح في آدم وما كان من تمنِّي الملائكة لمنزلته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وأول شيء في هذه الخلافة أن يعرف الإنسان ربَّه حقَّ معرفته، ويعبده حقَّ عبادته، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وفي هذه الآية جعلت معرفة الله هي الغاية من خلق السماوات والأرض.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

إن المتأمِّل في هذا الكون الذي نعيش فيه يرى كلَّ شيء فيه يحيا ويعمل لغيره، فنحن نرى أن الماء للأرض، والأرض للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمَن؟ هذا هو السؤال.

QaradawiBooks.com

والجواب الذي تنادي به الفطرة، وتنطق به مراتب الكائنات في هذا الكون: أن الإنسان لله، لمعرفته، لعبادته، للقيام بحقِّه وحده. ولا يجوز أن يكون الإنسان لشيء آخر في الأرض أو في الأفلاك؛ لأن كلَّ العوالم العلوية والسفلية مسخَّرة له، وتعمل في خدمته كما هو مشاهد، فكيف يكون هو لها أو يعمل في خدمتها؟

ومن هنا كانت عبادة الإنسان لقوى الطبيعة ومظاهرها من فوقه ومن تحته، كالشمس والقمر والنجوم، والأنهار والأبقار والأشجار، ونحوها، قلبًا للوضع الطبيعي، وانتكاسًا بالإنسان أي انتكاس!

والإنسان إذن بحكم الفطرة ومنطق الكون، إنما هو لله سبحانه لا لغيره، لعبادته وحده، لا لعبادة بشر ولا حجر، ولا بقر ولا شجر، ولا شمس، ولا قمر، وكلُّ عبادة لغير الله إنما هي من تزيين الشيطان عدو الإنسان.

- **النداء الأول في كل رسالة:** ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾:

هذه العبادة لله وحده هي العهد القديم الذي أخذه الله على بني الإنسان، وسجَّله بقلم القدرة في فطرهم البشرية، وغرسه في طبائعهم الأصيلة، منذ وضع في رؤوسهم عقولًا تعي، وفي صدورهم قلوبًا تخفِق، وفي الكون حولهم آيات تهدي: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين، وإرسال المرسلين، وإنزال الكتب المقدسة، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية أو التقليد.

QaradawiBooks.com

ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. بهذا دعا قومه نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب، وكل رسول بعث إلى قوم مكذبين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

## معنى العبادة وحقيقتها

### • معنى العبادة في اللغة:

في القاموس: العبدية والعبودية والعبادة: الطاعة[١].

وفي الصحاح: أصل العبودية الخضوع والذل. والتعبيد: التذليل. يُقال: طريق مُعبَّد. والبعير المُعبَّد: المهنوء ـ المطلي ـ بالقطران المذلَّل. والعبادة: الطاعة. والتعبد: التنسك ـ فرَّق بين المعاني بحسب الاشتقاق ـ ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفجر: ٢٩]، أي في حزبي[٢]. فأضاف معنى جديدًا وهو الولاء.

وفي «المخصص»[٣] أصل العبادة: التذليل. من قولهم: طريق مُعبَّد أي بكثرة الوطء عليه. ومنه أخذ «العبد» لذله لمولاه. والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب في المعاني. يُقال: تعبد فلان لفلان ـ إذا تذلل له. وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة، وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (ع. ب. د).

(٢) مختار الصحاح للرازي مادة (ع. ب. د) صـ ١٩٨، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٣) المخصص لابن سيده (٦٢/٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

فهي عبادة. والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم، كالحياة والفهم والسمع والبصر.

وفي «لسان العرب» نحو ذلك[١].

غير مرخصة للطباعة

- **العبادة في الشرع خضوع وحب:**

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فهو ينظر إلى العبادة نظرة أعمق وأوسع، فهو يحلِّل معناها إلى عناصره البسيطة. فيبرز إلى جوار المعنى الأصلي في اللغة ـ وهو غاية الطاعة والخضوع ـ عنصرًا جديدًا له أهمية كبرى في الإسلام، وفي كلِّ الأديان، عنصرًا لا تتحقق العبادة ـ كما أمر الله ـ إلا به، وذلك هو عنصر «الحُب». فبغير هذا العنصر العاطفي الوجداني لا توجد العبادة التي خلق الله لها الخلق، وبعث بها الرُّسُل، وأنزل الكتب.

وفي توضيح ذلك يقول شيخ الإسلام في رسالته عن «العبودية»: «الدين يتضمَّن معنى الخضوع والذل. يقال: دنته فدان، أي أذللته فذلَّ. ويقال: يدين الله ويدين لله: أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له. فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له.

والعبادة أصل معناها: الذلُّ أيضًا. يقال: طريق معبَّد، إذا كان مذللًا قد وطئته الأقدام. لكن العبادة المأمور بها تتضمَّن معنى الذلِّ ومعنى الحبِّ، فهي تتضمَّن غاية الذلِّ لله تعالى بغاية المحبَّة له. فإن آخر مراتب الحبِّ هو التتيم، وأوله العلاقة، لتعلُّق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم. يقال: تيم الله، أي: عبد الله. فالمتيم: المعبَّد لمحبوبه».

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (ع. ب. د).

QaradawiBooks.com

قال: «ومَن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحبَّ شيئًا ولم يخضع له، لم يكن عابدًا له. كما قد يحبُّ الرجل ولده وصديقه. ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كلِّ شيء. وأن يكون الله أعظم عنده من كلِّ شيء. بل لا يستحق المحبَّة والخضوع التام إلا الله، وكلُّ ما أُحب لغير الله فمحبَّته فاسدة، وما عُظِّم بغير أمر الله فتعظيمه باطل.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]»[1].

وبهذا الشرح العميق لمعنى العبادة وحقيقتها، ندرك أن العبادة المشروعة لا بد لها من أمرين:

**الأول**: هو الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله، أمرًا ونهيًا، وتحليلًا وتحريمًا. وهذا هو الذي يمثِّل عنصر الطاعة والخضوع لله.

فليس عبدًا ولا عابدًا لله مَن رفض الاستسلام لأمره، واستكبر عن اتباع نهجه، والانقياد لشرعه، وإن أقرَّ بأن الله خالقه ورازقه، فقد كان مشركو العرب يقرُّون بذلك. ولم يجعلهم القرآن بذلك مؤمنين ولا عبادًا لله طائعين، فخضوع الإقرار بالربوبية لا يكفي، وخضوع الاستعانة في الكربات والاستغاثة في الشدائد لا يكفي، ولا بد من خضوع التعبُّد والانقياد والاتباع الذي هو حقُّ الألوهية، وبهذا يتحقق معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(١) العبودية لابن تيمية صـ ٤٨، ٤٩، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٧، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

وأساس الخضوع لله تعالى هو الشعور الواعي بوحدانيته تعالى، وقهره لكلِّ مَن في الوجود، وما في الوجود، فكلُّهم عبيده وخلقه، وفي قبضة قدرته وسلطانه. وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٥، ١٦].

أساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتي بالحاجة إلى مَن يملك الضرَّ والنفع، والموت والحياة، ومَن له الخلق والأمر، ومَن بيده ملكوت كلِّ شيء، ومَن إذا أراد شيئًا قال له: «كن». فيكون. الشعور بالضعف أمام مَن يملك القوة كل القوة، والشعور بالجهل[1] أمام مَن أحاط بكلِّ شيء علمًا، والشعور بالعجز أمام مَن يملك القدرة كل القدرة، والشعور بالفقر أمام مَن يملك الغنى كل الغنى. وباختصار شعور العبودية المخلوقة الفانية الفقيرة بالذات، أمام الربوبية الخالقة الأزلية الأبدية، المالكة لكلِّ شيء، والمدبرة لكلِّ أمر.

وكلَّما ازداد الإنسان معرفة بنفسه، ومعرفة بربِّه، ازدادت هذه المشاعر وضوحًا وقوة، فقوى اعتماده على الله، واتجاهه إليه، وتوكُّله عليه، واستعانته به، وتذلُّله له، ومد يد الضراعة إليه، ووقوفه ببابه سائلًا داعيًا منيبًا إليه.

(١) الإنسان يجهل أسرار ما يحدث له في حاضره، ويجهل ماذا يكنه له ضمير المستقبل، فلا يدري ماذا يكسب غدًا؟ ولا متى يموت؟ وأين يموت؟ وكيف يموت؟ وماذا وراء الموت؟ إلى غير ذلك من الأمور.

QaradawiBooks.com

فإذا جهل الإنسان قدر نفسه، وجهل قدر ربِّه، لم تمت هذه المشاعر، ولكنها تنحرف وتتحوَّل فتبحث لها عن ربٍّ تتَّجه إليه، وتخضع له، وتنقاد إليه ولا بدَّ، وإن لم تشعر بذلك، أو لم تسمِّه خضوعًا وانقيادًا، ولم تسمِّ مقصودها ربًّا وإلهًا.

**والثاني**: أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحبُّ الله تعالى. فليس في الوجود مَن هو أجدر من الله تعالى بأن يُحَب؛ فهو صاحب الفضل والإحسان، الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئًا مذكورًا، وخلق له ما في الأرض جميعًا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وخلقه في أحسن تقويم، وصَوَّره فأحسن صورته، وكرَّمه وفضَّله على كثير من خلقه، ورزقه من الطيبات، وعلَّمه البيان، واستخلفه في الأرض، ونفخ فيه من رُوحه، وأسجد له ملائكته، فمَن أولى من الله بأن يُحب؟ ومَن يحبُّ الإنسانُ ـ إذن ـ إن لم يحب الله تعالى؟!

إن أساس محبة الله تعالى هو الشعور بفضله ونعمته، وإحسانه ورحمته، والإحساس بجماله وكماله، فمَن كان يحبُّ الإحسان فالله هو واهبه وصاحبه، ومَن كان يحبُّ الجمال فالله هو مصدره، ومَن كان يحبُّ الكمال فلا كمال في الحقيقة إلا كماله، ومَن كان يحبُّ ذاته فالله هو خالقه.

فمَن عرف الله أحبَّه، وبقدر درجته في المعرفة تكون درجته في المحبة، ولهذا كان الرسول ﷺ، أشد الناس حبًّا لله؛ لأنه كان أعرفهم بالله، وكانت قرَّة عينه في الصلاة؛ لأنها الصلة المباشرة بين قلبه وبين الله، وكان في دعائه يسأل الله الشوق إلى لقائه، ولذَّة النظر إلى وجهه سبحانه. ولما خُيِّر بين البقاء في الدنيا وبين اللحوق بربِّه قال: أختار الرفيق الأعلى!

QaradawiBooks.com

أما علماء الكلام أو بعضهم ممن زعموا أن الحبَّ الحقيقي لا يتصوَّر من جانب العبد لله، وقالوا: إن معنى حب الله هو المواظبة على طاعته تعالى. وأما حقيقة الحبِّ فهو محال، إلا مع الجنس والمثال، فقد ردَّ عليهم الغزالي في «الإحياء» ردًّا مفصلًا، مبينًا أن الذي يستحقُّ المحبة الكاملة بكلِّ وجوهها، وكافَّة أسبابها هو الله وحده[1].

إذا كان الله قد خلقنا لنعبده، أي لنطيعه طاعة مصحوبة بأقصى الخضوع، الممزوج بغاية الحبِّ، ففي أي شيء تكون هذه الطاعة، طاعة الخضوع والحب؟ وفي أي مجال يجب أن تكون؟

- **شمول العبادة للدين كله:**

إن الجواب عن هذا التساؤل سيبيِّن لنا حقيقة هامة، هي: شمول معنى العبادة في الإسلام، وسَعَة آفاقها. وهذا الشمول له مظهران:

**الأول**: شمولها للدين كله وللحياة كلها.

**الثاني**: شمولها لكيان الإنسان كله: ظاهره، وباطنه. كما سنشرح ذلك فيما يلي.

لقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ما العبادة؟ وما فروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن ذلك إجابة مبسوطة مفصَّلة تضمنتها رسالته المعروفة باسم «العبودية»، وقد بدأها بقوله: «العبادة: هي اسم جامع لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرُّ

(١) إحياء علوم الدين (٣٠٠/٤) وما بعدها، نشر دار المعرفة، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حبُّ الله ورسوله ﷺ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكُّل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله»[1] اهـ.

وهكذا نجد أن للعبادة ـ كما شرحها ابن تيمية ـ أفقًا رحبًا ودائرة واسعة، فهي تشمل الفرائض والأركان الشعائرية، من الصلاة والصيام والزكاة والحج.

وهي تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبُّد التطوعي من ذكر وتلاوة ودعاء واستغفار، وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد.

وهي تشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد، كبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان لليتيم والمسكين وابن السبيل، والرحمة بالضعفاء، والرفق بالحيوان.

وهي تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلَّها، من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

كما تشمل ما نسميه بـ«الأخلاق الربانية»، من حبِّ الله ورسوله ﷺ، وخشية الله، والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر

(١) العبودية صـ ٣٨.

QaradawiBooks.com

لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكُّل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، والمراقبة له في الخلوة والجلوة.

وأخيرًا تشمل العبادة الفريضتين الكبيرتين اللتين هما سياج ذلك كله وملاكه وهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين في سبيل الله.

بل تشمل العبادة أيضًا أمرًا له أهميته وخطره في الحياة المادية للناس، ذكره ابن تيمية في موضع آخر من رسالته، وهو الأخذ بالأسباب، ومراعاة السنن التي أقام الله عليها الكون، قال: «فكلُّ ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة»[١].

وأكثر من ذلك ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الدين كلَّه داخل في العبادة. إذ الدين يتضمَّن معنى الخضوع والذل. يقال: دنته فدان، أي أذللته فذلَّ. ويقال: يدين الله ويدين لله، أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له. فدين الله: عبادته وطاعته والخضوع له. والعبادة أصل معناها: الذل أيضًا[٢].

وبهذا يلتقي معنى الدين بأصل معنى العبادة لغة وشرعًا.

### • العبادة تسع الحياة كلها:

وإذا عرفنا أن الدين كلَّه عبادة كما قال الإمام ابن تيمية، وعرفنا أن الدين قد جاء يرسم للإنسان منهج حياته الظاهرة والباطنة، ويحدِّد سلوكه وعلاقاته، وفقًا لما يهدي إليه هذا المنهج الإلهي، عرفنا أن عبادة الله تسع الحياة كلها، وتنظم أمورها قاطبة: من أدب الأكل والشرب وقضاء

(١) العبودية صـ ٧٣.

(٢) انظر: العبودية صـ ٤٣، ٤٤.

QaradawiBooks.com

الحاجة، إلى بناء الدولة وسياسة الحكم، وسياسة المال وشؤون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.

ولهذا نجد كتاب الله الكريم يخاطب عباده المؤمنين بأوامر تكليفية وأحكام شرعية، تتناول جوانب شتى من الحياة، وفي سورة واحدة ـ هي سورة البقرة ـ نجد مجموعة من التكاليف كلها جاءت بصيغة واحدة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾.

ولنقرأ هذه الآيات الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فهذه الأمور كلُّها، من القصاص، والوصية، والصيام، والقتال، مكتوبة من الله على عباده، أي: مفروضة عليهم، فعليهم أن يعبدوا الله بالتزامها والانقياد لها.

وبهذا البيان يتَّضح لنا حقيقة هامة لا زال يجهلها الكثيرون من المسلمين. فبعض الناس لا يفهم من كلمة «العبادة» إذا ذكرتْ إلا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة، ونحو ذلك من الأدعية والأذكار، ولا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق والآداب، أو النظم والقوانين، أو العادات والتقاليد.

إن عبادة الله ليست محصورة ـ إذن ـ في الصلاة والصيام والحج، وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار، كما يتبادر إلى فَهم كثير من المسلمين إذا دُعوا إلى عبادة الله، وكما يحسب كثير من المتدينين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر فقد وفَّوا الإلهية حقَّها، وقاموا بواجب العبودية لله كاملًا.

QaradawiBooks.com

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية في بناء الإسلام ـ على منزلتها وأهميتها ـ إنما هي جزء من العبادة لله، وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده.

والحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة، ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة، إنها تشمل شؤون الإنسان كلَّها، وتستوعب حياته جميعًا.

- **العبادة انقياد لمنهج الله وشرعه:**

إن مقتضى عبادة الإنسان لله وحده: أن يخضع أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه، من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وأن يكيِّف حياته وسلوكه وفقًا لهداية الله وشرعه. فإذا أمره الله تعالى أو نهاه، أو أحلَّ له أو حرَّم عليه كان موقفه في ذلك كلِّه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ففرق ما بين المؤمن وغيره: أن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لربه، خرج من طاعة هواه إلى طاعة الله. ليس المؤمن «سائبًا» يفعل ما تهوى نفسه أو يهوى له غيره من الخلق، إنما هو «ملتزم» بعهد يجب أن يفي به، وميثاق يجب أن يحترمه، ومنهج يجب أن يتَّبعه. وهذا التزام منطقي ناشئ من طبيعة عقد الإيمان ومقتضاه.

مقتضى عقد الإيمان: أن يُسلم زمام حياته إلى الله، ليقودها رسوله الصادق، ويهديه الوحي المعصوم.

مقتضى عقد الإيمان: أن يقول الرب: أمرت ونهيت. ويقول العبد: سمعت وأطعت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقتضى عقد الإيمان: أن يخرج الإنسان من الخضوع لهواه إلى الخضوع لشرع مولاه.

وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ليس بعابد لله إذن مَن قال: أصلي وأصوم وأحج، ولكني حر في أكل لحم الخنزير، أو شرب الخمر، أو أكل الربا، أو رفض ما لا يروقني من أحكام الشريعة، فأحكم فيه بغير ما أنزل الله!

ليس بعابد لله مَن أدَّى الشعائر، ولكنه لم يخضع لآداب الإسلام وتقاليده في نفسه أو أهله، كالرجل الذي يلبس الحرير الخالص، ويتحلَّى بالذهب، ويتشبَّه بالنساء، والمرأة التي تلبس ما يبرز مفاتنها، ولا يغطي جسدها، ولا تضرب بخمارها على جيبها.

ليس بعابد لله مَن ظنَّ أن عبوديته لله لا تعدو جدران المسجد، فإن انطلق في ميادين الحياة المتشعِّبة، فهو عبد نفسه فقط. وبعبارة أخرى: هو حرٌّ في اتباع هواها، أو اتباع عبيد أنفسهم من المخلوقين!

### • الأعمال الاجتماعية النافعة عبادة:

وأكثر من ذلك: أن الإسلام قد فسح مجال العبادة ووسَّع دائرتها، بحيث شملت أعمالًا كثيرة لم يكن يخطر ببال الناس أن يجعلها الدين عبادة وقُربة إلى الله.

QaradawiBooks.com

إن كلَّ عمل اجتماعي نافع يعده الإسلام عبادة من أفضل العبادات، ما دام قصد فاعله الخير، لا تصيُّد الثناء واكتساب السمعة الزائفة عند الناس. كل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون، أو يخفِّف به كربة مكروب، أو يضمِّد به جراح منكوب، أو يسدُّ به رمق محروم، أو يشدُّ به أزر مظلوم، أو يقيل به عثرة مغلوب، أو يقضي به دين غارم مثقل، أو يأخذ بيد فقير متعفِّف ذي عيال، أو يهدي حائرًا، أو يعلِّم جاهلًا، أو يؤوي غريبًا، أو يدفع شرًّا عن مخلوق، أو أذى عن طريق، أو يسوق نفعًا إلى ذي كبد رطبة: فهو عبادة وقربة إلى الله إذا صحَّت فيه النية.

أعمال كثيرة من هذا النوع جعلها الإسلام من عبادة الرحمٰن، وشُعَب الإيمان، وموجبات المثوبة عند الله.

فليست الصلاة أو الصيام أو الذكر والدعاء هي وحدها التي تكتب لك عبادة في يومك، وتستوجب بها الأجر عند ربك، كلا، إنك تستطيع في اليوم الواحد أن تضيف إلى ميزان عبادتك وحسناتك أشياء كثيرة، لها ثقلها وقيمتها في تقدير الحقِّ تعالى، وإن بدت عندك هينة خفيفة في الميزان.

من ذلك ما قاله رسول الإسلام ﷺ، عن الإصلاح بين المتخاصمين: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**». قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»[1]. وفي رواية: «**لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»[2].

(١) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: صحيح. وابن حبان في الصلح (٥٠٩٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤١٤)، عن أبي الدرداء.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

QaradawiBooks.com

ويقول عليه الصلاة والسلام، في عيادة المريض وما لها من مكانة عند الله لما فيها من تخفيف ومواساة: «**مَن عاد مريضًا ناداه مناد من السماء: طبتَ وطاب ممشاك، وتبوَّأت من الجنة منزلًا**»(١).

والإسلام يجعل هذه الأعمال الاجتماعية فريضة يومية على كلِّ مسلم.

بل إننا لنقرأ أحاديث النبي الكريم في هذا الباب، فنرى أنه لم يكتفِ بفرض هذه العبادة العامة على الإنسان من حيث هو إنسان فحسب، بل يشتدُّ في طلبها، فيفرضها على كلِّ ميسم من مياسمه، أو كلِّ مفصل من مفاصله. فيروي أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ: «**كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة، كلُّ يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمله أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكلُّ خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»(٢).

### • عمل الإنسان في معاشه عبادة بشروط:

وأعجب من هذا أن النبي ﷺ يجعل الأعمال الدنيوية التي يقوم بها الإنسان لمعيشته، والسعي على نفسه وأهله، من أبواب العبادة والقربات إلى الله، وإن لم يتعدَّ نفعها دائرته الشخصية والأسرية. فالزارع في حقله، والعامل في مصنعه، والتاجر في متجره، والموظف في مكتبه، وكلُّ ذي حرفة في حرفته، يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي صلاةً وجهادًا في سبيل الله، إذا التزم فيه الشروط الآتية:

---

(١) رواه أحمد (٨٥٣٦)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في البر والصلة (٢٠٠٨)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الجنائز (١٤٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٣٤٥)، وابن حبان في الجنائز (٢٩٦١)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١١٨٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩١)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩).

QaradawiBooks.com

١ ـ أن يكون العمل مشروعًا في نظر الإسلام. أما الأعمال التي ينكرها الدين، كالعمل في الربا والحانات والمراقص ونحوها، فلا تكون ولن تكون عبادة أبدًا. «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»(١).

٢ ـ أن تصحبه النية الصالحة: نية المسلم إعفاف نفسه، وإغناء أسرته، ونفع أمته، وعمارة الأرض، كما أمر الله.

٣ ـ أن يؤدي العمل بإتقان وإحسان، ففي الحديث: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»(٢)، «**إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»(٣).

٤ ـ أن يلتزم فيه حدود الله، فلا يظلم ولا يخون، ولا يغش، ولا يجور على حقِّ غيره.

٥ ـ ألا يشغله عمله الدنيوي عن واجباته الدينية، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

### • حتى أعمال الغريزة وقضاء الشهوة:

على أن الأروع مما تقدَّم كلُّه أن تشمل العبادة الحاجات الضرورية التي يؤدِّيها المسلم استجابةً لدافع الغريزة البشرية. فالأكل والشرب ومباشرة الزوج لزوجته، وما كان من هذا القبيل يُدخله الإسلام في دائرة

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٣) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب (٥٣١٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

العبادة الفسيحة بشرط واحد هو «النيــة». فالنية هي المادة العجيبة التي تُضاف إلى المباحات والعادات فتصنع منها طاعات وقربات.

وأوضح شــاهد على ذلك ما قاله النبي ﷺ لأصحابه: «**وفي بُضْعِ**[١] **أحدكم صدقة**». قالوا: أيأتي أحدنا شــهوته ويكون لــه فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليــه وزر؟**». قالوا: نعم. قال: «**كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[٢]! قال العلماء: وهذا من تمام رحمة الله على عبــاده، يثيبهم على ما فيه قضاء شــهواتهم، إذا نــووا أداء حقِّ الزوجة، وإحصان الفرج. ولله الحمد.

### • آثار هذا الشمول في النفس والحياة:

إن شمول معنى العبادة في الإسلام ـ كما شرحناه ـ له آثار مباركة في النفس والحياة، يحسُّها الإنسان في ذاته، ويلمسها في غيره، ويرى ظلالها في الحياة من حوله. وأبرز هذه الآثار وأعمقها أمران:

**الأول**: أنه يصبغ حيــاة المسلم وأعمالــه فيها بالصبغــة الربانية، ويجعله مشدودًا إلى الله في كلِّ ما يؤدِّيه للحياة، فهو يقوم به بنية العابد الخاشــع، وروح القانت المخبت، وهذا يدفعه إلى الاستكثار من كلِّ عمل نافع، وكــلِّ إنتاج صالح، وكلِّ ما ييسِّر لــه ولأبناء نوعه الانتفاع بالحياة، علــى أمثل وجوهها. فــإن ذلك يزيد رصيده مــن الحسنات والقربــات عند الله ﷻ. كمــا يدعوه هــذا المعنى إلــى إحسان عمله الدنيوي وتجويده وإتقانه، ما دام يقدِّمه هديــة إلى ربِّه سبحانه، ابتغاء رضوانه وحسن مثوبته.

---

(١) البضع: الجماع أو الفرج نفسه. انظر اللسان مادة (ب. ض. ع).

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

**والثاني**: أنه يمنح المسلم وحدة الوجهة، ووحدة الغاية في حياته كلِّها، فهو يرضي ربًّا واحدًا، في كل ما يأتي ويَدَع، ويتجه إلى هذا الرب بسعيه كله: الديني والدنيوي. لا انقسام ولا صراع ولا ازدواج في شخصيته ولا في حياته.

إنه ليس ممن يعبدون الله في الليل، ويعبدون «المجتمع» في النهار.

وليس ممن يعبدون الله في المسجد، ويعبدون «الدنيا» و«المال» في ساحة الحياة.

وليس ممن يعبدون الله في يوم من أيام الأسبوع، ثم يعبدون ما سواه ومن سواه سائر أيام الأسبوع.

كلا، إنه يعبد الله وحده حيثما كان، وكيفما كان، وفي أي عمل كان. فوجه الله لا يفارقه في عمل ولا حال ولا زمان: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وبهذا ينصرف همه كله إلى الله، ويجتمع قلبه كله على الله، ولا يتوزع شمل حياته وفكره وإرادته ووجدانه بين شتى الاتجاهات، والتيارات والانقسامات.

إن حياته كلها وحدة لا تتجزأ. منهجه فيها عبادة الله، وغايته رضوان الله، ودليله وحي الله.

- **شمول العبادة لكيان الإنسان كله:**

هذا هو المظهر الثاني لشمول العبادة في الإسلام.

فكما شملت العبادة في الإسلام الحياة كلها، استوعبت كذلك كيان الإنسان كله.

QaradawiBooks.com

فالمسلم يعبد الله بالفكر، ويعبد الله بالقلب، ويعبد الله باللسان، ويعبد الله بالسمع والبصر وسائر الحواس، ويعبد الله ببدنه كله، ويعبد الله ببذل المال، ويعبده ببذل النفس، ويعبده بمفارقة الأهل والوطن.

المسلم يتعبد لله بالفكر، عن طريق التأمل في النفس والآفاق، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، والتدبر لآيات الله المنزلة وما فيها من هدى وحكمة، والنظر في مصاير الأمم وأحداث التاريخ وما فيها من عظة وعبرة.

ويتعبد المسلم لله بالقلب، عن طريق العواطف الربَّانية والمشاعر الروحية، مثل: حب الله وخشيته، والرجاء في رحمته، والخوف من عقابه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، والشكر لنعمائه، والحياء منه، والتوكل عليه، والإخلاص له.

ويتعبد المسلم لله باللسان، عن طريق الذكر والتلاوة، والدعاء والتسبيح، والتهليل والتكبير.

ويتعبد المسلم لله ببدنه كله: إما كفًّا وامتناعًا عن ملذات البدن وشهواته، كما في الصيام. وإما حركة وعملًا ونشاطًا، كما في الصلاة التي يتحرك فيها البدن كله: اللسان والأعضاء، مع العقل والقلب.

ويتعبد المسلم لله ببذل المال الذي هو شقيق الروح، كما في الزكاة والصدقات، وهذا ما يسميه الفقهاء «العبادة المالية»، كما سمّوا الصلاة والصوم «العبادة البدنية»، ويعنون بكلمة «البدن» هنا: كيان الإنسان كله لا الجسم المادي وحده. فإن النية شرط لكل عبادة، ومحلها القلب بالإجماع، وعبادة المجنون والسكران ونحوها لا تصح ولا تقبل، ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويتعبد المسلم لله ببذل مهجته والتضحية بنفسه وبمصالحه المادية العاجلة، ابتغاء مرضاة الله، كما في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ويتعبد المسلم لله بمفارقة الأهل والوطن والضرب في الأرض: إما للحج والعمرة، وإما للهجرة إلى أرض يستطيع فيها المسلم إقامة دينه، وإما للجهاد في سبيل الله، وإما لطلب علم نافع، أو نحو ذلك، مما يبذل فيه المسلم ـ عادة ـ راحة بدنه وحُرّ ماله. ولهذا نعتبر هذا النَّوع من العبادات «بدنيًّا وماليًّا» معًا حسب التقسيم الفقهي المتعارف.

## سر العبادة وغايتها

- **لماذا نعبد الله؟**

عرفنا أن رسالة الإنسان في الوجود هي عبادة الله وحده.

وعرفنا أن العبادة هي غاية الخضوع الممزوج بغاية الحب لله.

وعرفنا أن العبادة ـ في الإسلام ـ تشمل الدين كله، وتسع الحياة بمختلف جوانبها.

وبقي هنا سؤال قد يسأله بعض الناس. وهو: لماذا نعبد الله تعالى؟ وبعبارة أخرى: لماذا فرض الله علينا عبادته وطاعته وهو الغني عنا؟ وما الغاية من تكليفنا هذه العبادة؟ هل يعود عليه ـ سبحانه ـ نفع من عبادتنا له، وخشوعنا لوجهه؟ ووقوفنا ببابه، وانقيادنا لأمره ونهيه جل شأنه؟ أم النفع يعود علينا نحن المخلوقين؟ وما حقيقة هذا النفع إن كان؟ أم الهدف هو مجرد الأمر من الله والطاعة منا؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والجواب: أنه ـ تبـارك اسمه ـ لا تنفعه عبادة مـن عبده، ولا يضره إعراض من صد عنه.

وقد أخبرنا على لسان سليمان في القرآن: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقـال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وقال ﷻ في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبـادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**»[(١)].

وإذا كان الله سبحانه له هذا الغنى المطلق فلماذا إذن كلف عباده أن يعبدوه ويطيعوه؟

وأظن ـ بعد أن يعرف الإنسان جواب الأسئلة الخالدة: من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟ ـ أنَّ من السهل أن يعرف جـواب هذا السؤال. إنه كامن في طبيعة الإنسان نفسه، وطبيعة مهمته في الأرض، والغاية التي أُعدَّ لها من وراء هذه الحياة.

### ١ ـ العبادة غذاء للروح:

فالإنسان ليس هو هـذا الغلاف المادي الذي نحسـه ونراه، والذي يطلب حظه من طعام الأرض وشـرابها. ولكن حقيقة الإنسان في ذلك الجوهر النفيس الذي به صار إنسانًا مكرمًا سيدًا على ما فوق الأرض من

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

كائنات. ذلك الجوهر هو الروح، الذي يجد حياته وزكاته في مناجاة الله ﷻ. وعبادة الله هي التي توفر لهذا الروح غذاءه ونماءه، وتمدُّه بمدد يومي لا ينفد ولا يغيض.

ولئن تراكم على هذا الجوهر المعنوي الغفلة والغرور، وران عليه صدأ الجحود أو الشك، فقد تهبُّ عواصف المحن فتزيح الغبار، أو تندلع نار الشدائد فتجلو الصدأ، وسرعان ما يعود الإنسان إلى ربِّه، فيدعوه ويتضرَّع إليه. وهذه حقيقة ذكرها القرآن، وأيَّدتها وقائع الحياة، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

إن القلب الإنساني دائم الشعور بالحاجة إلى الله، وهو شعور أصيل صادق لا يملأ فراغه شيء في الوجود إلا حسن الصلة بربِّ الوجود، وهذا ما تقوم به العبادة إذا أُديت على وجهها.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة، ومن جهة الاستعانة والتوكل. فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يُسَر، ولا يلتذ ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن، إلا بعبادة ربِّه وحبِّه والإنابة إليه. ولو حصل له كلُّ ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربِّه ـ بالفطرة ـ من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه. وبذلك يحصل له الفرح والسرور، واللذة والنعمة، والسكون والطمأنينة»[1].

(١) العبودية لابن تيمية صـ ١٠٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

### ٢ ـ العبودية لله سبيل الحرية:

ثم إن العبودية الخالصة لله هي ـ في واقع الأمر ـ عين الحرية. وسبيل السيادة الحقيقية، فهي ـ وحدها ـ التي تعتق القلب من رقِّ المخلوقين، وتحرِّره من الذلِّ والخضوع لكلِّ ما سوى الله، من أنواع الآلهة والطواغيت التي تستعبد الناس وتسترقهم أشد ما يكون الاسترقاق والاستعباد، وإن ظهروا ـ صورة وشكلًا ـ بمظهر السادة الأحرار!

ذلك أن في قلب الإنسان حاجة ذاتية إلى ربٍّ، إلى إله، إلى معبود، يتعلَّق به، ويسعى إليه، ويعمل على رضاه، فإذا لم يكن هذا المعبود هو الله الواحد الأحد، تخبَّط في عبادة آلهة شتى وأرباب أُخر، مما يُرى وما لا يُرى، وممن يعقل، وما لا يعقل، ومما هو موجود وما ليس بموجود، إلا في الوهم والخيال.

وليس أشرف للإنسان العاقل من أن يعبد مَن خلقه فسوَّاه فعدَّله، ويطرح عبادة كلِّ ما سواه ومَن سواه.

وليس أجلب لسعادته وسلام ضميره من توجيه همِّه إلى إله واحد يخصُّه بالخضوع والحبِّ، فلا تتوزَّع قلبه الآلهة والأرباب المزيفون: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]. فالعبد السالم لسيد واحد قد استراح؛ إذ عرف ما يُرضي سيده فأدَّاه بارتياح وانشراح. أما العبد الذي يملكه شركاء متشاكسون يأمره أحدهم بعكس ما يأمره غيره، فما أتعسه وما أشقاه!

### ٣ ـ العبادة ابتلاء إلهي يصقل الإنسان:

والحياة التي نحياها هذه ـ طالت أو قصرت ـ ليست هي الغاية ولا إليها المنتهى، وما هي إلا محطة انتقال إلى حياة أخرى ودار أخرى؛

QaradawiBooks.com

حياة البقاء، ودار الخلود. وفي بعض الآثار: «إنكم خُلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار»[١]، وقال الشاعر:

وما الموت إلا رحلة غير أنها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي[٢]

فالمعوَّل عليه إذن إنما هو الدار الأخرى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والإنسان في هذه الدار الفانية إنما يستصلح لتلك الدار الباقية، يستخلفه الله هنا ليُعَد ويصقل للخلود هناك، ولا شيء يصقله ويهذِّبه ويُعدُّه مثل الابتلاء، فهو البوتقة التي تُصهر فيها النفس ويصفو الروح.

فقد شاء الله أن يخلق الإنسان نوعًا متميزًا على غيره، بما ركَّب فيه من عناصر مزدوجة، يمكن أن تصعد به إلى السماء، وأن يهبط بها إلى الأرض، ففيه الغريزة والشهوة، وفيه العقل والإرادة، فيه المادة، وفيه الروح.

### ٤ ـ العبادة حق الله على عباده:

والعبادة ـ فوق ذلك كله ـ هي حقُّ الخالق ـ جلَّ شأنه ـ على خلقه. وفي ذلك روى البخاري ومسلم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ رديف النبي ﷺ، على حمار، فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة عن عمر بن عبد العزيز.

(٢) من شعر أبي العتاهية.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٣)، ومسلم في الإيمان (٣٠).

QaradawiBooks.com

وليس بمستنكر أن يكــون لله علينا حقُّ عبادته وحــده سبحانه، بل المستنكر أن يكون غير هذا. المستنكــر أن نعبد ما دون الله أو من دون الله، فنؤدِّي الحقَّ لغير أهلــه، أو نزعم لأنفسنا الاستقلال عن الله فنجحد عبوديتنا له بغير حقٍّ.

إننا لم نكن شــيئًا مذكورًا ثم كنا، خرجنا مــن ظلمة العدم إلى نور الوجود. ثم كنا نوعًا مكرَّمًا من الخليقة، خُلِقْنَا في أحسن تقويم، وصُوِّرْنا في أحسن صــورة، وعُلمنا البيــان، وأوتينا العقــل والإرادة، وسُخِّرت الكائنات حولنــا لخدمتنا: الأرض لنا مهاد وفــراش، والسماء لنا سقف وبناء، والشمس تمدنا بالضوء والحرارة، والكواكب تهدينا وتزين سقفنا، والبحار تجري فيها سفائننا بأرزاقنا، والمــاء ينزل من السماء ليكون لنا شرابًا طهورًا، ونسقي منه أنعامًا وأناسي كثيرًا.

ترى مَن الذي فعل ذلك كلَّه؟ أما نحن فلم نخلق أنفسنا، ولم نصنع ذرة مما حولنا، ولم يَدَّعِ بشر ولا جنٌّ ولا ملاك: أنه صانع ذلك ومدبره. فمَن هو صاحب العلم الواسع، والحكمة البالغة والقدرة القاهرة والإرادة الفعالة، الذي صنع هذا الكون الدقيــق فأحكمه، ورتَّبه فأحسنه؟ والذي خلق الإنسان فأحسن خلقه، وسخَّر له ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليه النعم ظاهرة وباطنة؟

إنه الله الذي شهدت بربوبيته الفطر السليمة، وأقرَّت بوجوده وكماله ووحدانيته العقول النيرة.

فلا عجب أن يكون لهذا الخالق المنعم حقَّ العبادة له، والاستعانة به، والابتهال إليه، والوقوف ببابه الكريم موقف الضراعة والتسليم والانقياد:

QaradawiBooks.com

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۞ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للبيع

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# الأخـــلاق

## • مكانة الأخلاق في رسالة الإسلام:

جرت عادة الباحثين في رسالة الإسلام أن يقسموه إلى شعب أربع: عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق. وربما أوهم تأخير شعبة الأخلاق أنها آخر ما يهتمُّ به الإسلام، وأنها لا ترقى إلى مستوى الشُّعَب الأخرى. والحقيقـــة التي تتجلَّى لمَن يتدبَّـــر الإسلام في آيات كتابـــه وسُنَّة نبيه، ويتأمَّل نصوصها وروحها: أن الإسلام فـــي جوهره رسالة أخلاقية، بكلِّ ما تحمله هذه الكلمة من عمق وشـــمول. ولا غرو أن تكون «الأخلاقية» خصيصة من خصائصه العامة.

وليس ذلك لمجرَّد أن الإسلام حثَّ بقوَّة على الفضائل، وحذَّر بقوَّة من الرذائل، ووصل في هذا وذاك إلى أعلى درجات الإلزام، ورتَّب على ذلك أعظم مراتب الجزاء، ثوابًا وعقابًا، في الدنيا والآخرة.

وليس ذلك أيضًا لمجرَّد أن الإسلام عُني بالأخلاق عناية بالغة، حتى إن القرآن حين أثنى علـــى الرسول ﷺ، لم يجد أبلغ ولا أرفع من قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وحتى إن الرسول ﷺ، ليلخص الهدف من رسالته فيقول في إيجاز بليغ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1].

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقـــال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري فـــي الأدب المفرد في حسن =

QaradawiBooks.com

ليست الأخلاقية من خصائص الإسلام لمجرَّد هذا وذاك. ولكن ـ بالإضافة إلى ذلك ـ لأن الأخلاقية تسري في كيان الإسلام كلِّه، وفي تعاليمه كلِّها، حتى في العقائد والعبادات والمعاملات، وتدخل في السياسة والاقتصاد، والسِّلْم والحرب.

• **العقائد الإسلامية والأخلاق:**

العقائد الإسلامية أساسها التوحيد، وضده الشرك.

وهنا نجد الإسلام يضفي على التوحيد صبغة خُلُقية، فيعتبره من باب «العدل» وهو فضيلة خلقية، كما يعتبر الشرك من باب «الظلم» وهو رذيلة خلقية: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؛ وذاك لأنه وَضْع للعبادة في غير موضعها، وتوجُّهٌ بها إلى مَن لا يستحقها. بل اعتبر القرآن الكفر بكلِّ أنواعه ظلمًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والإيمان الإسلامي حين يتكامل ويؤتي أُكله، يتجسَّد في فضائل أخلاقية فاضت بها آيات القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ.

نقرأ في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٨].

---

= الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۞ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۞ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۞ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۞ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٦٨].

والأحاديث النبوية كذلك تربط الفضائل الأخلاقية بالإيمان، وتجعلها من لوازمه وثمراته: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصِل رحمه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو ليصمت**»(١).

«**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان**»(٢).

«**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

## • العبادات الإسلامية والأخلاق:

والعبادات الإسلامية الكبرى ذات أهداف أخلاقية واضحة.

فالصلاة وهي العبادة اليومية الأولى في حياة المسلم، لها وظيفة مرموقة في تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلاة كذلك مدد أخلاقي للمسلم يستعين به في مواجهة متاعب الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والزكاة وهي العبادة التي قرنها القرآن بالصلاة ـ ليست مجرَّد ضريبة مالية، تؤخذ من الأغنياء، لتردَّ على الفقراء. إنها وسيلة تطهير وتزكية في عالم الأخلاق، كما أنها وسيلة تحصيل وتنمية في عالم الأموال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

والصيام في الإسلام، إنما يقصد به تدريب النفس على الكفِّ عن شهواتها، والثورة على مألوفاتها. وبعبارة أخرى: إنه يهيئ النفس للتقوى، وهي جماع الأخلاق الإسلامية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والحجُّ في الإسلام تدريب للمسلم على التطهُّر والتجرُّد والترفُّع عن زخارف الحياة وترفها، وخصامها وصراعها. ولذا يفرض في الإسلام الإحرام ليدخل المسلم حياة قوامها البساطة والتواضع والسلام والجدية والزهد في مظاهر الحياة الدنيا: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وحين تفقد هذه العبادات الإسلامية هذه المعاني ولا تحقِّق هذه

QaradawiBooks.com

الأهداف، تفقد بذلك معناها وجوهر مهمَّتها، وتصبح جثَّة بلا روح. ولا غرو أن جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تؤكِّد ذلك بأسلوب بليغ واضح.

فتقول عن الصلاة: «**كم من قائم ـ أي الليل بالتهجد ـ ليس له من قيامه إلا السهر**»[١]، وكما جاء عن ابن مسعود: «**مَن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا**»[٢].

وعن الصيام: «**مَن لم يَدَع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يَدَع طعامه وشرابه**»[٣]، «**كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**»[٤].

غير مرخصة للطباعة

- **الأخلاق والاقتصاد:**

وللأخلاق الإسلامية مجالها وعملها في شؤون المال والاقتصاد، سواء في ميدان الإنتاج أم التداول أم التوزيع أم الاستهلاك.

فليس للاقتصاد أن ينطلق ـ كما يشاء ـ بلا حدود ولا قيود، دون ارتباط بقيم، ولا تقيد بمثل عُليا، كما هي دعوة بعض الاقتصاديين للفصل بين الاقتصاد والأخلاق.

---

(١) رواه أحمد (٩٦٨٥)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى (٣٣١٩)، وابن ماجه (١٦٩٠)، كلاهما في الصيام، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٥٨): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٨٨٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وابن ماجه (١٦٩٠)، والحاكم (٤٣١/١)، كلاهما في الصوم، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٠١)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ليس للمسلم أن ينتج ما يشاء ولو كان ضارًّا بالناس ماديًّا أو معنويًّا، وإن كان يستطيع أن يحصِّل هو من وراء هذا الإنتاج أعظم الأرباح، وأكبر المنافع.

إن زراعة التبغ «الدخان» أو «الحشيش» ونحوه من المواد المخدرة أو الضارة قد يكون فيها مكسب مادي كبير، ولكن الإسلام ينهى المسلم أن يكون كسبه ونفعه من وراء خسارة غيره وضرره.

وإن تصنيع الأعناب ليصبح عصيرها خمرًا يجلب أرباحًا وفيرة، ويحقق منافع اقتصادية للمنتجين من أصحاب الكروم، ولكن الإسلام أهدر هذه المنافع في مقابل المضار الضخمة التي تترتب على الخمر في العقول والأبدان والأخلاق، وتتمثَّل فسادًا في الأفراد والأُسر والجماعات. يقول القرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وليس للمسلم ـ في ميدان التبادل ـ أن يتَّخذ بيع الخمر أو الخنزير أو الميتة أو الأصنام، تجارة. أو يبيع شيئًا لمن يعلم أنه يستعمله في شرٍّ أو فساد أو إضرار بالآخرين. كالذي يبيع عصير العنب ـ أو العنب نفسه ـ ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا، أو يبيع السلاح ممن يعلم أنه يقتل به بريئًا، أو يستخدمه في ظلم وعدوان.

وليس للمسلم أن يحتكر الطعام ونحوه مما يحتاج إليه الناس رغبة في أن يبيعه بأضعاف ثمنه. وفي الحديث الصحيح: «**لا يحتكر إلا خاطئ**»[1]. أي آثم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٥٧٥٨)، عن معمر بن عبد الله.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وليس للتاجر المسلم أن يخفي مساوئ سلعته وعيوبها، ويبرز محاسنها مضخَّمة مكبَّرة، على طريقة الدعاية الإعلامية المعاصرة، ليبذل المشترون المخدوعون فيها من الثمن أكثر مما تستحقُّ. فهذا غشٌّ يبرأ منه الإسلام، ورسول الإسلام: «**مَن غشَّ فليس منا**»(١).

وفي مجال التوزيع والتملُّك، لا يجوز للمسلم أن يتملَّك ثروة من طريق خبيث، ولا يحلُّ له أن يأخذ ما ليس له بحقٍّ، لا بالعدوان ولا بالحيلة.

وكما لا يحلُّ للمسلم الملك بطريق خبيث، لا يحلُّ له تنمية ملكه بطريق خبيث كذلك.

لهذا حرَّم الله الربا والميسر، وأكل أموال الناس بالباطل، والظلم بكلِّ صوره، والضرر والضرار بكلِّ ألوانه.

وفي مجال الاستهلاك، لم يَدَع الإسلام للإنسان حبله على غاربه، ينفق كيف يشاء، ولو آذى نفسه أو أسرته أو أُمته. بل قيَّده بالاعتدال والتوسُّط فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وحمل على الترف والمترفين، وحرَّم كلَّ ما هو من مظاهر الترف مثل أواني الذهب والفضة، فحرَّمها على الرجال والنساء جميعًا، كما حرَّم على الرجال لبس الذهب والحرير.

وبهذا تميَّز الاقتصاد الإسلامي بهذه الخصيصة العظيمة من خصائصه، أنه «اقتصاد أخلاقي»، وشهد له بذلك الباحثون الأجانب.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقــول الكاتب الفرنسي «جــاك أوستروي» في كتابــه عن «الإسلام والتنميــة الاقتصادية»: «الإسلام هو نظــام الحيــاة التطبيقية والأخلاق المثالية الرفيعة معًا، وهاتــان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبدًا. ومن هنا يمكن القول: إن المسلمين لا يقبلــون اقتصادًا «علمانيًّا». والاقتصاد الذي يستمدُّ قوته من وحي القرآن يصبح بالضرورة، اقتصادًا أخلاقيًّا.

وهذه الأخلاق تقدر أن تعطي معنى جديدًا لمفهوم «القيمة»، وتملأ الفراغ الفكري الذي يوشك أن يظهر من نتيجة «آلية التصنيع».

لقــد استنكر «بركس» النتائــج المؤذية لنمو حضــارة «الجنس» في الغرب، ويقلــق الاقتصاد اليوم من سطــوة «قيم الرغبــات» على القيم الحقيقية.

والآن بدأ الغــرب يعي النتائج المؤذية من جــراء مفاوضات عالمية لعالم غيــر مستقر. فلقد وجــد الرجل نفسه مفصولًا عــن عمله، فالآلة أصبحت السيد، وحياة التطرف في وسائل الراحــة كالسيارات وغيرها. والاهتمام بالتوافه، ولم يهتم الغرب أبدًا بتخفيف عداء «الآلة» للإنسان، وهي تشكل أفقًا لقسم هام من الإنسانية.

ولم يغِب عــن الإسلام الواعي هذا الدرس فــي متناقضات الغرب، ولكــي يقف فــي مواجهة الغــرب ـ محققًا فــي الوقت نفســه وجهته الاقتصادية ـ عمد الإسلام لإدخال قيمه الأخلاقية في الاقتصاد... وهكذا يخضع العناصر المادية في الاقتصاد لمتطلبات العدل.

وهذا اللقاء بين الأخلاق والاقتصاد الذي يُلِــحّ عليه (ج. برث) لم يوجد صدفــة في الإســلام الــذي لا يعرف الانقســام بيــن الماديات والروحيات.

QaradawiBooks.com

وإذا كان اقتران البروتستانتية مع الوثبة الصناعية مزوَّرًا، وإذا كانت الصلة بينهما موضع نقاش، فهذا غير كائن في الإسلام؛ لأن غالبية تشريعه الإلهي تمنع كل تنمية اقتصادية لا تقوم عليها.

وعلى النقل التقليدي السريع لتجربة الغرب: «أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله»[١]. يجب ألا يخفى استحالة هذا التمييز في الإسلام، وفصل الدين عن الدولة الذي أدخل الفاعلية المادية في الغرب، لا معنى له في الإسلام، حيث لا تولد الفعالية في المجال الفكري وخارجه، بل باستلهام من قوة الإسلام ومن الوحي المنزل»[٢] اهـ.

وإذا استقرأنا الواقع التطبيقي، وجدنا أثر هذا الاقتران بين الاقتصاد والأخلاق، واضحًا وعميقًا في تاريخ المسلمين، وخاصة يوم كان الإسلام هو المؤثر الأول في حياتهم، والموجِّه الأول لنشاطهم وسلوكهم[٣].

- **السياسة والأخلاق:**

وكما ربط الإسلام الاقتصاد بالأخلاق، ربط بها السياسة أيضًا، فليست السياسة الإسلامية سياسة «ميكافيلية» ترى أن الغاية تبرر الوسيلة أيًّا كانت صفتها، بل هي سياسة مبادئ وقيم، تلتزم بها، ولا تتخلَّى عنها، ولو في أحلك الظروف، وأحرج الساعات. سواء في علاقة الدولة المسلمة بمواطنيها داخليًّا، أم في علاقتها الخارجية بغيرها من الدول والجماعات.

(١) إنجيل لوقا (٢٠/٢٥)، ومتَّى (٢٢/٢١).

(٢) الإسلام والتنمية الاقتصادية لجاك أوستروي صـ ١١٥، ترجمة د. نبيل الطويل، نشر دار الفكر، دمشق.

(٣) فليراجع من أراد التوسع في الموضوع كتابنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.

QaradawiBooks.com

إن الإسلام يرفض كلَّ الرفض الوسيلة القــذرة، ولو كانت للوصول إلى غاية شريفة: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»[١]، فالخبيث من الوسائل، كالخبيث من الغايات مرفوض، ولا بدَّ من الوسيلة النظيفة للغاية الشريفة.

في علاقة الدولة بمواطنيها يقول الله تعالــى مخاطبًا أولي الأمر من المسلمين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

فأداء الأمانات ـ بمختلف أنواعها المادية والأدبية ـ إلى مستحقيها، والحكم بين الناس ـ كلِّ الناس ـ بالعدل، هو واجب الدولة المسلمة مع رعاياها.

ولا يجوز للحاكم المسلم أن يحابي أحد أقاربه أو حاشــيته، فيوليه ما لا يستحقُّ، ويحــرم مَن يستحــقُّ، والرسول ﷺ، يجعل هــذا إيذانًا باقتراب ساعة هلاك الأمة، فقد سأل رجل يومًــا عن الساعة، فقال: «**إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**». قيل: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[٢].

كما لا يجوز إسقاط عقوبة مقرَّرة عمَّن يستحقُّها؛ لنسبه أو جاهه أو قربه من ذوي السلطــان، وفي هذا جاء الحديــث: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهــم كانوا إذا ســرق فيهم الشــريف تركوه، وإذا ســرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد ســرقت لقطعتُ يدها**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٧.

(٢) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

إن السياسة الإسلامية في الداخل يجب أن تقوم على أساس العدل والإنصاف والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعقوبات، وعلى الصدق مع الشعب ومصارحته بالحقيقة، دون تضليل أو تدجيل أو كذب عليه، فإن أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: «**ملك كذاب**»، كما أخبر النبي ﷺ[1].

وفي علاقة الدولة بغيرها من الدول يجب عليها الوفاء بعهودها، وجميع التزاماتها، واحترام كلمتها.

يقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩١ ـ ٩٣].

ففي هاتين الآيتين يأمر الله تعالى باحترام العهود والمواثيق ويضيفها إلى الله تعالى «عهد الله»، ويحذر من نكث العهود بعد إبرامها، كفعل تلك المرأة الحمقاء التي تنقض غزلها من بعد إحكامه، وقوة إبرامه، وينادي بأن تكون المعاهدات والاتفاقات بين الأمم مبنية على الإخلاص وحسن النوايا، دون الدَّخَل والغشِّ الذي يقصد به أن تكون أمة هي أربى وأزيد نفعًا من أمة، فتستفيد من المعاهدة على حساب أمة أخرى. وهو ما نشاهده في معاهدات هذا الزمان.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٧)، وأحمد (١٠٢٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد كان النبي ﷺ، مثالًا يُحتذى في احترام الاتفاقات، ورعاية العهود، وإن رأى أصحابه فيها أحيانًا ما يعتقدونه إجحافًا بالمسلمين، كما في صلح الحديبية.

ولما جاء حذيفة وأبوه وكانت قريش قد أخذتهما وقالوا: إنكم تريدون محمدًا. أي اللحاق بجيشه في غزوة بدر. فقالا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منهما عهد الله وميثاقه لينصرفن إلى المدينة، ولا يقاتلان معه. فأتيا رسول الله ﷺ، فأخبراه الخبر، فقال: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[1].

فإذا كان بعض الناس يعتقد أن السياسة لا أخلاق لها، فهذا أبعد ما يكون عن سياسة الإسلام، التي تقوم ـ أول ما تقوم ـ على العدل والوفاء والصدق والشرف ومكارم الأخلاق.

### • الحرب والأخلاق:

وإذا كانت تلك هي سياسة الإسلام في السلم، فإن سياسته في الحرب أيضًا لا تنفصل عن الأخلاق. فالحرب لا تعني إلغاء الشرف في الخصومة، والعدل في المعاملة، والإنسانية في القتال وما بعد القتال.

إن الحرب ضرورة تفرضها طبيعة الاجتماع البشري، وطبيعة التدافع الواقع بين البشر الذي ذكره القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٧)، وأحمد (٢٣٣٥٤)، عن حذيفة بن اليمان.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ولكن ضرورة الحرب لا تعني الخضوع لغرائز الغضب، والحمية الجاهلية، وإشباع نوازع الحقد والقسوة والأنانية.

إذا كان لا بد من الحرب، فلتكن حربًا تضبطها الأخلاق، ولا تسيرها الشهوات، لتكن ضد الطغاة والمعتدين، لا ضد البرآء والمسالمين.

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

إذا كان لا بد من الحرب، فلتكن في سبيل الله، وهو السبيل الذي تعلو به كلمة الحقِّ والخير ـ لا في سبيل الطاغوت ـ الذي تعلو به كلمة الشرِّ والباطل، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

لتكن من أجل استنقاذ المستضعفين، لا من أجل حماية الأقوياء المتسلطين: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

ولتتقيَّد الحرب بأخلاق الرحمة والسماحة، ولو كانت مع أشدِّ الأعداء شنآنًا للمسلمين، وعُتُوًّا عليهم.

وإذا كان كثير من قادة الحروب وفلاسفة القوة، لا يبالون أثناء الحرب بشيء إلا التنكيل بالعدو، وتدميره، وإن أصاب هذا التنكيل مَن لا ناقة له في الحرب ولا جمل، فإن الإسلام يوصي ألا يقتل إلا مَن

QaradawiBooks.com

يقاتل، ويحذِّر من الغدر والتمثيل بالجثث، وقطع الأشجار، وهدم المباني، وقتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان المنقطعين للعبادة، والمزارعين المنقطعين لحراثة الأرض.

وفي هذا جاءت آيات القرآن الكريم، ووصايا الرسول الكريم، وخلفائه الراشدين، ففي القرآن: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وفي السُّنَّة كان النبي ﷺ، يوصي أصحابه إذا توجهوا للقتال بقوله: «**اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا**»[(١)].

وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم: «ألا يقتلوا شيخًا، ولا صبيًّا، ولا امرأة، وألا يقطعوا شجرًا، ولا يهدموا بناءً»[(٢)]. بل نهوهم أن يتعرَّضوا للرهبان في صوامعهم، وأن يَدَعوهم وما فرَّغُوا أنفسهم له من العبادة.

يذكر المؤرخون المسلمون أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه ـ في المعارك الكبرى التي دارت بين المسلمين والإمبراطوريتين العتيدتين فارس والروم ـ أُرسِل إليه رأس أحد قادة الأعداء من قلب المعركة إلى المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وكان القائد يظنُّ أنه يسرُّ بذلك الخليفة، ولكن الخليفة غضب لهذه الفعلة لما فيها من المُثلة، والمساس بكرامة الإنسان، فقالوا له: إنهم يفعلون ذلك برجالنا.

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأحمد (٢٣٠٣٠)، عن بريدة.

(٢) من وصية أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد، انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٩٦/٢)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

فقال الخليفة في استنكار: أفاستنان بفارس والروم؟ لا يحمل إليَّ رأس بعد اليوم[١]!

وبعد أن تضع الحرب أوزارها، يجب ألا يُنسى الجانب الإنساني والأخلاقي في معاملة الأسرى وضحايا الحرب.

يقول الله تعالى في وصف الأبرار من عباده: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

## • بين أخلاق الإسلام وأخلاق اليهودية والمسيحية:

كانت اليهودية ديانة شعب خاص في مرحلة معينة من تاريخه، ولم يقصد بها أن تكون رسالة عامة، ولا شريعة خالدة، كما تدلُّ التوراة نفسها. ولهذا استحفظ الله علماء بني إسرائيل وأحبارهم هذا الكتاب الإلهي، ولم يتولَّ هو سبحانه حفظه، فعدت عليه العوادي، وأصابه التحريف والتبديل، حتى رأينا التوراة تحتوي كثيرًا من قصص الأنبياء، تنسب إليهم ارتكاب أشنع الرذائل الخُلُقية، كما رأينا في أخلاقها الطابع الدنيوي المادي الحسي، والطابع العنصري البشع، المتسم بكثير من العنف والقسوة، مع اهتمام زائد بالرسوم والشكليات.

والمسيحية جاءت علاجًا لهذا الغلو المادي الذي غرق فيه اليهود ـ ومثلهم الرومان ـ فكانت أشبه بحقنة روحية قوية مضادة. وكثيرًا ما تكون الحكمة في علاج الغلو بغلو مثله، بشرط أن يكون ذلك لمرحلة معينة، وفترة مؤقتة، حتى يحدث التوازن، ويتحقق الانسجام والاعتدال.

(١) رواه سعيد بن منصور (٢٦٤٩)، وابن أبي شيبة في السير (٣٤٣٠٣)، عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

وهكذا كانت المسيحية، روحانية عالية، ومثالية محلِّقة، لم يقصد بها أن تكون شريعة العالم، ولا رسالة الخلود. ولهذا كان أتباعها ـ وخصوصًا الغربيون ـ هم أبعد الناس عن تنفيذ ما تأمر به، من الزهد والعفو والسماحة وحب الأعداء! كما أن التصورات والقيم والتقاليد، التي أضافتها الكنيسة على توالي العصور ـ ومن صورها الرهبانية ـ صبغت المسيحية ـ وخصوصًا في الغرب ـ بالتزمُّت والجمود وإماتة الحياة.

أما الإسلام فقد تضمَّن كلمة الله الأخيرة للبشرية، بعد أن بلغت أشدَّها، وأصبحت مستعدَّة لأن تخاطب برسالة عامة خالدة. لهذا تكفَّل الله بحفظ كتاب الإسلام بنفسه، فلم تتغيَّر فيه كلمة، ولم ينقص فيه حرف، على توالي القرون: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

## خصائص الأخلاق الإسلامية

لهذا شاء الله أن تتميز الأخلاق في الإسلام بخصائص انفردت بها عن اليهودية أو المسيحية أو كليهما، وهي الخصائص التي جعلتها صالحة لكلِّ الأفراد، وكلِّ الطبقات، وكلِّ الأجناس، وكلِّ البيئات، وكلِّ الأزمان، وكلِّ الأحوال.

### ١ ـ أخلاق معلَّلة مفهومة:

أُولى هذه الخصائص أنها برئت من الطابع التعبُّدي التحكمي الذي عرفت به اليهودية، والذي ظنَّه بعض الباحثين في الأخلاق لازمًا ذاتيًا لأسلوب الدعوة الأخلاقية في الأديان جميعًا، وجهل هؤلاء أن الإسلام على عكس ذلك تمامًا. إنما يعتمد دائمًا على الحِكَم المعقولة، والعلل المقبولة، مخاطبًا العقل القويم، والوجدان السليم، مبينًا

QaradawiBooks.com

المصالح من وراء ما يأمر به، والمفاسد من جراء ما ينهى عنه، مفصَّلًا تارة، ومجْملًا أخرى.

اقرأ في التعليل التفصيلي: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وفي التعليل الإجمالي: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

### ٢ ـ أخلاق عالمية:

والأخلاق في الإسلام إنسانية عالمية، لا تبيح لجنس ما تحرِّمه على آخر، العرب والعجم فيها سواء، بل المسلمون وغيرهم أمام أخلاقها سواسية، الربا حرام مع المسلم والكافر، والسرقة حرام لمال المسلم والكافر، والزنى حرام بالمسلمة وغير المسلمة، والعدل واجب مع المسلم وغير المسلم، والعدوان حرام على المسلم وغير المسلم. وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وبهذا تنزَّهت الأخلاق الإسلامية عن النزعة العنصرية القومية التي اتَّسمت بها الأخلاق اليهودية، والأخلاق القبلية والبدائية على وجه العموم.

### ٣ ـ ملاءمة الفطرة:

جاء الإسلام في مجال الأخلاق بما يلائم الفطرة والطبيعة البشرية ويكمِّلها، لا بما يصادرها ويصدمها، فما كان الله ليخلق الإنسان على طبيعة ثم يكلِّفه أن يقهرها ويقتلها، أو يبطل أثرها ويجمِّدها.

QaradawiBooks.com

ومن هنا اعترف الإسلام بالكائن الإنساني، كما خلقه الله، بدوافعه النفسية، وميوله الفطرية، وكل ما صنعه أنه هذَّبها وسما بها، ووضع لها الحدود التي تُصان بها مصلحة المجتمع، ومصلحة الفرد ذاته. ولهذا أباحت الشريعة التمتع بالطيبات والزينة، وشرعت المِلكية الخاصة، ولم تنظر للغرائز على أنها رجس من الشيطان.

رغَّب الإسلام في النظافة والزينة، وجعلهما من مقدمات الصلاة وشروطها: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

أنكر القرآن بشدة على الذين يحرمون ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فإذا كانت المسيحية ترى أن الغني لا يدخل ملكوت السماوات، فالإسلام يقول: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[(١)].

وإذا كانت المسيحية قد أنشأت نظام الرهبانية العاتي بما فيه من قسوة على الجسد، ومصادرة للنوازع الفطرية، فالإسلام ينهى عن التبتُّل، ويحضُّ على الزواج، ويرى أن «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[(٢)]، بل يعتبر السعي على العيال والقيام على شؤونهم ضربًا من الجهاد في سبيل الله.

ولكن الإسلام في كلِّ ما أباحه ـ مراعيًا الطبيعة البشرية ـ قد وضع له الضوابط والحدود التي تقف عند حدِّ الاعتدال، ولا يستحيل بالإفراط والغلو إلى انطلاق حيواني ذميم.

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٩)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

### ٤ ـ مراعاة الواقع:

ومن خصائص الأخلاق الإسلامية: أنها أخلاق واقعية، لا تصدر أوامرها ونواهيها لأناس يعيشون في أبراج عاجية، أو يحلِّقون في أجواء المثالية المجنحة، إنما تخاطب بشرًا يمشون على الأرض، لهم دوافع وشهوات، ولهم مطامع وآمال، ولهم مصالح وحاجات، ولهم من دوافع الجسد ما ينزع بهم إلى الأرض، كما لهم من أشواق الروح ما يرتفع بهم إلى السماء.

لم يكلِّف القرآن الإنسان أن يحبَّ أعداءه، وأن يبارك لاعنيه ـ كما أمر الإنجيل[1] ـ فهذا شيء لا تطيقه النفس البشرية ـ إلا شذوذًا ـ وإنما أمر القرآن المؤمنين أن يعدلوا مع أعدائهم، ولا تحملهم عداوتهم وبغضهم على الاعتداء عليهم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. وهذا هو المقدور للبشر، وأنه مع ذلك لَقِمَّة لا يرتقي إليها إلا المؤمنون.

ولم يقُل القرآن ما قال الإنجيل: «مَن ضربك على خدِّك الأيمن فأدِر له خدَّك الأيسر، ومَن سرق قميصك، فأعطِه إزارك»[2]. فهذا لا يستطيعه ـ كما يشهد الواقع ـ كلُّ الناس، ولا في كلِّ الأحوال. بل قال القرآن: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، فأقرَّ مبدأ العدل، ثم فتح الباب للمتطلِّعين إلى السمو والكمال، ليعْفوا ويصفحوا. الشيء الذي يحرِّمه الإسلام هو العدوان: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ

(١) إنجيل متَّى (٤٤/٥).

(٢) إنجيل متَّى (٣٩/٥ ـ ٤٢)، وإنجيل لوقا (٢٩/٦، ٣٠).

QaradawiBooks.com

﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. وبذلك وفَّق الإسلام بين عدل التوراة وسماحة الإنجيل، وهذه هي الواقعية المثالية المتوازنة.

لم يقُل القرآن ما قال الإنجيل: «إذا أعثرتك عينك فاقلعها، وألقها عنك، فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك من أن يلقى بدنك كلُّه في جهنم»[(١)]. بل أمر المؤمنين والمؤمنات أن يغضوا من أبصارهم، كما أمرهم بالتوبة مما قد يبدر منهم، فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وعفا الرسول عن نظرة الفجاءة، وقال: «**لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[(٢)].

ومن واقعية الأخلاق الإسلامية أنها لم تفترض في المؤمنين المتقين أن يكونوا ملائكة أُولي أجنحة، لا تسوِّل لهم أنفسهم سوءًا يومًا، ولا يتورَّطون في أوحال الرذيلة أبدًا، كلا إن الإنسان خلق على طبيعة مزدوجة، جمعت بين طين وحمأٍ مسنون، وبين نفخة من رُوح الله. فليس بمستنكر أن يذنب، ثم يتوب. إنما المنكر أن يتمادى في الذنوب ويستمرئ الرذيلة والعصيان. لقد أذنب آدم ـ أبو البشر ـ وتاب فتاب الله عليه، فلا غرابة أن يكون بنوه مثله، لهذا جعل القرآن من أصناف المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

كما فرَّق القرآن بين كبائر الإثم وفواحشه، وبين صغائر السيئات ولمم الذنوب التي قلَّما يسلم منها أحد، فهي في دائرة المسامحة

---

(١) إنجيل متَّى (٩/١٨).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٩١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في النكاح (٢١٤٩)، والترمذي في الأدب (٢٧٧٧)، وحسَّنه، عن بريدة.

QaradawiBooks.com

والغفران ما اجتنبت الموبقات: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

ومن واقعية الأخلاق الإسلامية أنها قدَّرت للضرورات قدرها، وراعت الأعذار والظروف المخفِّفة، ولم تتزمَّت تزمُّت المثاليين المتطرِّفين الذين لا يقبلون أي استثناء. ولهذا بعد أن ذكر القرآن محرَّمات الأطعمة، عقَّب عليها بقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

## ٥ ـ الإيجابية:

ومن خصائص الأخلاق في الإسلام: أنها أخلاق إيجابية، فهي لا ترضى من المتحلِّي بها مسايرة الركب، أو المشي مع التيار، أو العجز والاستسلام للأحداث توجِّه قياده كالريشة في مهب الريح. إنما تحثُّ على القوة والكفاح، ومواصلة السعي في ثقة وأمل، وتقاوم العجز واليأس، والتماوت والكسل، وكل أسباب الضعف. وفي القرآن الكريم: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]. وفي الحديث: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجِز، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا. ولكن قُل: قدَّر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[(١)].

ويوصي الرسول بالعمل لعِمارة الحياة حتى آخر لحظة في عمر الدنيا، ولو لم ينتفع بثمرة العمل أحد، ولكن احترامًا لقيمة العمل في ذاته، «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة يريد أن يغرسها، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٣٦.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

يرفض الإسلام الاتكالية المنهزمة التي نراها في قول أصحاب موسى لـه: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ولكن يريد الإيجابية الفعالة التي تتمثَّل في قول أصحاب محمد: «**اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون**»(١).

لم يكتفِ الإسلام من المسلم أن يكون مستقيمًا في نفسه، حتى يعمل على استقامة غيره، ولم يقبل المرء في عداد الفضلاء الصالحين إذا صلح هو، ولم يأبه لفساد المجتمع من حوله، بل فرض على كلِّ مسلم ـ بقدر كفايته واستطاعته ـ الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر والمرحمة، والنصيحة في الدين، والاهتمام بأمر المسلمين: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، «**الدين النصيحة**»(٢)، فمن لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم.

بهذا رفض الإسلام السلبية أمام الفساد الاجتماعي والسياسي، والتحلُّل الخلقي والديني، وطلب إلى المسلم أن يغير المنكر بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان(٣).

والتغيير بالقلب ليس سلبيًّا كما يُظَنُّ، ولكنه تعبئة نفسية وشعورية ضدَّ الفساد، لا بدَّ أن تتجسَّد يومًا في عمل ملموس.

---

(١) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٠٩)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم بن أوس الداري.

(٣) إشارة إلى حديث: «من رأى منكم مُنكَرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وقد سبق تخريجه صـ٢٣٤.

QaradawiBooks.com

**٦ ـ الشمول:**

ومن خصائص الأخلاق الإسلامية: أنها أخلاق شاملة مستوعبة، فإذا ظنَّ بعض الناس أن الأخلاق في الأديان تنحصر في أداء الشعائر التعبدية ونحو ذلك، فهذا إن صحَّ في أخلاق دين ما، لا يصحُّ أن يوصف به قانون الأخلاق في الإسلام. فإن هذا القانون لم يَدَع للنشاط الإنساني في ناحيتيه: الفردية والاجتماعية مجالًا حيويًّا، أو فكريًّا، أو أدبيًّا، أو روحيًّا، إلا رسم له منهجًا للسلوك وَفق قاعدة معينة، بل تخطَّى علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته ببني جنسه، فشمل علاقته بالكون في جملته وتفصيله، ووضع لذلك كلِّه ما شاء الله من الآداب الراقية، والتعاليم السامية، وهكذا جمع ما فرَّقه الناس باسم الدين، وباسم الفلسفة، ثم كان له عليهما المزيد.

- **من أخلاق الإسلام ما يتعلَّق بذات الفرد:**

١ ـ جسمًا: له حاجاته وضروراته: «**إن لجسدك عليك حقًّا**»[(١)]، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

٢ ـ وعقلًا: له مواهبه وآفاقه: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦].

٣ ـ ونفسًا: لها مشاعرها ودوافعها وأشواقها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٧٥)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

٤ ـ ومن أخلاق الإسلام ما يتعلَّق بالمجتمع: في آدابه ومجاملاته: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨].

٥ ـ وفي اقتصاده ومعاملاته: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣]، ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، «**مَن غش فليس منا**»[(١)].

٦ ـ وفي سياسته وحكمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، «**الدين النصيحة... لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٢)].

فلا انفصال في شريعة الإسلام بين السياسة والأخلاق، ولا بين الاقتصاد والأخلاق، كما تنادي بذلك بعض الاتجاهات الحديثة في العالم الغربي.

* * *

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوان والطير: «**في كل كبد رطبة أجر**»[(٣)]، «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها**»[(٤)].

ومنها: ما يتعلق بالكون والحياة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٩٥.

(٢) سبق تخريجه صـ٣١٠.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وقبل ذلك كله ما يتعلق بحقِّ الخالق العظيم ﷻ، الذي لا يعبد غيره ولا يستعان سواه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

### ٧ ـ التوازن:

ومن خصائص الأخلاق الإسلامية: التوازن الذي يجمع بين الشيء ومقابله في اتساق وتناسق، بلا غلو ولا تفريط.

من ذلك: التوازن بين حقِّ الجسم وحقِّ الروح، فلا حرمان للجسم يصل إلى حدِّ التعذيب، كما في البرهمية الهندية، والمانوية الفارسية، والرواقية اليونانية، والرهبانية المسيحية ونحوها. ولا إغفال لأمر الروح، كما في اليهودية إلى حدٍّ كبير، ثم في المذاهب المادية التي لم تعترف للروح بوجود، فضلًا عن أن يكون لها حق. ولهذا قال الرسول لبعض أصحابه الذين عزم أحدهم أن يقوم الليل فلا ينام أبدًا، وعزم الثاني أن يصوم النهار فلا يفطر أبدًا، وعزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدًا: «**إنما أنا أعلمكم بالله، وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»(١).

ومن ذلك: التوازن بين الدنيا والآخرة، فإذا كانت اليهودية تجعل أكبر همِّها هذا العالم الأرضي الحاضر، والمسيحية تحصر كلَّ توجيهها في ملكوت السماء حيث العالم الآخر، فالإسلام يزاوج بين النظرتين، ويمزج بين الحياتين، فهذه مزرعة لتلك، والله قد استخلف الناس في الأرض، واستعمرهم فيها، فلا ينبغي أن يخربوها أو يعطلوها، والسعيد مَن فاز بحسنة الدنيا وحسنة الآخرة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

ومن ذلك التوازن بين الحقوق والواجبات، فلا تدليل للفرد بكثرة الحقوق وإطلاق العِنان له باسم الحرية، فيسترخي ويطغى، وينحرف ويفسد. ولا إرهاق له بكثرة الواجبات والأعباء، وإن ناء بها ظهره، وخارت قواه، لا باسم المجتمع، ولا باسم غيره.

ومن ذلك: التوازن بين الواقعية والمثالية، فمع الاعتراف بالواقع الذي يعيشه أكثر الناس، يَدَع المجال مفتوحًا ـ مع الترغيب والتشويق ـ لأصحاب السبق والهمم، للسمو والارتفاع والمسارعة في الخيرات، فإن درجات الناس تختلف، ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢]، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

إن الناظر إلى توازن الأخلاق الإسلامية، وتناسقها المعجز، يأخذه العجب كيف اجتمعت فيها الفضائل المتقابلة، التي يحسب الكثيرون أن التقاءها ضرب من المحال. ولهذا يتعذَّر على الباحث أن ينسبها إلى لون أو مذهب من الألوان أو المذاهب الأخلاقية، التي عرفها الناس قديمًا وحديثًا: أهي أخلاق قوَّة أم أخلاق محبَّة؟ هل هي أخلاق زهد أم أخلاق حياة؟ أهي أخلاق رُوحية أم أخلاق مادية؟ أهي أخلاق ربانية أم أخلاق إنسانية؟ أهي أخلاق عقلية أم أخلاق دينية؟ أهي أخلاق مثالية أم واقعية؟ أهي أخلاق فردية أم اجتماعية؟

والحقُّ أنها ليست واحدة من هؤلاء، ولكنها كل أولئك جميعًا؛ لأن فيها قدرًا من كلِّ نوع من هذه الأنواع، هو خير ما فيها، مع تنزُّهها عن مساوئه وتطرُّفاته. فالحقُّ الذي لا ريب فيه أنها: أخلاق متكاملة متوازنة؛ لأنها أخلاق إسلامية، وكفى.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

• **تعقيب:**

لقد شاء الله للإسلام أن يكون الرسالة العامة الخالدة، فهو هداية الله للناس كافَّة، من كلِّ الأمم، وكلِّ الطبقات، وكلِّ الأفراد، وكلِّ الأجيال. والناس تختلف مواهبهم وطاقاتهم الروحية والعقلية والوجدانية، وتتفاوت مطامحهم وآمالهم، ودرجات اهتمامهم، ولهذا جمعت الفكرة الأخلاقية في الإسلام، ما فرَّقته الطوائف الدينية، والمذاهب الفلسفية ـ مثالية وواقعية ـ في نظرتها إلى الأخلاق وتفسيرها لمصدر الإلزام الخلقي، فلم يكن كل ما قالته هذه المذاهب والنظريات باطلًا، كما لم يكن كله حقًّا، إنما كان عيب كل نظرية أنها نظرت من زاوية وأغفلت أخرى، واهتمت بجانب على حساب جانب آخر، وهو أمر لازم لتفكير البشر، الذي يستحيل عليه أن ينظر في قضية ما نظرًا يستوعب كلَّ الأزمنة والأمكنة، وكلَّ الأجناس والأشخاص، وكلَّ الأحوال والجوانب، فهذا يحتاج إلى إحاطة إله عليم حكيم.

فلا غرو إذا كانت نظرة الإسلام، جامعة محيطة مستوعبة؛ لأنها ليست نظرية بشر، بل وحي مَن أحاط بكلِّ شيء علمًا، وأحصى كلَّ شيء عددًا.

لهذا أودع الله في هذا الدين ما يشبع كل نَهْمة معتدلة، وما يقنع كل ذي وجهة، ويلائم كل تطور، فمَن كان مثاليًّا ينزع إلى الخير لذات الخير، وجد في أخلاقية الإسلام ما يُرضي مثاليته، ومَن كان يؤمن بمقياس السعادة، وجد في الفكرة الإسلامية ما يحقق سعادته وسعادة المجموع معه، ومَن كان يؤمن بمقياس المنفعة ـ فردية أو اجتماعية ـ وجد في الإسلام ما يُرضي نفعيَّته، ومَن كان يؤمن بالترقِّي إلى الكمال،

QaradawiBooks.com

وجد فيه ما يحقِّق طلبته، ومَن كان همَّه التكيُّف مع المجتمع، وجد فيه ما يلائم اجتماعيته، حتى الذي يؤمن بأهمية اللـذة الحسية يستطيع أن يجدها فيما أعدَّ الله للمؤمنين في الجنة مـن نعيم مادي، ومتاع حسي، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخـرف: ٧١]. وبهذا تسمع كلُّ أذن الأنشودة التي تحبُّها، وتجد كلُّ نفس الأمنية التي تهفو إليها.

هناك أصناف ثلاثة لا مكان لها في الأخلاقية الإسلامية:

**الأول**: مَن لا يؤمن إلا باللذة الحسية الحاضرة، أو بالمنفعة الدنيوية الشخصية العاجلة، ولا يقيم وزنًا لما هو مدَّخر له من لذائذ أكبر، ومنافع أعظم في حياة هي خير وأبقى، شعاره قول الشاعر:

ما مضى فات، والمؤمَّل غيب ولك الساعة التي أنت فيها[1]

**والثاني**: الفرد الذي يرفض جميع القيم، حبًّا لذاته، واتباعًا لهواه، أو يزعم أن القيم الأخلاقية من وضع طبقة لاستغلال طبقة أخرى، وما شابه ذلك من لغو القول.

**والثالث**: المغـرور المتعصِّب الذي يصرُّ علـى ألا ينظر إلى الحياة والأحياء، إلا من زاوية واحدة، وأفق ضيق، فهو سجين مذهب معيَّن، أو سجين نظرة خاصة، لا يستطيع أن يخلُص منها إلى الأفق الفسيح الذي جاءته به رسالة الإسلام.

* * *

(١) من شعر إبراهيم بن عثمان الغزي. الدر الفريد وبيت القصيد (٥٠٦/٤)، نشر الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

QaradawiBooks.com

# التشريع

من مقومات الإسلام الأساسية: التشريع، ونعني به الجانب الذي يضبط سير الحياة الإسلامية بمجموعة من الأحكام الشرعية العملية، التي تنظِّم علاقة الناس بعضهم ببعض في جوانب الحياة المختلفة، وتبيِّن لهم ماذا يحبُّ الله منهم ولهم وماذا يكره؟

• **التشريع بين النصِّ وعدمه:**

ومن المعلوم لدارس الإسلام: أنه لم ينصَّ بالتشريع على كلِّ شيء، بل هناك أشياء بيَّنها وفصَّل فيها، وأشياء بيَّنها بإجمال، وأشياء سكت عنها ولم يقُل فيها شيئًا.

وقد روى أبو الدرداء، عنه ﷺ أنه قال: «**ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا**»[(١)]، ثم تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ومن هنا نجد أن الإسلام ترك قصدًا منطقة فراغ من التشريع الملزم، وهي التي سمَّيناها «منطقة العفو»[(٢)]، أخذًا من هذا الحديث.

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون.

(٢) في رسالتنا: عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد بيَّن حديث آخر من أحاديث «الأربعين النووية» الشهيرة: أن ترك هذه المنطقة المسكوت عنها كان رحمة من الله بنا، وتوسعة لنا، وتيسيرًا علينا، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»(١). والمستقرئ لهذه المنطقة يجد أنها في المجالات الكثيرة التغير، السريعة التطور، التي تختلف كثيرًا باختلاف البيئات والأعصار والأحوال والظروف، كالأمور السياسية والعسكرية والإدارية والإجرائية ونحوها.

وهنا نستطيع أن نملأ الفراغ التشريعي ـ الذي تركته لنا النصوص عمدًا ـ عن طريق القياس على المنصوص بشروطه، أو الاستحسان عندما لا يجمل القياس، أو الاستصلاح بضوابطه، أو الاستصحاب، أو مراعاة العرف، أو سد الذرائع، أو رعاية المقاصد، إلى آخره.

وأحيانًا ينصُّ الإسلام في بعض المجالات، ولكن على وجه كلي، بحيث يضع الأسس والمبادئ، ويرسم الإطار العام، ولكنه يَدَع التفصيل لاجتهاد المجتهدين، يختارون لأنفسهم ما هو أليق بهم، وبتحقيق مصالحهم في مكانهم وزمانهم وحالهم.

وهذا مثل «الشورى» التي نصَّ عليها القرآن والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) رواه الدارقطني في الرضاع (١٨٣/٤)، والطبراني (٢٢١/٢٢)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وحسنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثلاثون، وقال ابن رجب: حسنه أبو بكر السمعاني في أماليه. جامع العلوم والحكم (١٥٠/٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م. عن أبي ثعلبة. والعمدة هو: حديث أبي الدرداء السابق.

QaradawiBooks.com

وثبوت مشاورة الرسول ﷺ لأصحابه في وقائع شتى، ولكنه لم يفصِّل لنا: مَن هم أهل الشورى؟ أو كيف يُختارون؟ ومَن يختارهم؟ وإلى متى يظلُّون هكذا؟ وفيم يتشاورون؟ وهل يؤخذ برأي الأكثرية أو لا؟

لم يلزمنا الشرع في ذلك بصورة معينة، قد تصلح لعصر ولا تصلح لآخر، وتصلح لبلد ولا تصلح لغيره. فلم يشأ أن يجمدنا على حالة، بل ترك لنا السَّعَة والحرية لنجتهد لأنفسنا ونقتبس ـ إن شئنا ـ من غيرنا.

### • متى تُفصِّل النصوص في التشريع؟

وفي بعض المجالات يفصِّل التشريع الإسلامي، وذلك حيث يكون الثبات هو الأصل، والتغيُّر لا يحدث إلا قليلًا، كما في شؤون الأسرة والمواريث وما يسمُّونه اليوم «الأحوال الشخصية».

حتى إن القرآن ليفصِّل في هذه الأمور ما لا يفصِّل في غيرها؛ حتى لا يضلَّ الناس، وتلتبس عليهم الدروب، كما قال تعالى في آخر آية من سورة النساء، وهي متعلِّقة بالميراث: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النساء: ١٧٦]. أي كراهية أن تضلُّوا فتهلكوا.

من رحمة الله: أن ما فصَّله الإسلام من الأحكام نوعان: نوع فصله بنصوص قطعية الثبوت والدلالة. وهذا قليل، ولكنه في غاية الأهمية؛ لأنه يجمع الأمة على كلمة واحدة، ويجسِّد وحدتها العملية والسلوكية، بجوار الوحدة العقدية والوجدانية.

ونوع فصَّله بنصوص ظنيَّة الثبوت أو الدلالة أو ظنيتهما معًا. وهذا معظم أحكام الشرع، ففيها مجال لتعدُّد الأفهام، وتعدُّد المشارب والاجتهادات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## • من أهداف التشريع في الإسلام:

وللتشريع في الإسلام أهداف سامية، ومقاصد عليا، يحرص الشارع الحكيم على تحقيقها في حياة الناس.

وهذا يدلُّنا على أن أحكام الشرع معلَّلة ومفهومة ومربوطة بمصالح الخلق، وهذا متَّفق عليه بين المسلمين كافة، إلا فئة قليلة من أهل الظاهر ومَن سلك سبيلهم.

والدليل على هذا آيات لا تحصى من كتاب الله، وأحاديث لا تحصى من أحاديث رسول الله ﷺ، كلُّها تعلِّل الأوامر والنواهي والأحكام، حتى العبادات نفسها، فالصلاة: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والزكاة تؤخذ من أصحاب المال: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، والصيام كتب على الذين آمنوا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، والحج قد أُذِّن به فيهم: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وهذا ـ وغيره كثير ـ يدلُّنا على أن للشرع حِكَمًا ومقاصد فيما شرع يجب أن يُبحث عنها، وأن تُراعى. ومن هذه المقاصد:

١ ـ أن تقوم المعاملات بين الناس على أساس العدل، الذي قامت به السماوات والأرض، فلا تحيُّز لغني ضدَّ فقير، ولا محاباة لقوي على ضعيف، ولا يفضل عربي على عجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالتقوى.

وهذا العدل هو هدف الرسالات السماوية جميعًا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

QaradawiBooks.com

٢ ـ أن يقوم الإخاء بين الناس، وتمتد جسور الثقة والتفاهم، وتزول أسباب التخاصم والنزاع، وذلك بتحديد الحقوق والواجبات، وتوضيح أركان وشروط المعاملات، ومنع الظلم والغرر والجهالات، وبذلك يُعطى كل ذي حقٍّ حقَّه، فتطمئن الأنفس، وتصان الحرمات والدماء والأعراض والأموال، ويستقر التعامل على أساس مكين.

٣ ـ المحافظة على مصالح الخلق، بمراتبها الثلاث: الضرورية التي لا يعيش الإنسان بدونها. والحاجية التي بدونها يكون الإنسان في حرج وضيق. والتحسينية التي بها تكتمل حياة الإنسان وتترفَّه، وتمضي على أفضل المسالك، وأحسن العادات والأحوال.

٤ ـ أن يفرغ الناس ـ بعد أن يطمئنوا في معاملاتهم ومبادلاتهم، وسائر علاقاتهم المادية والبشرية ـ لأداء رسالتهم على الأرض: عبادة لله تعالى، وعمارة لأرضه، وقيامًا بخلافته فيها، ودعوة للعالم إلى رسالته التي جعلها رحمة للعالمين. وهي رسالة غايتها: الحق والخير ومكارم الأخلاق. وسبيلها: الإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق وبالصبر. وبهذا ينجو الإنسان ـ فردًا ومجتمعًا ـ من خسران الدنيا والآخرة. وهذا ما لخَّصته سورة العصر من كتاب الله في هذه الكلمات الموجزة: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

## • مكانة الحدود في التشريع:

وأحب أن أبيّن هنا أمرين مهمين:

**أولهما**: أن الجانب التشريعي أو القانوني ليس هو كل الإسلام وجُلّه، كما يتصوَّر بعض الناس أو يصوِّرون، فالإسلام عقيدة تلائم الفطرة،

QaradawiBooks.com

وعبادة تغذِّي الـروح، وخُلق تزكو به النفـس، وأدب تجمل به الحياة، وعمل ينفـع الناس ويمكث في الأرض، ودعـوة لهداية العالم إلى الله، وجهاد في سبيل الحقِّ والخير، وتواصٍ بالصبر والمرحمة. كما أنه ـ في الوقت نفسه ـ تشريع يضبـط سير الحياة، وينظِّم علاقـة الإنسان بربِّه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بمجتمعـه، وعلاقته بدولته، وعلاقة دولته به، وعلاقتها بالدول الأخرى: مسالمة ومحاربة.

إن الإسلام توجيه وتربية وتكوين للفرد الصالح، وللمجتمع الصالح، قبل أن يكون قانونًا وتشريعًا.

**والأمر الثانـي**: أن الحدود والقصاص والعقوبـات جزء محدود في التشريـع الإسلامي الواسـع، وآيات الحـدود والقصاص فـي القرآن لا تتجاوز عشر آيات من نحو ستة آلاف أية أو تزيد، كما هو معلوم.

ثم إن العقاب للمنحرفين مـن الناس، وهؤلاء ليسوا هم الأكثرين، وليسوا هم القاعدة، بل هم الشواذ عـن القاعدة. فالإسلام جاء لتوجيه الأسوياء ووقايتهم من الفساد ابتداء، ثم لعـلاج المنحرفين. والعقوبة ليست هي العامل الأكبر فـي معالجة الجريمة في نظـر الإسلام، بل الوقاية منها بمنع أسبابها هـو العامل الأكبر، فالوقايـة دائمًا خير من العلاج.

### • مكانة الحد في جريمة الزنى:

فإذا نظرنا إلى جريمة كالزنى، نجد أن القرآن الكريم ذكر في شـأن عقوبة الحد فيها آية واحـدة في مطلع سورة النور، وهـي قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [النور: ٢].

QaradawiBooks.com

ولكن السورة نفسها اشتملت على عشرات الآيات الأخرى التي توجِّه إلى الوقاية من الجريمة.

وحسبنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وقوله سبحانه في تنظيم التزاور وآدابه، واحترام البيوت ورعاية حرماتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ...﴾ [النور: ٢٧].

ويدخل فيها آداب الاستئذان للخدم والأطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨].

وأهم من ذلك تربية المؤمنين والمؤمنات على خُلُق العفاف والإحصان، بغَضِّ البصر وحفظ الفَرْج، وذلك في قوله جلَّ شأنه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ...﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وهنا برز عنصر جديد في الوقاية من الزنى وجرائم الجنس، وهو منع النساء من الظهور بمظهر الإغراء والفتنة للرجال، وإثارة غرائزهم وأخيلتهم، حتى جاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ثم تختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأهم من ذلك كله الأمر بتزويج الأيامى من الرجال والنساء ومخاطبة المجتمع كله بذلك، باعتباره مسؤولًا مسؤولية تضامنية: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

ومسؤولية المجتمع هنا ـ وعلى رأسه الحكَّام ـ تتمثَّل في تيسير أسباب الارتباط الحلال، إلى جوار سدِّ أبواب الحرام، وذلك بإزاحة العوائق المادية والاجتماعية أمام راغبي الزواج، من غلاء المهور، والإسراف في الهدايا والدعوات، والولائم والتأثيث، وما يتَّصل بذلك من شؤون.

فليست إقامة الحدِّ هنا هي التي تحلُّ المشكلة، والواقع أن الحدَّ هنا لا يمكن أن يُقام بشروطه الشرعية إلا في حالة الإقرار في مجلس القضاء أربع مرات على ما يراه عدد من الأئمة، أو شهادة أربعة شهود عدول برؤية الجريمة رؤية مباشرة أثناء وقوعها، ومن الصعب أن يُتاح ذلك. فكأن القصد هنا هو منع المجاهرة بالجريمة. أما مَن ابتُلِيَ بها مستترًا فلا يقع تحت طائلة العقاب الدنيوي. وأمره في الآخرة إلى الله سبحانه.

ولهذا نطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وحدودها، موقنين أن القوانين والعقوبات وحدها لا تصنع المجتمعات، ولا تبني الأمم، إنما تُبنَى الأمم وتُصنَع المجتمعات بالإيمان الصادق، والخُلُق الفاضل، والتوجيه الرشيد، والتربية المستمرة، يسندها تشريع عادل، وقانون مُحْكَم لا يُفرِّق بين سيد ومسود.

### • مكانة الحد في جريمة السرقة:

وإذا نظرنا إلى جريمة أخرى مثل السرقة، نجد أن القرآن الكريم تحدَّث عن عقوبتها في آيتين فقط من سورة المائدة، وهما قوله تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩].

وهذه الآية التي أوجبت قطع يد السارق، إنما نزلت في سورة المائدة وهي من أواخر ما نزل من القرآن، أي بعد أن توطَّدت أركان المجتمع الإسلامي الذي أسَّسه رسول الله ﷺ، في المدينة، وهو مجتمع يقوم على العدل والتكافل والأخوة، وأهله كالأسرة الواحدة، بل كالجسد الواحد، أو كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، يأخذ قويُّه بيد ضعيفه، ويصبُّ غنيه على فقيره، ويتكافل أهله في سرَّائهم وضرَّائهم. فليس بمؤمن فيه مَن بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع، وليس بمسلم مَن يستأثر بالخير دون أخيه، الغني فيه مستخلف في ماله، بل في مال الله عنده، وفي ماله حقٌّ معلوم للسائل والمحروم، والزكاة فريضة دينية مالية اجتماعية، تؤخذ من أغنياء المجتمع لتُرَدَّ على فقرائه. هي الركن الثالث من أركان الإسلام، ومَن لم يدفعها طوعًا أُخِذت منه كرهًا، ومَن أبى وكان ذا شوكة أُعلنت عليه الحرب حتى يؤدِّيها، ولو كانت عناقًا أو عقال بعير، كما فعل الخليفة الأول أبو بكر، الذي أعلن الحرب لانتزاع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء[1].

والزكاة هي أول الحقوق في المال وليست آخرها، ومَن كان عنده فضل مال فليعُد به على مَن لا مال له.

لقد نزلت قبل آية حدِّ السرقة عشرات الآيات، بل مئاتها، تأمر بإيتاء الزكاة، وتحضُّ على إطعام المسكين، وتدعو إلى الإنفاق في

(١) إشارة إلى حديث: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله، لقاتلتهم عليه. متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرقمة
QaradawiBooks.com

سبيل الله، وتحثُّ على إقامة العـــدل والقسط بين الناس، وتنهى عن الظلم في كلِّ صوره وأشكاله، وتحذِّر من مصاير الظالمين في الدنيا والآخرة.

ولهذا لا يُتصور في ظلِّ «التطبيـــق الإسلامي» الصحيح أن تقطع يد السارق فـــي مجتمع لا يجد العاطـــل فيه عملًا، ولا الجائـــع خبزًا، ولا العريان كساء، ولا المريض علاجًا، ولا الأُمِّـــي مدرسة يتعلَّم فيها، في حين تلعب فئة قليلة منه بالملايين من الجنيهات أو الدنانير أو الريالات تنثرها يمينًا وشمالًا، إلا على الفقراء والمتعبين!

- **من خصائص التشريع في الإسلام: الشمول:**

من خصائص التشريع في الإسلام أنه تشريع شامل كذلك.

إنه لا يشـــرع للفرد دون الأســـرة، ولا للأســـرة دون المجتمع، ولا للمجتمع منعزلًا عن غيره من المجتمعات في الأمة المسلمة، ولا للأمة معزولة عن غيرها من أمم الأرض، كتابية كانت أو وثنية.

إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد في تعبُّده وصلته بربِّه، وهذا ما يفصِّلـــه قسم «العبادات» فـــي الفقه الإسلامي، وهـــو ما لا يوجد في التشريعات الوضعية.

ويشمل التشريـــع للفرد في سلوكـــه الخاص والعـــام، وهذا يشمل ما يسمَّى «الحلال والحرام» أو الحظر والإباحة.

ويشمل التشريع ما يتعلَّق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقات، ورضـــاع، وميراث، وولاية علـــى النفس والمال ونحوهـــا. وهذا يشمل ما يسمَّى في عصرنا «الأحوال الشخصية».

QaradawiBooks.com

ويشمل التشريع للمجتمع في علاقاته المدنية والتجارية، وما يتَّصل بتبادل الأموال والمنافع، بعوض أو بغير عوض، من البيوع والإجارات، والقروض، والمداينات، والرهن، والحوالة، والكفالة، والضمان وغيرها. مما تضمَّنته في عصرنا القوانين المدنية والتجارية.

ويشمل التشريع ما يتَّصل بالجرائم وعقوباتها المقدَّرة شرعًا، كالحدود والقصاص، والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير. وهذا يشمل ما يسمَّى الآن بـ«التشريع الجنائي»، أو «الجزائي» وقوانين العقوبات.

ويشمل التشريع الإسلامي ما يتعلَّق بواجب الحكومة نحو المحكومين، وواجب المحكومين نحو الحكام، وتنظيم الصلة بين الطرفين، مما عُنيت به كتب السياسة الشرعية والخراج والأموال، والأحكام السلطانية في الفقه الإسلامي، وتضمَّنه في عصرنا «التشريع الدستوري» أو «الإداري» و«المالي».

ويشمل التشريع الإسلامي ما ينظِّم العلاقات الدولية في السلم والحرب بين المسلمين وغيرهم، مما عُنيت به كتب «السِّيَر» أو «الجهاد» في فقهنا الإسلامي، وما ينظِّمه في عصرنا «القانون الدولي».

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحي الحياة إلا دخل فيها التشريع الإسلامي آمرًا أو ناهيًا، أو مُخبرًا. وحسبنا أن أطول آية نزلت في كتاب الله تعالى، نزلت في تنظيم شأن من الشؤون المدينة، وهو المداينة، وكتابة الدين.

ويبدو شمول التشريع الإسلامي في أمر آخر، أو بُعد آخر، وهو النفاذ إلى أعماق المشكلات المختلفة، وما يؤثِّر فيها، وما يتأثَّر بها، والنظر إليها نظرة محيطة مستوعبة، مبنية على معرفة النفس الإنسانية،

QaradawiBooks.com

وحقيقة دوافعها وتطلُّعاتها وأشواقها، ومعرفة الحياة البشرية وتنوُّع احتياجاتها وتقلُّباتها، وربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية، بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها، ولا يكون مِعْولًا لهدمها.

ومَن عرف هذا جيدًا، استطاع أن يفهم موقف التشريع الإسلامي وروعته من قضايا كثيرة، كالطلاق، وتعدُّد الزوجات، والميراث، والربا، والحدود، والقصاص، وغيرها. مما أثبتت الدراسات المقارنة، وأثبت الاستقراء التاريخي والواقعي فضل الإسلام فيه، وتفوُّقه على كلِّ تشريع سابق أو لاحق.

إن عيب البشر الذي هو من لوازم ذواتهم المحدودة: أنهم ينظرون إلى الأمور والأشياء من جانب واحد، غافلين عن جانب أو أكثر من جوانبها الأخرى. والحقيقة أنهم لا ذنب لهم في هذا القصور ولا حيلة؛ لأن النظرة المحيطة الشاملة، التي تستوعب الشيء من جميع جوانبه، وتعرف كلَّ احتياجاته، وتدرك كلَّ احتمالاته وتوقُّعاته، لا يقدر عليها إلا ربُّ البشر وخالق الكون: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

### • واقعية التشريع الإسلامي:

ومن خصائص التشريع في الإسلام: الواقعية، فهو لم يغفل الواقع في كلِّ ما أحلَّ وما حرَّم، ولم يُهمل هذا الواقع في كلِّ ما وضع من أنظمة وقوانين للفرد، وللأسرة، وللمجتمع، وللدولة، وللإنسانية.

### • في التحليل والتحريم:

فمن مظاهر هذه الواقعية في مجال الحلال والحرام، وهو ما يتعلَّق غالبًا بشؤون الفرد، رجلًا أو امرأة:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١ ـ أن شريعة الإسلام لم تُحَرِّم شيئًا يحتاج إليه الإنسان في واقع حياته، كما لم تُبح له شيئًا يضرُّه في الواقع.

ومن ثَمَّ أنكر القرآن تحريم الزينة والطيبات، معلنًا إباحتها لبني الإنسان جميعًا بشرط القصد، والاعتدال، وعدم الإسراف في استعمالها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

٢ ـ وراعت الشريعة فطرة البشر في الميل إلى اللهو والترويح عن النفس، فرخَّصت في أنواع من اللهو، كالسباق وألعاب الفروسية وغيرها، إذا لم تقترن بقمار ولا بحرام، ولا تصد عن ذِكْر الله وعن الصلاة. وخصوصًا في المناسبات السارة، كالأعراس والأعياد. وقد غنَّت جاريتان عند عائشة في بيت النبي ﷺ، فانتهرهما أبو بكر، فقال النبي ﷺ: «**دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد**»[(١)]، وقال يومئذ: «**لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة، إني بعثت بحنيفية سمحة**»[(٢)]!، وأذن للحبشة أن يلعبوا في مسجده بالحراب، وسمح لزوجه عائشة أن تنظر إليهم حتى اكتفت[(٣)].

وقد راعت الشريعة فطرة المرأة وواقعها في حبِّ الزينة، وعمق الرغبة في التجمُّل، فأباحت لها بعض ما حرَّمت على الرجال، كالتحلِّي بالذهب ولبس الحرير.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٨٧)، ومسلم (٨٩٢)، كلاهما في صلاة العيدين، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرجوه: حديث قوي. وحسَّن إسناده الحافظ في التغليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ، يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ، يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم. رواه البخاري في الصلاة (٤٥٤)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

QaradawiBooks.com

٣ ـ ومن واقعية الشريعة: أنها قدَّرت الضرورات ـ التي تعرض للإنسان وتضغط عليه ـ حقَّ قدرها، فرخَّصت في تناول المحرمات على قدر ما توجب الضرورة. وقرَّر فقهاء الشريعة: أن الضرورات تبيح المحظورات. استنادًا إلى ما جاء في القرآن عند ذكر الأطعمة المحرمة من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

٤ ـ ومن واقعية الشريعة أنها عرفت ضعف الإنسان أمام كثير من المحرمات، فسدَّت الباب إليها بالكلية؛ ولهذا حرَّمت قليلها وكثيرها، كما في الخمر؛ لأن القليل يجرُّ الكثير، كما أنها عدَّت ما يوصِّل إلى الحرام حرامًا، سدًّا للذريعة، وإقرارًا بواقع الكثير من البشر، الذين لا يملكون أنفسهم إذا فتح لهم طريق إلى الحرام. ومن هنا كان تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، إغلاقًا لباب قد تهبُّ منه رياح الشرِّ، فلا يُستطاع صدُّها. ومثل ذلك النظر بشهوة إلى الجنس الآخر، فإن العين رسول القلب، والنظرة المتشهية بريد الفتنة، وقديمًا قال الشاعر:

كلُّ الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مُسْتَصْغَر الشرر

وحديثًا، قال شوقي:

نظرة، فابتسامة، فسلام فكلام، فموعد، فلقاء!

- **في تشريعات الزواج والأسرة:**

٥ ـ ومن واقعية الشريعة الإسلامية: أنها راعت قوة الدوافع الجنسية لدى الإنسان فلم تطرحها دبر الأذن، ولم تنظر إليها باستخفاف، ولا باستقذار، كما فعلت بعض الملل والنحل، ولم ترضَ للإنسان أن يُقاد من غرائزه وحدها، كما فعلت بعض الفلسفات. فشرعت إشباع الدافع

QaradawiBooks.com

الجنسي بطريقة نظيفة، تضمن بقاء الإنسان، وكرامة الإنسان، وارتفاع الإنسان عن الحيوان، وذلك بشرعية «نظام الزواج»، وقد أشار القرآن إلى ذلك بعد ما ذكر ما حرَّم الله من النساء، وما أحلَّه وراء ذلك بشرطه، ثم قال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

فالمفهوم من وصف الإنسان بالضعف في هذا المقام: ضعفه أمام الغريزة الجنسية.

٦ ـ وانطلاقًا من هذه النظرة الواقعية للحياة والإنسان، كانت إباحة تعدد الزوجات كما شرعه الإسلام.

## • تشريع الحدود والقصاص والتعزير:

٧ ـ ومن واقعية الشريعة: أنها عملت بكلِّ قوة على تطهير المجتمع من أسباب الجريمة، وتربية الأفراد على حياة الاستقامة، ولكنها مع هذا لم تكتفِ بالوازع الأخلاقي، وإن حرصت عليه كلَّ الحرص، ولم تقتصر على التربية وحدها، وإن كانت تراها فريضة وضرورة دينية واجتماعية، ولكن في الناس من لا يرتدع إلا بعقوبة زاجرة، ولا تكفيه الموعظة الحسنة، ولا التوجيه الرشيد؛ ولهذا كان لا بدَّ من سوط السلطان، بجوار صوت القرآن، حتى جاء عن عثمان رضي الله عنه: إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[1]!

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤١٦/١١)، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ومن هنا أوجبت الشريعة العقوبات من الحدود والقصاص والتعزير، ولم تذهب إلى ما يذهب إليه الخياليون من الناس الذين ينادون بإلغاء عقوبة الإعدام إشفاقًا على القاتل المسكين! دون أن ينظروا إلى مصيبة المقتول وأهله، وما جرَّ عليهم من ويلات وأحزان، ثم إلى أمن المجتمع كلِّه من ناحية أخرى! أو الذين يعطِّلون «حدَّ السرقة» بزعم الرحمة بالمجرم «السارق» الذي لم يرحم نفسه ولا غيره، حيث انتهك الحرمات، وسَطَا على الأموال، وهدَّد أمن الجماعة، ولم يبالِ ـ في سبيل تحقيق مآربه، والحرص على الإفلات من قبضة العدالة ـ أن يسفك دم البرآء وأن يقتل النساء والأطفال!

يقول تعالى في شأن القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وفي شأن السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

### • التيسير ورفع الحرج:

ومن خصائص التشريع في الإسلام: التيسير ورفع الحرج عن المكلفين.

وهذا التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية. وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه، وتعدُّد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه. وشارع هذا الدين رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عنتًا ولا رهقًا، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل، في المعاش والمعاد.

كما أن هذا الدين لم يجئ لطبقة خاصة، أو لإقليم محدود، أو لعصر معين، بل جاء عامًّا لكلِّ الناس، في كلِّ الأرض، وفي كلِّ

QaradawiBooks.com

الأزمان والأجيال، وإن نظامًا يتسم بهذا التعميم وهذه السَّعَة، لا بد أن يتَّجه إلى التيسير والتخفيف، ليتَّسع لكلِّ الناس، وإن اختلف بهم المكان والزمان والحال.

وهذا ما يحسُّه ويلمسه كلُّ مَن عرف هذا الدين.

فالقرآن ميسَّر للذكر، والعقيدة ميسَّرة للفَهم، كما أن الشريعة ميسَّرة للتنفيذ والتطبيق. ليس فيها تكليف واحد يتجاوز طاقة المكلَّفين، كيف وقد أعلن القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية، فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، كما علَّم المؤمنين أن يدعوا ربَّهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقد ورد في الصحيح: أن الله استجاب لهم[(١)].

وقد نفى القرآن كلَّ حرج عن هذه الشريعة، كما نفى عنها العنت والعسر، وأثبت لها التخفيف واليسر. قال تعالى وهو يحدِّثنا عن رُخَص الصيام، من الفطر للمريض والمسافر: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وجاءت الأحاديث النبوية تؤكِّد هذا الاتجاه القرآني إلى التيسير نقرأ فيها: «**بعثت بحنيفية سمحة**»[(٢)]، «**إنما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا مُعسِّرين**»[(٣)]، «**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**»[(٤)].

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٢٥)، عن أبي هريرة.
(٢) سبق تخريجه صـ٣٢٩.
(٣) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وقد كانت سمة الرسول المميزة لـه في كتب أهل الكتاب هي سمة الميسِّر، ورافع الآصار والأغـلال التي أرهقت أهل الأديان السابقة، كما قـال تعالـى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن أدعية القرآن التي علمها للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولا غرو أن شـرع الإسـلام الرُّخص عنـد وجود أسبابهـا، وذلك كالترخيص في التيمم لمَن خاف التضرُّر باستعمال الماء لجرح أو لبرد شـديد، ونحو ذلك، لقولـه تعالـى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وكذلك الترخيص فـي الصلاة قاعـدًا لمَن تضرَّر بالصـلاة قائمًا، والصلاة بالإيماء مضطجعًا، أو مستلقيًا لمَن تؤذيه الصلاة قاعدًا.

ومثل ذلك الترخيص في الإفطار للحامـل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهمـا، وكذلك لمَن كـان مريضًا أو علـى سفر، ومثله الترخيص للمسافر في القصر والجمع في الصلاة.

وجاء في الحديث: «**إن الله يحبُّ أن تُؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**»[1]. وأنكر النبي ﷺ على مَن شدَّد على نفسه، وصام في السفر،

(١) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصيام (٢٠٢٧)، وابن حبان في الصلاة (٢٧٤٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥٦٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

مع شعوره بشدَّة المشقة، وحاجته إلى الفطر، فقال في مثله: «**ليس من البر الصيام في السفر**»[١].

ومن هنا أصبح من القواعد الفقهية الأساسية المقرَّرة لدى المذاهب الإسلامية كافَّة، هذه القاعدة الجليلة: «المشقة تجلب التيسير». وهي أصل له فروع كثيرة وفيرة في شتى أبواب الفقه، وقد ذكرها العلامة ابن نُجيم الحنفي، تفريعًا على هذه القاعدة، أو تأكيدًا لها، لا يتسع المجال هنا لإثباتها، فليرجع إليها مَن شاء التوسع والتفصيل[٢].

وهناك أشياء متعدِّدة اعتبرتها الشريعة من أسباب التيسير والتخفيف، منها: المرض، والسفر، والإكراه، والخطأ، والنسيان، وعموم البلوى. ولكلٍّ منها أحكام فصَّلتها كتب الشريعة.

### • مراعاة سنة التدرج:

ومن تيسير الإسلام على البشر: أنه راعى معهم سنة التدرج فيما يشرعه لهم، إيجابًا أو تحريمًا.

فتجده حين فرض الفرائض، كالصلاة والصيام والزكاة، فرضها على مراحل ودرجات، حتى انتهت إلى الصور الأخيرة.

فالصلاة فُرضت أول ما فُرضت ركعتين ركعتين، ثم أُقرت في السفر على هذا العدد، وزيدت في الحضر إلى أربع. أعني الظهر والعصر والعشاء.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاهما في الصوم، عن جابر.

(٢) راجع: الأشباه والنظائر لابن نجيم صـ ٦٤ وما بعدها، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

والصيام فُـرض أولًا على التخيير، مَن شـاء صام ومَن شـاء أفطر وفدى، أي: أطعم مسكينًا عن كلِّ يوم يفطـره، كما روى ذلك البخاري ومسلم، عن سلمة بن الأكوع، تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤][1]. ثم أصبح الصيـام فرضًا لازمًا لكلِّ صحيح مقيم لا عذر له: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والزكاة فُرضـت أولًا بمكة مُطْلقة، غير محـددة ولا مقيدة بنصاب ومقادير وحـول، بل تُركـت لضمائـر المؤمنين، وحاجـات الجماعة والأفراد، حتى فرضت الزكاة ذات النُّصب والمقادير في المدينة.

والمحرمات كذلك، لم يأتِ تحريمها دفعة واحدة، فقد علم الله سبحانه مدى سلطانها على الأنفس، وتغلغلها في الحياة الفردية والاجتماعية.

فليس من الحكمة فطام الناس عنها بأمر مباشـر يصـدر لهم، إنما الحكمة إعدادهـم نفسيًّا وذهنيًّـا لتقبُّلها، وأخذهم بقانـون التدرُّج في تحريمها. حتى إذا جاء الأمـر الحاسم كانوا سراعًا إلـى تنفيذه قائلين: سمعنا وأطعنا.

ولعل أوضح مثل معروف في ذلك هو تحريـم الخمر على مراحل معروفة في تاريخ التشريع الإسلامي، حتى إذا نزلت الآيات الحاسمة في النهي عنها من سورة المائدة، وفي ختامها: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]. قال المؤمنون في قوة وتصميم: قد انتهينا يا رب[2].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٥٠٧)، ومسلم، كلاهما في التفسير (١١٤٥).

(٢) رواه أحمد (٣٧٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، والنسائي في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

ولعل رعاية الإسلام للتدرج، هي التي جعلته يُبقي على نظام «الرق»، الذي كان نظامًا سائدًا في العالم كلِّه عند ظهور الإسلام، وكان إلغاؤه يؤدِّي إلى زلزلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت الحكمة في تضييق روافده بل ردمها كلِّها ما وُجِد إلى ذلك سبيل، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد، فيكون ذلك بمثابة إلغاء الرقِّ بطريق التدرج.

وهذه السُّنَّة الإلهية في رعاية التدرُّج، ينبغي أن تُتَّبع في سياسة الناس، وعندما يراد تطبيق نظام الإسلام في الحياة، واستئناف حياة إسلامية متكاملة.

فإذا أردنا أن نقيم «مجتمعًا إسلاميًّا حقيقيًّا»، فلا نتوهم أن ذلك يتحقَّق، بجرَّة قلم، أو بقرار يصدر من ملك أو رئيس، أو مجلس قيادة أو برلمان. إنما يتحقَّق ذلك بطريق التدرُّج. أعني بالإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية، والأخلاقية والاجتماعية.

وهو نفس المنهاج الذي سلكه النبي ﷺ، لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية. فقد ظلَّ ثلاثة عشر عامًا في مكة، كانت مهمَّته فيها تنحصر في تربية الجيل المؤمن الذي يستطيع فيما بعد أن يحمل عبء الدعوة، وتكاليف الجهاد لحمايتها ونشرها في الآفاق.

ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع وتقنين، بل مرحلة تربية وتكوين. وكان القرآن نفسه فيها يُعنى ـ قبل كلِّ شيء ـ بتصحيح العقيدة وتثبيتها، ومدِّ أشعتها في النفس والحياة، أخلاقًا وأعمالًا صالحة، قبل أن يُعنى بالتشريعات والتفصيلات.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

# الباب الثالث

# خصائص الإسلام

غير مرخصة للطباعة

- الربانية.
- الإنسانية.
- الشمول.
- الوسطية.
- الجمع بين الثبات والمرونة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# الربانية

إن الخصيصة الأولى من الخصائص العامة للإسلام هي: الربانية.

والرَّبانية ـ كما يقول علماء العربية ـ مصدر صناعي منسوب إلى «الرَّبِّ»، زيدت فيه الألف والنون، على غير قياس. ومعناه: الانتساب إلى الربِّ، أي: الله ﷻ، ويطلق على الإنسان أنه «رباني» إذا كان وثيق الصلة بالله، عالمًا بدينه وكتابه، معلمًا له. وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

والمراد من الربانية هنا أمران: ربانية الغاية والوجهة، وربانية المصدر والمنهج.

### ١ ـ ربانية الغاية والوجهة:

فأما ربانية الغاية والوجهة، فنعني بها: أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد، هو حسن الصلة بالله تعالى، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الإسلام، وبالتالي هي غاية الإنسان، ووجهة الإنسان، ومنتهى أمله، وسعيه، وكدحه في الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

ولا جدال في أن للإسلام غاياتٍ وأهدافًا أخرى إنسانية واجتماعية، ولكن عند التأمُّل، نجد هذه الأهداف في الحقيقة خادمة

QaradawiBooks.com

للهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى، وحسن مثوبته. فهذا هو هدف الأهداف، أو غاية الغايات.

في الإسلام تشريع ومعاملات، ولكن المقصود منها هو تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا، ويبرؤوا من الصراع على المتاع الأدنى، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى، وعبادته، والسعي في مراضيه.

وفي الإسلام جهاد وقتال للأعداء، ولكن الغاية هي: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وفي الإسلام حثٌّ على المشي في مناكب الأرض، والأكل من طيباتها، ولكن الغاية هي القيام بشكر نعمة الله وأداء حقِّه: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ: ١٥].

وكلُّ ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبدًا خالصًا لله، لا لأحد سواه. ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد.

## • من ثمرات هذه الربانية في النفس والحياة:

ومما لا ريب فيه أن لهذه الربانية ـ ربانية الغاية والوجهة ـ فوائد وآثارًا جمَّة في النفس والحياة، يجني الإنسان ثمارها في هذه الدنيا، فضلًا عن ثمراتها في الآخرة. وهي ثمار في غاية الأهمية.

فمن آثار هذه الربانية وثمراتها:

### أولًا: معرفة غاية الوجود الإنساني:

أن يعرف الإنسان لوجوده غاية، ويعرف لمسيرته وجهة، ويعرف لحياته رسالة، وبهذا يحسُّ أن لحياته قيمة ومعنى، ولعيشه طعمًا ومذاقًا،

QaradawiBooks.com

وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء، ولا مخلوقًا سائبًا يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء، كالذين جحدوا الله أو شكُّوا فيه، فلم يعرفوا: لماذا وُجدوا؟ ولماذا يعيشون؟ ولماذا يموتون؟

كلا، إنه لا يعيش في عماية، ولا يمشي إلى غير غاية، بل يسير على هدى من ربِّه، وبينة من أمره، واستبانة لمصيره، بعد أن عرف الله وأقرَّ له بالوحدانية.

**ثانيًا: الاهتداء إلى الفطرة:**

ومن ثمرات هذه الربانية وفوائدها، أن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها، والتي تطلب الإيمان بالله تعالى، ولا يعوضها شيء غيره، يقول تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠].

واهتداء الإنسان إلى فطرته ليس كسبًا رخيصًا، بل هو كسب كبير، وغنى عظيم، فيه يعيش المرء في سلام ووئام مع نفسه، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله، فالكون كلُّه ربَّاني الوجهة، يسبِّح بحمد الله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

والحقيقة أن في فطرة الإنسان فراغًا لا يملؤه علم، ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله جل وعلا. وستظلُّ الفطرة الإنسانية تحسُّ بالتوتر، والجوع والظمأ، حتى تجد اللهَ، وتؤمن به، وتتوجَّه إليه.

**ثالثًا: سلامة النفس من التمزُّق والصراع:**

ومن ثمرات هذه الربانية ـ ربانية الغاية والوجهة ـ سلامة النفس البشرية من التمزُّق والصراع الداخلي، والتوزُّع والانقسام بين مختلف الغايات، وشتَّى الاتجاهات.

QaradawiBooks.com

لقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة هي: إرضاء الله تعالى. وركَّز همومه في همٍّ واحد هو: العمل على ما يرضيه سبحانه.

ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها، ووجهتها في الحياة، فتعرف من أين تبدأ، وإلى أين تسير، ومع مَن تسير.

ولا يُشْقي الإنسان شيء مثل تناقض غاياته، وتباين اتجاهاته، وتضارب نزعاته، فهو حينًا يُشرِّق، وحينًا يُغرِّب، وتارة يتجه إلى اليمين، وطورًا يتَّجه إلى اليسار، ومرة يُرضي زيدًا فيَغضَب عمرو، وأخرى يُرضي عمرًا فيَغضَب زيد، وهو في كلا الحالين حائرٌ بين رضا هذا وغضب ذاك.

وَمَنْ في الناس يُرضي كلَّ نفس وبين هوى النفوس مدًى بعيدُ[1]؟!

إن عقيدة التوحيد قد منحت المسلم يقينًا بأن لا ربَّ إلا الله يُخاف ويُرجى، ولا إله إلا الله يُجْتنب سخطه، ويُلتَمس رِضاه. وبهذا أخرج المسلم كل الأرباب الزائفة من حياته، وحطَّم كل الأصنام المادية والمعنوية من قلبه، ورضي بالله وحده ربًّا، عليه يتوكَّل، وإليه يُنيب، وفي فضله يطمع، ومن قوته يستمد، وله يتودد، وإليه يحتكم، وبه يعتصم: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

### رابعًا: التحرر من العبودية للأنانية والشهوات:

ومن ثمرات هذه الربانية: أنها ـ حين تستقرُّ في أعماق النفس ـ تُحرِّر الإنسان من العبودية لأنانيته، وشهوات نفسه، ولذَّات حِسِّه، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه المادية، ورغباته الشخصية.

(١) من شعر ناصيف اليازجي.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وذلك أن الإنسان «الرباني» يَقِفُه إيمانُه بالله وباليوم الآخر موقف الموازنة بين رغبات نفسه ومتطلبات دينه، بين ما تدفعه إليه شهوته وما يأمره به ربُّه، بين ما يمليه عليه الهوى وما يمليه عليه الواجب، بين متعة اليوم وحساب الغد، أو بين لذة عاجلة في دنياه، وحساب عسير ينتظره في أخراه.

وهذه الموازنة والمساءلة جديرة أن تخلع عنه نِير العبودية للهوى والشهوات، وأن ترتفع به إلى أفق أعلى من الأنانية والبهيمية، أفق الإنسانية المتحرِّرة التي تتصرَّف بوعيها وإرادتها، لا بوحي بطنها وفرجها وغريزتها الحيوانية.

### ٢ ـ ربانية المصدر والمنهج:

ذكرنا ما يتعلَّق بالمعنى الأول للربانية، وهو ربانية الغاية والوجهة، وبقي المعنى الآخر، وهو ربانية المصدر والمنهج. ونعني به أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه، منهج رباني خالص؛ لأنَّ مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ.

لم يأتِ هذا المنهج نتيجة لإرادة فرد، أو إرادة أسرة، أو إرادة طبقة، أو إرادة حزب، أو إرادة شعب، وإنما جاء نتيجة لإرادة الله، الذي أراد به الهدى والنور، والبيان والبشرى، والشفاء والرحمة لعباده. كما قال تعالى يخاطبهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

- **موضع الرسول في هذا المنهج الإلهي:**

الله تعالى هو صاحب هذا المنهج، ولهذا يُضاف إليه فيقال: منهج

QaradawiBooks.com

الله، أو «صراط الله». على حدِّ تعبير القرآن العزيز. وإضافته إلى الله تعني أن الله جلَّ شأنه، هو واضعه ومحدِّده، كما أنه غايته ومنتهاه.

أما الرسول ﷺ، فهو الداعي إلى هذا المنهج أو هذا الصراط، المبيِّن للناس ما اشتبه عليهم من أمره. يقول تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

## • ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم:

إن الإسلام هو المنهج أو المذهب أو النظام الوحيد في العالم، الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرَّفة ولا مبدَّلة، ولا مخلوطة بأوهام البشر، وأغلاط البشر، وانحرافات البشر.

والمناهج أو الأنظمة التي نراها في العالم إلى اليوم ثلاثة، فيما عدا الإسلام طبعًا:

١ ـ منهج أو مذهب أو نظام مدني بشري محض، مصدره التفكير العقلي، أو الفلسفي لبشر فرد، أو مجموعة من الأفراد، كالشيوعية، والرأسمالية والوجودية، وغيرها.

٢ ـ منهج أو نظام ديني بشري كذلك، مثل: الديانة البوذية القائمة في الصين واليابان والهند، والتي لا يُعرف لها أصل إلهي، أو كتاب سماوي، فمصدرها إذن فكر بشري.

٣ ـ منهج أو مذهب ديني محرف، فهو ـ وإن كان إلهيًّا في أصله ـ عملت فيه يد التحريف والتبديل، فأدخلت فيه ما ليس منه، وحذفت منه

QaradawiBooks.com

ما هو فيه، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر، فلم يبقَ ثمة ثقة بربانية مصدره، وذلك كاليهودية والنصرانية، بعد ثبوت التحريف في التوراة والإنجيل نفسيهما، فضلًا عما أضيف إليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية، بدَّلت المراد من كلام الله.

أما الإسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخُّل البشر، وتحريف البشر، ذلك أن الله تعالى تولَّى حفظ كتابه، ودستوره الأساسي بنفسه، وهو القرآن المجيد، وأعلن ذلك لنبيه ولأمته فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

## • الإسلام منهج رباني خالص:

إن الإسلام منهج رباني، مائة في المائة (١٠٠٪). عقائده وعباداته، وآدابه وأخلاقه، وشرائعه ونظمه، كلُّها ربانية إلهية. أعني في أسسها الكلية، ومبادئها العامة، لا في التفريعات والتفصيلات والكيفيات.

## • عقيدة ربانية:

عقائد الإسلام عقائد ربانية، مستفادة من كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من القرآن الكريم الذي أرسى دعائمها، ووضَّح معالمها، ومن صحيح السُّنَّة المبيِّنة للقرآن.

ليست هذه العقائد من وضع مجمع من المجامع، ولا من إضافة هيئة من الهيئات، ولا من إملاء «بابا» من البابوات.

ليس لأحد من تلاميذ محمد ﷺ، ولا من أئمة الإسلام وفقهائه الكبار، أن يغيِّر ويبدِّل في عقيدة الإسلام بالزيادة أو النقص أو التحوير، كما فعل «سانت بولس» في العقيدة النصرانية، حتى إن بعض

QaradawiBooks.com

الكتَّاب الغربيين المحدثيـــن ليسمون المسيحيـــة الحاضرة «مسيحية بولس»، وليست مسيحية عيسى ابن مريم.

- **عبادات ربانية:**

والعبادات الإسلاميـــة ـ أعني الشعائـــر التي يُتعبَّد بهـــا لله تعالى ـ عبادات ربانية.

فالوحي الإلهي هو الذي رسم صورها، وحدَّد أشـــكالها، وأركانها وشـــروطها، وعيَّن زمانها فيما يشترط فيه الزمان، ومكانها فيما يشترط فيه المكان.

ولم يقبل من أحد من الناس ـ مهمـــا كان مجتهدًا في الدين، ومهما علا كعبه في العلم والتقوى ـ أن يبتكر صورًا، وهيئات من عنده للتقرُّب إلى الله تعالى، فإن هذا افتئات على صاحب الحقِّ الأوحد في ذلك، وهو الله تعالى صاحب الخلق والأمر.

ومَن فعل شيئًا من ذلك، فقد شـــرع في الدين ما لم يأذن به الله، وعُدَّ عملُه بدعة وضلالة، ورُدَّ عليه عمله، كما يرد الصَّيرفي النَّقّادُ العملة الزائفة.

فقد جاء الإسلام في مجال العبادة بأصليـــن كبيرين، لا يتساهل في واحد منها قيد شعرة:

**الأول**: ألا يُعبد إلا الله. فلا عبادة لأحد سواه، ولا لشيء سواه، كائنًا ما كان، في الأرض أو في السماء، عاقلًا أو غير عاقل، وهذا ما تقتضيه ربانية الغاية والوجهة.

**الثاني**: ألا يعبد الله إلا بما شرعه. وما شـــرعه إنما يُعرف بواسطة رسله المبلِّغين عنه، وخاتمهم محمد ﷺ، الذي نسخ شـــرعُه كلَّ شرع

QaradawiBooks.com

قبله، والذي كتب الله له الخلود، وتكفَّل بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

وما عدا ذلك فهو أهواء وبدع مرفوضة، وإن دفع إليها حُسنُ النية، وشدة الرغبة في زيادة التقرُّب إلى الله جلَّ شأنه. ولكن النية الصالحة وحدها لا تعطي العمل صفة القبول ما لم تكن صورته مشروعة بالنصِّ الثابت.

فالعمل المقبول له ركنان: أن يكون خالصًا لله، وأن يكون على سُنَّة رسول الله.

- **أخلاق ربانية:**

والأخلاق الإسلامية أخلاق ربانية: بمعنى أن الوحي الإلهي هو الذي وضع أصولها، وحدد أساسياتها، التي لا بد منها لبيان معالم الشخصية الإسلامية، حتى تبدو متكاملة متماسكة متميزة في مخبرها ومظهرها، عالمة بوجهتها وطريقها، إذا التبست على غيرها المسالك، واختلطت الدروب.

ولا غرو أن وجدنا القرآن الكريم ذاته يُعنَى برسم المعالم الرئيسة لأدب المسلم، وخلق المسلم، من الإحسان بالوالدين، وخاصة إذا بلغا الكبر أو أحدُهما، والإحسان بذوي القُربى، ورعاية اليتيم، وإكرام الجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، والخدم، والعناية بالفقراء والمساكين، وتحرير الرِّقاب، والصدق في القول، والإخلاص في العمل، وغض الأبصار وحفظ الفروج، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالمرحمة، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل، والوفاء بالعهود، وترك المنكرات، واجتناب الموبقات من الشرك، والسحر، والقتل،

QaradawiBooks.com

والزِّنى، والسُّكر، والرِّبا، وأكل مـال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، والتولي يوم الزحف، وغيرها من كبائـر الإثم وفواحشه، إلى غير ذلك من الأخلاق الإيجابية والسَّلبية، الفردية والاجتماعية.

- **تشريعات ربانية:**

والتشريعات الإسلامية لضبط الحياة الفردية والأسرية، والاجتماعية والدوليـة: تشريعات ربانيـة: أعني فـي أسسها، ومبادئهـا، وأحكامها الأساسية، التي أراد الله أن ينظم بها سير القافلة البشرية، ويقيم العلاقات بين أفرادها وجماعاتها، على أمتـن القواعد، وأعدل المبادئ، بعيدًا عن قصور البشر، وتطرفات البشر، وأهواء البشر، وتناقضات البشر.

وكانت هذه هي المزية الأولى للتشريع الإسلامي على ما سواه من التشريعات قديمها وحديثها، شرقيها وغربيها، ليبراليها، واشتراكيها. فهو التشريع الفذ فـي العالم الذي أساسه وحـي الله وكلماته المعصومة من الخطأ، المنزهة عن الظلم: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وبهذا تقرر في الأصول الإسلامية أن المشرِّع الوحيد هو الله.

فهو الذي يأمر وينهـى، ويحلل ويحرِّم، ويُكلـف ويُلزم، بمقتضى ربوبيته وألوهيته وملكه لخلقه جميعًا، فهو رب الناس، ملك الناس، إله الناس. له الخلق والأمـر، وله الْمِلك والْمُلك، ولـه الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه يرجعون.

وليس لأحد غيره حق التشريع المطلـق، إلا ما أذن الله فيه مما ليس فيه نص ملزم، فهو في الحقيقة مجتهد أو مستنبط أو مقنن، وليس مشرِّعًا

QaradawiBooks.com

أو حاكمًا. حتى الرسول ﷺ نفسه ليس مشرِّعًا، وإنما وجبت طاعته؛ لأنه مبلغ عن الله. فأمره من أمر الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد دمغ القرآن بالشرك الذين أعطوا سُلْطة التشريع المطلق لبعض البشر، من رجال الأديان الذين بدلوا كلمات الله، وغيروا شرع الله، فأحلوا ما حرَّم الله، وحرَّموا ما أحلَّ الله، افتراءً على الله.

* * *

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# الإنسانية

ومن خصائص الإسلام العامة بعد الربانية: الإنسانية.

فالإسلام يمتاز بنزعته الإنسانية الواضحة، الثابتة الأصيلة في معتقداته وعباداته، وتشريعاته وتوجيهاته، إنه دين الإنسان.

- **بين الربانية والإنسانية:**

وربما خُيّل لكثير من الناس ـ لأول وهلة ـ أن هناك تناقضًا بين إثبات خصيصة «الربانية» وخصيصة «الإنسانية» في وقت واحد.

فالظاهر والمفهوم والمفترض في أذهانهم أن ثبوت إحدى الخصيصتين ينفي الأخرى، ويطردها، شأن كل متضادين لا يجتمعان، فإذا وُجد الله لم يبق مكان للإنسان!

وإذا كنا قد قلنا في خصيصة «الربانية»: إنها تعني ـ من ناحية ـ ربانية الغاية والوجهة. على معنى أنَّ حسن الصلة بالله تعالى وابتغاء مرضاته هو غاية الإنسان وهدف الإسلام.

كما تعني ـ من ناحية أخرى ـ ربانية المصدر والمنهج، على معنى أن الإسلام منهج إلهي، صاحبه وشارعه هو الله وحده، وإنما الرسول مبلغ عنه ـ فمعنى هذا أن لا موضع للإنسان.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأين يكون مكان الإنسان ما دام الله هو الغاية، ومرضاته هي الهدف والوجهة، وما دام الله أيضًا هو واضع المنهج إلى تلك الغاية؟

### • ليس الإنسان ندًّا لله:

على أن الخطأ الأول والأساسي في موقف هؤلاء: النظر إلى الله والإنسان كأنهما ندَّان متقابلان، وهؤلاء ينسون ما هو الله؟ وما هو الإنسان؟

والحقيقة التي لا ريب فيها أن الله هو صاحب هذا الكون، وربُّه، ومدبره: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

والإنسان هو مخلوق حادث من مخلوقات الله جل شأنه، ولا يتصور أن يكون المخلوق ندًّا للخالق، ولا الحادث مضاهيًا للأزلي، ولا الفاني كفوًا للأبدي الباقي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

إن الإنسان مخلوق لله، ولكنه مخلوق ذو مكانة خاصة، وله شأن ودور في هذا الوجود، والذي منحه هذه المكانة، وجعل له هذا الشأن والدور هو خالقه ذاته، هو الله تعالى.

لننظر للإنسان إذن على هذا الأساس. وبهذا المنظار.

إنه مخلوق، ولكنه أكرم المخلوقات على الله تعالى، وهو الوحيد من بينها.

### • لا تنافي بين الربانية والإنسانية:

إذا عرفنا ما ذكرناه من حقائق اتضح لنا:

أن الإسلام مع ربانيته في غايته ووجهته، هو إنساني أيضًا في الغاية والوجهة، ومن هنا نقول: إن للإنسان مكانًا، أي مكان في غايات الإسلام

QaradawiBooks.com

العُليا، وأهدافه الكبرى، مع تقرير غايته الربانيـــة، وإبرازها وتثبيتها، إذ لا تنافي بين الغاية الربانية، والغاية الإنسانية، بل هما متكاملتان.

أجل، لا تنافي ـ في نظر الإسلام ـ بين الربانيـــة والإنسانية، فتقدير إنسانية الإنسان هو من الربانية التي قام عليها الإسلام.

فالله هو الذي كرَّم هـــذا الإنسان، ونفخ فيه مـــن روحه، وجعله في الأرض خليفة، وسخَّر له ما في السماوات، وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

وإذا كان مصدر الإسلام «ربانيًّا»، فإن «الإنسان» هو الذي يفهم هذا المصدر، ويستنبط منه، ويجتهد علـــى ضوئه، ويحوله إلى واقع تطبيقي ملموس.

وإذا كانت الربانية هـــي غاية المجتمع المسلم كمـــا هي غاية الفرد المسلم، فإن مضمون هذه الغاية هو سعادة الإنسان، وفوزه بالنعيم المقيم في جوار رب العالمين.

وإذا كانت الربانية هي رسالـــة المسلم، فإن أهداف هذه الرسالة هي تحقيـــق الخير للإنســـان والسمو بـــه، والحيلولة بينه وبيـــن الانحراف والسقوط.

والمعاني الربانية التي توجه المسلم، من الإيمان والتوحيد والإنابة والرجاء والخوف... إلخ، هي فـــي حقيقتها معانٍ إنسانية؛ لأنها جزء من كيان الإنسان كما فطره الله، وهي سرٌّ من أسرار قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

وفكرة الإسلام: أن الإنسان لا يستطيع أن يكون ربانيًّا حقًّا، دون أن يكون إنسانيًّا، كما لا يستطيع أن يكون إنسانيًّا حقًّا، دون أن يكون ربانيًّا.

QaradawiBooks.com

إن الربانية ـ باعتبارها غاية ووجهة ـ تقتضي إخلاص النية والعمل والوجهة لله وحده، وجعل رضوانه ومثوبته نهاية المقصد، وغاية السعي وراء كل حركة، وكل قول أو عمل.

ولكنَّ المقصود بهذا كله هو تحرير الإنسان، وإسعاد الإنسان، وتكريم الإنسان، وحماية الإنسان، والسمو بالإنسان.

فهذه كلها أهداف وغايات يحرص الإسلام عليها، ويسعى إليها، ويعمل بكل وسيلة على بلوغها والاجتهاد في تحقيقها.

- **القرآن كتاب الإنسان:**

وإذا نظرنا إلى المصدر الأول للإسلام وهو القرآن كتاب الله، وتدبرنا آياته، وتأملنا موضوعاته واهتماماته، نستطيع أن نصفه بأنه كتاب الإنسان. فالقرآن كله إمَّا حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان.

إن كلمة «الإنسان» تكررت في القرآن (٦٣) ثلاثًا وستين مرة، فضلًا عن ذكره بألفاظ أخرى مثل «بني آدم» التي ذكرت ست مرات، وكلمة «الناس» التي تكررت (٢٤٠) مائتين وأربعين مرة في مكي القرآن ومدنيه.

ولعل من أبرز الدلائل على ذلك أن أول ما نزل من آيات القرآن على رسول الإسلام ـ محمد ﷺ ـ خمس آيات من سورة العلق ذُكرت كلمة «الإنسان» في اثنتين منها، ومضمونها كلها العناية بأمر الإنسان.

هذه الآيات هي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

• **محمد الرسول الإنسان:**

وإذا نظرنا إلى الشخص الذي جَسَّد الله فيه الإسلام، وجعله مثالًا حيًّا لتعاليمه، وكان خُلقه القرآن، نستطيع أن نصفه بأنه «الرسول الإنسان»، وسيرته ليست سيرة إله، ولا بعض إله، ولا ملاك متجرد من اللحم والدم، بل هي سيرة النبي الإنسان.

والقرآن الكريم حريص كل الحرص في شتى المناسبات على تأكيد إنسانية الرسول محمد ﷺ، بمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

• **الجانب الإنساني في رسالة الإسلام:**

إن كل دارس للإسلام في كتابه وسُنَّة رسوله، يتبين له بجلاء: أنه وجه عناية بالغة إلى «الجانب الإنساني» وأعطاه مساحة رحبة من رقعة تعاليمه، وتوجيهاته، وتشريعاته.

وإذا نظرت في الفقه الإسلامي وجدت «العبادات»، لا تأخذ إلا نحو الربع أو الثلث من مجموعه، والباقي يتعلق بأحوال الإنسان من أحوال شخصية، ومعاملات، وجنايات، وعقوبات، وغيرها.

على أنك إذا تأملت العبادات الكبرى نفسها، وجدت إحداها «إنسانية» في جوهرها، وهي عبادة «الزكاة» فهي تؤخذ من الإنسان الغني، لترد على الإنسان الفقير، هي للأول تزكية وتطهير، وللثاني إغناء وتحرير.

والعبادات الأخرى لا تخلو من جانب إنساني تلمحه في ثناياها.

فالصلاة عون للإنسان في معركة الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

QaradawiBooks.com

والصوم تربيــة لإرادة الإنسان على الصبر فــي مواجهة المصاعب، وتربية لمشاعره على الإحساس بآلام غيره، فيسعى إلى مواساته. ولهذا سَمَّى النبي ﷺ شهر رمضان «**شهر الصبر**» و«**شهر المواساة**»[(١)].

والحج مؤتمر رباني إنساني، دعا الله فيه عباده المؤمنين: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، فشهود المنافع هنا يمثل الجانب الإنساني في أهداف الحج.

وفوق ذلك نجد النبــي ﷺ يرفع إلى درجة العبــادة كل عمل يؤديه المسلم، يترتب عليه نفع مادي لإنسان، أو سرور نفسي لإنسان.

- **من ثمرات الإنسانية في الإسلام:**

الإخاء والمساواة والحرية.

هذه النزعــة الإنسانية الأصيلة فــي الإسلام هي أســاس هام لمبدأ الإخاء البشري الذي نــادى به الإسلام. وهي أساس هــام كذلك لمبدأ المساواة الإنسانية العام، الذي دعا إليه الإسلام.

وهي أساس هام كذلك لمبدأ الحرية الذي قرره الإسلام. أكد الإسلام الدعوة إلى هــذه المبــادئ الإنسانية الثلاثــة، ووضع الصــور العملية لتطبيقها، وربطها بعقائده وشــعائره وآدابه ربطًا محكمًا، بحيث لا تظل مجرد أمنية شــاعرية تهفو إليها بعض النفوس، أو فكــرة مثالية تتخيلها بعض الرؤوس، أو حبر على ورق سطرته بعض الأقلام.

وأكتفي هنا بالحديث عن مبدأ المساواة باعتباره ملازمًا للإخاء، وثمرة له.

---

(١) رواه ابن خزيمة (١٨٨٧)، والبيهقي في الشعب (٣٣٣٦)، كلاهما في الصيام، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (١٩٦٥)، عن سلمان الفارسي.

QaradawiBooks.com

## • مبدأ المساواة الإنسانية:

أما مبدأ المساواة الإنسانية الذي قرره الإسلام ونادى به، فأساسه: أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان؛ لا من أي حيثية أخرى، الإنسان من أي سلالة كان، ومن أي لون كان، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر، وبين قوم وقوم، وبين لون ولون، مسقطًا كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية والقومية واللونية. يقول القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

قد يختلف الناس في أجناسهم وعناصرهم، فيكون منهم الآري والسامي والحامي، والعربي والعجمي.

وقد يختلفون في أنسابهم وأحسابهم فيكون منهم من ينتهي إلى أسرة عريقة في المجد، ومن ينتهي إلى أسرة صغيرة مغمورة في الناس.

وقد يتفاوت الناس في ثرواتهم فيكون منهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم المتوسط الحال.

وقد يتفاوتون في أعمالهم ومناصبهم، فيكون منهم الحاكم والمحكوم، ويكون منهم المهندس الكبير، والعامل الصغير، ويكون منهم أستاذ الجامعة والحارس ببابها.

ولكن هذا الاختلاف أو التفاوت لا يجعل لواحد منهم قيمة إنسانية أكبر من قيمة الآخر، بسبب جنسه، أو لونه، أو حسبه، أو ثروته، أو عمله، أو طبقته، أو أي اعتبار آخر.

إن القيمة الإنسانية واحدة للجميع. فالعربي إنسان، والعجمي إنسان، والأبيض إنسان، والأسود إنسان، والحاكم إنسان، والمحكوم إنسان،

QaradawiBooks.com

والغني إنسان، والفقير إنسان، ورب العمل إنسان، والعامل إنسان، والرجل إنسان، والمرأة إنسان، والحر إنسان، والعبد إنسان، وما دام الكل إنسانًا فهم إذن سواسية كأسنان المشط الواحد.

ومن هنا اعتبر الإسلام الاعتداء على نفس أي إنسان اعتداء على الإنسانية كلها، كما جعل إنقاذ أي نفس إنقاذًا للجميع، هذا ما قرره القرآن بوضوح: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

غير مرخصة للطباعة

- **شعائر الإسلام تثبت معنى المساواة:**

ولم يكتفِ الإسلام بتقرير مبدأ المساواة نظريًّا، وتثبيته فكريًّا، بل أكده عمليًّا بجملة أحكام وتعاليم نقلته من فكرة مجردة إلى واقع ملموس. من ذلك العبادات الشعائرية التي فرضها الإسلام، وجعلها الأركان العملية التي يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج.

- **المساواة أمام قانون الإسلام:**

ومن المساواة العملية التي قررها الإسلام قولًا، وطبقها فعلًا: المساواة أمام قانون الشرع وأحكام الإسلام.

فالحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع[1]، والفرائض مُلزمة للجميع، والعقوبات مفروضة على الجميع.

(١) انظر كتابنا: الحلال والحرام صـ ٤٣ ـ ٤٥، تحت عنوان: الحرام حرام على الجميع، نشر مكتبة وهبة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حاولت إحدى القبائل عند الدخول في الإسلام أن تُعفى من الصلاة حينًا من الزمن، فأبى عليها ذلك الرسول ﷺ وقال: «**لا خير في دين لا صلاة فيه**»[١].

وحاول الصحابة أن يُشَفِّعوا أسامة بن زيد ـ حِبَّ رسول الله وابن حِبّه ـ في امرأة من قريش، ومن بني مخزوم، سرقت فاستحقت أن يُقام عليها حد السرقة: قطع اليد، فكلمه فيها أسامة، فغضب ﷺ غضبته التاريخية المعروفة، وقال كلمته التي خلدها التاريخ: «**إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها**»[٢].

وفي عهود الخلفاء الراشدين رأينا كثيرًا من الصور والأمثلة لتطبيق مبدأ المساواة بين جميع الناس، دون تفريق أو تمييز. وحسبنا أن نشير هنا إلى قصة جبلة بن الأيهم ـ الأمير الغساني ـ مع الأعرابي، الذي شكا إلى عمر أمير المؤمنين كيف لطمه جبلة بغير حق، فلم يسع عمر إلا أن يُحضر جبلة، ويطلب إليه أن يُمكِّن الأعرابي ليقتص منه، لطمة بلطمة، إلا أن يعفو عنه ويصفح، وعَزّ على الأمير الغساني أن يفعل ذلك، وقال لعمر بصراحة: كيف يقتص مني وأنا مَلِك وهو سُوقة؟

فقال عمر: إن الإسلام قد سوَّى بينكما[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٧٩١٣)، وقال مخرجوه: رجاله ثقات رجال الصحيح، غير أن في سماع الحسن من عثمان اختلاف. وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٢٦)، والطيالسي (٩٨١)، والطبراني (٥٤/٩)، عن عثمان بن أبي العاص. بلفظ: «... ولا خير في دين ليس فيه ركوع».

(٢) سبق تخريجه صـ٢٩٨.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/٧٢)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ولم يعِ الأمير المسكين هذا المعنى الكبير، وخرج من المدينة هاربًا مرتدًّا عن الإسلام الذي يفرض المساواة بين الملك والسُّوقَة أمام شرع الله، وغلبت عليه شقوته، فكان من الخاسرين.

ولم يبالِ عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة؛ لأن ارتداد رجل عن الإسلام أهون بكثير من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام، كالمساواة. وخسارة فرد لا تُقاس بخسارة مبدأ.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# الشمول

«الشمول» من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل ما عرفه الناس، من الأديان والفلسفات والمذاهب، بكل ما تتضمنه كلمة «الشمول» من معانٍ وأبعاد.

إنه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، ويستوعب كيان الإنسان كله.

لقد عبَّر الشهيد حسن البنا عن أبعاد هذا الشمول في رسالة الإسلام فقال وأجاد: «إنها الرسالة التي امتدت طُولًا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة»[1].

- **رسالة الزمن كله:**

إنها رسالة لكل الأزمنة والأجيال، ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص، ينتهي أثرها بانتهائه، كما كان الشأن في رسالات

(١) مقال من وحي حراء للإمام حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون اليومية، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، صـ ١، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م، وانظر: سلسلة من تراث الإمام لجمعة أمين عبد العزيز (١٨١/٥)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأنبياء السابقين على محمد ﷺ، فقد كان كل نبي يُبعث لمرحلة زمنية محدودة، حتى إذا ما انقضت بعث الله نبيًّا آخر.

أما محمد ﷺ فهو خاتم النبيين، ورسالته هي رسالة الخلود التي قدر الله بقاءها إلى أن تقوم الساعة، ويُطوى بساط هذا العالم، فهي تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية، فليس بعد الإسلام شريعة، ولا بعد القرآن كتاب، ولا بعد محمد نبي، ولم يسبق لنبي قبل محمد ﷺ أن أعلن أن رسالته هي الخاتمة، وأن لا نبي بعده؛ بل بَشّرت التوراة بمن يأتي بعد موسى، وبَشّر الإنجيل بمن يأتي بعد المسيح عيسى وهو «الفارقليط» الذي سيبين كل الحق، ولا يتكلم من عند نفسه.

إنها رسالة المستقبل المديد ولا شك، وهي أيضًا رسالة الماضي البعيد.

إنها ـ في جوهرها، وأصولها الاعتقادية والأخلاقية ـ رسالة كل نبي أُرسل، وكل كتاب أُنزل. فالأنبياء جميعًا جاؤوا بالإسلام، ونادوا بالتوحيد، واجتناب الطاغوت. وهذا ما يقرره القرآن في وضوح وتأكيد.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾

[الأنبياء: ٢٥].

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾

[النحل: ٣٦].

- **رسالة العالم كله:**

وإذ كانت هذه الرسالة غير محدودة بعصر ولا جيل، فهي كذلك غير محدودة بمكان ولا بأمة، ولا بشعب ولا بطبقة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

إنها الرسالة الشاملة، التي تخاطب كل الأمم، وكل الأجناس، وكل الشعوب، وكل الطبقات.

إنها ليست رسالة لشعب خاص، يزعم أنه وحده شعب الله المختار! وأن الناس جميعًا يجب أن يخضعوا له.

وليست رسالة لإقليم معين، يجب أن تدين لـه كل أقاليم الأرض، وتُجبى إليه ثمراتها وأرزاقها.

وليست رسالة لطبقة معينة، مهمتها أن تُسخِّر الطبقات الأخرى لخدمة مصالحها أو اتباع أهوائها، أو السير في ركابها، سواء أكانت هذه الطبقة المسيطرة من الأقوياء أم الضعفاء، من السادة أم من العبيد، من الأغنياء أم من الفقراء والصعاليك. إنها رسالتهم جميعًا، وليست لمصلحة طائفة منهم دون سواها، وليس فهمها، ولا تفسيرها، ولا الدعوة إليها حكرًا على طبقة خاصة، كما قد يتوهم كثير من الناس، إنها هداية رب الناس لكل الناس، ورحمة الله لكل عباد الله، وهذا ما وضَّحه القرآن منذ العهد المكي. تقرأ في ذلك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

- **رسالة الإنسان كله:**

وهي كذلك رسالة الإنسان من حيث هو إنسان متكامل.

إنها ليست رسالة لعقل الإنسان دون روحه، ولا لروحه دون جسمه، ولا لأفكاره دون عواطفه، ولا عكس ذلك.

إنها رسالة الإنسان كله: روحه، وعقله، وجسمه، وضميره، وإرادته ووجدانه، كما نبهنا على ذلك في «خصيصة الإنسانية».

QaradawiBooks.com

### • رسالة الإنسان في أطوار حياته كلها:

إن الإسلام هو رسالة الإنسان كله، وهو رسالته كذلك في كل مراحل حياته ووجوده، فهذا مظهر آخر من مظاهر الشمول الإسلامي.

إنها هداية الله، تصحب الإنسان أنَّى اتجه وأنى سار في أطوار حياته، إنها تصحبه طفلًا، ويافعًا، وشابًّا، وكهلًا، وشيخًا. وترسم له في كل هذه المراحل المتعاقبة المنهج الأمثل الذي يحبه الله ويرضاه.

فلا عجب أن تجد في الإسلام أحكامًا وتعاليم تتعلق بالمولود منذ ساعة ميلاده، مثل إماطة الأذى عنه، والتأذين في أذنه، واختيار اسم حسن له، وذبح عقيقة عنه شكرًا لله، وغير ذلك مما ضمَّنه إمام كابن القيم كتابًا مستقلًّا له سماه «تحفة المودود في أحكام المولود».

وبعد ذلك نجد أحكامًا تتعلق بالإنسان صبيًّا وشابًّا وكهلًا وشيخًا، فلا توجد مرحلة من حياته إلا وللإسلام فيها توجيه وتشريع.

وأكثر من ذلك أنها تُعنى بالإنسان قبل أن يُولد، وبالإنسان بعد أن يموت.

### • رسالة الإنسان في كل مجالات حياته:

ومن معاني الشمول في الإسلام أيضًا: أنه رسالة للإنسان في كل مجالات الحياة، وفي كل ميادين النشاط البشري، فلا يدع جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية إلا كان له فيه موقف: وقد يتمثل في الإقرار والتأييد، أو في التصحيح والتعديل، أو في الإتمام والتكميل، أو في التغيير والتبديل، وقد يتدخل بالإرشاد والتوجيه، أو بالتشريع والتقنين، وقد يسلك سبيل الموعظة الحسنة، وقد يتخذ أسلوب العقوبة الرادعة، كلٌّ في موضعه.

QaradawiBooks.com

المهم هنا أنه لا يدع الإنسان وحده ـ بدون هداية الله ـ في أي طريق يسلكه، وفي أي نشاط يقوم به: ماديًّا كان أو روحيًّا، فرديًّا أو اجتماعيًّا، فكريًّا أو عمليًّا، دينيًّا أو سياسيًّا، اقتصاديًّا أو أخلاقيًّا.

إن الإسلام ـ كما قال المرحوم العقاد ـ: هو العقيدة المثلى للإنسان منفردًا أو مجتمعًا، وعاملًا لروحه أو عاملًا لجسده، وناظرًا إلى دنياه، أو ناظرًا إلى آخرته، ومسالمًا أو محاربًا، ومعطيًا حق نفسه أو معطيًا حق حاكمه وحكومته، فلا يكون مسلمًا وهو يطلب الآخرة دون الدنيا، ولا يكون مُسلمًا وهو يطلب الدنيا دون الآخرة، ولا يكون مُسلمًا لأنه روح تنكر الجسد، أو لأنه جسد ينكر الروح، أو لأنه يصحب إسلامه في حالة، ويدعه في حالة أخرى. ولكنما هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه، في جميع حالاته، سواء تفرَّد وحده أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع[1].

- **شمول التعاليم الإسلامية:**

وإذا كان الإسلام هو رسالة الإنسان كله في كل أطواره، ورسالة الحياة كلها، بكل جوانبها ومجالاتها، فلا عجب أن نجد التعاليم الإسلامية كلها تتميز بهذا الشمول والاستيعاب كل شؤون الحياة والإنسان.

نجد هذا الشمول يتجلى في العقيدة والتصور، ويتجلَّى في العبادة والتقرب، ويتجلَّى في الأخلاق والفضائل، ويتجلَّى في التشريع والتنظيم.

(١) انظر: الإسلام في القرن العشرين للعقاد صـ ١٥ ـ ١٦، نشر نهضة مصر.

QaradawiBooks.com

• **شمول العقيدة الإسلامية:**

**فالعقيدة الإسلامية عقيدة شاملة من أي جانب نظرتَ إليها.**

١ ـ فهي تُوصف بالشمول، باعتبار أنها تفسر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود. القضايا التي شغلت الفكر الإنساني، ولا تزال تشغله، وتُلح عليه بالسؤال، وتتطلب الجواب الحاسم الذي يُخْرِجُ الإنسان من الضياع والشك والحيرة، وينتشله من متاهات الفلسفات والنِّحل المتضاربة قديمًا وحديثًا: قضية الألوهية، قضية الكون، قضية الإنسان، قضية النبوة، قضية المصير.

فإذا كانت بعض العقائد تُعنى بقضية الإنسان دون قضية الألوهية والتوحيد، أو بقضية الألوهية دون قضية النُّبوة والرسالة، أو بقضية النبوة دون قضية الجزاء الأخروي، فإن عقيدة الإسلام قد عنيت بهذه القضايا كلها، وقالت كلمتها فيها، بشمول واضح، ووضوح شامل.

٢ ـ وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول كذلك؛ لأنها لا تُجزِّئ الإنسان بين إلهين اثنين: إله الخير والنور، وإله الشر والظلمة، كما كان في المجوسية، أو بين الله والشيطان الذي سُمي في الأناجيل باسم «رئيس هذا العالم»، واسم «إله هذا الدهر»، وانقسم العالم بينه وبين الله، فله مملكة الدُّنيا، ولله ملكوت السماوات، فيوشك أن يكون عمله في نظر المسيحية مضارعًا لعمل «أهريمان» «إله الظلام في المجوسية»[1]!

٣ ـ وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول من ناحية أخرى، وهي: أنها لا تعتمد في ثبوتها على الوجدان، أو الشعور وحده، كما هو شأن الفلسفات الإشراقية والمذاهب الصوفية، وكما هو شأن المسيحية التي

(١) انظر: حقائق الإسلام للعقاد صـ ١٠٣.

QaradawiBooks.com

ترفض تدخل العقل في العقيدة رفضًا باتًّا، بحيث لا تؤخذ إلا بالتسليم المطلق، على حد قولهم: اعتقد وأنت أعمى.

وهي كذلك لا تعتمد على العقل وحده، كما هو شأن جل الفلسفات البشرية التي تتخذ العقل وسيلتها الفذة في معرفة الله وحل ألغاز الوجود.

وإنما تعتمد على الفكر والشعور معًا، أو العقل والقلب جميعًا، باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الإنسانية، والوعي الإنساني.

إن الإيمان الإسلامي الصحيح هو الذي ينبعث من ضياء العقل وحرارة القلب، وبذلك يؤدِّي دوره، ويؤتي أكله في الحياة.

٤ ـ وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول أيضًا؛ لأنها عقيدة لا تقبل التجزئة، لا بد أن تؤخذ كلها بكل محتوياتها دون إنكار، أو حتى شك في أي جزء منها، فمن آمن بـ(٩٩٪) من مضمون هذه العقيدة، وكفر بـ(١٪) لم يعد بذلك مسلمًا. فالإسلام يقتضي أن يسلم الإنسان قياده كله لله، ويؤمن بكل ما جاء من عنده.

- **شمول العبادة في الإسلام:**

**وتتمثل ظاهرة الشمول الإسلامي في عبادته كما تمثلت في عقيدته.**

فالعبادة في الإسلام ـ كما بيّنا في مقومات الإسلام ـ تستوعب الكيان البشري كله، فالمسلم لا يعبد الله بلسانه فحسب، أو ببدنه فقط، أو بقلبه لا غير، أو بعقله مجردًا، أو بحواسه وحدها. بل يعبد الله بهذه كلها: بلسانه ذاكرًا داعيًا تاليًا، وببدنه مصليًّا صائمًا مجاهدًا، وبقلبه خائفًا راجيًا محبًّا متوكلًا، وبعقله متفكرًا متأملًا، وبحواسه كلها مستعملًا لها في طاعته سبحانه.

QaradawiBooks.com

ومعنى آخر للشمول في العبادة، وهي أنها تتسع للحياة كلها، فلا تقتصر على الشعائر التعبدية المعروفة من صلاة وزكاة وصيام وحج، بل تشمل كل حركة وكل عمل ترتقي به الحياة ويسعد به الناس.

فالجهاد في سبيل الله، دفاعًا عن الحق، وذودًا عن الحرمات، ومنعًا للفتنة، وإعلاءً لكلمة الله: عبادة لا تعدلها عبادة.

وكل عمل نافع يقوم به المسلم، لخدمة المجتمع، أو مساعدة أفراده.

- **شمول الأخلاق في الإسلام:**

ويبرز الشمول كذلك في ميدان الأخلاق والفضائل. فالأخلاق الإسلامية ليست هي التي تُعرف عند بعض الناس بـ«الأخلاق الدينية» التي تتمثل في أداء الشعائر التعبدية، واجتناب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، ونحو ذلك لا غير، إنها أخلاق تسع الحياة بكل جوانبها، وكافة مجالاتها.

إن الأخلاق في الإسلام لم تدع جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية: روحية أو جسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية، إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع، فما فَرَّقه النَّاس في مجال الأخلاق باسم الدين وباسم الفلسفة، وباسم العرف أو المجتمع، قد ضَمّه القانون الأخلاقي في الإسلام في تناسق وتكامل وزاد عليه.

- **شمول الالتزام بالإسلام كله:**

هذا الشمول الذي تميز به الإسلام ـ بحيث استوعب الحياة كلها، والإنسان كله، في كل أطوار حياته، وفي كل مجالات حياته ـ يجب أن

QaradawiBooks.com

يقابله شمول مماثل من جانب التزام المسلمين: أعني الالتزام بهذا الإسلام كله في شموله وعمومه وسعته. فلا يجوز الأخذ بجانب من تعاليمه وأحكامه، وطرح جانب آخر، أو جوانب أخرى منها، قصدًا أو إهمالًا؛ لأنها «كل» لا يتجزأ.

وقد عاب القرآن الكريم على بني إسرائيل تجزئتهم أحكام دينهم تبعًا لأهوائهم، يأخذون منها ما راق لهم، ويدعون ما لم يَرُق لهم. فقرعهم الله أشد التقريع على ذلك فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

فلا يجوز في نظر الإسلام أخذ جانب العقيدة والإيمان من تعاليمه، وإغفال جانب العبادة أو الأخلاق، كالذين قالوا: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. فإن عمل الصالحات مكمل للإيمان، وسياج له، وثمرة لازمة للإيمان الصادق، كما بيَّن ذلك القرآن والسُّنَّة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

ولا يجوز في نظر الإسلام العناية بالعبادات والشعائر، وإهمال جانب الأخلاق والفضائل؛ لأن الفضائل الأخلاقية من شُعَب الإيمان الحق، وثمرة للعبادة الصحيحة: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء**

QaradawiBooks.com

**شعبة من الإيمان»**[١]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وفي «الصحيح»: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر**»[٢]. وفي رواية لمسلم: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم**»[٣].

ولا يجوز في نظر الإسلام كذلك الاهتمام بالجانب الأخلاقي، وإغفال الجانب التعبدي، فإن الناس إنما خُلقوا ليعرفوا الله ويعبدوه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإنما يُعبَد الله تعالى بما شرع وفرض من شعائر وفرائض اعتبرها رسوله الأركان التي بني عليها الإسلام، وأول خُلُق يجب أن يتحلى به المسلم هو الوفاء لله بعهده، وشكر نعمته، وأداء أمانته، وذلك بأداء حقه الذي افترضه على عباده من صلاة وزكاة وصيام وحج: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ولا يجوز في نظر الإسلام الأخذ بكل ما ذكر من عقيدة وعبادة وأخلاق، مع إغفال جانب الشريعة التي نظم الله بها حياة الخلق، وأنزل بها الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، فلا يحل لمن يؤمن بعدل الله تعالى، وكمال علمه وحكمته وبره بخلقه، أن يدع شرع الله عمدًا، ليحكم بشرائع البشر الممثلة لقصورهم وأهوائهم. ولهذا حذَّر الله رسوله ـ وبالتالي كل حاكم من بعده ـ أن يدع: «بعض ما أنزل الله» تأثرًا بأهواء

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٩١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، كلاهما في الإيمان، واللفظ لمسلم، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٥٩) (١٠٩).

QaradawiBooks.com

الآخرين وفتنتهم، فإن من ترك حكم الله سقط لا محالة في حكم الجاهلية ولا ثالث لهما. قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# الوسَطيَّة

وهذه خصيصة أخرى من أبرز خصائص الإسلام، وهي «الوسطية»، ويُعبَّر عنها أيضًا بـ«التوازن»، ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه.

مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الأخروية والدنيوية، الوحي والعقل، الماضوية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير، وما شابهها. ومعنى التوازن بينها: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطى حقه «بالقسط» أو «بالقسطاس المستقيم»، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار. كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧ ـ ٩].

نسخة مجانية

- **عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن:**

وهذا في الحقيقة أكبر من أن يقدر عليه إنسان، بعقله المحدود، وعلمه القاصر، فضلًا عن تأثير ميوله، ونزعاته الشخصية، والأسرية والحزبية، والإقليمية والعنصرية، وغلبتها عليه من حيث يشعر أو لا يشعر.

ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يصنعه بشر ـ فرد أو جماعة ـ من الإفراط أو التفريط، كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ.

إن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود ـ ماديًّا كان أو معنويًّا ـ حقه بحساب وميزان، هو الله الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا، وأحاط بكل شيء خبرًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسِع كل شيء رحمة وعِلمًا.

ولا عجب أن نرى هذا التوازن الدقيق في خلق الله، وفي أمر الله جميعًا، فهو صاحب الخلق والأمر، فظاهرة التوازن، تبدو فيما أمر الله به، وشرعه من الُهدى ودين الحق، أي: في نظام الإسلام ومنهجه للحياة، كما تبدو في هذا الكون الذي أبدعته يد الله فأتقنت فيه كل شيء.

- **من مظاهر الوسطية في الإسلام:**

وإذا كان للوسطية كل هذه المزايا، فلا عجب أن تتجلى واضحة في كل جوانب الإسلام، نظرية وعملية، تربوية وتشريعية.

- **وسطية الإسلام في العبادات والشعائر:**

والإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان والنِّحل، التي ألغت الجانب «الرباني» ـ جانب العبادة والتنسك والتأله ـ من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده... وبين الأديان والنِّحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة، والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية.

QaradawiBooks.com

ولعل أوضح دليل نذكره هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة حتى في يوم الجمعة: بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعي إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرِّزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرًا في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح.

- **وسطية الإسلام في الأخلاق:**

والإسلام وسط في الأخلاق بين غُلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكًا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانًا أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرًا محضًا، وهؤلاء أساؤوا بها الظن، فعدوها شرًّا خالصًا، وكانت نظرة الإسلام وسطًا بين أولئك وهؤلاء.

فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، قد هُدي للنَّجدين، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكرًا وإما كفورًا. فيه استعداد للفجور استعداده للتقوى. ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

QaradawiBooks.com

• **وسطية الإسلام في التشريع:**

والإسلام وسط كذلك في تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي، وأبرز ما تتجلى فيه الوسطية هنا: مجال الفردية والجماعية.

• **التوازن بين الفردية والجماعية:**

وفي النظام الإسلامي تلتقي الفردية والجماعية في صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم.

لقد تخبطت الفلسفات والمذاهب من قديم، في قضية الفرد والمجتمع والعلاقة بينهما: هل الفرد هو الأصل والمجتمع طارئ مفروض عليه؛ لأن المجتمع إنما يتكون من الأفراد؟ أم المجتمع هو الأساس والفرد نافلة؛ لأن الفرد بدون المجتمع مادة غفل «خام»، والمجتمع هو الذي يشكلها ويعطيها صورتها، فالمجتمع هو الذي يُورث الفرد ثقافته وآدابه وعاداته وغير ذلك؟

من الناس من جنح إلى هذا، ومنهم من مال إلى ذلك، واحتد الخلاف بين الفلاسفة والمشرعين والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين في هذه القضية، فلم يصلوا إلى نتيجة.

كان «أرسطو» يؤمن بفردية الإنسان، ويحبذ النظام الذي يقوم على الفردية، وكان أستاذه «أفلاطون» يؤمن بالجماعية ـ الاشتراكية ـ كما يتضح ذلك في كتابه «الجمهورية».

وبهذا لم تستطع الفلسفة الإغريقية ـ أشهر الفلسفات البشرية القديمة ـ أن تحل هذه العقدة، وأن تخرج الناس من هذه الحيرة، كشأن الفلسفة

QaradawiBooks.com

دائمًا في كل القضايا الكبيرة، تعطي الرأي وضده، ولا يكاد أقطابها يتفقون على حقيقة، حتى قال أحد أساتذتها: الفلسفة لا رأي لها[١]!

وفي فارس ظهر مذهبان متناقضان: أحدهما فردي يدعو إلى التقشف والزهد، والامتناع عن الزواج، ليعجل الإنسان بفناء العالم، الذي يعج بالشرور والآلام، وهذا هو مذهب «ماني» ويمثل أقصى الفردية.

وقام في مقابله مذهب آخر يمثل أقصى «الجماعية» وهو مذهب «مزدك» الذي دعا إلى شيوعية الأموال والنساء، وتبعه كثير من الغوغاء، الذين عاثوا في الأرض فسادًا، وضجت منهم البلاد والعباد.

وقد جاءت الأديان السماوية لتقيم التوازن في الحياة، والقسط بين الناس، كما قرر ذلك القرآن الكريم[٢]، ولكن أتباعها سرعان ما حرّفوها وبدلوا كلمات الله، ففقدت بذلك وظيفتها في الحياة، حين فقدت مزيتها الأولى وهي: ربانية المصدر.

لهذا، لم تقدم الأديان السابقة قبل الإسلام حلًّا لهذه المشكلة، فقد كان اليهود الذين تفرقوا في الأرض يؤيدون الفردية، بتفكيرهم وسلوكهم القائم على الأنانية: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦١]، كما سجل عليهم القرآن العزيز.

وجاءت المسيحية أيضًا تهتم بنجاة الفرد قبل كل شيء، تاركة شأن المجتمع لقيصر، أو على الأقل، هذا ما يُفهم من ظاهر ما يحكيه الإنجيل عن المسيح، حين قال: أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله!

---

(١) انظر مقالة: الفلسفة للإمام الأكبر عبد الحليم محمود (١٤١/٥)، مجلة البحوث، العدد الخامس، من المحرم إلى جمادى الثانية ١٤٠٠هـ.

(٢) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

QaradawiBooks.com

وإذا طوينا كتاب التاريخ وتأملنا صفحات الواقع، فماذا نرى؟

إن عالمنا اليوم يقوم فيه صراع ضخم بين المذهب الفردي، والمذهب الجماعي. فالرأسمالية تقوم على تقديس الفردية، واعتبار الفرد هو المحور الأساسي، فهي تدلِّله بإعطاء الحقوق الكثيرة، التي تكاد تكون مطلقة، فله حرية التملك، وحرية القول، وحرية التصرف، وحرية التمتع، ولو أدت هذه الحريات إلى إضرار نفسه، وإضرار غيره، ما دام يستعمل حقه في «الحرية الشخصية»، فهو يتملك المال بالاحتكار والحيل والربا، وينفقه في اللهو والخمر والفجور، ويمسكه عن الفقراء والمساكين والمعوزين، ولا سلطان لأحد عليه؛ لأنه «هو حر».

والمذاهب الاشتراكية ـ وبخاصة المتطرفة منها كالماركسية ـ تقوم على الحط من قيمة الفرد والتقليل من حقوقه، والإكثار من واجباته، واعتبار المجتمع هو الغاية، وهو الأصل. وما الأفراد إلا أجزاء أو تروس صغيرة في تلك «الآلة» الجبارة، التي هي المجتمع، والمجتمع في الحقيقة هو الدولة، والدولة في الحقيقة هي الحزب الحاكم، وإن شئت قلت: هي اللجنة العليا للحزب، وربما كانت هي زعيم الحزب فحسب، هي الدكتاتور!

إن الفرد ليس له حق التملك إلا في بعض الأمتعة، والمنقولات، وليس له حق المعارضة، ولا حق التوجيه لسياسة بلده وأمته، وإذا حدثته نفسه بالنقد العلني أو الخفي، فإن السجون والمنافي وحبال المشانق له بالمرصاد!

ذلك هو شأن فلسفات البشر ومذاهب البشر، والديانات التي حرفها البشر، وموقفها من الفردية والجماعية، فماذا كان موقف الإسلام؟

QaradawiBooks.com

لقد كان موقفه فريدًا حقًّا، لم يَمِل مع هؤلاء ولا هؤلاء، ولم يتطرف إلى اليمين ولا إلى اليسار.

إن شارع هذا الإسلام هو خالق هذا الإنسان، فمن المحال أن يشرع هذا الخالق من الأحكام والنُّظم ما يعطل فطرة الإنسان أو يصادمها. وقد خلقه سبحانه على طبيعة مزدوجة: فردية واجتماعية في آن واحد. فالفردية جزء أصيل في كيانه، ولهذا يحب ذاته، ويميل إلى إثباتها وإبرازها، ويرغب في الاستقلال بشؤونه الخاصة.

ومع هذا نرى فيه نزعة فطرية إلى الاجتماع بغيره، ولهذا عُدّ السجنُ الانفرادي عقوبة قاسية للإنسان، ولو كان يتمتع داخله بما لَذَّ وطاب من الطعام والشراب.

والنظام الصالح هو الذي يراعي هذين الجانبين: الفردية، والجماعية، ولا يطغى أحدهما على الآخر. فلا عجب أن جاء الإسلام ـ وهو دين الفطرة ـ نظامًا وسطًا عدلًا، لا يجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد، لا يدلل الفرد بكثرة الحقوق التي تُمنح له، ولا يُرهقه بكثرة الواجبات التي تُلقى عليه، وإنما يكلفه من الواجبات في حدود وسعه، دون حرج ولا إعنات، ويقرر له من الحقوق ما يكافئ واجباته، ويلبي حاجته، ويحفظ كرامته، ويصون إنسانيته.

- **ما قرره الإسلام لرعاية حقوق الفرد:**

١ ـ من هنا قرر الإسلام حرمة الدم، فحفظ للفرد «حق الحياة»، وأعلن القرآن أن: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

QaradawiBooks.com

وأوجبت الشريعة في قتل العمد القصاص، إلا أن يعفو أولياء المقتول، أو يقبلوا بدلًا، وأوجبت في قتل الخطأ الدية والكفارة.

٢ ـ وقرر حرمة العرض، فصان للفرد «حق الكرامة» فلا يجوز أن يهان في حضرته، أو يؤذى في غيبته، بأي كلمة أو إشارة تسوؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ [الحجرات: ١٢].

٣ ـ وقرر حرمة المال، فصان للفرد «حق التملك» فلا يحل أخذ ماله إلا بطيب نفس منه، ولا يجوز للدولة، ولا لفرد آخر نهب ماله وأخذه بغير حق. قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[(١)].

٤ ـ وقرر حرمة البيت، فصان بذلك للفرد «حق الاستقلال الشخصي» فلا يجوز لأحد أن يتجسس عليه، أو يقتحم عليه بيته بغير إذنه، قال تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، وقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

٥ ـ وقرر للفرد «حرية الاعتقاد» فلا يجوز أن يكره على ترك دينه، واعتناق دين آخر: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

٦ ـ وقرر للفرد «حرية النقد» فمن حق كل فرد أن يُعارض ما يراه من عِوج، وما يلاحظه من تقصير، بل من واجبه ذلك إذا لم يقم غيره به، وهو ما سمَّاه الإسلام «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

٧ ـ وقرر «حرية الرأي والفكر» فمن حق كل إنسان، بل من واجبه أن يفكر وينظر، فقد أمر الإسلام الناس أن يتفكروا، وما دام التفكير حقًّا ـ أو واجبًا ـ لكل بشر، فمن حق كل مفكر أن يخطئ، ولا لوم عليه في ذلك. إن الإسلام لا يحرم المجتهد من المثوبة والأجر، وإن أخطأ إصابة الحقيقة. ففي الحديث: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»(١).

وليس في الدنيا دين ولا نظام يشجع على استعمال الفكر، ويرحب بنتائجه ـ أيًّا كانت ـ مثل هذا الإسلام، الذي يثيب على الاجتهاد الخطأ.

ثم تتعايش هذه الأفكار والاجتهادات المختلفة جنبًا إلى جنب، دون ضيق ولا تبرم، كما رأينا ذلك في عهد الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

وفي ظل هذه الحرية الفكرية ظهرت المدارس والمشارب المختلفة: في الفقه، والتفسير، والكلام وغيرها، من غير نكير، إلا ما توجبه المناقشة العلمية.

٨ ـ وقرر الإسلام «المسؤولية الفردية»، وأكدها تأكيدًا بليغًا في كتابه فقال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

وهذه الآيات تطبق على الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، فهو في الحياتين لا يحمل وزر غيره.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

• **ما قرره الإسلام لحماية حقوق المجتمع:**

ومع هذه الحقوق والحريات التي منحها الإسلام للفرد، فقد فرض عليه للمجتمع واجبات تكافئها، وقيَّد هذه الحقوق والحريات الفردية، بأن تكون في حدود مصلحة الجماعة، وألا يكون فيها مضرة للغير، وليس للفرد أن يستخدم حقه فيما يؤذي الجماعة ويضرها، إذ لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، أي: لا يضر الإنسان نفسه ولا يضار غيره، كما أن حق الفرد إذا تعارض مع حقوق الجماعة، فإن حق الجماعة أولى بالتقديم.

١ ـ فالحياة التي صانها الإسلام للفرد، إذا اقتضى المجتمع المسلم بذلها لحمايته وجب عليه أن يقدمها راضي النفس، قرير العين، معتقدًا أن الموت هنا هو عين الحياة، وكذلك إذا اعتدى على حق نفس أخرى كقاتل العمد، أو على حق المجتمع في الأمن والاستقرار، كقاطع الطريق، أو خرج على دينه وفارق الجماعة كالمرتد ـ فقدت حياته ما لها من عصمة.

٢ ـ حق التملك مقيد بأن يأخذ المال من حِلِّه، وينفقه في محلِّه، ولا يبخل به إذا طلبته الجماعة، فملكية الفرد للمال ليست مطلقة كما ينادي أنصار «المذهب الحر»، بل هي مقيدة بحدود الله وحقوق المجتمع، حتى إنَّ انتزاع هذا الملك من صاحبه يجوز للمصلحة العامة، على أن يعوض عنه ثمن المثل، ذلك أن المال مال الله، وهو مستخلف فيه، وبعبارة أخرى: هو وكيل الجماعة في رعايته وتثميره وإنفاقه، فإذا أساء التصرف في المال، كان من حق الجماعة أن تغل يده، وتحجر عليه، كما أن للجماعة عليه حقوقًا في هذا المال، بعضها دوري ثابت كالزكاة بأنواعها،

QaradawiBooks.com

وبعضها غير دوري، كما في الحديث: «**إن في المال حقًّا سوى الزكاة**»[١]، وبعضها يفرضه ولي الأمر عند الحاجة.

٣ ـ والحريات والحقوق كلها مقيدة برعاية أخلاق المجتمع وعقائده ومثله العليا، فليس معنى حرية الاعتقاد أو الرأي، إباحة الطعن على الإسلام وأهله، وإذاعة الكفر بالله ورسوله وكتابه، والتشكيك في القيم العليا، ونشر الخلاعة والفجور، فإن حرية الإفساد لا يقرها عقل ولا شرع.

٤ ـ المسؤولية الفردية التي أكدها الإسلام، نراه قد أكد كذلك مسؤولية الفرد عن الجماعة، فكل فرد في المجتمع المسلم راعٍ في مجال من المجالات، كما في الحديث الصحيح: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٢]، فكما أن الإمام راع مسؤول عن الأمة، فإن الرجل في بيته راع مسؤول عن الأسرة، والمرأة راعية في بيت زوجها، والخادم راع في مال مخدومه، وكلٌّ على ثغر من ثغور الإسلام، فلا يجوز له إهمالها... وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقتضي مسؤولية المسلم عن المجتمع، وتوجب عليه مراقبة أحواله، وتقويم عوجه إن اعوَجّ بكل ما استطاع، بيده أولًا، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه: وذلك أضعف الإيمان.

---

(١) رواه الترمذي في الزكاة (٦٦٠)، عن فاطمة بنت قيس مرفوعًا، وقال: هذا حديث إسناده ليس بذاك، وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف، وصححه من قول الشعبي. وقال القرطبي: والحديث وإن كان فيه مقال فقد دلَّ على صحته معنى ما في الآية نفسها من قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فذكر الزكاة مع الصلاة، وذلك دليل على أن المراد بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ليس الزكاة المفروضة، فإن ذلك كان يكون تكرارًا. تفسير القرطبي (٢٤٢/٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
وانظر كتابنا: فقه الزكاة (٩٧٣/٢ ـ ١٠٠١)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

إن النصيحة لكافة المسلمين: خاصتهم وعامتهم، ركن ركين من الإسلام، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وليس لمسلم أن يعتزل الحياة والناس ويقول: نفسي نفسي! ويدع نار الفساد تلتهم الأخضر واليابس من حوله، فإن هذه النار إذا تركت وشأنها، لم تلبث أن تحرقه هو، وتحرق كل ما يحرص عليه. ولهذا يقول القرآن: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وفي الحديث: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**»[(١)].

٥ ـ ومن معاني الجماعة في الإسلام ما عرف في الشريعة باسم «فروض الكفاية» فكل علم أو صناعة أو حرفة أو نظام أو مؤسسة، تحتاج إليها الجماعة المسلمة في دينها أو دنياها، فتحقيقها فرض كفاية على المسلمين، على معنى أنه إذا قام بها عدد كاف فقد ارتفع الحرج، وسقط الإثم عن باقي الجماعة، وإلا أثمت الجماعة كلها، واستحقت عقوبة الله.

٦ ـ المسلمون مسؤولون مسؤولية تضامنية عن تنفيذ شريعة الإسلام، وإقامة حدوده، ومن هنا كان خطاب التكليف في القرآن إلى الجماعة. وتكرر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[(٢)] [المائدة: ١٠٦]، بهذه الصيغة الجماعية ليؤكد وجوب التكافل بين الجماعة في تنفيذ ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، خوطبت الجماعة كلها بمثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾ [النور: ٢]، وإن كان الذي يقوم على هذه الحدود هو

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٣٤.

(٢) ذكر هذا النداء في القرآن (٨٩) مرة.

QaradawiBooks.com

الدولة والحكام؛ لأن الجماعة كلها مسؤولة عن إقامتها، مؤاخذة بعقاب الله إذا عطلتها.

٧ ـ حتى العبادة التي هي صلة بين العبد وربه، أبى الإسلام إلا أن يضفي عليها روحًا جماعية، وصبغة جماعية، فدعا إلى صلاة الجماعة، ورغَّب فيها، حتى جعلها أفضل من صلاة المسلم وحده، بسبع وعشرين درجة، وكلما كان عدد الجماعة أكبر، كان ثواب الله عليها أعظم، بل هَمَّ الرسول أن يحرق على قوم بيوتهم، لتخلفهم عن الجماعة في المسجد، ولم يُرخِّص لأعمى، يسمع الأذان، أن يصلي في بيته ويترك صلاة الجماعة، وقال: «**لا صلاة لمنفرد خلف الصف**»[1]. كراهية منه للشذوذ والانفراد، ولو في المظهر، وإذا صلى المسلم منفردًا في خلوة: لم تزل الجماعة في وجدانه وضميره، فهو إذا ناجى الله، ناجاه بصيغة الجمع، وإذا دعاه، دعاه باسم الجميع: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦].

كما شرع صلاة الجمعة في كل أسبوع مرة، وصلاة العيد في كل عام مرتين، وفرض الحج في العمر مرة على كل مسلم، وكلها شعائر لا بد أن تؤدى في صورة جماعية.

٨ ـ في مجال الآداب والتقاليد، حث الإسلام على جملة من الآداب الاجتماعية، أراد بها أن يخرج المسلم من الفردية والانعزالية، التي قد تروق للانطوائيين من الناس، فتحية الإسلام، والمصافحة عند اللقاء،

(١) رواه أحمد (١٦٢٩٧)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٠٣)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤/٤٧٤): قال الإمام أحمد: حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٢٢)، عن علي بن شيبان.

QaradawiBooks.com

وتشميت العاطس، والتزاور والتهادي، وعيادة المريض، وتعزية المصاب، وصلة الأرحام، وإحسان الجوار، وإكرام الضيف، وحسن الصُّحبة في السفر والحضر، والبر باليتامى والمساكين وابن السبيل، وغير ذلك من الآداب والواجبات، هي التي جعلت الشعور الجماعي، والتفكير الجماعي، والسلوك الجماعي، جزءًا لا يتجزأ من حياة المسلم.

٩ ـ وفي مجال الأخلاق، حث الإسلام على المحبة والإخاء والإيثار، وأمر بالتعاون على البر والتقوى، ودعا إلى توحيد الكلمة وجمع الصف، كما دعا إلى التراحم والتسامح، وإلى البذل والتضحية، واحترام النظام، والطاعة لأولي الأمر في المعروف.

وبجوار ذلك حذَّر من الحسد والبغضاء والحقد، والفرقة والتنازع، وسائر الرذائل التي نشأت من الأنانية والغلو في حب الذات، وحب الشهوات.

وبهذا كله، نعلم كيف أقام الإسلام ـ بالتشريع والتربية ـ الموازين القسط بين الفرد والمجتمع، أو بين الفردية والجماعية في حياة الإنسان، كما نتبين أن نظام الإسلام لا يعد في المذاهب الفردية، كما لا يحسب في المذاهب الجماعية؛ ذلك لأنه أخذ من كل منهما خير ما فيه، كما تنزه عن شر ما فيه، فقد اعترف بالفرد وبالمجتمع، وقرر لكل منهما حقوقه بالعدل، وألزمه واجبات تقابلها بالمعروف. وهذه هي الوسطية، وإن شئت قلت: هو التوازن الذي اختص به هذا الإسلام.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# الجمع بين الثبات والمرونة

من أجلى مظاهر «الوسطية»، التي تميزت بها رسالة الإسلام، وبالتالي يتميز بها مجتمعه عن غيره: التوازن بين الثبات والتطور، أو الثبات والمرونة. فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع، واضعًا كلًّا منهما في موضعه الصحيح. الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور.

وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الإسلام، لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية.

فالسماوية ـ عادة ـ تمثل الثبات[1]، بل الجمود أحيانًا، حتى سجل التاريخ على كثير من رجالاتها وقوفهم في وجه الحركات العلمية، والتحريرية الكبرى، ورفضهم لكل جديد في ميدان الفكر أو التشريع أو التنظيم.

وأما الشرائع الوضعية، فهي تمثل ـ عادة ـ المرونة المطلقة، ولهذا نراها في تغير دائم، ولا تكاد تستقر على حال، حتى الدساتير التي هي أم القوانين، كثيرًا ما تلغى بجرة قلم، من حاكم متغلب، أو مجلس

(١) يلاحظ أن الشرائع السماوية قبل الإسلام كانت مرحلية لزمن موقوت، ولقوم مخصوصين، فلم تكن في حاجة إلى المرونة، التي تؤهِّلها للعموم والخلود، بخلاف الإسلام، الذي بُعث رسوله إلى الناس كافة، وختم به النبيون.

QaradawiBooks.com

للثورة، أو برلمان منتخب، انتخابًا صحيحًا أو زائفًا، حتى يصبح الناس ويمسوا وهم غير مطمئنين إلى ثبات أي مـــادة، أو قاعدة قانونية، كانت بالأمس موضع التجلة والاحترام.

ولكن الإسلام، الذي ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية، أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونـــة والتطور معًا، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومه وخلوده، وصلاحيته لكل زمان وكل مكان.

ونستطيع أن نحدد مجال الثبات، ومجال المرونة، في شريعة الإسلام ورسالته الشاملـــة الخالدة، فنقول: إنه الثبات علـــى الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب.

الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات.

الثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية.

- **دلائل الثبات والمرونة في مصادر الإسلام وأحكامه:**

إن للثبات والمرونة مظاهر ودلائل شتى، نجدها في مصادر الإسلام، وشريعته وتاريخه.

يتجلى هذا الثبات في «المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع» من كتاب الله، وسُنَّة رسوله، فالقرآن هو الأصل والدستور، والسُّنَّة هي الشرح النظري، والبيان العملي للقرآن. وكلاهمـــا مصدر إلهي معصوم، لا يسعُ مسلمًا أن يُعرض عنـــه: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

QaradawiBooks.com

وتتجلى المرونة في «المصادر الاجتهادية» التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها، ما بين موسِّع ومُضيِّق، ومُقِل ومُكثر، مثل: الإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وأقوال الصحابة، وشرع من قبلنا، وغير ذلك من مآخذ الاجتهاد، وطرائق الاستنباط.

وأحكام الشريعة[١] تنقسم إلى قسمين بارزين: قسم يمثل الثبات والخلود، وقسم يمثل المرونة والتطور.

نجد الثبات يتمثل في العقائد الأساسية الخمس، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهي التي ذكرها القرآن في غير موضع كقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وفي الأركان العملية الخمسة من الشهادتين وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، وهي التي صح عن الرسول ﷺ أن الإسلام بُني عليها[٢].

وفي المحرمات اليقينية من السحر، وقتل النفس، والزِّنى، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، والتولي يوم الزحف، والغصب والسرقة، والغيبة والنميمة، وغيرها مما يثبت بقطعي القرآن والسُّنَّة.

---

(١) نريد بالشريعة هنا: ما هو أعم من الجانب القانوني في رسالة الإسلام، بل المراد: ما بعث الله به محمدًا ﷺ، من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق وغيرها. كما عرفها بذلك التهانوي في كشاف اصطلاحات العلوم والفنون (١٠١٨/١، ١٠١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وفي أمهات الفضائل من الصِّدق، والأمانة، والعفة، والصبر، والوفاء بالعهد، والحياء وغيرها من مكارم الأخلاق التي اعتبرها القرآن والسنة من شعب الإيمان.

وفي شرائع الإسلام القطعية في شؤون الزواج، والطلاق، والميراث والحدود، والقصاص، ونحوها من نظم الإسلام التي ثبتت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، فهذه الأمور ثابتة، تزول الجبال ولا تزول.

يقول الإمام ابن القيم في كتاب «إغاثة اللهفان»: «الأحكام نوعان:

نوع: لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة، ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانًا وحالًا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوِّع فيها حسب المصلحة، وقد ضرب ابن القيم لذلك عدة أمثلة من سنة النبي ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين المهديين من بعده ـ ثم قال: «وهذا باب واسع، اشتبه فيه على كثير من الناس الأحكام الثابتة اللازمة التي لا تتغير، بالتعزيرات التابعة للمصالح وجودًا وعدمًا»[1].

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/٣٣٠ ـ ٣٣٣)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## • الثبات والمرونة في هدي القرآن:

والذي يتدبر القرآن الكريم، يجد في نصوصه المقدسة دلائل جمة، على هذه الخصيصة البارزة، من خصائص الأمة المسلمة، وهي: الجمع بين الثبات والمرونة جمعًا متوازنًا عادلًا.

وإذا كان بالمثال يتضح المقال، فلا بأس أن نذكر هنا بعض الأمثلة التي توضح ما قلناه:

١ ـ يتمثل الثبات في مثل قوله تعالى في وصف مجتمع المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وفي قوله لرسوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فلا يجوز لحاكم، ولا لمجتمع، أن يلغي الشورى من حياته السياسية والاجتماعية، ولا يحل لسلطان أن يقود الناس رغم أنوفهم إلى ما يكرهون، بالتسلط والجبروت.

وتتمثل المرونة، في عدم تحديد شكل معين للشورى، يلتزم به الناس في كل زمان وكل مكان، فيتضرر المجتمع بهذا التقييد الأبدي، إذا تغيرت الظروف بتغير البيئات أو الأعصار أو الأحوال، فيستطيع المؤمنون في كل عصر أن ينفذوا ما أمر الله به من الشورى، بالصُّورة التي تناسب حالهم وأوضاعهم، وتلائم موقعهم من التطور، دون أي قيد يلزمهم بشكل جامد.

٢ ـ يتمثل الثبات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فأوجب التقيد بالعدل والالتزام بكل ما أنزل الله، والحذر من اتباع الأهواء، وكل هذا مما لا مجال للتساهل فيه، فهو يمثل جانب الثبات قطعًا في مجال الحكم والقضاء.

QaradawiBooks.com

وتتمثل المرونة في عدم الالتزام بشكل معين للقضاء والتقاضي، وهل يكون من درجة أو أكثر؟ وهل يسير على أسلوب القاضي المفرد، أم على أسلوب المحكمة الجماعية؟ وهل يكون هناك محكمة جنايات وأخرى للمدنيات، إلخ؟ كل هذا متروك لاجتهاد أولي الأمر، وأهل الحل والعقد في مثل هذه الأمور، وليس للشارع قصد فيه إلا إقامة العدل، ورفع الظلم، وتحقيق المصلحة، ودرء المفسدة.

لقد اهتم الشارع بالنص على المبدأ والهدف، ولكنه لم يعتنِ بالنص على الوسيلة والأسلوب، وذلك ليدع الفرصة، ويفسح الطريق للإنسان كي يختار لنفسه الأسلوب المناسب، والصورة الملائمة لزمنه وبيئته، ووضعه وحالته.

- **الثبات والمرونة في الهدي النبوي:**

وإذا تأملنا في السنة المطهرة ـ قولًا وفعلًا وتقريرًا ـ وجدناها حافلة بشتَّى الأمثلة والدلائل، التي يتمثل فيها الثبات والمرونة جنبًا إلى جنب:

١ ـ يتمثل الثبات في رفضه ﷺ التهاون أو التنازل في كل ما يتصل بتبليغ الوحي أو يتعلق بكليات الدين، وقيمه، وأسسه العقائدية والأخلاقية.

ومهما حاول المحاولون أن يثنوا عِنانه عن شيء من ذلك بالمساومات، أو التهديدات، أو غير ذلك من أنواع التأثير على النفس البشرية، فموقفه هو الرفض الحاسم، الذي علمه إياه القرآن في مواقف شتى. فحين عرض عليه المشركون، أن يلتقوا في منتصف الطريق، فيقبل شيئًا من عبادتهم ويقبلوا شيئًا من عبادته، لو يعبد آلهتهم مدة، ويعبدوا إلهه مدة: كان الجواب الحاسم يحمله الوحي الصادق، في سورة قطعت كل المساومات، وحسمت كل المفاوضات، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون ١ ـ ٦].

ولما تلا عليهم آيات الله بيِّنات، منكرة عليهم شركهم وعنادهم، ناعية ضلالهم وجحودهم، قالوا له ﷺ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]، فكان الرد القاطع، تلقينًا من الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

وهكذا تعلم ﷺ من وحي الله: أن لا تنازل ولا تساهل في أمور العقيدة وما يتصل بها.

وفي مقابل ذلك، نجد مرونة واسعة في مواقف السياسة و«التكتيك» ومواجهة الأعداء، بما يتطلبه الموقف المعين، من حركة ووعي وتقدير لكل الجوانب والملابسات، دون تزمت أو تشنج أو جمود.

نجده في يوم الأحزاب مثلًا يأخذ برأي «سلمان» في حفر الخندق حول المدينة، ويشاور بعض رؤساء الأنصار في إمكان إعطاء بعض المهاجمين مع قريش جزءًا من ثمار المدينة، ليردهم ويفرقهم عن حلفائهم، كسبًا للوقت إلى أن يتغير الموقف.

ويقول لنعيم بن مسعود الأشجعي، وقد أسلم، وأراد الانضمام إلى صفوف المسلمين: «**إنما أنت رجل واحد، فخذِّل عنا ما استطعت**»[1]. فيقوم الرجل بدور له شأنه، في التفريق بين قريش وغطفان ويهود بني قريظة.

(١) رواه الطبري في تهذيب الآثار مسند علي (٢١٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٣٩٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٧٧٧)، عن نعيم بن مسعود.

غير مرخص للطباعة

QaradawiBooks.com

وفي يوم الحديبية تتجلى المرونة النبوية بأروع صورها.

تتجلى في قوله ذلك اليـــوم: «**والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها**».

وفي قبوله ﷺ أن يكتب في عقد الصلح: «باسمك اللهم» بدل «بسم الله الرحمٰن الرحيم» وهي تسمية رفضتها قريش.

وفي قبوله ﷺ أن يمحو كلمة «رسول الله» بعـــد اسمه الكريم، على حين رفض علي رضي الله عنه، أن يمحوها بعد كتابتها.

وفي قبوله من الشروط ما في ظاهـــره إجحاف بالمسلمين، وإن كان في عاقبته الخير كل الخير[1].

والســـر في هذه المرونـــة هنا، والتشـــدد في المواقـــف السابقة: أن المواقف الأولى تتعلق بالتنازل عن العقيـــدة والمبدأ، فلم يقبل فيها أي مساومة أو تساهل، ولم يتنازل قيد أنملة عن دعوته. أما المواقف الأخيرة فتتعلق بأمور جزئية، وبسياسات وقتية، أو بمظاهر شـــكلية، فوقف فيها موقف المتساهل.

٢ ـ يتمثل الثبـــات والمرونة معًا في موقفه ﷺ مـــن وفد ثقيف وقد عرضوا عليه أن يدخلوا الإسلام ـ ولكنهم سألوه أن يدع لهم «الطاغية» ـ وهي «الـــلات» التي كانوا يعبدونهـــا في الجاهلية ـ ثـــلاث سنين فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سَنـــة سَنة ويأبى عليهم، حتى سألوه شـــهرًا واحـــدًا بعد مقدمهـــم فأبى عليهـــم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها.

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

QaradawiBooks.com

وقد كانوا سألوه مع تـرك «الطاغية»، أن يعفيهـم من الصلاة، وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه**»[1].

فهو ﷺ أمام العقائد والمبادئ لا يتنـازل ولا يترخص ولا يتسامح، كما في أمر «الطاغية» وأمر الصلاة. وأما في الكيفيات والجزئيات ففيها متسع للترخيـص والمسامحة كما فـي كسر الأوثان بأيديهـم فهو أمر لا يتعلق بالمبدأ، بل بطريقة التنفيذ.

- **الفقه الإسلامي بين الثبات والتطور:**

ولا عجب بعد ما ذكرنا من هدي القـرآن، وسنة الرسول، ومواقف الصحابة، مـن الثبات والمرونـة ـ أن نجد الفقـه الإسلامي، بمختلف مدارسـه ومذاهبـه، يسير في نفـس هذا الاتجـاه ثابتًا علـى الأصول والكليات، مرنًا متطورًا في الفروع والجزئيات.

إنَّه لا يعطي المسلم حرية مطلقة فـي تنظيم حياته ولو على حساب عقائده وقِيمـه ومفاهيمه، كما أنـه لا يقيده في كل شـؤونه بتشريعات مفصلة دائمة، لا يستطيع الفكاك منها.

فالفقيه المسلم، مقيّد حقًّا بالنصوص المحكمة الثابتة من القرآن والسنة، وهي المجزوم بثبوتها، القواطع في دلالتها، التي أراد الشارع الحكيم أن تلتقي عندهـا الأفهام، ويرتفع عندهـا الخلاف، وينعقد عليها الإجمـاع، فهي أساس الوحدة الفكريـة والسلوكية، للمجتمع المسلم، وهي للأمة كالجبال للأرض تمسكها أن تميد، وتحميها أن

(١) سبق تخريجه صـ٣٦١.

QaradawiBooks.com

تضطرب وتتزلزل، وهذا النوع من النصـــوص قليل جدًّا بالنسبة إلى سائر النصوص.

ومع هذا التقيـــد الملزم، يجد الفقيه المسلـــم نفسه في حرية واسعة أمام منطقتين فسيحتين، من مناطق الاجتهاد وإعمال الرأي والنظر:

- **منطقة الفراغ التشريعي:**

أما المنطقة الأولى، فهي ما يمكن تسميته: «منطقة الفراغ التشريعي» تلك المنطقة التي تركتها النصوص ـ قصدًا ـ لاجتهاد أولي الأمر والرأي، وأهـــل الحل والعقد فـــي الأمة، بما يحقـــق المصلحة العامـــة، ويرعى المقاصد الشرعية، من غيـــر أن يقيدنا الشارع فيها بأمـــر أو نهي. وهي المنطقة التي يسميهـــا بعض الفقهـــاء «العفو» تبعًا لما جـــاء في بعض الأحاديث: «**ما أحـــل الله في كتابه فهو حلال، وما حـــرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا، وتلا:** ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]»[(١)].

وفي حديث آخر: «**إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[(٢)].

فالحدود التي قدرها الشرع، لا يجوز اعتداؤها، مثل تحديد الطلاق

---

(١) سبق تخريجه صـ٣١٧.

(٢) رواه الطبراني (٢٢١/٢٢)، والدارقطني في الرضـــاع (٤٣٩٦)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٦): رجاله رجال الصحيح. وحسنه النووي في رياض الصالحين (١٨٣٢)، وقال الألباني في تخريج الإيمان لابن تيمية صـ ٤٤: حسن بشاهده. عن أبي ثعلبة الخشني.

QaradawiBooks.com

الذي تجوز بعده الرجعة بمرتين، وتحديد عدة المطلقة بثلاثة قروء أو بوضع الحمل، وتحديد أنصبة الورثة في تركة الميت، وتحديد نصاب الزكاة ومقدار الواجب فيها، وكذلك العقوبات المقدرة بمائة جلدة، أو بثمانين، أو بقطع اليد ونحوها.

ومثل ذلك الفرائض التي أوجبها الله كالعبادات الأربع التي هي أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ومثل ذلك الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، وأداء الأمانات، والحكم بالعدل وغيرها.

وكذلك المحرمات اليقينية، التي أشرنا إليها من قبل، مثل: الشِّرك والسحر، والقتل، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، والزِّنى وشرب الخمر، والسرقة وشهادة الزور، ونحوها.

وما عدا هذه الحدود والفرائض والمحرمات، فهي أمور مسكوت عنها، متروكة للاجتهاد، رحمة بالأمة، وتيسيرًا وتوسعة عليها، وبهذا تجد أمامها مجالًا رحبًا مرنًا، تتحرك فيه بيسر وسهولة دون أن تشعر بالإثم في دينها، أو الحرج في دنياها.

أما كيف تملأ الأمة هذا «الفراغ التشريعي» أو «منطقة العفو» التي تركتها النصوص قصدًا، كما قلنا، فهناك طرائق ومسالك عديدة يختلف في تقديرها وفي الأخذ بها فقهاء الشريعة، ما بين قابل ورافض، ومُطلِق ومقيِّد، ومُقلٍّ ومُكثر.

هناك القياس بقيوده وشروطه، وإن خالف فيه بعض المعتزلة والظاهرية والإمامية.

QaradawiBooks.com

هناك الاستحسان الذي أخذ به الحنفية والمالكية وجاء عن بعضهم: إنه تسعة أعشار العلم.

هناك الاستصلاح أو اعتبار المصلحة المرسلة، وهي التي لم يجئ نص خاص من الشارع باعتبارها ولا بإلغائها، واشتهر الأخذ بها عند المالكية، وإن كانت المذاهب الأربعة كلها قد أخذت بها عند التحقيق والتطبيق، كما يتضح ذلك بالقراءة والاستقراء لكتب كل مذهب.

هناك اعتبار العرف بقيوده وشروطه، ولهذا كان من القواعد الكلية الشرعية: أن العادة محكَّمة، وأن المعروف عرفًا كالمشروط نصًّا.

- **منطقة النصوص المحتملة:**

الثانية: منطقة النصوص المتشابهات، التي اقتضت حكمة الشارع أن تجعلها هكذا محتملات، تتسع لأكثر من فهم، وأكثر من رأي، ما بين مُوسِّع ومُضيِّق، وما بين قياسي وظاهري، وما بين متشدد ومترخص، وما بين واقعي ومفترض.

وفي كل هذا فسحة وسَعة لمن أراد الموازنة والترجيح، وأخذ أقرب الآراء إلى الصواب، وأولاها بتحقيق مقاصد الشرع، فقد يصلح رأي لزمن ولا يصلح لآخر، أو يصلح لبيئة ولا يصلح لأخرى، أو يصلح لحال ولا يصلح لغيره.

وهكذا نجد في النظام الإسلامي مواضع إجماعية، لم يختلف فيها اثنان من علماء الأمة، وهي الأسس الثابتة، التي يرتكز عليها بناء النظام الإسلامي، مثل ملكية الأرض للأفراد، وجواز استغلالها، وشرعية توارثها، فهذا مما لم يخالف في ثبوته ومشروعيته أحد من فقهاء المسلمين.

QaradawiBooks.com

ولكن إذا جئنا إلى طريقة استغلال الأرض، وجدنا مذاهب وأقوالًا شتى، يستند كل منها إلى أدلة شرعية محتملة للتضعيف والترجيح.

فهناك من يقول بمنع المزارعة، وبإباحة المؤاجرة استنادًا إلى ما ورد في ذلك من آثار، وإلى المشروعية العامة للإيجار والاستئجار في سائر الأشياء، ومنهم من عكس فأباح المزارعة لما صح من معاملة النبي لأهل خيبر على أساسه ولما فيها من المشاركة في المغنم والمغرم، ولكنه منع المؤاجرة لما فيها من مخاطرة بالبذور والنفقة والجهد دون فائدة محققة للمستأجر مع الربح المحقق للمالك، أما المزارعة ففيها اشتراك في الغُنْم والغُرْم، قَلّ أو كثُر.

وهناك من يجيز المزارعة والمؤاجرة جميعًا، بشرط ألا تشتمل المزارعة على شرط فاسد؛ لأنه لم يصح عنده نهي مطلق عن هذه أو تلك.

وبعضهم يوجب في المؤاجرة أن يضع المالك من الأجرة، في حالة الجوائح والآفات تصيب الزرع وفقًا لقدر الخسارة، لما جاء في الحديث أن النبي ﷺ «**أمر بوضع الجوائح**»[1].

وهناك من لا يجيز المزارعة ولا المؤاجرة جميعًا، ويوجب على المالك أحد أمرين:

إما أن يزرع أرضه بنفسه وأدواته.

وإما أن يعيرها لغيره ليزرعها بدون مقابل، أخذًا بحديث: «**من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه**»[2].

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٥٤)، عن جابر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤٠)، ومسلم في البيوع (١٥٣٦)، عن جابر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أية مرونة، وأيــة سعة، يجدهــا الفقيه المسلــم، وبالتالي المجتمع المسلم إزاء هذه الآراء المتنوعة، وهذه الخصوبة الفقهية المثرية؟

إن لكل رأي من هذه الآراء مستنده الفقهي، ودليله الشرعي، ولكل منها وجهة معتبرة.

ويمكننا أن نأخذ بما نراه أرجح وأقوى، وأدنى إلى تحقيق المصلحة بالنظر إلى ظروف مجتمعنا وعصرنا، دون أن ينكر علينا فقيه واحد؛ لأن من المتفق عليه: أنه لا إنكار على مجتهد في المسائل الاجتهادية.

فهذه هي شريعة الإسلام: لو شــاء الله لجعل أحكامها كلها منصوصًا عليها، نصًّا قطعي الثبوت قطعي الدلالــة، وبذلك لا يكون هناك مجال لاجتهــاد أو استنباط، ولاختــلاف المشارب وتعدد المــدارس، وتطور الآراء، وتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال، وإنما هو حكم واحد ثابت مؤيد.

- **تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد:**

ومن هنا لم يجد المحققون من فقهاء المسلمين، في مختلف العصور أي غضاضة أو حــرج في إعلان وجــوب تغير الفتــوى، بتغير الأزمنة والأمكنة، والأعراف والأحوال.

يقول الإمام ابــن القيم فــي فصل تغيــر الفتــوى واختلافها بحسب ما ذكرناه: «هذا فصل عظيــم النفع جدًّا، وقد وقع بسبــب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ـ ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتــب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها علــى الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد،

QaradawiBooks.com

وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل»[١].

وكذلك كتب الإمام القرافي المالكي في كتابه «الأحكام» مبينًا أن استمرار الأحكام، التي مدركها العرف والعادة ـ مع تغير تلك العوائد ـ خلاف الإجماع وجهالة في الدين.

كما عالج ذلك في كتابه «الفروق» بهذه الروح نفسها[٢].

وفي القرن الثالث عشر الهجري، كتب علامة متأخري الحنفية «ابن عابدين» رسالته المشهورة «نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العُرف» مستخلصًا أحكامها مما قرره علماء المذهب أنفسهم وأفتوا به في مختلف الأعصار.

وقد ذكر في هذه الرسالة النافعة: أن كثيرًا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عُرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولًا، للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد.

ولهذا نرى مشايخ المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد «إمام المذهب» في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه، لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به، أخذًا من قواعد مذهبه[٣].

(١) إعلام الموقعين (١١/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
(٢) انظر: الفروق للقرافي (٢٩٠/٣)، نشر عالم الكتب.
(٣) مجموعة رسائل ابن عابدين (١٢٥/٢)، نشر عالم الكتب.

QaradawiBooks.com

ومن أمثلة ما تغيرت فيه الفتوى والحكم بتغير البيئات، والأزمان، والأحوال: ما وقع من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذ كان واليًا على المدينة، فكان يحكم للمدعي بدعواه، إذا جاء بشاهد واحد وحلف اليمين، فيعد يمين المدعي قائمة مقام الشاهد الثاني، فلما ولي الخلافة، وأقام في عاصمة الدولة بالشام لم يحكم إلا بشهادة رجلين، أو رجل وامرأتين فسُئل في ذلك فقال: لقد وجدنا أهل الشام على غير ما عليه أهل المدينة[1].

وما فعله عمر في الشام لا ينافي ما جاء عن النبي ﷺ «**أنه قضى بشاهد ويمين**»[2]، فإن قضاء النبي ﷺ بذلك يدل على جوازه ومشروعيته، ولا يدل على الوجوب والإلزام، فيجوز القضاء بالشاهد الواحد مع اليمين في بعض الحالات، وتركه في حالات أخرى، بناءً على اعتبارات صحيحة، كما فعل عمر بن عبد العزيز.

كما أنه من المجازفة ـ وقد صح حديث الشاهد مع اليمين ـ أن يرد الحديث ردًّا مطلقًا، ويمنع العمل به في أي حال من الأحوال.

* * *

(١) انظر: أصول التشريع الإسلامي للأستاذ علي حسب الله صـ ١٠٥، نشر دار المعارف، مصر، ط ٥، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م، وراجع إعلام الموقعين (٧١/٣) وما بعدها، فصل: اختلاف الفتوى باختلاف الأزمنة والأمكنة.

(٢) رواه مسلم في الأقضية (١٧١٢)، وأحمد (٢٩٦٧)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

## الباب الرابع

# أهداف الإسلام

- بناء الإنسان الصالح.
- بناء الأسرة الصالحة.
- بناء المجتمع الصالح.
- بناء الأمة الصالحة.
- بناء الدولة الصالحة.
- الدعوة إلى خير الإنسانية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

# بناء الإنسان الصالح

أول ما يهدف إليه الإسلام هو بنـــاء «الإنسان الصالح» الجدير بأن يكون خليفة الله في الأرض، والذي كرَّمه الله أفضل تكريم، وخلقه في أحسن تقويم، وسخر له ما في السماوات والأرض جميعًا، فهو إنسان اكتملت فيه خصائص الإنسانية، وارتفع عن حضيض الحيوانيـــة البهيمية أو السَّبُعية، وهذا الإنسان الصالح هو أساس الأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح، والأمة الصالحة.

- **إنسان إيمان وعقيدة:**

وإنسان الإسلام هـــو ـ قبل أي اعتبـــار ـ إنسان إيمـــان وعقيدة، قد اتضحت فكرته عن نفسه، وعن العالم من حوله، فهو ليس نباتًا «شيطانيًّا» كنبات البرِّية، ظهر وحده من غيـــر زارع زرعه، ولا الكون من حوله برز وحده من غير خالق خلقه ومُدبِّـــر دبَّره، بل هو يؤمـــن أن له ربًّا خلقه فسواه فعدله، وعلمه البيان، ومنحه العقل والإرادة، وأرسل إليه الرسل، وأنزل له الكتب، وأقام عليه الحجة، وعرَّفه الغاية والطريق.

كما أن هذا العالم البديع وراءه خالق عظيم، خلق كل شـــيء فقدَّره تقديرًا، وأعطى كل شـــيء خلقـــه ثم هدَى، ولكن الـــذي خلقه سيفنيه، ويُبدل به عالمًـــا آخر، هو عالم الخلود، فيه توفـــى كل نفس ما كسبت، وتُجزى بما عملت، وهم لا يظلمون.

QaradawiBooks.com

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨].

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

وبهذا عاش الإنسان المسلم مؤمنًا بالله تعالى، مؤمنًا برسالاته، بجميع كتبه ورسله، وآخرها رسالة محمد ﷺ، مؤمنًا بلقائه تعالى وحسابه وعدالة جزائه، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۞ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١٠٩ ـ ١١٢].

إن هذا الإيمان هو أول ما يميز الإنسان المسلم، فهو مؤمن بعقيدة جوهرها التوحيد، ومعنى التوحيد: أنه لا خالق إلا الله، ولا معبود إلا الله، فهو يعني توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فقد كان مشركو العرب يؤمنون بأن الله هو وحده خالق السماوات والأرض، كما حكى عنهم القرآن: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

ومع هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، رأيناهم يعبدون مع الله آلهة أخرى، بغير سلطان ولا برهان، إلا دعاوى فارغة، مثل قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

QaradawiBooks.com

والإسلام جاء دعوة تحريرية كبرى، لتحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله تعالى: من عبوديته للطبيعة، وللأشياء، في الأرض كانت أو في السماء، ومن عبوديته للحيوان، ومن عبوديته للشيطان، ومن عبوديته للإنسان، سواء كان ملكًا أم كاهنًا، بل من عبوديته لنفسه وهواه، فلا يعبد إلا الله، ولا يشرك به شيئًا. ولهذا كان يبعث النبي ﷺ برسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، ويختم رسائله إليهم بهذه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

## • إنسان نُسك وعبادة:

وإنسان الإسلام كذلك، إنسان نُسك وعبادة، فهو يعلم أن الكون من حوله خُلِق له، أما هو فَخُلق لله وحده، وبهذا أدرك غاية حياته، وسر وجوده.

فعبادة الله وحده لا شريك له، هي غاية غاياته، فلها خُلق، ومن أجلها سخر له ما في السماوات وما في الأرض. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

إن المخلوقات يخدم بعضها بعضًا ـ كل جنس يخدم ما كان أعلى منه مرتبة، فالجماد يخدم النبات، والنبات يخدم الحيوان، والحيوان يخدم الإنسان، فمن يخدم الإنسان؟

الإنسان لم يخلق إلا لخدمة ربه وبارئه، أي لعبادته، وعبادته وحده، دون إشراك أحد أو شيء من خلقه في الأرض، أو في السماء.

بهذا بعث الله الرُّسل على مختلف العصور والأزمان: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

QaradawiBooks.com

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن هنا يصبح الإنسان المسلم متعبدًا لله تعالى، مؤتمرًا بأمره، منتهيًا عما نهى عنه، جاعلًا خشيته وتقواه نصب عينه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وتتمثل العبادة أول ما تتمثل في إقامة الشعائر الكبرى التي فرضها الإسلام وجعلها من أركانه العظام، من الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم ما يكملها من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، والتسبيح والتهليل والتكبير.

فالمسلم يذكر ربه في كل حين، وعلى أية حال، في أكله وشربه، وعند نومه وعند يقظته، وفي إصباحه وإمسائه، ولدى مدخله ومخرجه، ويوم سفره وأوبته، وعند لبسه ثوبه، أو ركوبه مركبته، حتى عند ممارسته الغريزية مع أهله، لا ينسى في هذه المواقف وغيرها أن يذكر الله تعالى شأن أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وإذا كان أكثر أتباع الأديان لا يعبدون ربهم إلا مرة في كل أسبوع، فإنَّ المسلم على موعد مع الله كل يوم خمس مرات، في صلواته المفروضة، ثم هو مع الله دائمًا بالنوافل والذكر والدعاء والاستغفار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

على أن المسلم يستطيع أن يجعل حياته كلها عبادة إذا التزم منهج الله، وقصد بعمله ـ حتى الدنيوي ـ وجه الله تعالى.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

## • إنسان خُلُق وفضيلة:

والإنسان المسلم ـ إلى جوار كونه إنسان إيمان وعقيدة، وإنسان نُسُك وعبادة ـ هو أيضًا إنسان خلق وفضيلة، تتجسَّم فيه الطهارة بكل معانيها، وتتمثل فيه فضائل العدل والرحمة والإيثار، قد اتخذ من رسول الله «أسوة حسنة» وقد بعثه الله «ليتمم مكارم الأخلاق»، ووصفه بأنه «على خُلُق عظيم»، فهو يقتبس من نوره ويهتدي بهداه، ويتخلَّق بخلقه، ليكون أقرب إليه يوم القيامة. فهو إنسان قد انتصر على نوازعه وشهواته، حين زكَّى نفسه بالرياضة والمجاهدة والمراقبة، حتى انتقلت من «النفس الأمارة بالسوء» إلى «النفس اللوامة»، وبهذا استحقت «الفلاح» حين انتصرت فيها التقوى على الفجور، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

لقد علمنا الإسلام أن الخلق والفضيلة من لوازم العقيدة، وتمام الإيمان، كما أنهما ثمرة لازمة للعبادة الحقة، وإذا لم تثمر العبادة في الخلق والسلوك دل ذلك على أنها عبادة مدخولة.

والقرآن الكريم يحدثنا عن الإيمان مجسدًا في أخلاق وفضائل، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٨].

والرسول الكريم يحدثنا عن الإيمان كذلك في صورة أخلاق وأعمال وفضائل، كما في قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل**

QaradawiBooks.com

**رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**[١].

«**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٢].

وقد ألَّف الإمام البيهقي كتابًا كبيرًا سمَّاه «الجامع لشعب الإيمان».

يشمل كل الفضائل وأعمال الخير التي دعا إليها الإسلام، واعتبرها كلها من شُعَب الإيمان، كما دل على ذلك الحديث.

والعبادات الشعائرية المفروضة من شأنها أن تثمر زكاة النفس بالفضائل، وطهارتها من الرذائل، كما أشار إلى ذلك القرآن؛ إذ يقول في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وفي شأن الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وفي شأن الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وفي الحديث عند البخاري: «**من لم يَدَع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[٣].

«**رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبّ قائم ليس له من قيامه إلا السَّهَر**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٩١.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٩١.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٩٣.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٩٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وخُلُق المسلم لا يتجزأ، فهو ليس كخُلق اليهودي الذي يحرم الربا في تعامله مع مثله، ويستحلُّهُ في تعامله مع الآخرين، وليس كخلق إنسان الغرب الاستعماري الذي يتعامل داخل أوطانه بأخلاق وفضائل مثالية، فإذا تعامل مع البلاد الأخرى سرق وظلم، وطغى واستكبر.

المسلم يعدل مع من يُحب ومن يَكره، مع القريب الأقرب، ومع العدو الأبعد، ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٨].

- **إنسان شريعة ومنهج:**

والمسلم ـ فضلًا عن التزامه بالخُلُق والفضيلة ـ هو ملتزم كذلك بمنهج رباني، بشريعة محكمة، مفروضة عليه من ربه، أحلَّت له الحلال، وحرَّمت عليه الحرام، وحدَّدت له الواجبات، وبيَّنت له الحقوق، وفصَّلت له كل ما يحتاج إليه، فلم تدعه هملًا، ولم تتركه نهبًا للفلسفات والأنظمة البشرية المتضاربة، تميل به عن يمين وشمال، بل رسمت له «الصراط المستقيم» وألزمته بالسير فيه، مراعية ما يعرض له من أعذار، فشرعت له الرُّخص، ويسرت عليه الأمر، ومقدرة ما يطرأ عليه من ضرورات، فأباحت له بعض ما حظرت عليه بقدر ما توجب الضرورة وحجمها وزمنها، من غير بغي ولا عدوان، كما قال تعالى في شأن الأطعمة المحرمة: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

المسلم مقيد في حياته كلها بما أحل الله له، فهو ليس «سائبًا» يفعل «ما يشتهي»، بل هو منضبط بفعل «ما ينبغي».

QaradawiBooks.com

فإذا أخذنا الأكل مثلًا، فهو لا يأكل الميتة ولا الدم ولا لحم الخنزير، ولا يأكل من اللحم إلا ما ذبح ذبحًا شرعيًّا، أما ما لم يذبح، أو «ذبح على النصب» أو «أُهلَّ لغير الله به» فلا يحل للمسلم أكله.

وكذلك لا يحل له أن يأكل طعامًا غُصِب من صاحبه الشرعي، أو سُرِق أو أُخذ بالباطل، كما لا يحل له أن يأكل طعام امرئ بغير طيب نفس منه.

والوعيد في ذلك شديد، فكل جسد نبت من سحت، فالنار أولى به.

وكذلك لا يحل للمسلم أن يتناول أي طعام أو أي مادة يضره تناولها؛ لأنه ليس ملك نفسه، والإضرار بنفسه حرام؛ لأنه قتل بطيء لها، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩].

والرسول يقول: «**لا ضرر ولا ضرار**»[1] أي لا تضروا أنفسكم، ولا تضاروا غيركم.

ومن هنا كان تناول «التبغ» وملحقاته ـ بعد أن ثبت ضرره علمًا وطبًّا وواقعًا ـ حرامًا بلا شك، ومن باب أولى: المخدرات التي هي بمنزلة

(١) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس. ورواه الدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسقط أبا سعيد. وله طرق يقوي بعضها بعضًا. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث: وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. وقال ابن الملقِّن: وصحَّحه إمامنا ـ أي الشافعي ـ في حرملة. خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م. وقال ابن رجب: وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. في جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

السموم، فالتحريم في الإسلام يتبع الخبث والضرر: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما أن المسلم لا يشرب الخمر، حفاظًا على عقله وجسمه وخلقه، ويعتبرها أم الخبائث ورجسًا من عمل الشيطان، وكبيرة منافية للإيمان، كما في الحديث الصحيح: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[(١)].

وحتى المأكل الحلال، والمشرب الحلال، لا يتناوله المسلم في آنية الذهب، أو الفضة، فإن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب أو الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم، كما صح بذلك الحديث[(٢)].

وهو حين يأكل أو يشرب ما يحل له، لا يتجاوز الحد المناسب، فيدخل في دائرة الإسراف المحرم، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

والمسلم في علاقاته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مقيد بأحكام الشريعة الإلهية، فهو يتزوج أو يطلق، ويبيع ويشتري، ويستأجر ويؤجر، ويكتسب وينفق، ويتملك ويهب، ويرث ويورث، ويحكم ويحتكم، ويسالم ويحارب، وفقًا لأوامر الشريعة ونواهيها، واقتضائها وتخييرها: «**فما أحل الله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٩١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٦٣٤)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥)، عن أم سلمة.

(٣) سبق تخريجه صـ٣١٧.

QaradawiBooks.com

• **إنسان دعوة وجهاد:**

والإنسان المسلم فوق ذلك: إنسان دعـــوة وجهاد، أعني أنه لا يقف عند صلاح نفســـه، بل يبذل جهده لإصلاح غيـــره، ودعوة الآخرين إلى ما هداه الله إليه.

ومن هنا وجدنا سورة العصر ـ على وجازتها ـ تشترط لنجاة الإنسان من خسر الدنيا والآخرة ـ إلى جوار الإيمان وعمل الصالحات ـ التواصي بالحق والتواصي بالصبر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

ومعنى التواصي هنا: أن يوصي غيره بالحق ويدعوه إليه، وأن يتقبل من غيره الوصية بالحق كذلـــك، فكل مسلم موصٍ، وموصي بالحق في الوقت ذاته، وهذا هو معنى التواصي.

فالمسلم بطبيعتـــه داعية؛ لأنه يوقن أن رسالتـــه للعالم كله، وللزمن كله، وللحياة كلها، فهو يسعى لمد شعاعها، وتعميم رحمتها على العالم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وكما أن محمدًا ﷺ بعث رحمة للعالميـــن، كما علمنا القرآن، وكما قال عن نفسه: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[(١)]، فأمته مبعوثة كذلك بما بعثه الله به، وكل من اتبعه فهو داعية إلـــى الله، مقتديًا به، كما قال تعالى مخاطبًا لـــه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، فكل مَن اتبعه عليه الصلاة والسلام فهو داع إلى الله على بصيرة، أو هكذا يجب أن يكون.

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وهكذا قال الصحابي ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: إن الله «ابتعثنا» لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1].

والمسلم يبدأ دعوته في محيطه الخاص أولًا، أي في أهله وأولاده وأسرته، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

ثم يمتد بدعوته في المجتمع من حوله، داعيًا إلى الخير، محذرًا من الشر آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، فلا يجوز له أن يقف موقف المتفرج، أو غير المبالي، من شيوع المنكر، أو ضياع المعروف، بل لا بد أن يتقدم ليغير المنكر إن استطاع بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

ولا يفهم من «التغيير بالقلب» هنا: أنه «موقف سلبي» بل هو «غليان من الداخل» في مواجهة منكر غالب وراءه قوى ظالمة تسنده وتحميه. وهذا الغليان لا بد أن يتجسد يومًا في عمل إيجابي له أهميته في تغيير المجتمع.

المهم ألا يتخذ المنكر صفة الشرعية بطول السكوت عنه، فهذا هو الذي يجلب لعنة الله على المجتمعات، ويحل بها سخطه ونقمته: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

حتى لو كان الذين يقترفون المنكر، أو يحمونه، من أولي الأمر، وأصحاب الشأن، ينبغي للمسلم ألا يضعف في مواجهتهم بالأمر والنهي، بالحكمة والموعظة الحسنة، مستندًا إلى قوة الحق الذي معه، وإلى اليقين بأن رزقه بيد الله لا يملك أحد أن ينقصه، وإن أجله عند الله مسمى، لا يستأخر عنه ساعة ولا يستقدم.

وهذا هو الجهاد الداخلي الذي اعتبره النبي العظيم في القمة من أنواع الجهاد حين سئل عن أفضل الجهاد، فقال: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»[(١)].

وقال في الحديث الذي رواه ابن مسعود: «**ما من نبي بعثه الله قبلي إلا كان له حواريون**»[(٢)].

ولا يقف المسلم عند حد الجهاد الداخلي بالدعوة والأمر والنهي، بل هو يجاهد بلسانه، ونفسه وماله، لتصل كلمة الله إلى الناس كافة، كما جاء في الحديث: «**جاهدوا المشركين بأيديكم، وألسنتكم وأموالكم**»[(٣)].

واعتبر القرآن الكريم الجهاد بتبليغ الدعوة من الجهاد الكبير، حين قال لرسوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. أي بالقرآن.

وهذه الآية مكية، أي قبل أن يشرع القتال في المدينة بسنوات.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٣٥.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٠)، وأحمد (٤٣٧٩).

(٣) رواه أحمد (١٢٢٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، كلاهما في الجهاد، وابن حبان في السير (٤٧٠٨)، والحاكم في الجهاد (٨١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وإذا كانت الأديان الأرضية، والأديان السماوية المحرفة، تسعى لنشر دعوتها في العالم، فأولى بدين الله الخالد والخاتم أن يجد من ينشره في الآفاق حتى يتحقق وعد الله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

• **إنسان عقل وعلم:**

وإذا كان إنسان الإسلام إنسان إيمان وعقيدة، فهو ـ في الوقت نفسه ـ إنسان عقل وعلم، إذ لا تعارض في الإسلام بين الإيمان والعقل، ولا بين الدين والعلم.

الإيمان الإسلامي لا يقول للمسلم ما تقوله أديان أخرى: اعتقد وأنت أعمى! بل يدعوه أن يكون على «بينة من ربه» وأن يؤسس عقيدته على «اليقين» لا على «الظن» وأن يعتمد على «البرهان» لا على «التقليد».

والقرآن ينادي أصحاب الملل والنحل المختلفة بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ويدمغ القرآن المشركين بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وكما أنكر القرآن اتباع الظن في الموضع الذي يتطلب اليقين، أنكر كذلك اتباع الهوى والعواطف في مقام يوجب الموضوعية الخالصة. فقال تعالى عن عباد الأصنام: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وإلى جوار ذلك شنَّ حملة شديدة العنف على التقليد الأعمى للآخرين، الذي يجعل الإنسان يلغي عقله، ويفكر بعقل غيره، سواء كان

QaradawiBooks.com

هذا الغير يتمثل في الآباء والأجداد المعظمين عنده، أو في السادة والكبراء ذوي النفوذ والسلطان الذي قد يبلغ درجة التأله في الأرض، أو في جمهور الناس وغوغائهم الذين اختلت موازينهم.

وفي نقد التقليد للآباء جاءت آيات كثيرة، منها في القرآن المكي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤].

وفي القرآن المدني: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وفي نقد التقليد للكبراء والسادة، تقرأ في القرآن المكي، وهو يصور بعض مشاهد الآخرة ومواقف المعذبين في الجحيم بعضهم من بعض: الأتباع والمتبوعين، الأذناب والرؤوس: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ۞ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وهذا التلاوم تكرر كثيرًا في السور المكية.

وفي القرآن المدني نقرأ قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

وفي نقد التقليد للعامة، والاندفاع وراء الجمهور، ولو كانوا على باطل، جاء الحديث النبوي يحذر من هذه التبعية فيقول: «**لا يكن أحدكم**

QaradawiBooks.com

**إمعة، فيقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا ألا تظلموا»**[1].

ومن ناحية أخرى يحثُّ القرآن بأبلغ الأساليب على النظر والتفكير والتدبر، سواء في آيات الله الكونية المنظورة، أم في آياته التنزيلية المقروءة والمسموعة، وبعبارة أخرى في المصحف الصامت وهو الكون! والمصحف الناطق وهو القرآن.

اقرأ إن شئت هذه الآيات: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

ومعنى قيامهم لله أن يتجردوا من الأهواء، ويبحثوا عن الحقيقة مخلصين.

وإنما قال: «مثنى وفرادى» ليكونوا بمنأى عن تأثير العقل الجمعي وإيحاءاته، وإنما يفكر المرء مع رفيقه بهدوء، أو مع نفسه حين يخلوا إليها كأنها رفيق يناجيه.

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنه يتماشى مع القواعد العامة، والمبادئ الكلية في الإسلام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

والقرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذي أمر بالنظر والتفكر والعقل والتدبر، كما أمر بالعبادة والتنسك، فلا غرو أن يعتبر التفكر «فريضة إسلامية» كما قال العقاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذا ما تنادي به الأدلة، ولا غرو أن يعتبر إمام كالغزالي «التفكر» أحد «المنجيات العشرة» الكبرى في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين»، وفيه يروي عن السلف: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[١]، بل قال بعضهم: تفكر ساعة خير من عبادة سنة[٢]!

والعقل عند المسلمين ليس نقيضًا للوحي، بل هو الدليل على صدقه، ولهذا يعتبر المحققون من علماء المسلمين: أن العقل أساس النقل، إذ لولا العقل ما عرفنا وجود الله تعالى، ولا أقمنا الأدلة عليه، وأبطلنا شبهات الدهريين والملاحدة. ولولا العقل كذلك ما قام البرهان على إمكان الوحي ووقوعه، وصدق الأنبياء والرسل، وآخرهم محمد ﷺ.

ولكن للعقل مجالًا لا ينبغي أن يتجاوزه، وإلا تاه في أودية الضلال، وهو مجال هذه المخلوقات وما أكثرها، وأوسع مداها، وأما ذات الله تعالى وما يتعلق بجلال شأنه فليس للعقل سلطان عليه، والأولى له التسليم للوحي فيه، والتلقي عنه، بعد أن يثبت هو صحته، فالعقل هو الذي يقيم الدليل على صدق الوحي، ثم يعزل بعد ذلك نفسه ـ كما قال

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٧٢٨)، عن أبي الدرداء موقوفًا.
(٢) رواه أبو الشيخ في العظمة (٣٨) من قول وهب بن منبه.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الغزالي ـ ويأخذ عنه ما لا يدخل في اختصاصه من شؤون الألوهية وعوالم الغيب، وأحوال الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد روي في حديث: «**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا**»(١).

وبهذا التسليم يوفر الإنسان طاقته العقلية للبحث فيما هو أجدى عليه وأليق به.

وعلى المسلم أن يطلب كل علم نافع من أهله، فطلب العلم فريضة، منه ما هو فريضة عينية، ومنه ما هو فريضة كفائية على مجموع الأمة، سواء كان علمًا دينيًّا أم دنيويًّا، مما يحتاج إليه الفرد أو المجتمع.

وإنما العلم بالتعلم، وقد منح الله الإنسان أدوات العلم، فلا يجوز له أن يعطلها: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

والقرآن يذم الكفار، ويجعلهم حطب جهنم لتعطيلهم هذه الأدوات: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وينهى القرآن عن اتباع ما ليس للإنسان دليل عليه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (٢)، وابن بطة في الإبانة (١٠٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦٦/٦)، عن ابن عباس. ورواه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩)، وقال عقبه: هذا إسناد فيه نظر. عن ابن عمر. وحسَّنه الألباني في الصحيحة بمجموع طرقه (١٧٨٨)، وفي صحيح الجامع الصغير (٢٩٧٥، ٢٩٧٦)، ومعنى الحديث صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

ودليل الماديات هو الحس، ولهذا أنكر القرآن على الذين زعموا الملائكة إناثًا بقوله: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩].

ودليل العقليات هو الفكر: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

ودليل التاريخيات ونحوها هو النقل الصادق: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

ودليل الغيبيات والشرعيات هو الوحي: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وعلى هذه المبادئ أقام الإنسان المسلم حضارة شامخة جمعت بين العلم والإيمان، وتركت آثارها في حياة الإنسان علومًا ومعارف شتى، سادت الدنيا قرونًا من الزمان.

### • إنسان عمارة وإنتاج:

والإنسان المسلم ليس راهبًا في دير، بل هو إنسان عمل وإنتاج للحياة، يعطيها كما يأخذ منها، ويعد عمارتها هدفًا من أهداف خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، كما قال تعالى على لسان صالح لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ومعنى «استعمركم» أي طلب إليكم عمارتها، والأصل في الطلب هو الوجوب، فعمارة الأرض لا تنافي العبادة، بل هي ـ إذا استقامت على أمر الله، وانضبطت بتعاليم شرعه ـ تصبح عبادة وقربة إلى الله تعالى، كما سيأتي.

والله تعالى وهب الإنسان العقل، وأهَّله بالعلم لمنصب الخلافة في الأرض، وفضله بذلك على الملائكة، الذين لم يعلمهم ما علم آدم من

QaradawiBooks.com

الأسماء والخصائص، وإنما آثره بذلك ليستخدم عقله وعلمه في تعمير الأرض، والانتفاع بما سخره الله فيها لمصلحته، دون علو ولا إفساد.

وقد جعل الله الأرض للإنسان مهادًا وفراشًا، وجعل له فيها مستقرًّا ومتاعًا إلى حين وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وأودع فيها أسباب المعايش التي تحقق بقاء هذا النوع إلى ما شاء الله، فما من دابة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه إلا ورزقه موفور في هذه المعمورة.

ولكن جرت سنة الله ألا يُنال رزقه إلا بكدح وسعي، فمن جد وجد، ومن زرع حصد.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

فمن مشى في مناكب الأرض الذلول أكل من رزق الله، ومن قعد وتقاعس ـ بلا عذر ـ كان جديرًا ألا يأكل، إلا أخذًا من حق غيره من المشاة العاملين.

والعبادات الشعائرية في الإسلام لا تعطل المسلم عن العمل لدنياه، فهي لا تحتاج إلى تفرغ ولا انقطاع، بل هي دقائق معدودات لكل صلاة من الصلوات اليومية، الموزعة على أوقات اليوم والليلة.

ويوم الجمعة الذي فرضت فيه صلاة أسبوعية على المسلم، ليس يوم انقطاع عن العمل الدنيوي كيوم السبت عند اليهود، بل هو يوم كسائر الأيام، إن شاء المسلم عمل فيه، وإن شاء استراح إن كان لا بد له أن يستريح.

والقرآن يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

QaradawiBooks.com

وبهذا نرى أن المسلم ـ كما يصوره القرآن ـ كان في بيع وشراء وعمل قبل الصلاة حتى إذا سمع النداء، توقف وسعى إلى ذكر الله، فإذا انتهى من الصلاة عاد من جديد يواصل رحلة الكدح في الحياة، منتشرًا في الأرض مبتغيًا من فضل الله.

و«الابتغاء من فضل الله» تعبير قرآني متميز، عن طلب الكسب من التجارة وغيرها، وهو تعبير له إيحاؤه وتأثيره في نفس المسلم.

والقرآن يصف رواد المساجد، العابدين لله تعالى بقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

ليس هؤلاء العباد المخلصون رهبانًا ولا دراويش، بل هم رجال أعمال وأموال، ولكن لم تلههم دنياهم عن آخرتهم، ولم يشغلهم حظ أنفسهم عن حق ربهم.

والمسلم مطالب أن يعمل لدنياه، بما تيسر له من فروع الإنتاج، زراعة أو صناعة أو تجارة، أو رعيًا أو صيدًا، أو استخراجًا لما في الأرض، أو غير ذلك، مما تحتاج إليه الجماعة.

وفي الحديث الصحيح: «**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة**»[(١)].

بل جاء في حديث آخر: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[(٢)].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.
(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٩.

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا أن المسلم مطالب بالعمل للحياة إلى أن تلفظ آخر أنفاسها، سواء انتفع بعمله أحد أم لم ينتفع، إنما هو مطالب بالعمل لذات العمل، فهو عبادة، وجهاد مقدس.

وجاء في حديث البخاري: «**ما أكل أحد قط طعامًا أفضل من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[١].

وفي حديث آخر: «**التاجر الصدوق يحشر مع الشهداء**»[٢].

ولهذا اختلف الفقهاء والشراح: أي هذه الأعمال أفضل وأبر عند الله تعالى: الزراعة أم الصناعة أم التجارة؟

والذي رجحوه أن الأفضل منها ما اشتدت حاجة الناس إليه، وانشغل الناس عنه. فإذا انصرف الناس عن الزراعة إلى الصناعة أو التجارة، لكثرة مكاسبهم بها، مع مسيس حاجتهم إلى الأقوات والثمار، كانت الزراعة أفضل وأعظم مثوبة عند الله.

وإذا انصرف الناس عن الصناعات والحرف، وأصبحوا فيها عالة على غيرهم من غير المسلمين، كان العمل في هذا الميدان أولى وأعظم أجرًا.

وإذا احتاج الناس إلى التجارة، لانقطاع الطرق، أو لوجود مخاطر شديدة، أو لقلة المكاسب بها، أو لغلبة بعض الأفراد أو الفئات على الأسواق، وتلاعبهم بالأسعار واحتكارهم للسلع والأقوات، تكون التجارة هنا أفضل.

* * *

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معديكرب.

(٢) رواه الترمذي (١٢٠٩)، وقال: حديث حسن. والدارمي (٢٥٨١)، والدارقطني (٢٨١٣)، ثلاثتهم في البيوع، وحسَّنه ابن القطان في الوهم والإيهام (٤/٤٧٨ ـ ٤٧٩)، وقال الذهبي في الميزان (٣/٤١٣): جيد الإسناد صحيح المعنى. عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# بناء الأسرة الصالحة

كما هدف الإسلام إلى تكوين الفرد أو الإنسان الصالح، بوصفه اللبنة الأساسية في البنيان الاجتماعي للأمة، هدف كذلك إلى بناء الأسرة الصالحة، التي هي الخلية الأولى والضرورية لقيام المجتمع الصالح.

ولا خلاف أن الزواج ـ الذي يربط بين الرجل والمرأة برباط مقدس ـ هو أساس تكوين الأسرة المنشودة، فلا مكان لقيام أسرة صالحة، أو أسرة حقيقية بغير الزواج؛ كما شرعه الله تعالى.

- **أفكار منحرفة عارضت الزواج:**

عرفت الإنسانية في القديم والحديث أفكارًا ومذاهب تعارض فكرة الزواج.

ففي فارس ظهرت قبل الإسلام فلسفة «ماني» الذي يزعم أن العالم مليء بالشر، ويجب فناؤه، ومنع الزواج أقرب وسيلة إلى المسارعة بفناء العالم.

وفي ظل النصرانية ظهرت «الرهبانية» العنيفة، التي تفرّ من الحياة، وتلجأ إلى الأديرة، وتحرِّم الزواج؛ لأن المرأة فتنة مجسمة، وشيطان في صورة إنسان، والقرب منها خطيئة تلوث الأرواح، وتبعد عن ملكوت السماء.

QaradawiBooks.com

وفي العصر الحديث وجد في الغرب فلاسفة متشائمون، صبوا جل سخطهم على المرأة، وقالوا: إنها حية تسعى، ليـن مسها، قاتل سمها، والزواج يعطيها فرصة لتتحكم في الرجل، وتثقله بالقيود والتكاليف، فلماذا يضع الرجل ـ باختياره ـ الغُلّ في عنقه، وقد خلق حرًّا؟

ومن المؤسف أن بعض شبابنا «العصريين» غرتهم هذه الأفكار، فأعرضوا عن الزواج، لما وراءه من مسؤوليات وتكاليف وقيود، وهم يريدون أن يعيشوا العمر كله أطفالًا يعبثون، لا يحملون عبئًا، ولا يتحملون تبعة، فإن غلبتهم الشهوة، ونادتهم الغريزة، ففي مباءات الحرام الخبيث، ما يغنيهم عن طيب الحلال.

- **الإسلام يرغب في الزواج:**

أما الإسلام فقد رفض تلك الأفكار المنحرفة، والمذاهب المتشائمة، ولم يقبل الرسول ﷺ الرهبانية في الإسلام، ونهى عن التبتل «الانقطاع عن الزواج للعبادة» ووجه نداءه إلى الشباب يحثهم على الزواج: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**»[1].

وكان ﷺ إذا علم من بعض أصحابه نزوعًا إلى التبتل، وإغراقًا في التزهد والتعبد، نهاهم عن الغلو، وأمرهم بالقصد، وردهم إلى صراط الإسلام المستقيم، وحُكمه الوسط العدل.

روى الشيخان، عن أنس قال: جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا «أخبرتهم زوجاته» كأنهم تقالّوها

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«اعتبروها قليلة» فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر...

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟... أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

- **مقاصد الإسلام من الزواج:**

١ ـ سُنَّة الله في هذا الكون أن لا شيء فيه يستطيع أن يؤدي مهمته وحده، بل خلقه الله محتاجًا إلى الاتصال بغيره من نوعه ليكمل به ويكمله، فلا بد أن يتصل الموجب بالسالب في عالم الكهرباء حتى يحدث التيار، وآثاره من الضوء والحرارة والحركة وغيرها، وكذلك لا بد أن يتصل الإلكترون بالبرتون في عالم الذرة.

ولا بد من اتصال حبوب التذكير بحبوب التأنيث في عالم النبات حتى ينتج الزرع والشجر، ويخرج الحب والثمر، ولا بد من اتصال الذكر بالأنثى في عالم الحيوان حتى يحدث الدر والنسل.

وإلى هذه السُّنَّة الكونية العامة أشار القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩]، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦].

(١) سبق تخريجه صـ٣١٣.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

واستجابة لهذه السنة شرع الله سبحانه في عالمنا الإنساني لونًا رفيعًا كريمًا من الاتصال بين الرجل والمرأة يليق بمكانة الإنسان وكرامته، وهو ما نسميه «الزواج».

لقد أودع الله صدر الرجل حنينًا إلى المرأة وأودع صدر المرأة حنينًا إلى الرجل، فلا يزال كل منهما يحس بحاجة تناديه فوق المأكل والمشرب، يشعر بفراغ في كيانه النفسي لا يملؤه إلا هذا اللقاء على شرع الله وسنته «الزواج» فيستقر بعد اضطراب، ويطمئن بعد قلق، ويجد كلاهما في صاحبه السكون والمودة والرحمة، تغمر جوانحه، وتضيء جوانب حياته، وهذه آية من آيات الله الكبرى في هذا الوجود، لفتنا إليها الكتاب العزيز: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

٢ ـ وبالزواج يحدث النسل، الذي يمتد به وجود الإنسان، فيطول عمره، ويتصل عمله، بذريته الصالحة من بعده، ولهذا امتن الله على عباده فقال: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النحل: ٧٢].

ولهذا دعا نبي الله زكريا ربه فقال: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٥، ٦].

ودعا أبو الأنبياء إبراهيم ربه فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وذكر القرآن من أوصاف عباد الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وبالنسل تنمو الأمة، ويكثر عددها، فتعمر أرضها وتستغل كل طاقاتها، وتقوى على مجابهة أعدائها، ولا شك أن لكثرة العدد قيمة في ميزان القوى العالمية. ومن هنا امتن الله على قوم بالكثرة، فقال على لسان شعيب لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال ﷺ: «**تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى**»(١).

وبالنسل يبقى النوع الإنساني كله، وتستمر حياته على الأرض إلى ما شاء الله من أجل معلوم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣ ـ والزواج. من جهة ثالثة ـ تمام الدين للمرء المسلم، به يغض بصره، ويعف نفسه، ويجد متنفسًا لشهوته في الحلال، فلا يفكر في الحرام، ولهذا قال ﷺ عن الزواج: «**أنه أغض للبصر وأحصن للفرج**»(٢).

---

(١) رواه الروياني في مسنده (١١٨٨)، والبيهقي في النكاح (١٢٥/٧)، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٤٨/٣) فيه: محمَّد بن ثابت وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٤١)، عن أبي أمامة.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٣٠.

QaradawiBooks.com

وقال: «**من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي**»[(١)]. والشطر: النصف.

٤ ـ والزواج ليس حفظًا للدين فحسب، ولكنه أيضًا من مقومات السعادة الدنيوية، التي لا يكرهها الإسلام، بل يحبها لأتباعه، ويوفرها لأبنائه، ليفرغهم لما هو أعظم، من السمو بالنفس، والاتصال بالملأ الأعلى؛ قال ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»[(٢)].

وقال: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء**»[(٣)].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سعادة ابن آدم: ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم: ثلاثة؛ من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح؛ ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء**»[(٤)].

٥ ـ والزواج هو الطريق الوحيد لتكوين الأسرة التي هي نواة المجتمع، وأساس بنائه، ولا يقوم مجتمع إنساني كريم، إلا إذا قامت قبله الأسرة، ففي ظلال الأمومة والأبوة، والبنوة والأخوة، تغرس المشاعر الطيبة والعواطف الخيرة من المحبة والإيثار والعطف والرحمة والتعاون.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٩٧٢)، والحاكم في النكاح (١٦١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّف إسناده ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٥١/٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩١٦): حسن لغيره. عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٦.

(٣) رواه ابن حبان في النكاح (٤٠٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والبيهقي في الإيمان (٩٥٥٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٢)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) رواه أحمد (١٤٤٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطيالسي (٢٠٧)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

٦ ـ وبالزواج تنمو الصلات الاجتماعية، فيضم الإنسان عشيرة إلى عشيرته، وأسرة إلى أسرته، أولئك هم أصهاره وأخوال أولاده وخالاتهم. وبذلك تتسع دائرة الألفة والمودة، والترابط الاجتماعي، فقد جعل الله المصاهرة لحمة كلحمة النسب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

٧ ـ وبالزواج تتاح الفرصة الملائمة التي تكتمل بها شخصية الرجل بتحمله مسؤوليته زوجًا وأبًا، وتكتمل شخصية المرأة بتحمل مسؤوليتها زوجة وأمًّا.

إن كثيرًا من الرجال يفرون من الزواج؛ لأنهم ـ كما قلنا ـ يريدون أن يعيشوا عمرهم أطفالًا كبارًا، دون رباط يربطهم، أو بيت يضمهم، أو تبعة تلقى على كواهلهم. ومثل هؤلاء لا يصلحون للحياة، ولا تصلح بهم الحياة، أما الزواج فإنه رباط وميثاق غليظ، ومسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة من أول يوم، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال الرسول ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: فالرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**»[(١)]، «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت**»[(٢)]،

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٥.

(٢) رواه أحمد (٦٨٤٣)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٢)، عن عبد الله بن عمرو. ورواه مسلم بلفظ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته».

QaradawiBooks.com

**«إن الله سائل كل راع عما استرعاه: حفظ أم ضيع»**[(١)]**، «إن لزوجك عليك حقًّا»**[(٢)].

٨ ـ وبالزواج يتفرغ الرجل لإتقان أعماله في خارج البيت، مطمئنًا إلى أن في بيته من يدبر أمره، ويحفظ ماله، ويرعى أولاده. وفي هذا ما يعينه على إحسان العمل وزيادة الإنتاج، بخلاف ذلك القلق المضطرب المشغول، الموزع بين عمله وبيته، وبين هم شغله في الخارج وهم مطعمه ومشربه وملبسه في الداخل.

وقديمًا قال الشاعر:

إذا لم تكن في منزل المرء حرة  تدبّره، ضاعت مصالح داره[(٣)]!

- **وصايا للراغبين في الزواج:**

يعمل الإسلام على إقامة الزواج على ركائز متينة، من التفاهم والتراضي بين الزوجين، وأهل كل منهما، حتى يتم على أساس مكين، لا تزعزعه عواصف الحياة مهما اشتدت. ولهذا يوصي من أول الأمر بوصايا غاية في الأهمية.

- **حُسن اختيار شريك الحياة:**

أول هذه الوصايا: أن يحسن كل واحد منهما اختيار شريك حياته،

---

(١) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني (٢٢٠/٢)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

ولا يكون همهما المظهر البراق وحده، فالمظاهر قد تخدع، والإنسان لا يقوم بحسن مظهره، بل بحسن جوهره. ولهذا حثت الأحاديث النبوية على اختيار «الزوجة الصالحة»، وإيثارها على «الزوجة الغنية» أو «الزوجة الفاتنة الجمال» أو «الزوجة ذات النسب العريق».

والمراد بالزوجة الصالحة: ذات الدين والخلق.

وفي الحديث: «**الدنيا متاع وخير متاعها: المرأة الصالحة**»[١].

وقال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولنسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٢].

وفي حديث آخر: «**فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك**»[٣].

وكذلك حث المرأة وأولياءها على اختيار «الزوج الصالح» لا مجرد الزوج ذي المال أو ذي النسب والجاه.

والزوج الصالح: هو ذو الدين والخلق.

وفي الحديث: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٠٦.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١١٧٦٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وابن أبي شيبة (١٧١٤٩)، وابن حبان (٤٠٣٧)، كلاهما في النكاح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٢٦): رجاله ثقات. عن أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولًا ومرسلًا. وإنما يعني بقوله: مرسلًا انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة، وقد رجَّح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

• **النظر إلى المخطوبة:**

ومع هذا لا بد أن يكون كلاهما من حيث الشكل والصورة مقبولًا عند صاحبه، وهذا يختلف من شخص لآخر، ولأجل هذا شرع الإسلام النظر قبل الزواج.

وقد قال المغيرة بن شعبة للنبي ﷺ: خطبت امرأة، فقال: «**أنظرت إليها؟**». قال: لا. قال: «**اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[(١)]؛ وذلك لأن العين رسول القلب، وهذا النظر قبل الزواج إذا كان معه القبول يفتح قلب كل منهما لصاحبه، ولا بأس أن يراها بغير علمها، حتى لا يجرح مشاعرها لو رآها وهي تعلم، ثم لم تعجبه. وقد قال جابر: كنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها[(٢)].

ومن حق المرأة أن تنظر إلى الرجل، كما ينظر الرجل إليها، فإنه يعجبها من الرجل ما يعجب الرجل منها.

ولا يكفي أن ينظر إليها فقط، بل لا بد أن يتحدث إليها وتتحدث إليه، ليتعرف كل منهما على ملامح شخصية صاحبه، ولو بصورة مبدئية، والرؤية لا تكشف ذلك، إنما يكشفها الحديث والسؤال والجواب.

ومما يؤسف له أن المسلمين في عصرنا وقعوا بين طرفي الإفراط والتفريط، فهناك من يرفض مجرد الرؤية من الخاطب لابنته، بل بعضهم يرفض أن يراها، حتى بعد العقد عليها، ولا يراها إلا ليلة البناء بها، مع

---

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسَّنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) رواه أحمد (١٤٥٨٦)، وقال مخرجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٠٨٢)، والحاكم (١٦٥/٢)، كلاهما في النكاح، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

أنها تذهب إلى المدرسة أو الجامعة أو السوق، وتسافر إلى الخارج، ويراها كل الناس ما عدا خاطبها.

وهناك ـ على نقيض هؤلاء ـ من يسمحون للخاطب بالخلوة بالمخطوبة، ولم يعقد عليها بعد، والخروج متأبطًا ذراعها إلى الخلوات والنزهات والسينمات.

وإنما يضيع الدين والأخلاق بين الغلاة والمتسيبين!

• **ضرورة رضا الفتاة:**

ولا يجوز لأب أن يزوج ابنته ممن يريده هو، وإن كانت هي لا تريده، بل لا بد أن توافق عليه صراحة أو ضمنًا، وذلك بالسكوت إذا غلبها الحياء، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صُماتها**»[(١)]، وقد روى البخاري، عن خنساء بنت خدام الأنصارية: **أن أباها زوجها، وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه**[(٢)].

وروى أبو داود، عن ابن عباس: **أن جارية بكرًا أتت النبي ﷺ، فذكرت أن أباها زوجها، وهي كارهة، فخيرها النبي ﷺ**[(٣)].

ولا ينبغي للآباء أن يستبدوا بزواج بناتهن، ويضربوا بعواطفهن عرض الحائط. فعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إن

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤١٩)، وأحمد (٢١٦٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه البخاري في النكاح (٥١٣٨).

(٣) رواه أحمد (٢٤٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجه (١٨٧٥)، كلاهما في النكاح، ورجح أبو داود إرساله، وقال الحافظ في الفتح (١٩٦/٩): الطعن في الحديث لا معنى له، فإن طرقه يَقْوى بعضُها ببعض. ودافع الصنعاني عن سنده دفاعًا جيدًا، في سبل السلام (٢٥٩/٣).

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

عندنا يتيمة، وقد خطبها رجل معدم، ورجل موسر، وهي تهوى المعدم، ونحن نهوى الموسر، فقال ﷺ: «**لم يُرَ للمتحابين مثلُ النكاح**»[(١)].

وينبغي أن يتم الزواج برضا الأطـراف كلها من أسرة المرأة، وأسرة الرجل، لهذا اشـترط الفقهاء إذن ولي المرأة بل حضوره العقد، وجعل ذلك بعضهم أمـرًا مستحبًّا لا واجبًـا، ولهم في ذلك أدلـة من القرآن والسنة، تبحث في كتب الفقه.

والأولى ألا تتزوج المرأة بغيـر إذن وليها، حتى لا يلعب بها الزوج بعد ذلك، ويضيع حقوقها ولا تجد من يدافع عنها.

بل الأولى أن تشـاور المرأة في زواج ابنتهـا، كما ورد في حديث: «**آمروا النساء في بناتهن**»[(٢)]؛ لأن الأم أعرف بابنتها من أبيها، ولأنها إذا لم توافق على الزواج فقد تنكد عيش زوج ابنتها بعد ذلك.

يقول الأستاذ عبد الحليم أبو شـقة رَحِمَهُ اللَّهُ، في موسوعة «تحرير المرأة في عصر الرسالة»: «إن حضور الولي عقـد الزواج كما يثبت إقرار العائلة لهذا الزواج، يساعد علـى تأكيد أن رابطة الـزواج لا تقتصر على علاقة حميمة بين شخصين رجل وامرأة، بل هي كذلك صلة وثيقة بين عائلتين أو عشيرتين، وكما يحضر ولي أمر المرأة فيندب حضور والد الرجل فضلًا عن أقارب الزوجين حتى يكون هذا الزواج بداية التحام بين العائلتين»[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤٦)، والحاكم (١٦٠/٢)، وصححه، كلاهما في النكاح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٠)، عن ابن عبـاس، بدون ذكر القصة. والقصة رواها ابن منده في الأمالي، كما في الصحيحة للألباني (٦٢٤).

(٢) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في النكاح (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

(٣) تحرير المرأة في عصر الرسالة للأستاذ عبد الحليم أبو شقة (٧٦/٥)، نشر دار القلم، الكويت، ط٧، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

وفي هذا المعنى يقول الإمام محمد عبده: «لا يخفى أن أحكام الشريعة المقدسة ترشدنا إلى أن المصاهرة نوع من أنواع القرابة، تلتحم بها العائلات المتباعدة في النسب، وتتجدد بها صلات الألفة والاتحاد، فقد حرم الله على الشخص أن يتزوج بأمه أو أنثى من أصولها وفروعها، كما حرم عليه أن يتزوج بأخته أو أنثى من أصول نفسه وفروعه.

وكذلك حرم على زوجته أن تقترن بشيء من أصوله أو فروعه، فكأنما أنزل الله كلًّا من الزوجين منزلة نفس الآخر، حتى أنزل فروع كل منهما وأصوله بالنسبة إلى الآخر منزلة أصول نفسه وفروعه. فهذه حكمة بالغة أقامها الشرع لنا برهانًا واضحًا على أن اتصال إحدى العائلتين بالأخرى بطريق المصاهرة، مساوٍ لنفس القرابة النسبية في الأحكام والحقوق والاحترام، وهذا هو الموافق لما عليه طبيعة الاجتماع الإنساني... فمن كانت له ابنة، وهو يميل إليها ميل الوالد إلى ولده، وقضت سُنَّة الله في خلقه بأن يقترن بها شخص من الناس، فمقتضى محبة الوالد لابنته أن يطلب لها جميع الخيرات ويود لو بلغت أقصى درجات السعادة.

وحيث إن سعادتها يبعد أن تكون بدون سعادة زوجها الذي هي مقترنة به، فمن الواجب عليه أن يميل إلى زوجها ميله إلى نفسها، ويكون عونًا له على سعادتها، لتتصل بها سعادة ابنته، وهكذا كل من ينتسب إليها بنوع من القرابة، فعليهم أن يكونوا على طراز من المحبة لزوجها، مثل ما هم عليه بالنسبة إليها»[1].

- **حقوق المعاشرة بين الزوجين:**

الزواج عقد وثيق، وشركة مقدسة، حرص الإسلام على أن تدوم

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده صـ٩٣، ٩٤، في الكتابات الاجتماعية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وتستقر وتتوطد، ففرض لكل من الزوجين حقوقًا، وألزمه واجبات، بحيث إذا التزماها سعدا بحياة زوجية هانئة وارفة الظلال.

وخلاصة هذه الحقوق والواجبات تتركز في كلمة واحدة هي المعاشرة بالمعروف قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، والمعروف هنا: ما يقره العرف السليم، ويعتاده أهل الاعتدال والاستقامة من الناس، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، بل احتماله من صاحبه، وبذل الحق دون مطل، مع البشر وطلاقة الوجه، ولا يتبعه أذى أو مِنّة. والجميل حقًّا: أن الآية السابقة جعلت الحقوق والواجبات متبادلة بين الزوجين، فكل حق يقابله واجب.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأحب أن أتزين لامرأتي، كما أحب أن تتزين لي، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]، وهو فهم دقيق لمفهوم الآية الكريمة.

ولكن الآية الكريمة جعلت للرجال على النساء درجة، فما هذه الدرجة؟ بعض المفسرين ذهب إلى أنها درجة القوامة والمسؤولية عن الأسرة، وهذه المسؤولية توجب على الرجل أعباء أكثر من المرأة. ولهذا نقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال: الدرجة إشارة إلى حض الرجل على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أنه الأفضل فينبغي أن يتحامل على نفسه. قال ابن عطية: وهذا قول حسن بارع[2].

(١) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٩٦٠٨).
(٢) تفسير القرطبي (١٢٥/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

واختار الطبري أن أولى الأقوال في تفسير الآية: أن الدرجة التي ذكرها الله تعالى هنا، هي: الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل واجب لها عليه، وذلك ليكون للرجل فضل درجة عليها[١].

وهناك حقوق مشتركة بين الزوجين، مثل الاحترام المتبادل، والتشاور فيما يهم الأسرة، كما قال تعالى في شأن الوالدات المرضعات: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومنها: حقوق المعاشرة الجنسية، فهي حق لكل منهما على صاحبه بالمعروف في حدود الطاقة، كما قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وإنما عبر عن العلاقة باللباس، لما توحي به الكلمة من الزينة والستر اللصوق والدفء.

ومنها: حق التعاون في السراء والضراء، على البر والتقوى، فإذا كان ذلك مطلوبًا من المسلمين جميعًا، فأولى من يطلب منهم ذلك الرجل وامرأته.

ومنها: حق حفظ أسرار الزوجية، فلا يجوز لأحدهما أن يفشي سر صاحبه، ففي ذلك خيانة للأمانة المشتركة.

ومنها: حق التجمل الذي أشار إليه ابن عباس بقوله: أتزين لامرأتي، كما تتزين لي امرأتي[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٤/٥٣٥)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٤٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## • حقوق الزوجة:

**ومن الحقوق التي تلزم الزوج لزوجته:**

١ ـ **المهر:** وهو خالص حق المرأة، فلا يحل للزوج أن يمطلها به إذا طلبته، أو يسترده منها ـ كله أو بعضه ـ بعد دفعه لها، فإذا تنازلت له عن شيء منه راضية غير مكرهة فلا بأس بأخذه. قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

وإذا رضي الزوج بالزيادة على ما تراضيا عليه فلا حرج في ذلك. قال تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ـ أي مهورهن ـ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ [النساء: ٢٤].

٢ ـ **النفقة:** فالزوجة لا تلزمها نفقة نفسها وإن كانت غنية، وإنما تلزم الزوج؛ لأنه هو الراعي المسؤول عنها، وقد أصبحت تحت رعايته وحمايته، مكلفة بتدبير بيته، والقيام بمطالبه، وتربية ولده.

وتشمل هذه النفقة:

أ ـ الطعام والشراب الكافيان.

ب ـ الكسوة للشتاء والصيف.

جـ ـ المسكن الملائم.

د ـ العلاج إن مرضت.

هـ ـ خادم، إن كانت ممن يخدم مثلها عرفًا.

و ـ مؤنسة إن كانت في مكان موحش تخشى فيه على نفسها من عدو أو لص.

والأصل في إيجاب هذه الأشياء: أن تركها ينافي المعاشرة بالمعروف التي أمر الله بها.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث: «**اتقوا الله في النساء، فإنهن عوانٍ عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[(١)]، والمعروف هو قدر الكفاية التي يعرفها العرف، بحسب قدرة الزوج، ومكانة الزوجة.

قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وإذا كان الزوج موسرًا ولكنه يقتر على زوجته وولده، وقدرت على الأخذ من ماله، فلها الأخذ منه بغير إذنه، بقدر كفايتها وكفاية ولدها منه، لما روى البخاري ومسلم، أن هندًا امرأة أبي سفيان قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي، فقال ﷺ: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»[(٢)].

وإنما رخص لها بأخذ كفايتها بدون إذنه؛ لأن الحاجة قاضية بذلك، إذ لا غنى عن النفقة ولا قوام إلا بها، وهي تتجدد بتجدد الزمن، فتشق المرافعة بها إلى الحاكم، والمطالبة بها كل يوم. والمرأة إذا نشزت وتمردت على زوجها سقطت نفقتها؛ لأنها لم تفِ بحقه عليها، فلم تستحق نفقته.

وإذا عجز الزوج عن الإنفاق على زوجته، وتعذرت عليها النفقة بالاستدانة وغيرها، كان لها الحق في أن تطلب فسخ الزواج، إذ لا حياة بدون نفقة، وقد قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقد تعذر الإمساك بالمعروف، فتعين التسريح بالإحسان، لحديث: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(٣)]، وإذا أمكنها أن تصبر فهو أولى؛ لأنه من مكارم الأخلاق.

---

(١) رواه مسلم في الحج (١٢١٨)، عن جابر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النفقات (٥٣٦٤)، ومسلم في الأقضية (١٧١٤)، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه صـ٤١٤.

QaradawiBooks.com

**٣ ـ التلطُّف والمؤانسة**: وليس حاجة المرأة من زوجها مادية تقتصر على النفقة والكسوة ونحوها فحسب، بل لها حاجة نفسية أن يتلطف لها، ويطيب نفسها، ويدخل السرور عليها، فهذا من تمام المعاشرة بالمعروف.

ولا يظن أحد أن هذا مما ينافي وقار الرجل ويسقط من هيبته. فقد كان سيد البشر محمد ﷺ يسابق عائشة زوجه فتسبقه مرة، ويسبقها أخرى، ويقول لها: «**هذه بتلك**»[(١)].

وقالت عائشة: كنت ألعب بالبنات ـ العرائس أو اللعب ـ عند رسول الله ﷺ في بيته، وكان لي صواحب يلعبن معي، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن ـ يستخفين هيبة له ـ فيسربهن إليَّ فيلعبن معي[(٢)]. وقالت: **كان رسول الله ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد**، حتى أكون أنا الذي أسأمه، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو[(٣)].

وقد استمع النبي الكريم إلى عائشة وهي تحدث عن النساء الإحدى عشر، وما قالت كل واحدة عن زوجها، وذلك في الحديث المعروف بحديث: «**أم زرع**»[(٤)].

**٤ ـ صيانة كرامتها**: وعلى الزوج أن يعرف لزوجته حرمتها ويصون كرامتها، فلا يؤذيها بسبٍّ أو قول خارج، ولا يفضي سر ما بينهما أمام

---

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السير (٤٦٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٠)، عن عائشة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٦)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في الفضائل (٢٤٤٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الناس، ولا ينتقص أهلها، ولا يتجسس عليها ويتتبع عثراتها، ولهذا **نهى النبي ﷺ المسافر أن يطرق أهله ليلًا** «عند عودته» يتخوَّنهم أو يطلب عثراتهم[١]، لما في ذلك من سوء الظن، وإفساد المودة.

ومن حق الزوج أن يغار على زوجته، ولكن دون إفراط، ولئلا يساء الظن بها، وترمى بالشر من أجله، والخير في الوسط، وكل أمر زاد عن حده انقلب إلى ضده، وفي الحديث: «**إن من الغيرة ما يحب الله، ومن الغيرة ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله، فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة**»[٢].

والريبة: أن يرى على سلوك المرأة قرائن ودلائل تقتضي الشك والارتياب، فلا يجوز أن يسد أذنًا من طين وأخرى من عجين، حتى لا يكون «ديوثًا».

٥ ـ **الصبر والاحتمال**: والمرأة ليست ملاكًا ـ كما يتوهم بعض السابحين في الخيال ـ وإنما هي إنسان يحسن ويسيء، ويصيب ويخطئ، وعلى الرجل أن يصبر ويحتمل حفاظًا على الحياة الزوجية أن تنهدم.

وفي الحديث: «**استوصوا بالنساء خيرًا**»[٣]، «**إن المرأة كالضلع إن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج**»[٤]، ويراد بالعوج في المرأة: غلبة الجانب العاطفي عليها أكثر من الرجل،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧١٥)، عن جابر.

(٢) رواه أحمد (٢٣٧٤٧)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٩)، والنسائي في الزكاة (٢٥٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢١)، عن جابر بن عتيك.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٦)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٨) (٦٠)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٤)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٨) (٦٥)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلا بد من مداراتها والصبر عليها، استبقاءً لدوم العشرة، وإلا فتقويم الضلع لا يكون إلا بكسره، وهو أمر غير مرغوب ولا محمود.

وفي الحديث الآخر: «**لا يفرك** ـ أي لا يكره ـ **مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقًا رضي منها آخر**»[1]، وبذلك ينظر إليها نظرة عادلة، يذكر محاسنها، كما يذكر عيوبها، وأي إنسان سلم من العيوب؟!

إن الرجل المسلم حقًّا هو الذي يغلّب الواقع على الخيال، ويحكم العقل في العاطفة، حتى إنه ليضغط على نفسه مع شعوره بالكراهية، لتستمر الحياة الزوجية، استجابة لقول الله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩].

• **حقوق الزوج:**

وللزوج على زوجته حقوق يجب أن ترعاها، لتتم المعاشرة بالمعروف كما أمر الله تعالى، أهمها:

١ ـ **الطاعة في المعروف:** وذلك أن كل شركة لا بد لها من رئيس مسؤول، والرجل قد رشحته الفطرة، ورشحه ما يدفعه من مهر ونفقة أن يكون هو سيد البيت والمسؤول الأول عن الأسرة، فلا عجب أن يكون له حق الطاعة، قال تعالى: ﴿**ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ**﴾ [النساء: ٣٤]، وهذه القوامة والمسؤولية هي الدرجة التي ميز بها الرجل عن المرأة: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

---

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويحرم عليها أن تعصي زوجها أو تتركه بغير سبب شرعي، وفي الحديث: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**»[١]، وأكد الإسلام حق الزوج في ذلك، فلم يجز لها أن تتطوع بصلاة أو صوم وهو حاضر إلا بإذنه. قال ﷺ: «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه**»[٢].

**٢ ـ أن تحفظه في غيبته في نفسها وماله:** قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

وفي الحديث: «**المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**»[٣].

ومن حفظه في نفسه أن تصون أسراره، ولا تأذن بالدخول في بيته لمن يكره من الناس، وقد ذكر الرسول من صفات الزوجة الصالحة: «**إذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»[٤].

ومن حفظه في ماله ألا تبسط يدها بالإنفاق مسرفة مبذرة، ولا بأس أن تتصدق منه بما جرت به العادة، وهما شريكان في مثوبة الله، وفي الحديث: «**إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة، كان لها أجرها، وله مثله بما كسب**»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٤)، ومسلم في الحج (١٤٣٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٢٦)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٨٥.

(٤) رواه أحمد (٧٤٢١)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. والنسائي (٣٢٣١)، والحاكم (١٦١/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٨٣٨)، عن أبي هريرة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٠٢٤)، كلاهما في الزكاة، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

**٣ ـ أن تعاونه بالمعروف:** وقد ذهب كثير من الأئمة إلى أن المرأة ليس عليها خدمة زوجها في عجن وخبز وطبخ وغسل ونحوه من أمور البيت. وإن كان الأولى لها فعل ما جرت به العادة. ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية أوجب عليها أن تعاونه بالمعروف من مثلها لمثله. وهذا هو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وإن كان التعاون مأمورًا به في كل حال فهو بين الزوجين أولى وأوكد.

**٤ ـ تأديبها عند النشوز أو ترك الفرائض:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وما دام الرجل هو سيد البيت المسؤول أمام الله وأمام الناس، فمن حقه أن يردعها عن ارتكاب المحرمات، أو إهمال الفرائض، أو التهاون في حقوق الزوجية، حتى لا تتعرض الأسرة للانهيار. ولكن ذلك يتم في إطار المحافظة على إنسانية المرأة وكرامتها.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# بناء المجتمع الصالح

ويهدف الإسلام إلى تكوين المجتمع الصالح، كما هدف إلى الفرد الصالح، والأسرة الصالحة، وهما ـ ولا شك ـ أساس متين لصلاح المجتمع المنشود.

والمجتمع الصالح هو الذي يرتبط أفراده وأسره بقيم الإسلام العليا، ومبادئه المثلى، ويجعلها رسالة حياته، ومحور وجوده.

• **وأهم القيم الإسلامية في هذا المقام هي:**

١ ـ **التجمع على العقيدة:** فالمجتمع الإسلامي ليس مجتمعًا قوميًّا أو إقليميًّا، وإنما هو مجتمع عقائدي، مجتمع فكرة وعقيدة، وعقيدته هي الإسلام، فهو الأساس «الأيديولوجي» لهذا المجتمع.

قد يكون أبناء هذا المجتمع من أجناس مختلفة، أو ألوان مختلفة، أو أوطان مختلفة، أو ألسنة مختلفة، أو طبقات مختلفة، ولكن هذا الاختلاف كله يذوب وينصهر أمام وحدة العقيدة، أمام «لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله»، أمام الإيمان المشترك الذي يضم الجميع في رحاب أخوته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فإذا أردنا أن نصف هذا المجتمع بصفة فذة تميزه عما سواه، لم نجد إلا أن نقول: إنه «مجتمع مؤمن»، أو هو «مجتمع المؤمنين» أولئك الذين

QaradawiBooks.com

وصفهم الله تعالى في مطلع سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٣ ـ ٥].

والإيمان الإسلامي ليس مجرد شعار أو دعوى، أو تعصب على الآخرين، وإنما هو حقيقة تستقر في النفس، ينبثق عنها سلوك، ويصدقها عمل إيجابي، ومن ثم جسد القرآن الإيمان أبدًا في أعمال وأخلاق، كما في أوائل سورة الأنفال، وسورة المؤمنون، وأواخر سورة الحجرات، وغيرها.

٢ ـ ومن هنا جاء الاهتمام بقيمة أخرى من القيم التي يقوم عليها المجتمع الصالح الذي يهدف الإسلام إلى تحقيقه، وهي: «احترام العمل الصالح» بل تقديسه، سواء كانت صيغته دينية كالصلاة والصيام والحج والعمرة، والذكر والتلاوة والدعاء، أم دنيوية، كالسعي في طلب الرزق، وعمارة الأرض بالزراعة والصناعة والاحتراف، وكل ما فيه منفعة الناس، والإحسان إليهم. فهذا أصل مقرر معروف، اعتبره القرآن ركنًا في كل دين، مقرونًا بالله واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقرن القرآن العمل بالإيمان في أكثر من سبعين آية، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

ولا ريب أن إقامة شعائر الله، وأداء فرائضه الكبرى ـ من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت هي أول ما ينطبق

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

عليه معنى العمل الصالح، فليس هناك عمل أصلح للمخلوق من معرفة خالقه، وعبادة ربه، وإخلاص الدين له، شكرًا لنعمته، ووفاءً بحق ربوبيته، ولكننا رأينا في حديثنا عن «العبادة» في «مقومات الإسلام» أنها تَسَع الحياة كلها، وتشمل كيان الإنسان كله، فكل عمل نافع عبادة.

٣ ـ والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أصل بيّن من أصول هذا الدين، فليس يكفي ـ في منطق الإسلام ـ أن يكون المرء صالحًا في خاصة نفسه، غافلًا عن فساد غيره، بل الصالح عنده حقًّا، من أصلح نفسه، وحاول إصلاح غيره، ولو بالدعوة والأمر والنهي، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وبهذه الخصيصة ترجحت الأمة المسلمة على سائر الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن هنا سجل القرآن لعنة الله لبني إسرائيل ـ على لسان داود وعيسى ابن مريم ـ لسكوتهم عن المنكر، وعدم تناهيهم عنه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

٤ ـ والجهاد في سبيل الله ـ حماية للحق، وتثبيتًا للخير، وتأمينًا للدعوة، ومنعًا للفتنة، وصدًّا للمغيرين، وتأديبًا للناكثين، وإنقاذًا للمستضعفين ـ أصل إسلامي لا ينكره مسلم، ولا يجهل منزلته وفضله، وما أعد الله لأهله، فضلًا

QaradawiBooks.com

عن مشروعيته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ [النساء: ٧٥]، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ٧١]، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٥ ـ وتثبيت الفضائل الخلقية كلها في شتى جوانب الحياة، ونشرها وحمايتها، من العدل، والإحسان، والبر، والصلة، والتعاون على البر والتقوى، واحترام النظام، والصدق والعفاف، ورعاية الأمانة والوفاء بالعهد، والإخلاص في السر والعلانية، وقول الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس، وكف اليدين واللسان عن إيذاء الناس، وطهارة القلب من الغل والحسد، والرياء، والنفاق، وحب الدنيا، وسائر أمراض النفوس ـ كلها من الركائز المعنوية التي لا يقوم مجتمع مسلم إلا عليها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **الإخاء والمحبة:**

٦ ـ **والإخاء والمحبة من دعائم المجتمع المسلم**، وهذا مقتضى الإيمان الذي يربط بين أهله برباط العقيدة الوثيق: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد أثبت التاريخ والواقع أنه لا رباط أقوى من العقيدة، وأن لا عقيدة أقوى من الإسلام.

وأدنى مراتب هذا الإخاء: سلامة الصدور من الحسد والبغضاء، التي اعتبرها الحديث النبوي: «داء الأمم» وسماها «**الحالقة**»، ليست حالقة الشعر ولكن حالقة الدين[١]، وقد مدح الله تعالى أجيال التابعين للصحابة بإحسان بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

وكلما تعمقت جذور الإيمان، امتدت فروع الإخاء وظلاله وثماره في النفس والحياة، وتحررت الأنفس من الأنانية المقيتة، وتطلعت إلى العطاء لا الأخذ، وإلى التضحية لا الغنيمة، وفي الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٢].

وقد يرتقي ذلك إلى درجة الإيثار الذي وصف الله به مجتمع الصحابة بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٥.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

QaradawiBooks.com

## • التعاطف والتراحم:

٧ ـ **التعاطف والتراحم**، وهذا من ثمرات الإخاء الحق، وهو ما صوَّره الحديث الشريف أبلغ تصوير حين قال: «**ترى المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء، بالحمى والسهر**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢).

وأوجب ما يكون العطف والرحمة: للضعفاء من الناس من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل والخدم والمعوقين من البشر، ولهذا اعتبر القرآن من مظاهر الكفر والتكذيب بالدين القسوة على هؤلاء وتركهم يهلكون جوعًا وعريًّا وضياعًا: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣]، وذم المجتمع الجاهلي بقوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

ويعرض علينا القرآن مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، وإذا الذي يأخذ كتابه بشماله، لم يغن عنه ماله، أو يمنعه سلطانه، ينادي عليه رؤوس الإشهاد: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٤]، فرق بين عدم الإيمان وعدم الحض، ليدل على عظم جريمة القسوة على المساكين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

• **التساند والتعاون:**

٨ ـ **التساند والتعاون**، وهو المظهر العملي للإخاء والتراحم، والتعاون الإسلامي مجاله البر والتقوى وليس الإثم والعدوان، كما بيَّن ذلك القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، ولهذا حرَّم الإسلام الربا والاحتكار لما فيهما من استغلال القوي للضعيف، واعتصار الغني للفقير.

وقد مثَّل النبي ﷺ ذلك بقوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبَّك أصابعه**»(١).

وهو يشمل التعاون بين أفراد الشعب وفئاته بعضهم وبعض، أو بين الشعب والحاكم، كما ذكر القرآن التعاون بين «ذي القرنين»، وتلك الجماعة المهددة من «يأجوج ومأجوج» قال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: ٩٥].

• **التكافل والتضامن:**

٩ ـ **التكافل والتضامن**: بحيث ينهض القوي بالضعيف، ويعود الغني على الفقير، ولا يضيع عاجز ولا مسكين في هذا المجتمع، والحد الأدنى في ذلك هو فريضة الزكاة ـ الركن الثالث في الإسلام ـ والتي يقوم عليها حراس ثلاثة: حارس من داخل ضمير الفرد المسلم، وهو الإيمان. وحارس من داخل المجتمع، وهو الرأي العام المسلم. وحارس من قِبَل الدولة، وهو القانون والسلطان: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

وفي المال حقوق أخرى سوى الزكاة، وبخاصة حق الجار على جاره، بحيث يتكافل المجتمع معه في السراء والضراء.

وفي الحديث: «**ليس بمؤمن مَن بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع**»[(١)].

والتكافل الإسلامي يستوعب كل جوانب الحياة ـ مادية، ومعنوية ـ فهو تكافل معيشي وعلمي وأدبي وعسكري إلى غير ذلك من المجالات التي فصلها الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتابه «اشتراكية الإسلام».

- **التواصي والتناصح:**

**١٠ ـ التواصي والتناصح**، وهذ من التكافل الأدبي، الذي يجعل كل مسلم مسؤولًا عمن حوله من أبناء المجتمع، ينصح لهم وينصحون له، ويوصيهم بالحق والصبر، ويتقبل الوصية منهم كذلك. وليس في المسلمين أحد أكبر من أن يُنصح، ولا أحد أصغر من أن يَنصح. وهذا من أساسيات الدين، وموجبات الإيمان، وشروط النجاة من الخسران، وفي القرآن: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي الحديث: «**الدين النصيحة... لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٢)]، وفي الحديث الآخر: «**المؤمن مرآة المؤمن**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

(٢) سبق تخريجه صـ٣١٠.

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٨)، وابن وهب في جامعه (٢٣٧)، والبزار (٨١٠٩)، وحسن إسناده الحافظ في بلوغ المرام (١٥٤٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٢٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

• **التطهر والترقي:**

**١١ ـ التطهر والترقي**، فالمجتمع المسلم مجتمع نظيف يربي أبناءه على الطهارة والعفة والإحصان، ويُحرِّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويعتبر الخمر والميسر رجسًا من عمل الشيطان، ويأمر المؤمنين والمؤمنات أن يَغضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، وينهى عن التبرج والإغراء بالقول أو بالمشي أو بالحركة، حتى لا يطمع الذين في قلوبهم مرض، وحتى لا يثير الغرائز الهاجعة، فتنطلق تعيث وتعربد، بلا قيود من خُلُق ولا دين.

والمجتمع المسلم ليس مجتمع ملائكة مطهَّرين، ولكن مَن ابتُليَ منهم، بارتكاب معصية، استتر بها، ولم يتبجح بفعلها، أو بالإعلان عنها، وبذلك ينحصر أثرها، ولا يتطاير شررها، ثم يُرجى منه بعد ذلك أن يتوب منها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

• **العدالة:**

**١٢ ـ العدالة**، وتشمل عدالة التعامل بين الناس في شؤون الحياة، فإن العدل فريضة، والظلم حرام، كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي؛ إني حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا، فلا تَظَالموا**»[1].

وتشمل العدالة الاقتصادية أو الاجتماعية التي تقف في وجه الأقوياء حتى لا يمتصوا دماء الضعفاء، بل تعمل على الحد من طغيان الأغنياء، بقدر ما ترفع من مستوى الفقراء، وما تفرض لهم من حقوق المال، الزكاة، أولها وليست آخرها.

وتشمل العدالة القانونية والقضائية، بحيث يصل لكل إنسان حقه،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

وإن كان عند خليفة المسلمين، وأن يستوفي عقوبته على جرمه، وإن كان ابن أمير المؤمنين: «**وايْمُ الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**»[1].

• **مجتمع متقدم:**

**١٣ ـ** ومن أهم ما يوصف به هذا المجتمع الذي ينشئه الإسلام: أنه مجتمع متقدم، وليس مجتمعًا متخلفًا بحال.

وهذا أمر يحتاج إلى تجلية وتوضيح، فإن كلمة «تقدم» كلمة مطاطة، قابلة لأكثر من تفسير، والحضارة الغربية اليوم تزعم لنفسها أنها حضارة التقدم، وأن مجتمعاتها مجتمعات متقدمة، وأن مجتمعات المسلمين وغيرهم من أبناء ما يسمّونه «العالم الثالث» كلهم من المتخلفين، وقد يتلطفون معهم، فلا يسمون بلادهم البلاد «المتخلفة»، وإنما يسمونها «النامية».

«ولا بد لنا أن نجيب بصراحة هنا عن موقفنا من التقدم ـ أو بعبارة أدق ـ عن موقف الإسلام من التقدم.

إن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي منا أن نحدد أولًا مفهوم التقدم، فالحكم للشيء، أو عليه، فرع عن تصوره.

والتقدم في معناه البسيط: أن يكون الإنسان قدام غيره، أي في جهة الأمام، ويقابله: التخلف، وهو أن يكون الإنسان في الخلف.

والأمامية والخلفية من الأمور النسبية، فقد تعتبر في الأمام بالنسبة

(١) سبق تخريجه صـ٢٩٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لشخص وراءك، وتعتبر في الخلف بالنسبة لشخص أمامك، وقد تكون أمام مجموعة كلها من المتخلفين، فأنت حينئذ أسبق المتخلفين، كالسابق بين العرجان!

- **ارتباط التقدم بأهداف الحياة:**

ولكن التقدم قد يُقاس بالنسبة لهدف يريد الإنسان أن يبلغه، فكل حركة في اتجاهه تُقرِّب إليه، تُعَد تقدمًا، بخلاف أي حركة في عكس الاتجاه الموصل إلى الهدف؛ لأنها حركة إلى الوراء حتمًا.

وكذلك التوقف والجمود في موضع واحد لا يعدوه صاحبه، لا إلى أمام ولا إلى وراء، هذا في حد ذاته تخلف؛ لأن توقفك يعطي غيرك فرصة ليخطو خطوة أو خطوات إلى الأمام، وأنت واقف في مكانك، فستتخلف أنت بقدر ما يتحرك هو. وخصوصًا أن الأصل في الإنسان أنه حي متحرك، والحركة دليل الحياة.

وهنا يبرز السؤال الكبير، ما الهدف أو الأهداف التي يجب على البشر أن يبلغوها ويحققوها في حياتهم؟ حتى يكون القُرب منها أو البُعْد عنها مقياسًا للتقدم أو التخلف.

- **الأهداف الأساسية للحياة الإنسانية:**

إن الإسلام يجعل لحياة البشر على الأرض أهدافًا أساسية، وأبرزها كما جاء بها القرآن العظيم ـ ثلاثة، ذكرها الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه القيّم «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، وهي:

١ ـ **العبادة لله**، وإليها يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

QaradawiBooks.com

**٢ ـ الخلافة لله في الأرض**، وإليها يشير قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

**٣ ـ والعمارة للأرض**، وإليها الإشارة بقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

- **تقدم متكامل:**

إن التقدم الذي يطلبه الإسلام للحياة: تقدم متكامل، روحي ومادي، أخلاقي وعمراني، دنيوي وأخروي، علمي وإيماني، ولا يجد أي تعارض بين هذه المتقابلات، بل هو يجمع بينها في توازن واتساق.

إنه تقدم في الأهداف والغايات، وتقدم في الوسائل والأساليب معًا، فالإسلام أحرص ما يكون على نظافة الوسيلة، حرصه على شرف الغاية، ولا يقبل بحال الوصول إلى الغايات النبيلة بوسائل خسيسة أو قذرة، بل هو يرفض الوصول إلى الحق بطريق الباطل، يرفض أكل الربا وكسب الحرام لبناء المساجد، وتشييد المدارس، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

وفي ضوء هذا المفهوم المتكامل للتقدم قامت الحضارة الإسلامية الشامخة التي جمعت بين الروائع المادية التي تمثلت في مبدعات العمارة والفنون وغيرها، وبين المعاني الإيمانية والأخلاقية التي كانت هي الدوافع الحقيقية وراء هذا الإبداع، وكانت هي السند الروحي والمعنوي لهذه الحضارة التي لا تخطئ العين في عامة مظاهرها ومنجزاتها: إنها حضارة ربَّانية، محورها الإيمان، وركيزتها الأخلاق.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# بناء الأمة الصالحة

من أهداف الإسلام الأساسية: تكوين «أمـــة» متميزة، تطبق رسالته، وتؤسس حياتها على عقيدته وشريعته ومُثُله، وتربي أجيالها على هداه، وتحمـــل رسالته إلى العالم كلـــه، فتحمل معها الرحمـــة والنور والخير للبشرية كلها، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيـــاء: ١٠٧]، ولم يكن تكوين هذه الأمة بالأمـــر السهل في ظروف نشأة الإسلام المعروفة، فقد وُلِدَ الإسلام في جزيرة العرب، وهي قائمة على القَبَليـــة والعصبية لهـــا. فالقبيلة هي أســـاس الولاء، ومصـــدر الاعتزاز والانتماء، فلا مكان لابن القبيلة إلا بها، بـــل لا وجود له إلا بها، فهي النَّسب والْحَسب، وهي السلطة والقوة، وهي الاقتصاد والسياسة، يرضى برضاها، ويغضـــب بغضبها، أو بغضب شـــيخها، ويتعصب لابن القبيلة محقًّا كان أو مبطلًا، شعار كل واحد فيها: «انصر أخاك ـ أي ابن القبيلة ـ ظالمًا أو مظلومًا» بالمعنى الظاهري للعبارة، ولقد وصف أحدهم زعيم قبيلة كبيـــرة بقوله: إنـــه رجل إذا غضـــب، غضب له مائـــة ألف سيف لا يسألونه: فيم غضب؟!

وكل قبيلة تحاول أن تستعلي علـــى القبيلة الأخرى، وتنقص من أطرافهـــا، ولهذا كثرت الغـــارات من بعضهم علـــى بعض، حتى قال قائلهم:

QaradawiBooks.com

وأحيانًا على بكر أخينا إذا لم نجد إلا أخانا[١]!

فلما جاء الإسلام نقلهم نقلة كبيرة في عالم الفكر، وعالم الشعور، وعالم الواقع، نقلهم من سجن القَبَلية الضيقة، إلى باحة الأمة الواسعة. وحذَّر أشد التحذير من الدعوة إلى العصبية بكل ألوانها، وخصوصًا العصبية للقبيلة.

وفي الحديث: «**ليس منا مَن دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية، أو مات على عصبية**»[٢].

«**مَن قاتل تحت راية عُمِّية، يغضب لعَصَبة، أو يدعو إلى عَصبة، أو ينصر عَصبة، فقُتِل، فقتلته جاهلية**»[٣].

وسُئل ﷺ عن «العصبية» فقال: «**أن تعين قومك على الظلم**»[٤]، ففسَّرها بأثرها في واقع المجتمع القَبَلي، فصاحب العصبية مع جماعة وإن جاروا وظلموا، وضد خصومهم وإن بروا وأقسطوا أو أُوذوا وظُلِموا، على خلاف ما جاء به الإسلام من القيام بالقسط: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨].

وفي لحظة من لحظات الضعف البشري، أطلت النزعة القَبَلية عند بعض الصحابة، فتنادوا بأسماء قبائلهم: يا بني فلان، ويا بني

---

(١) من شعر عمير بن شُييم الملقب بالقطامي، كما في الحماسة لأبي تمام (٢٠٣/١)، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢١)، عن جبير بن مطعم، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٣٥)، ولكن يشهد له حديث مسلم الآتي.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، وأحمد (٧٩٤٤)، عن أبي هريرة. وعُمّية: الأمر لا يستبين وجهه.

(٤) رواه أحمد (١٦٩٨٩)، وقال مخرّجوه: حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٩)، عن واثلة بن الأسقع.

QaradawiBooks.com

عِلان. فغضب النبي ﷺ أشد الغضب، وقال: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**»[١]، وقال عن دعوة العصبية كلمته المعبرة: «**دعوها فإنها منتنة**»[٢].

لقد أراد الإسلام أن يبني «أُمة» على أساس العقيدة والفكرة، وليس على أي أساس مادي أو أرضي مما يبني عليه البشر أُممهم، من عنصر أو لون أو لغة أو أرض، مما ليس للإنسان فيه إرادة واختيار. بل هو قدر مفروض عليه، فلم يختر الإنسان جنسه ولا لونه ولا لغته ولا أرضه التي وُلِدَ فيها. إنما ورث هذا كله دون أن يكون له رأي فيه.

أما العقيدة، فالأصل فيها أنها من اختيار الإنسان، وإيمان المقلِّد مشكوك في قبوله، بل مرفوض عند المحققين من علماء المسلمين.

أراد الإسلام للمسلمين أن يكونوا أمة تنتسب إلى الحق لا إلى زيد أو عمرو من البشر، فهي لا تقوم على رابطة عِرقية ولا لونية ولا إقليمية ولا طبقية. بل هي أمة عقيدة ورسالة قبل كل شيء.

هي أمة الإسلام، أو أمة المسلمين كما قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]، وهي أمة الإيمان أو أمة المؤمنين. ولهذا تُنَادى دائمًا بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٥٦/٦)، وانظر: تفسير ابن كثير (٩٠/٢)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، وروح المعاني للألوسي (٢٣٢/٢)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٤)، عن جابر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## • أوصاف الأمة الأساسية في القرآن:

أبرز ما يميِّز هذه الأمة عن غيرها من الأمم أوصاف أربعة ذكرها القرآن:

### • الربانية:

**الأول: الربانيــة** ـ ربانية المصدر، وربانية الوجهــة. فهي أمة أنشأها وحــي الله تعالى، وتعهدتهــا تعاليمه وأحكامه، حتى اكتمــل لها دينها، وتمت به نعمة الله عليها كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالله تعالى هو صانع هــذه الأمة. ولهذا نجد القــرآن الكريم يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فهذا التعبير ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾، يفيد أنَّ الله هو جاعل هذه الأمة ومتخذها وصانعها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فتعبير ﴿أُخْرِجَتْ﴾، يدل على أن هناك مُخرِجًا أخرج هذه الأمة، فهي لم تظهر اعتباطًا، ولم تكن نباتًا بريًّا ينبــت وحده دون أن يزرعه زارع، بل هو نبات مقصود متعهَد بالعناية والرعاية. والذي أخرج هذه الأمة وزرعها وهيأها لرسالتها هو الله جَلَّ شأنه.

فهي أمة مصدرهــا رباني، ووجهتها ربانية كذلــك؛ لأنها تعيش لله، ولعبادة الله، ولتحقيق منهج الله في أرض الله. فهي من الله وإلى الله[1]، كما قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

---

(١) انظر كتابنا: الخصائص العامة في الإسلام، خصيصة: الربانيــة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

• **الوسطية:**

**والثاني: الوسطية**، التي تؤهل الأمة للشهادة على الناس، وتبوئها مكان الأستاذية للبشرية. وفيها جاءت الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهي وسطية شاملة جامعة: وسطية في الاعتقاد والتصور، ووسطية في الشعائر والتعبد، ووسطية في الأخلاق والسلوك، ووسطية في النظم والتشريع، ووسطية في الأفكار والمشاعر.

وسطية بين الروحية والمادية... بين المثالية والواقعية... بين الفردية والجماعية[١].

إنها الأمة التي تمثل «الصراط المستقيم» بين السُّبل المتعرجة والملتوية، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض. صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، لا صراط المغضوب عليهم ولا الضالين.

• **الدعوة:**

**والوصف الثالث: الدعوة.** فهي أمة دعوة ورسالة، ليست أمة منكفئة على نفسها، تحتكر الحق والخير والهداية لذاتها، ولا تعمل على نشرها في الناس. بل الدعوة فريضة عليها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله أساس تفضيلها على كل الأمم. كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) انظر خصيصة: الوسطية، من كتابنا المذكور.

QaradawiBooks.com

فهي لم ترجح سائر الأمم في ميزان الله لسبب مادي أو عنصري. كيف وهي تتكون من عناصر شتى، من كل مَن يدخل في دين الله من أجناس البشر عربًا أو عجمًا؟

إنما رجحت في ميزان الحق؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

وقبل ذلك بآيات: قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومعناها على أحد التفسيرين: اجعلوا من أنفسكم أمة الدعوة والأمر والنهي، فبهذا تستحقون أن يُقصر الفلاح عليكم. و«من» هنا تجريدية لا تبعيضية.

وعلى التفسير الآخر: هيئوا منكم طائفة متماسكة قادرة على الدعوة والأمر والنهي. ولتسقط فرض الكفاية عنكم، وتكونوا أنتم عونًا لها.

إن رسالة الإسلام رسالة عالمية، رسالة لكل الأجناس، ولكل الألوان، ولكل الأقاليم، ولكل الشعوب، ولكل اللغات، ولكل الطبقات. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعلى الأمة المسلمة أن تدعو الناس جميعًا إلى الإسلام بألسنتهم حتى نبيِّن لهم، ونقيم الحجة عليهم، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، حتى لا تُلعن كما لُعِنَ الذين من قبلها حين فرَّطوا في هذا

QaradawiBooks.com

الواجب: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

• **الوحدة:**

**والوصف الرابع: الوحدة.** فالأمة التي يريدها الإسلام أمة واحدة، وإن تكونت من عروق وألوان وطبقات، فقد صهرها الإسلام جميعًا في بوتقته، وأذاب الفوارق بينها، وربطها بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وكيف لا تكون هذه الأمة واحدة، وقد وحَّد الله عقيدتها وشريعتها، ووحَّد غايتها، ووحَّد منهاجها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أمة ربها واحد هو الله، ونبيها واحد هو محمد ﷺ، وكتابها واحد هو القرآن، وقِبْلتها واحدة هي الكعبة البيت الحرام، وشريعتها واحدة هي شريعة الإسلام، ووطنها واحد هو «دار الإسلام» على اتساعها، وقيادتها واحدة تتمثل في «خليفة المسلمين» وأمير المؤمنين، الذي يُجسِّم الوحدة السياسية للأمة.

ولهذا رفض الإسلام أن يكون للمسلمين خليفتان في وقت واحد، حرصًا على وحدة الأمة، ومنعًا لتفرق كلمتها، وشتات أمرها.

ولهذا لا يجوز أن نقول في تعبيرنا: الأمم الإسلامية، بل الأمة الإسلامية، فهي أمة واحدة كما أمر الله، وليس أممًا متفرقة، كما أراد الاستعمار.

QaradawiBooks.com

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولقد نبَّه القرآن على دسائس بعض أهل الكتاب الذين يسعون جهدهم لتمزيق شمل المسلمين، وإثارة النعرات العصبية بينهم، قال تعالى محذرًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وسبب نزول الآية الكريمة وما بعدها يدل على أن المقصود: يردوكم بعد وحدتكم متفرقين، وبعد أخوَّتكم متعادين.

إن وحدة الأمة توجب عليها أن تجعل أخوتها الإسلامية فوق كل العصبيات، فقد جعلها الله تعالى معبِّرة عن الإيمان ومجسدة له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال رسوله الكريم ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**»[(١)]؛ أي لا يخذله عند الشدة أو عند الاعتداء عليه، بل ينصره ويسانده، وهذا هو مقتضى الأخوة. وهو ما يؤكده الحديث الآخر: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على مَن سواهم**»[(٢)].

ويُحذِّر الإسلام أبلغ التحذير من تعادي أبناء الأمة الواحدة إلى حد أن يحارب بعضها بعضًا، كما كانت تفعل قبائل الجاهلية. يقول ﷺ:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.
(٢) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

«**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[١]، «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[٢].

غير مرخصة للطباعة

• **الإيمان بالأمة لا ينفي خصوصيات الأقوام:**

ومن المفيد هنا أن ننبّه على قضية ذات شأن، وهي: أن الإيمان بـ«الأمة» المؤسسة على عقيدة الإسلام، وأخوة الإيمان، والتي تضم جميع المسلمين في رحابها حيث كانوا ـ لا ينفي أن هناك خصوصيات معينة لكل قوم، يعتزون بها، ويحافظون عليها، ولا يُفرِّطون فيها، ولا مانع من ذلك إذا لم تتحول إلى عصبية عِرقية تقاوم أخوة الإسلام، أو إلى نزعة أنانية انفصالية تهدد وحدة دولة الإسلام.

ولقد ترك الرسول ﷺ وأصحابه من بعده القبائل تقاتل تحت راياتها، تحت القيادة الإسلامية العامة، ليكون ذلك مصدرًا إضافيًّا لحماسهم وإقدامهم، حتى لا يجلبوا العار على أقوامهم وعشائرهم.

إن حب الرجل لقومه وعشيرته ورغبته في جلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم، نزعة فطرية لا غبار عليها، ولا خطر فيها. كما لا خطر في حبه لأسرته، واهتمامه بها، ولا غرو أن أمر الرسول بتعلم الأنساب لما وراءها من تواصل في الأرحام وإن تباعدت: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**»[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (٨٨٦٨)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذي في البر والصلة (١٩٧٩)، وقال: غريب. والحاكم في البر والصلة (١٦١/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

نسخة مصغرة

QaradawiBooks.com

وفي الحديث: «**خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم**»[(١)].

إن الخطر إنما يتمثل فيما إذا وقف قومه موقفًا معاديًا للإسلام، وحادُّوا الله ورسوله، هنا تحرم الموادة والموالاة، ولو كانت لأقرب الناس للإنسان، كأمه وأبيه وزوجه وأخيه.

يقول تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

لا بأس أن يحب الرجل أسرته، ويحب قومه وعشيرته، ولكن إذا تعارض ذلك مع حب الله ورسوله. فإن حب الله ورسوله أغلى من كل شيء. هنا يتغنى المسلم بقول القائل:

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه  إذا افتخروا بقيس أو تميم[(٢)]!

هنا يقول المسلم ما قاله سلمان رضي الله عنه حين سُئل: ابن مَن أنت؟ فقال: أنا ابن الإسلام[(٣)]!

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢٠)، وقال: أيوب بن سويد ضعيف. عن سراقة بن مالك.

(٢) من شعر نهار بن توسعة اليشكري، كما في الكامل في الأدب (١٣٣/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٤/١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

## • القومية عند حسن البنا:

ولقد كان هذا المعنى واضحًا عند الإمام البنا، فلم يرفض فكرة «القومية» رفضًا كليًّا، ولم يقبلها قبولًا مطلقًا، بل فصَّل فيها كما فصَّل في «الوطنية» قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن كان الذين يعتزون بمبدأ «القومية» يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة، فهو مقصد حسن جميل، نشجعه ونأخذ به، وهل عُدَّتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلا أن نحدوهم بأمجاد الماضين؟ ولعل الإشارة إلى هذا في قول رسول الله ﷺ: «**الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»[(١)]، فها أنت ذا ترى أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل.

وإذا قُصِد بالقومية أن عشيرة الرجل وأُمته أولى الناس بخيره وبِرِّه، وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك، ومن ذا الذي لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم؟

لَعمري لرهط المرء خير بقية  عليه وإن عالوا به كل مركب[(٢)]

وإذا قُصِدَ بالقومية أننا جميعًا مبتلون، مطالَبون بالعمل والجهاد، فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى تلتقي إن شاء الله في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٤٩٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٢٦)، عن أبي هريرة.

(٢) البيت لخالد بن نضلة الحجواني؛ أو لزرافة بن سبيع الأسدي، انظر: الحماسة البصرية (٥٦/٢)، نشر عالم الكتب، بيروت.

QaradawiBooks.com

ساحة النصر فنِعْمَ التقسيم هذا، ومَن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب، كل في ميدانها حتى نلتقي جميعًا في بحبوحة الحرية والخلاص؟

كل هذا وأشباهه في معنى القومية جميل مُعجب لا يأباه الإسلام، وهو مقياسنا، بل ينفسح صدرنا له ونحضُّ عليه.

أما أن يُراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست، وإقامة ذكريات بائدة خلت، وتعفية حضارة نافعة استقرت، والتحلل من عُقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس، كما فعلت بعض الدول في المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عادات جاهلية، فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيئ المغبة، يؤدي بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته، ويفقد أخص مميزاته، وأقدس مظاهر شرفه ونبله، ولا يضر ذلك دين الله شيئًا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وأما أن يُراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها والتضحية بها في سبيل عزة أمة وبقائها، كما تنادي بذلك ألمانيا وإيطاليا مثلًا، بل كما تدَّعي كل أمة تنادي بأنها فوق الجميع. فهذا معنى ذميم، كذلك ليس من الإنسانية في شيء، ومعناه أن يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الأوهام، لا حقيقة له ولا خير فيه.

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها ولا يقولون: فرعونية وعربية، وفينيقية وسورية، ولا شيئًا من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله ﷺ،

QaradawiBooks.com

الإنسان الكامل؛ بل أكمل معلم علَّم الإنسان الخير: «**إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب**»[١]، «**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»[٢]، ما أروع هذا وأجمله وأعدله: الناس لآدم، فهم في ذلك أكفاء، والناس يتفاضلون بالأعمال، فواجبهم التنافس في الخير.

دعامتان قويمتان لو بُنيت عليهما الإنسانية لارتفعت بالبشر إلى علياء السماوات: الناس لآدم، فهم إخوان، فعليهم أن يتعاونوا وأن يسالِم بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا، ويدل بعضهم بعضًا على الخير.

والتفاضل بالأعمال، فعليهم أن يجتهدوا: كلٌّ من ناحيته، حتى ترقى الإنسانية، فهل رأيت سموًّا بالإنسانية أعلى من هذا السمو؟ أو تربية أفضل من هذه التربية؟».

- **خواص العروبة:**

ثم يقول الأستاذ البنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولسنا مع هذا ننكر خواص الأمم ومميزاتها الخُلُقية، فنحن نعلم أن لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخُلُق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان؛ بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى تحقيق المهمة السابقة التي كُلِّفها كل شعب، تلك هي

(١) رواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وحسَّنه، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. عمَّن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

النهوض بالإنسانيــة، ولعلك لستَ واجــدًا في التاريخ مَــن أدرك هذا المعنى من شــعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ»[1] اهـ.

وبهذا لم يرَ الإمام البنا أن يقيم تعارضًا ـ لا ضرورة له ـ بين العروبة والإسلام.

* * *

(١) رسالة دعوتنا ضمــن مجموع رسائــل الإمام الشهيد حســن البنا صـ ٢٤، نشــر المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# بناء الدولة الصالحة

وكما حرص الإسلام على إنشـــاء الأمة الصالحـــة المصلحة، ذات الرسالة الربَّانية الإنسانية الأخلاقية العالمية، هدف كذلك إلى أن تحكم هذه الأمة دولة صالحة، تحقق أهدافها، وتنمي خصائصها، وتحافظ على رسالتها، وتعمل على غرسها في الداخل، ونشرها في الخارج.

ولقد استطاع الاستعمار الذي حكم أكثر بلاد المسلمين ـ أن يغرس في الكثيرين منهم فكرة دخيلـــة، مؤداها أن الإسلام دين لا دولة. «دين» بالمفهوم الغربي لكلمة «الدين» أما شؤون الدولة فلا صلة له بها. وإنما ينظمها العقل الإنساني، وفقًا لتجاربه وظروفه المتطورة!

لقد أرادوا أن يُطبِّقوا على الإسلام في الشرق، ما طُبِّقَ على المسيحية في الغرب. فكما أن النهضـــة هناك لم تتم إلا بعـــد التحرر من سلطان الدِّين، فكذلك يجب أن تقوم النهضة في شـــرقنا العربي الإسلامي على أنقاض الدين!

مع أن الديـــن هناك معناه الكنيســـة وسلطة البابـــا، واستبداد رجال الكهنوت بالضمائر والأرواح. فأين هذا من الدين هنا، وليس فيه بابا ولا كهنوت، ولا استبداد بالضمائر والأرواح[1]؟!

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي صـ ١٩٦، فصل: =

QaradawiBooks.com

على كل حال، لقد نجح الاستعمار في خلق فئات تؤمن أن الدين لا مكان له في توجيه الدولة وتنظيمها، وأن الدين شيء والسياسة شيء آخر، وأن هذا يجري على الإسلام، كما جرى على المسيحية. وكان من الشعارات المضللة التي شاعت أن «الدين لله والوطن للجميع»! وهي كلمة حق يُراد بها باطل، ويمكن أن تقلب على كل الوجوه. فنستطيع أن نقول: إن الدين لله والوطن لله، أو: الدين للجميع والوطن للجميع، أو: الدين للجميع والوطن لله!

وإنما مرادهم بكلمة «الدين لله» أن الدين مجرد علاقة بين ضمير الإنسان وربه، ولا مكان له في نظام الحياة والمجتمع.

وكان أبرز مثل عملي لذلك هو «الدولة العلمانية» التي أقامها كمال أتاتورك في تركيا، وفرضها بالحديد والنار والدم على مجموع الشعب التركي المسلم، بعد تحطيم الخلافة العثمانية آخر حصن سياسي بقي للإسلام بعد صراع القرون، مع الصليبية واليهودية العالمية.

وقد أخذت الحكومات في البلاد الإسلامية الأخرى تقلد تركيا الجديدة، على درجات متفاوتة، فأُقصِيَ الإسلام عن الحكم والتشريع في الأمور الجنائية والمدنية ونحوها، وبقي محصورًا فيما سُمي «الأحوال الشخصية»، كما أُقصى عن التوجيه والتأثير في الحياة الثقافية والتربوية والاجتماعية، إلا في حدود ضئيلة. وفسح المجال ـ كل المجال ـ للتوجيه الغربي، والثقافة الغربية، والتقاليد الغربية.

= دين لا دولة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، وانظر كتابنا: بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين، فصل: دولة إسلامية لا دولة دينية.

QaradawiBooks.com

وكان من أبرز المظاهر لنجاح الغزو الثقافي الغربي أن «الفكر العلماني» الدخيل الذي ينادي بفصل الدين عن الدولة، لم يقف عند الرجال «المدنيين» وحدهم؛ بل تعدَّاهم إلى بعض الذين درسوا دراسة دينية في معهد إسلامي عريق كالأزهر، كما تجلَّى ذلك في كتاب الشيخ علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم».

ومن الإنصاف أن نقول: إن هذا الكتاب قد أحدث ضَجَّة هائلة حين صدوره، في المجتمع عامة، وفي الأزهر خاصة، وقد شُكِّلت هيئة من كبار علماء الأزهر لمحاكمة مؤلفه، فقضت بتجريده من شهادة العالِمية، وإخراجه من زُمرة العلماء، كما رد عليه كثير من العلماء والمفكرين: أزهريين، وغير أزهريين[1].

كان لا بد إذن من تأكيد الوقوف في وجه العِلمانية ودعاتها ومبرريها، بتأكيد شمول الإسلام، وإبراز هذا الجانب الحي من أحكامه وتعاليمه: جانب الدولة، وتنظيمها وتوجيهها بأحكامه وآدابه، وإعلان أن ذلك جزء لا يتجزَّأ من نظام الإسلام.

- **الدليل من نصوص الإسلام:**

ولم يكن هذا ابتكارًا من الحركة الإسلامية ومؤسسها ودعاتها. بل هو ما تنطق به نصوص الإسلام القاطعة، ووقائع تاريخه الثابتة، وطبيعة دعوته الشاملة.

أما نصوص الإسلام فحسبنا منها آيتان من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) ممن ردوا عليه العلامة المجاهد محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر الأسبق في كتاب سمَّاه: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، والعلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي مصر في زمنه.

QaradawiBooks.com

نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

فالخطاب في الآية الأولى للولاة والحكَّام: أن يرعوا الأمانات ويحكموا بالعدل، فإنَّ إضاعة الأمانة والعدل نذير بهلاك الأمة، وخراب الديار. ففي «الصحيح»: «**إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة**». قيل: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[(١)].

والخطاب في الآية الثانية للرَّعية المؤمنين: أن يطيعوا «أولي الأمر» بشرط أن يكونوا «منهم» وجعل هذه الطاعة بعد طاعة الله وطاعة الرسول، وأمر عند التنازع برد الخلاف إلى الله ورسوله، أي إلى الكتاب والسنة. وهذا يفترض أن يكون للمسلمين دولة تهيمن وتُطاع، وإلا لكان هذا الأمر عبثًا.

وفي ضوء الآيتين المذكورتين ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه المعروف «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» والكتاب كله مبني على الآيتين الكريمتين.

وإذا ذهبنا إلى السنة، رأينا الرسول ﷺ يقول: «**مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[(٢)]. ولا ريب أنَّ من المحرَّم على المسلم أن يبايع أي حاكم لا يلتزم بالإسلام. فالبيعة التي تنجيه من الإثم أن يبايع مَن يحكم بما أنزل الله.. فإذا لم يوجد ذلك فالمسلمون آثمون حتى يتحقق الحكم الإسلامي، وتتحقق به البيعة المطلوبة. ولا ينجي المسلم من هذا الإثم إلا أمران: الإنكار ـ ولو بالقلب ـ على هذا الوضع المنحرف المخالف لشريعة الإسلام.

---

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

والسعي الدائب لاستئناف حياة إسلامية قويمة، يوجهها حكم إسلامي صحيح.

وجاءت عشرات الأحاديث الصحيحة عن الخلافة والإمارة والقضاء والأئمة وصفاتهم وحقوقهم من الموالاة والمعاونة على البر، والنصيحة لهم وطاعتهم في المنشط والمكره، والصبر عليهم، وحدود هذه الطاقة وهذا الصبر، وتحديد واجباتهم من إقامة حدود الله ورعاية حقوق الناس، ومشاورة أهل الرأي، وتولية الأقوياء الأمناء، واتخاذ البطانة الصالحة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلى غير ذلك من أمور الدولة، وشؤون الحكم والإدارة والسياسة.

ولهذا رأينا شؤون الأمة والخلافة تُذكر في كتب العقائد وأصول الدين، كما رأيناها تُذكر في كتب الفقه، كما رأينا كتبًا خاصة بشؤون الدولة الدستورية والإدارية والمالية والسياسية، كـ«الأحكام السلطانية» للماوردي، ومثله لأبي يعلى، و«الغياثي» لإمام الحرمين، و«السياسة الشرعية» لابن تيمية، و«تحرير الأحكام» لابن جماعة، و«الخراج» لأبي يوسف، ومثله ليحيى بن آدم، و«الأموال» لأبي عبيد، ومثله لابن زنجويه، وغير ذلك مما أُلِّف ليكون مرجعًا للقضاة والحكَّام كـ«الطُّرق الحكمية»، و«التبصرة»، و«معين الحكَّام». وما شابهها.

- **الدليل من تاريخ الإسلام:**

أما تاريخ الإسلام، فينبئنا أن رسول الله ﷺ سعى بكل ما استطاع من قوة وفكر ـ مؤيَّدًا بهداية الوحي ـ إلى إقامة دولة للإسلام، ووطن لدعوته، خالص لأهله، ليس لأحد عليهم فيها سلطان، إلا سلطان الشريعة. ولهذا كان يعرض نفسه على القبائل ليؤمنوا به ويمنعوه

QaradawiBooks.com

ويحموا دعوتــه، حتى وفَّــق الله «الأنصار» مــن الأوس والخزرج إلى الإيمان برسالته، فلمــا انتشر فيهم الإسلام جاء وفــد منهم إلى موسم الحج مكوَّن من (٧٣) رجــلًا وامرأتين، فبايعوه ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأزواجهــم وأبناءهم، وعلى السمــع والطاعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ. فبايعوه على ذلك. وكانت الهجرة إلى المدينة ليست إلا سعيًا لإقامة المجتمع المسلم المميّز، تشرف عليه دولة مسلمة متميزة.

كانت «المدينة» هي «دار الإسلام» وقاعدة الدولة الإسلامية الجديدة، التي يرأسهــا رسول الله ﷺ فهو قائد المسلميــن وإمامهم، كما أنه نبيهم ورسول الله إليهم.

وكان الانضمــام إلى هذه الدولة، لشد أزرهــا، والعيش في ظلالها، والجهاد تحت لوائها، فريضة على كــل داخل في دين الإسلام حينذاك. فلا يتم إيمانه إلا بالهجــرة إلى دار الإسلام، والخــروج من دار الكفر والعداوة للإسلام، والانتظام فــي سلك الجماعة المؤمنة المجاهدة التي رماها العالَم عن قوس واحدة. يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ويقول في شــأن قوم: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٨٩][1].

كما نزل القرآن الكريم يندد أبلغ تنديد بأولئك الذين يعيشون مختارين في دار الكفر والحرب، دون أن يتمكنوا من إقامــة دينهم وأداء واجباتهم

(١) إن بديل الهجرة إلى الدولة المسلمة هو الانضمام إلى الجماعة المسلمة التي تعمل لإقامة دولة الإسلام، فهو فريضة على كل مسلم بحسب وسعه، إذا لم يوجد ما يمنعه عن ذلك.

QaradawiBooks.com

وشعائرهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

وعند وفاة النبي ﷺ كان أول ما شغل أصحابه رضي الله عنهم، أن يختاروا «إمامًا» لهم، حتى إنهم قدَّموا ذلك على دفنه ﷺ، فبادروا إلى بيعة أبي بكر، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، وبهذا الإجماع التاريخي ابتداءً من الصحابة والتابعين ـ مع ما ذكرنا من النصوص ـ استدل علماء الإسلام على وجوب نصب الإمام الذي هو رمز الدولة الإسلامية وعنوانها.

ولم يعرف المسلمون في تاريخهم انفصالًا بين الدين والدولة إلا عندما نجم قرن العلمانية في هذا العصر، وهو ما حذَّر الرسول ﷺ منه، وأمر بمقاومته كما في حديث معاذ: «**ألا إنَّ رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الإسلام حيث دار، ألا إن القرآن والسلطان سيفترقان** ـ أي الدين والدولة ـ **فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، فإن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم**». قالوا: وماذا نصنع يا رسول الله؟ قال: «**كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم: نُشِروا بالمناشير، وحُمِلوا على الخُشب. موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله**»[1].

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩٠/٢٠)، وفي الصغير (٧٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٥/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٥٣): رواه الطبراني، ويزيد بن مرثد لم يسمع معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان، وغيره، وبقية رجاله ثقات. عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

### • الدليل من طبيعة الإسلام:

أما طبيعة الإسلام ورسالته، فذلك أنه دين عام، وشريعة شاملة، وشريعة هذه طبيعتها لا بد أن تتغلغل في كافة نواحي الحياة، ولا يتصوّر أن تهمل شأن الدولة، وتدعها للمتحللين والملحدين أو الفسقة، يديرونها تبعًا للهوى.

كما أن هذا الدين يدعو إلى التنظيم وتحديد المسؤولية، ويكره الاضطراب والفوضى في كل شيء، حتى رأينا الرسول ﷺ يأمرنا في الصلاة أن نسوّي الصفوف[١]، وأن يؤمَّنا أعلمنا[٢]، وفي السفر يقول: «**أمِّروا أحدكم**»[٣].

يقول الإمام ابن تيمية في «السياسة الشرعية»: يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد عند الاجتماع من رأس. حتى قال النبي ﷺ: «**إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمِّروا أحدهم**» في حديث أبي سعيد[٤]، وأبي هريرة[٥].

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة»، رواه البخاري في الأذان (٧٢٣)، ومسلم في الصلاة (٤٣٣)، عن أنس.

(٢) إشارة إلى حديث: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا». رواه مسلم في المساجد (٦٧٣)، وأحمد (١٧٠٦٣)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٣) رواه البزار (٣٢٩)، والحاكم في الصوم (٤٤٣/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٠٥): رجاله رجال الصحيح خلا عمار بن خالد، وهو ثقة. عن عمر بن الخطاب.

(٤) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٨)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٧): إسناده حسن صحيح.

(٥) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): إسناده حسن صحيح.

QaradawiBooks.com

وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاةٍ من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم**»[١]، فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع.

«ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل، وإقامة الحج والجُمَع والأعياد، ونُصرة المظلوم، وإقامة الحدود، لا تتم إلا بالقوة والإمارة. ولهذا روي: «**إن السلطان ظل الله في الأرض**»[٢]. ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كانت لنا دعوة مجابة، لدعونا بها للسلطان»[٣]. وذلك لأن الله يُصلح بصلاحه خلقًا كثيرًا.

ثم إن طبيعة الإسلام باعتباره منهجًا يريد أن يسود ويقود ويُوجِّه الحياة، ويحكم المجتمع، ويضبط سير البشر وفق أوامر الله، لا يُظن به أن يكتفي بالخطابة والتذكير والموعظة الحسنة، ولا أن يدع أحكامه ووصاياه وتعليماته في شتى المجالات إلى ضمائر الأفراد وحدها، فإذا سقمت هذه الضمائر أو ماتت، سقمت معها وماتت تلك الأحكام والتعاليم. وقد قال الخليفة الثالث رضي الله عنه: إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[٤].

---

(١) رواه أحمد (٦٦٤٧)، وقال مخرجوه: حسن. والحاكم (٤٤٣/١، ٤٤٤)، وصححه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣٦٢): رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٥٠)، عن أبي بكرة.

(٣) السياسة الشرعية، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٠/٢٨، ٣٩١).

(٤) سبق تخريجه صـ٣٣١.

QaradawiBooks.com

فمن الناس مَن يهديه الكتاب والميزان، ومنهم مَن لا يردعه إلا الحديد والسِّنان. ولذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال ابن تيمية: فمن عَدَل عن الكتاب عُدِّلَ بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف[١].

وقال الإمام الغزالي: الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا، والملك والدين توءمان، فالدين أصل، والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان[٢].

إن نصوص الإسلام لو لم تجئ صريحة بوجوب إقامة دولة للإسلام، ولم يجئ تاريخ الرسول وأصحابه تطبيقًا عمليًّا لما دعت إليه هذه النصوص ـ لكانت طبيعة الرسالة الإسلامية نفسها تحتم أن تقوم للإسلام دولة أو دار، يتميز فيها بعقائده وشعائره وتعاليمه ومفاهيمه، وأخلاقه وفضائله، وتقاليده وتشريعاته.

فلا غنى للإسلام عن هذه الدولة المسؤولة في أي عصر، ولكنه أحوج ما يكون إليها في هذا العصر خاصة. هذا العصر الذي برزت فيه «الدولة الأيديولوجية»، وهي الدولة التي تتبنى فكرة، يقوم بناؤها كله على أساسها، من تعليم وثقافة، وتشريع وقضاء واقتصاد، إلى غير ذلك من الشؤون الداخلية والسياسة الخارجية. كما نرى ذلك واضحًا في

(١) مجموع الفتاوى (٢٦٤/٢٨).

(٢) إحياء علوم الدين (١٧/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدولة الشيوعية والاشتراكية. وأصبح العلم الحديث بما وفَّره من تقدم تكنولوجي في خدمة الدولة، وأصبحت الدولة بذلك قادرة على التأثير في عقائد المجتمع وأفكاره، وعواطفه وأذواقه وسلوكه بصورة فعَّالة، لم يُعرف لها مثيل من قبل. بل تستطيع الدولة بأجهزتها الحديثة الموجهة أن تغير قِيم المجتمع ومُثُله وأخلاقه رأسًا على عقب، إذا لم تقم في سبيلها مقاومة أشد.

إن دولة الإسلام «دولة فكرية»، دولة تقوم على عقيدة ومنهج، فليست مجرد «جهاز أمن» يحفظ الأمة من الاعتداء الداخلي أو الغزو الخارجي، بل إن وظيفتها لأعمق من ذلك وأكبر. وظيفتها تعليم الأمة وتربيتها على تعاليم ومبادئ الإسلام، وتهيئة الجو الإيجابي والمناخ الملائم، لتحول عقائد الإسلام وأفكاره وتعاليمه إلى واقع عملي ملموس، يكون قدوة لكل مَن يلتمس الهدى، وحُجَّة على كل سالك سبيل الردى.

ولهذا يُعرِّف ابن خلدون «الخلافة» بأنها: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا، ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة. فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به[1].

ولهذا وصف الله المؤمنين حين يمكَّن لهم في الأرض، وبتعبير آخر حين تقوم لهم دولة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

(١) مقدمة ابن خلدون (٦٨٨/٢)، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

إن شعار دولة الإسلام ما قاله ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: «إنَّ الله بعثنا لنُخرج الناس من عبـادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضِيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»[1].

ثم إن هذه الدولة الفكرية ليست ذات صفة محلية، ولكنها دولة ذات رسالة عالمية؛ لأن الله حمَّل أمـة الإسلام دعوة البشرية إلى ما لديها من هدى ونور، وكلَّفها الشهادة على الناس، والأستاذية للأمم، فهي أمة لم تنشأ بنفسها ولا لنفسها فحسـب، بل أُخرجت للناس، أخرجها الله الذي جعلها خير أمـة وخاطبها بقوله سبحانـه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن هنا وجدنا النبـي ﷺ حين أُتيحت لـه أول فرصة ـ بعد صلح الحديبية ـ كتب إلـى ملوك العالـم وأمراء الأقطار فـي أركان الأرض يدعوهم إلى الله، والانضواء تحت راية التوحيـد، وحمَّلهم إثم أنفسهم وإثم رعيتهم إذا تخلَّفوا عن ركب الإيمان، وكان يختم رسائله بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

## • حاجتنا إلى دولة تحتضن الإسلام:

إن أول ما تحتاج إليه الدعوة الإسلامية في هذا العصر أن تقوم «دار للإسلام» أو «دولة للإسلام» تتبنى رسالة الإسلام: عقيدة ونظامًا، وحياة وحضـارة. وتقيم حياتها كلهـا: المادية والأدبية، علـى أساس من هذه

(١) سبق تخريجه صـ٤١٧.

QaradawiBooks.com

الرسالة الشاملة، وتفتح بابها لكل مؤمن يريد الهجرة من ديار الكفر والظلم والابتداع.

هذه الدولة المنشودة ضرورة إسلامية، وهي أيضًا ضرورة إنسانية؛ لأنها ستقدِّم للبشرية المثل الحي، لاجتماع الدين والدنيا، وامتزاج المادة بالروح، والتوفيق بين الرقي الحضاري والسمو الأخلاقي، وتكون هي اللبنة الأولى لقيام دولة الإسلام الكبرى، التي توحِّد الأمة المسلمة تحت راية القرآن، وفي ظل خلافة الإسلام. ولكن القوى المعادية للإسلام، تبذل جهودًا جبارة مستميتة دون قيام هذه الدولة في أي رقعة من الأرض، وإن صغرت مساحتها وقَلَّ سكانها.

قد يسمح الغربيون بدولة ماركسية، وقد يسمح الشيوعيون بدولة ليبرالية، ولكن لا هؤلاء ولا أولئك يسمحون بدولة إسلامية صحيحة الإسلام، ولا غرو أن نراهم اليوم يوجهون رماحهم وسهامهم إلى دولة السودان، لإعلانها التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة. وكذلك حالوا في الجزائر بين الإسلاميين والوصول إلى الحكم، رغم فوزهم بالأغلبية في انتخابات حرة في ظل التعددية الديمقراطية.

وحين تقوم حركة إسلامية ناجحة، يُخشى أن تتحول إلى دولة، سرعان ما توجِّه إليها قوى الكفر ـ العالمية والمحلية ـ ضرباتها المحمومة، من تشريد وتجويع، وتعذيب وتقتيل، وتشويه وتمويه، ولا تكاد تفيق من ضربة حتى يباغتوها بأخرى، لتظل دائمًا في شغل بآلامها عن آمالها، وبمتاعبها عن مطالبها، وبجروحها عن طموحها.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

# الدعوة إلى خير الإنسانية

لا يفهم من دعوة الإسلام إلى إقامة «أمـــة متميزة» بأهدافها وقيمها ومناهجها، ذات رسالـــة متميـــزة، بمقوماتها ومثلهـــا وخصائصها: أن الإسلام دين مُنغلق على نفسه، وأن أمته تعيـــش لنفسها، متقوقعة على ذاتها، لا تهتم بغيرها من الناس، صلحوا أو فســـدوا، اهتدوا أو ضلوا، ارتقوا أو هبطوا.

كلا، فالإسلام منذ فجر دعوته كان رسالة عالمية، ودعوة للناس كافة، ورحمة لكل عباد الله، عربًا كانوا أو عجمًا، ولكل بلاد الله، شرقًا كانت أم غربًا، وإلى جميع الألوان بيضًا كانوا أم سودًا.

في القرآن المكي نقرأ آيات كريمة من كتـــاب الله تقرر بوضوح عالمية الدعوة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨]، ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وأمة الإسلام مكلَّفة بحمـــل هذه الرسالة العالميـــة إلى العالم، فلا يجوز لها أن تحتكر الخير والنور لنفسها، بل عليها بعد أن اهتدت بنور

QaradawiBooks.com

الله أن تهدي الآخرين إليه، وبعد أن صلحت بالإيمان والعمل الصالح: أن تصلح الأمم وتدعوها إلى الخير الذي أكرمها الله به.

ولهذا وصف الله أمة الإسلام وأثنى عليها في كتابه حين خاطبها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالتعبير القرآني بقوله: ﴿أُخْرِجَتْ﴾، يدل على أن هناك من أخرج هذه الأمة، وهو الله جل جلاله، فلم تنبت هذه الأمة من نفسها كنبات البرية، بل أنبتها مُنبتٌ بذر بذرتها، وتولى رعايتها.

وهي لم تخرج لنفسها، بل أُخرجت للناس، لهداية الناس، ولنفع الناس، وإصلاح الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

فهي ـ في المقام الأول ـ أمة دعوة ورسالة مبعوثة مما بعث به رسولها إلى الناس، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»[1].

لهذا قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وسواء كانت «من» في قوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ للتجريد، بمعنى: لتكونوا جميعًا أمة يدعون إلى الخير، كما تقول: ليكن لي منك الصديق الوفي، ليكن منك الأسد الهصور. أي لتكن أنت. أم كانت «من» للتبعيض، بمعنى: كوّنوا منكم أمة أي جماعة قوية مترابطة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف، إلخ. فعلى كلا المعنيين: الأمة هي

(١) سبق تخريجه صـ٤٩.

QaradawiBooks.com

المسؤولة عن الدعوة والأمر والنهي، ولو بتكوين هذه الجماعة وتقويتها وإمدادها وتهيئتها لوظيفتها، ومراقبتها في أدائها، ولهذا خُوطبت بهذا التكليف.

وهذا ما فقهه الصحابي الكريم ربعي بن عامر رضي الله عنه حين سأله رستم قائد جيوش الفرس في معركة القادسية: من أنتم؟ فقال له في عزة مؤمنة، وفي إيمان عزيز: نحن قوم ابتعثنا الله، لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1].

فلخص هذا الصحابي ـ الذي لم يتخرج في جامعة، ولم ينقب في الكتب، ولم يختلف إلى المعلمين ـ الأهداف الكلية الكبرى للإسلام في هذه الكلمات الموجزة، وإنما تعلمها في المدرسة المحمدية، التي خرَّجت هذه الصفوة من البشر، وهذه النماذج الربانية التي لم تر عين الدنيا مثلها.

كانت رسالة الإسلام العالمية «رحمة عامة» كما وصفها الله، ودعوة إلى خير الإنسانية، وهذه الرحمة أو هذا الخير يتجلى في جملة مبادئ أو قيم عليا دعا إليها الإسلام أهمها وأبرزها ما يلي:

### ١ ـ تحرير الإنسان من العبودية للإنسان:

**أول هذه المبادئ**: أن الإسلام ـ بدعوته إلى التوحيد الخالص، ومقاومته للشرك بكل ألوانه ومستوياته ـ حرر الإنسان من العبودية للإنسان، كما حرره من العبودية للأشياء، أو للأوهام، أو للذات.

(١) سبق تخريجه صـ٤١٧.

QaradawiBooks.com

أسقط الإسلام الآلهة المزيفين الذين قدسهم الناس، واتخذوهم أربابًا من دون الله أو مع الله، سواء كانوا من رجال الدين أم من رجال الدنيا والسلطان، كما قال تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وكانت الآية التي ختم بها الرسول الكريم رسائله إلى قيصر والمقوقس والنجاشي، وغيرهم من أمراء النصارى قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وكانت هذه الكلمة ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، إيذانًا بميلاد جديد للبشرية، فلا يتأله بعضهم على بعض، ولا ينحني بعضهم لبعض، ولا يسجد بعضهم لبعض، ارتفعت الجباه، فلا تسجد إلا لخالقها، واستقامت الظهور فلا تركع إلا لبارئها، وعز الناس فلا يذلون إلا لله الواحد القهار.

الله وحده هو الذي تتجه إليه القلوب راجية خائفة، ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وهو الذي تمتد إليه الأيدي والألسن سائلة ضارعة، وهو الذي يملك وحده العطاء والمنع، والخفض والرفع، والحياة والموت.

وهو وحده الذي يملك حق التشريع المطلق للبشر، بحكم خلقه إياهم، وإمدادهم بالنعم التي لا تحصى، فهو الذي يملك أن يحرّم عليهم، وأن يحل لهم، فهو الذي «له الحكم»، و«له الخلق والأمر»، ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

QaradawiBooks.com

## ٢ ـ الأخوة والمساواة الإنسانية:

ومن ثمار التوحيد الذي دعا إليه الإسلام: الأخوة البشرية، ومن لوازمها: المساواة الإنسانية.

**وهذه الأخوة مبنية على أمرين:**

**الأول**: أن الناس جميعًا، بمقتضى دعوة التوحيد، عبيد لرب واحد، هو الذي خلقهم فسواهم، فهم متساوون في مرتبة العبودية لله.

**والثاني**: أنهم جميعًا أبناء لأب واحد، فهم ـ مهما اختلفت ألوانهم وتباعدت أوطانهم، وتباينت ألسنتهم وتفاوتت طبقاتهم ـ أبناء آدم. فهم متساوون في مرتبة البنوة لآدم.

وهذا ما بلغه النبي ﷺ للأمة في حجة الوداع حيث قال في جموع الناس: «**أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب: لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وروى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم، أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كلِّ صلاة هذه الدعوات الثلاث: «**اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك أنتَ الرب وحدَكَ لا شريك له، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن محمدًا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٧٥.

(٢) رواه أحمد (١٩٢٩٣)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨)، والطبراني (٢١٠/٥)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥).

QaradawiBooks.com

فهذا الدعاء النبوي الكريم يتضمن شهادات أساسية ثلاثًا: أولاها: شهادة لله بالوحدانية، وثانيها: شهادة لمحمد بالعبودية والرسالة. وثالثها: شهادة للعباد كلهم بأنهم إخوة، فهي أخوّة إنسانية عامة، والأخوة تتكون من عناصر ثلاثة: المحبة، والمساواة، والتعاون.

وقد يقول بعض الناس: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ورسوله يقول: «**المسلم أخو المسلم**»[(١)]. فاعتبر الأخوة بالدين والإيمان لا بغيرها.

ونقول: إن الأخوة الدينية القائمة على الإيمان هي أخص أنواع الأخوة وأعمقها، ولكنها لا تنافي وجود الأنواع الأخرى من الأخوة، مثل الأخوة الوطنية والقومية، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١]، فأثبت القرآن هذه الأخوة، بين هؤلاء الرسل، وأقوامهم، وهم مكذِّبون لهم، متمردون على رسالتهم؛ لأنهم منهم، وليسوا غرباء عنهم، فهي أخوة قومية.

وهناك الأخوة البشرية بين أبناء آدم عامة، وهي التي شهد بها الرسول في حديثه السابق.

### ٣ ـ العدل لجميع الناس:

ومما دعا إليه الإسلام لخير الإنسانية: إقامة العدل بين الناس، كل الناس، فليس عدلًا للعرب وحدهم، إنما هو عدل للناس كلهم جميعًا.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٧٠.

QaradawiBooks.com

يقول تعالى في بيان أهداف الرسالات السماوية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وهكذا تبيّن أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب إنما كانا لتحقيق هدف أساسي، هو: أن يقوم «الناس» بالقسط، وهو العدل، الذي به يُعطى كلُّ ذي حق حقه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

هكذا بهذا التعميم: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ﴾، لا بين المسلمين فحسب.

وقد أنزل الله تسع آيات في سورة النساء عتابًا للرسول الكريم حين همَّ أن يدافع عن قوم من المسلمين الضعفاء أو من المنافقين، اتهموا يهوديًّا ظلمًا بالسرقة، ولم يكن هو السارق، وإنما هم السُّرَّاق. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ...﴾ الآيات [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٧].

وقد أمر الله المؤمنين أن يقوموا بالقسط شهداء لله، لا يمنعهم من ذلك عاطفة حب لقريب، أو بغض لبعيد، فالعدل فوق عواطف المحبة والكره، ويجب أن يكون لله.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. فهذا هو العدل مع من تحب، ولو كان أحد والديك أو أقرب أقربائك، بل لو كان نفسك ذاتها.

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٨]، فهذا هو العدل مع مَن تكره مِن الناس، ممن

QaradawiBooks.com

يحملون لكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾. والشنآن هو: شدة البغض والعداوة. ولكن هذا لا يجوز أن يحمل المؤمنين على الظلم، فإن الله لا يحب الظالمين، ولا يهديهم، ولن يفلحوا أبدًا، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد طبَّق المسلمون هذا العدل مع الشعوب كلها، في عصر النبوة، وفي العصور الراشدة، وفي القرون الأولى ـ خير القرون ـ بصفة عامة، ووجدنا عمر بن الخطاب يأمر لرجل قبطي مصري بالقصاص من ابن الوالي على مصر: عمرو بن العاص. ويقول لعمرو كلمته التاريخية: يا عمرو، متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]؟

وهذه الكلمة التي قالها عمر على البديهة، أصبحت تفتح بها مواثيق حقوق الإنسان، ودساتير الأمم المتقدمة في العصر الحديث.

ومما يجب التنويه به هنا: أن الإسلام أشعر جماهير الناس، أن العدل فريضة لا تهاون فيها، وأن كل مظلوم سيأخذ حقه ممن ظلمه، فلا غرو أن سافر الرجل من الفسطاط إلى المدينة ـ وهو سفر شاق طويل ـ ليطالب بحقه. وقد كان في عهد الرومان يُضرب ويسلب وتنتهك حرماته، فلا يرفع بذلك رأسًا، لأنه لا يجد من يشكو إليه، ولو وجده فلن يستمع إليه.

وفي عهد علي بن أبي طالب حكم قاضيه شريح لنصراني على أمير المؤمنين؛ لأنه لم يكن لديه بينة، وهنا لم يملك النصراني، إلا أن

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

يعلن إسلامه على الملأ. ويشهد أن عليًّا هو صاحب الحق، ويقول: هذه أحكام أنبياء!

والأمثلة على ذلك كثيرة، والتاريخ حافل بالشواهد.

**٤ ـ السلام العالمي:**

ومما دعا إليه الإسلام كذلك: السلام بين البشر، بدل الحروب والنزاع.

وربما كان هذا مُستغربًا لدى بعض الناس، فقد عرفوا أن الإسلام دين الجهاد في سبيل الله، وأن الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال عند الله، وإن الصائم الذي لا يُفطِر والقائم الذي لا يَفتُر، لا يبلغ ثواب المجاهد في سبيل الله.

وهذا صحيح، ولكن الجهاد في الإسلام إنما فرض للدفاع عن الدعوة إذا اعتدي عليها، أو فتن أهلوها، ولقتال من يقاتل المسلمين، ولإنقاذ المستضعفين في الأرض، وتأديب الناكثين للعهود، المتعدين للحدود، ولم يشرع الجهاد للعدوان، على مسالم بريء لم يؤذِ المسلمين، ولم يقاتلهم أو يظاهر عدوهم عليهم.

وهذا واضح في القرآن: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

والفتنة: تعني اضطهاد الناس وتعذيبهم من أجل عقيدتهم.

QaradawiBooks.com

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

وتاريخ الدعوة الإسلامية يثبت أن الإسلام أوصى أتباعه بالصبر على الأذى ثلاثة عشر عامًا في مكة، كان يقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ [يونس: ٤١]، وهم يقولون له: لنا ديننا وليس لك دينك، ولنا عملنا وليس لك عملك، وصبوا عليه وعلى أصحابه سياط العذاب، واشتدوا عليهم بالأذى في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، واضطر الإسلام بعد هذه المدة أن يأذن لأهله بالدفاع عن أنفسهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وكانت غزوات وسرايا اضطر المسلمون أن يدخلوها وهم كارهون، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وفي غزوة بدر وصف الله حال المؤمنين بقوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥].

QaradawiBooks.com

لم يكن المسلمون متعطشين للدماء كما يصورهم أعداء الإسلام، بل كانوا مدافعين عن دين استُبيحت حرماته، وطُرد أتباعه من وطنهم، وصُودرت أموالهم، وغُزُوا في عُقر دارهم، كما في أُحُد، والخندق. ومع هذا يعقب القرآن على غزوة الخندق فيقول: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فهذا التعليق القرآني ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾، يبيِّن أن هذه نعمة عظيمة من الله تعالى للمؤمنين: أن ردَّ أعداءهم عنهم، ولم يحققوا هدفهم من غزوتهم، وأن الله كفاهم القتال، وأراحهم من تبعاته وآثاره.

وفي غزوة الحديبية يعقب القرآن على ما تم من صلح بين الرسول والمشركين، فينزل فيه «سورة الفتح» وفيها يقول الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فيقول الصحابة: أفتح هو، يا رسول الله؟ فيقول: «**نعم**»[(١)].

ويمتن الله على المسلمين بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

فانظر كيف امتن على المؤمنين بكف أيديهم عن المشركين، كما كف أيدي المشركين عنهم، دلالة على أن السلام في ذاته نعمة يذكرها لهم في معرض الامتنان.

ويقول رسول الله ﷺ: «**أقبح الأسماء حرب ومرة**»[(٢)]، فدل على أنه

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الجهاد (٢٧٣٦)، وابن أبي شيبة في المغازي (٣٨٠٠٢)، والحاكم في قسم الفيء (١٣١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٥٨٧)، عن مجمع بن جارية.

(٢) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي. وعلل =

QaradawiBooks.com

يكره حتى كلمة «حرب». وقد كان أهل الجاهلية يسمون بذلك أبناءهم، فنبَّه المسلمين على قبح هذا الاسم، ولا يمكن أن يصدر ذلك من رجل محب للحرب، متعطش للـدم، كما يقول الذين لا يعلمـون، أو الذين يتبعون أهواءهم.

### ٥ ـ التسامح مع غير المسلمين:

ومن المبـادئ والقيم التي دعا إليها الإسلام هنـا: التسامح مع غير المسلميـن، والتعامل معهم بروح إنسانية عاليـة، لا تتعصب ولا تحقد على من خالفها.

وهذا مع كل مـن خالف الإسلام من غيـر المسلمين، ولكن لأهل الكتاب ـ من اليهود والنصـارى ـ معاملة خاصـة، باعتبارهم أهل دين سماوي في الأصـل، وينتسبون جميعًا إلى أبي الأنبيـاء إبراهيم، ولهذا سمَّاهم القرآن «أهل الكتاب» وأبـاح أكل ذبائحهم، وتزوُّج نسائهم. كما قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

والمصاهرة أحد رابطيـن أساسيين ربط بهما بيـن البشر، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

كما أن الزواج في نظر القرآن يقوم على دعائم من السكون والمودة والرحمة، كما قـال تعالـى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

---

= ابن قتيبة قبح اسم «حرب» لما في الحرب من المكاره. غريب الحديث لابن قتيبة (٢٨٧/١)، تحقيق د. عبد الله الجبوري، نشر مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.

QaradawiBooks.com

ومعنى زواج المسلم من كتابية أن يكون أصهاره وأجداد أولاده وجداتهم وأخوالهم وخالاتهم، وأولاد أخوالهم وخالاتهم من أهل الكتاب، وهؤلاء لهم حقوق صلة الرحم وذوي القربى التي يفرضها الإسلام.

ولا نجد في السماحة مع المخالف في الدين أرحب ولا أعلى من هذا الأفق الذي وجدناه في شريعة الإسلام.

وقد فرَّق القرآن تفريقًا واضحًا في المعاملة: بين صنفين من غير المسلمين: صنف «المحاربين» المقاتلين لهم في الدين، الذين شردوهم من ديارهم، وعاونوا على تشريدهم، وصنف آخر مسالم لهم لم يشارك في شيء من هذه الأعمال. وذلك في آيتين كريمتين تعتبران دستورًا محكمًا في تحديد العلاقة بغير المسلمين، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]. والبر هو: الخير، والقسط هو: العدل، وقد نزلت هاتان الآيتان في شأن المشركين الوثنيين، كما دلت على ذلك أسباب نزول السورة. فأهل الكتاب أولى بالبر والقسط من المشركين.

**ثم إن المعاهدين صنفان:**

١ ـ من لهم عهد مؤقت، وهؤلاء يتم إليهم عهدهم إلى مدتهم.

٢ ـ من لهم عهد دائم ومؤبد، وهم الذين يسميهم المسلمون «أهل الذمة» بمعنى أن لهم ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ، وذمة جماعة المسلمين. وهم الذين قال فيهم الفقه الإسلامي: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، أي في الجملة إلا ما اقتضته طبيعة الاختلاف الديني.

QaradawiBooks.com

وأهل الذمة يحملون «جنسية دار الإسلام» وبتعبير آخر: هم مواطنون في الدولة الإسلامية.

فليست عبارة «أهل الذمة» عبارة ذم أو تنقيص، كما قد يتوهم بعض الناس! بل هي عبارة توحي بوجوب الرعاية والوفاء، تدينًا وامتثالًا لشرع الله.

وإذا كان الإخوة المسيحيون يتأذون من هذا المصطلح، فليغيَّر أو يحذف، فإن الله لم يتعبدنا به، وقد حذف سيدنا عمر رضي الله عنه ما هو أهم منه، وهو لفظ «الجزية»، رغم أنه مذكور في القرآن، وذلك استجابة لعرب بني تغلب من النصارى، الذين أنفوا من هذا الاسم، وطلبوا أن يؤخذ منهم ما يؤخذ باسم الصدقة، وإن كان مضاعفًا. فوافقهم عمر، ولم ير في ذلك بأسًا، وقال: هؤلاء القوم حمقى، رضوا بالمعنى، وأبوا الاسم[1].

وهذا تنبيه من الفاروق على أصل مهم، وهو النظر إلى المقاصد والمعاني، لا إلى الألفاظ والمباني، والاعتبار بالمسميات والمضامين، لا بالأسماء والعناوين. ومن هنا نقول: إنه لا ضرورة للتمسك بلفظ «الجزية» الذي يأنف منه إخواننا النصارى في مصر وأمثالهم في البلاد العربية والإسلامية، والذين امتزجوا بالمسلمين، فأصبحوا يكونون نسيجًا قوميًّا واحدًا. فيكفي أن يدفعوا «ضريبة» مالية، كما يدفع المسلمون «الزكاة»، وأن يشتركوا بأنفسهم في الدفاع عن الأمة والوطن، كما يشترك إخوانهم من المسلمين.

---

(١) الحاوي الكبير للماوردي (٣٤٦/١٤)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وقد رأينا الإمام الأوزاعي يقف مع جماعة من أهل الذمة في لبنان ضد الأمير العباسي قريب الخليفة.

وقد رأينا الإمام ابن تيمية يخاطب تيمور لنك في فكاك الأسرى عنده، فيعرض عليه أن يفك أسرى المسلمين وحدهم، فيأبى إلا أن يفرج عن أهل الذمة معهم.

### • أعلى درجات التسامح عند المسلمين وحدهم:

ثم إن التسامح الديني والفكري له درجات ومراتب: فالدرجة الدنيا من التسامح: أن تدع لمخالفك حرية دينه وعقيدته، ولا تجبره بالقوة على اعتناق دينك أو مذهبك.

والدرجة الوسطى من التسامح: أن تدع له حق الاعتقاد بما يراه من ديانة ومذهب، ثم لا تضيق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه أو فعل أمر يعتقد حرمته. فإذا كان اليهودي يعتقد حرمة العمل يوم السبت، فلا يجوز أن يكلف بعمل في هذا اليوم؛ لأنه لا يفعله إلا وهو يشعر بمخالفة دينه[1].

وإذا كان النصراني يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد، فلا يجوز أن يمنع ذلك في هذا اليوم.

والدرجة التي تعلو هذه في التسامح: ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حله في دينهم أو مذهبهم، وإن كنت تعتقد أنه حرام في دينك أو مذهبك.

---

(١) في مطالب أولي النهى شرح غاية المنتهى للرحيباني: «ويحرم إحضار يهودي في سبته، وتحريمه باقٍ بالنسبة إليه، فيستثني شرعًا من عمل في إجارة، لحديث النسائي والترمذي وصححه: «وأنتم يهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت» (٦٠٤/٢)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وهذا ما كان عليه المسلمون مع المخالفين من أهل الذمة، إذ ارتفعوا إلى الدرجة العليا من التسامح.

فقد التزمـــوا احترام كل ما يعتقـــد غير المسلم أنه حـــلال في دينه، ووسعوا له في ذلك، ولم يضيقوا عليه بالمنع والتحريم، وكان يمكنهم أن يحرموا ذلك، مراعـــاة لشريعة الدولة ودينهـــا، ولا يُتهموا بكثير من التعصب أو قليل؛ ذلـــك لأن الشيء الذي يجله دين مـــن الأديان ليس فرضًا على أتباعه أن يفعلوه.

فإن كان دين النصراني يحل له أكل الخنزير، فإنه يستطيع أن يعيش عمره دون أن يأكل الخنزير، وفي لحوم البقر والغنم والطير مُتسع له.

ومثل ذلك الخمر، فإذا كان بعض الكتب المسيحية قد جاء بإباحتها، أو إباحـــة القليل منها لإصلاح المعدة، فليس مـــن فرائض المسيحية أن يشرب المسيحي الخمر، بل إن بعض المسيحيين يعتقدون حُرمة الخمر في ديانتهم.

فلـــو أن الإسلام قال للذميين: دعوا شـــرب الخمر، وأكـــل الخنازير، مراعاة لشعور إخوانكم المسلمين، لم يكن عليهم في ذلك أي حرج ديني؛ لأنهم إذا تركوا هذه الأشياء لم يرتكبوا في دينهم منكرًا، ولا أخلوا بواجب مقدس، ومع هـــذا لم يقل الإسلام ذلـــك، ولم يشـــأ أن يضيق على غير المسلمين في أمر يعتقدون حِلَّه، وقال للمسلمين: اتركوهم وما يدينون!

- **روح التسامح عند المسلمين:**

على أن هناك شـــيئًا آخر لا يدخل في نطاق الحقـــوق التي تنظمها القوانين، ويلزم بها القضاء، وتشرف على تنفيذها الحكومات.

QaradawiBooks.com

ذلك هو «روح السماحة» التي تبدو في حسن المعاشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان، وهي الأمور التي تحتاج إليها الحياة اليومية، ولا يغني فيها قانون ولا قضاء. وهذه روح لا تكاد توجد في غير المجتمع الإسلامي.

تتجلى هذه السماحة في مثل قول القرآن في شأن الوالدين المشركين اللذين يحاولان إخراج ابنهما من التوحيد إلى الشرك: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وفي ترغيب القرآن في البر والإقساط إلى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين كما في آية الممتحنة، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وفي قول القرآن يصف الأبرار من عباد الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، ولم يكن الأسير حين نزلت الآية إلا من المشركين.

وفي قول القرآن يجيب عن شبهة بعض المسلمين في مشروعية الإنفاق على ذويهم وجيرانهم من المشركين المصرّين: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقد روى محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ومدون مذهبه، أن النبي ﷺ بعث إلى أهل مكة مالًا لما قحطوا ليوزع على فقرائهم[1]. هذا على الرغم مما قاساه من أهل مكة من العنت والأذى هو وأصحابه.

(١) شرح السير الكبير للسرخسي صـ ٩٦، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، نشر الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م.

QaradawiBooks.com

وروى أحمد والشيخان، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمتْ أمي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدوا[١]، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟! قال: «**نعم، صلي أمك**»[٢].

وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، فقد كان يزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم.

وذكر ابن إسحاق في «السيرة»: أن وفد نجران ـ وهم من النصارى ـ لما قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**» فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم[٣].

### • الأساس الفكري لتسامح المسلمين:

أساس النظرة المتسامحة التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين يرجع إلى الأفكار والحقائق الناصعة التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين وقلوبهم، وأهمها:

١ ـ اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيًّا كان دينه أو جنسه أو لونه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

---

(١) تعني في فترة صلح الحديبية.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٦٢٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣).

(٣) سيرة ابن هشام (٥٧٤/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخران، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

ومن الأمثلة العملية: مـا رواه البخاري في صحيحه: أن جنازة مرت على النبي ﷺ فقام لها واقفًا، فقيل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: «**أليست نفسًـا**»[1]؟! بلى. ولكل نفس في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف، وما أروع التفسير والتعليل!

٢ ـ اعتقـاد المسلم أن اختـلاف الناس في الدين واقـع بمشيئة الله تعالى، الذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهـف: ٢٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨].

والمسلم يوقن أن مشيئة الله لا راد لها ولا معقب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخيـر والحكمة، علم النـاس ذلك أو جهلـوه، ولهذا لا يفكر المسلم يومًا أن يجبر الناس ليصيـروا كلهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

٣ ـ إن المسلم ليـس مكلفًا أن يحاسب الكافريـن على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يـوم الحساب، وجزاؤهم متـروك إليه في يوم الديـن، قـال تعالـى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]، وقال يخاطب رسوله في شـأن أهل الكتاب: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ

(١) متفق عليه: رواه البخـاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥].

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر، وبين مطالبته ببره والإقساط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

٤ ـ إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب القسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم لكافر. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

وقال ﷺ: «**دعوة المظلوم ـ وإن كان كافرًا ـ ليس دونها حجاب**»[(١)].

إن سماحة الإسلام مع غير المسلمين سماحة لم يعرف التاريخ لها مثيلًا، وخصوصًا إذا كانوا أهل كتاب، وبالأخص إذا كانوا مواطنين في دار الإسلام، ولا سيما إذا استعربوا وتكلموا بلغة القرآن.

* * *

(١) رواه أحمد (١٢٥٤٩)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٣٥): رواه أحمد، وأبو عبد الله الأسدي لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

## الباب الخامس

# مصادر الإسلام

- تمهيد.
- القرآن الكريم.
- السُّنَّة النبوية.
- بين السُّنَّة والقرآن.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# تمهيد

## • القرآن والسُّنَّة مصدرا الإسلام:

الإسلام هو دين الله الذي أنزل به آخر كتبه، وبعث به آخر رسله، ليُخرج به الناس من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

وأحكام الإسلام هي مجموعة التكاليف والتعاليم التي دعا إليها رسول الله ﷺ وبلَّغها لأمته مما أخبر الله به ـ في كتابه أو على لسان رسوله ـ من حقائق الوجود وعوالم الغيب من كل ما يتصل بالألوهية أو النبوة أو الآخرة... ومما أمر به سبحانه، أو نهى عنه، أو أباحه لعباده، في شؤون الدين والحياة.

فأحكام الإسلام لا تقتصر على الجانب العملي أو التشريعي فحسب من العبادات والمعاملات، مما يعالجه علم «الفقه»، ولا على الجانب النظري أو العقائدي فقط، وهو ما يعالجه علم «التوحيد» أو «الكلام»، ولا على الجانب الروحي أو الخُلُقي، مما يعالجه علم «التصوف» أو «الأخلاق»، وإنما يشمل ذلك كله في توازن وتكامل واتساق.

والقرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان المعصومان اللذان تستمد منهما أحكام الإسلام جميعًا، فالقرآن هو المصدر الأول، والسنة هي المصدر الثاني.

QaradawiBooks.com

## • لماذا لم يُذكر الإجماع والقياس ضمن مصادر الإسلام:

ويَعرِض هنا سؤال، وهو: لماذا لم يذكر «الإجماع» و«القياس» ضمن مصادر المعرفة بالأحكام الشرعية؟

**والجواب؛ أولًا**: أن هذين المصدرين يُذكران ـ مع الكتاب والسنة ـ بالنسبة «للأحكام الفرعية العملية»، التي يعنى بها «علم الفقه». والحديث هنا عن أحكام الإسلام كلها التي تشمل ـ مع الأحكام الفقهية ـ العقائد والأخلاق والفكر والسلوك. وهذه تعتمد على المصدرين الأساسيين: القرآن والسنة.

**وثانيًا**: أن هذين المصدرين ـ الإجماع والقياس ـ إنما استدل على إثباتهما بالقرآن والسنة، وبهذا ثبتت حجيتهما لا بذاتهما. ومعنى هذا: أن الأصل في الاستمداد والاستدلال هو القرآن والسنة.

**وثالثًا**: أن الكتاب والسنة هما المصدران القطعيان المعصومان اللذان لا يخالف مسلم صحيح الإسلام في حُجِّيتِهما[1] بخلاف الإجماع والقياس، ففيهما كلام كثير مذكور في أصول الفقه. وإن كان جمهور الأمة يعتبرونهما.

---

(١) قد يقول البعض: إن الشيعة الجعفرية الاثني عشرية يقولون بأن القرآن الحالي لا يحتوي كل الوحي المنزَّل من عند الله. وهذا مذكور في «الكافي» وفي بعض كتبهم. ولكن المحققين منهم يرفضون هذه الروايات، ويعتبرونها من كلام «الأخباريين» والعمدة هم «الأصوليون». ولهذا لا يوجد عند الشيعة مصحف غير مصحف سائر المسلمين، فهو الذي يطبعونه، ويحفِّظونه لأولادهم، ويذيعونه في إذاعاتهم وتلفازهم، ويفسرونه في كتبهم، ويحتجون به في كتبهم العقائدية والفقهية، وهم مجمعون على أن ما بين دفتي المصحف كلام الله بيقين. وإن كان من غير المقبول أن تظل هذه الروايات مقبولة في كتبهم، بلا تكفير من يعتقد فيها أو يقول بها. أما السنة النبوية فهم لا يرفضونها من حيث المبدأ، ولكن يشرطون أن تُروى عن طريق رجالهم وحدهم، وهذا ما ننكره عليهم، كما أنهم يضمون ـ إلى سنة النبي ﷺ ـ سنة الأئمة الاثني عشر المعصومين في اعتقادهم، وهو ما نخالفهم فيه أيضًا.

QaradawiBooks.com

هناك كلام في الإجماع: في إمكانه، وفي وقوعه، وفي العلم به إذا وقع، وفي حُجِّيته بعد العلم به.

وهناك كلام في القياس وحجيته وشروط قبوله. ونزاع الظاهرية وغيرهم في ذلك معلوم غير مجهول.

وبهذا تحددت مصادر المعرفة بأحكام الإسلام، وبعبارة أخرى: تحددت «المرجعية العليا» للإسلام.

فليست هي لمجمع من المجامع الدينية أو العلمية، كما عُرِف ذلك عند النصارى ومجامعهم المسكونية المقدسة.

وليست هذه المرجعية لرئيس ديني، مهما علا كعبه في العلم والتقوى، فليس لدى المسلمين «بابا» يوصف بالقداسة والعصمة، كما عند غيرهم.

وليست هذه المرجعية لمدرسة أو مذهب، أو طريقة قلَّدها مقلِّدون في مجال الاعتقاد والفكر، أو في مجال الفقه والتشريع، أو في مجال التربية والسلوك.

فما وُجِدَ من ذلك في تاريخ الإسلام وتراثه إنما هو اجتهادات بشر غير معصومين، في فهم الإسلام والعمل به، يؤخذ منهم، ويُرَد عليهم، مَنْ أصاب منهم فله أجران، ومَنْ أخطأ فله أجر، ما دام هذا الاجتهاد صادرًا من أهله في محله، مصحوبًا بالنية الصالحة.

تحددت المرجعية العُليا في الإسلام للمصدرين الإلهيين المعصومين: القرآن والسنة، اللذين أُمِرنا باتباعهما، وأن نرد إليهما ما تنازعنا فيه.

QaradawiBooks.com

وإن شـئت قلت: هو مصدر واحـد، أو مرجع واحـد، هو «الوحي الإلهي»، سواء أكان وحيًا جليًّا متلوًّا، وهو القرآن، أم وحيًا غير جلي ولا متلو، وهو السنة.

أما عمـل «العقل الإسلامي» فـي تفسير القرآن، وشـرح الحديث، واستنباط الأحكام، فلا عصمة لـه في مفرداته وجزئياتـه. ولكنه ـ في مجموعه ـ ضـروري لفتح المغاليـق، وتبيين الطريق، وترشـيد الفهم، وتسديد الاستنباط والاجتهاد، حتى لا تزل الأقدام، وتضل الأفهام.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# القرآن الكريم

إن الله تعالى لم ينزل القرآن العظيم لمجرد التبرك بتلاوته، ولا لتزيين الجدران بآياته، ولا لقراءته على الأموات ابتغاء أن يرحمهم ربهم.

إنما أنزل الله القرآن ليضبط بهدايته مسيرة الحياة، ويحكمها بما أنزل الله من الهدى ودين الحق، ويهدي بنوره البشرية للتي هي أقوم، ويُخرج الناس من الظلمات إلى النور.

فالقرآن لم يُنزله الله ليُتلى على الأموات بل ليحكم الأحياء، لم ينزله لتزدان به الجدران، بل ليزدان به الإنسان.

وبركة القرآن إنما هي في اتباعه والعمل به، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

حدد القرآن نفسه أهدافه التي أنزله الله ليحققها في الحياة والناس في عبارات أبين من فلق الصباح، مثل قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

نسخة مجانية

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩، ١٠].

ومن الضروري ـ لكي نُحسن العمل بالقرآن والاهتداء بهداه ـ أن نكون على بيِّنة مما يريده الله تعالى منا في كتابه. وهذا يتوقف على حُسن فهمنا له، واستقامة تفسيرنا لآياته وأحكامه، حتى لا نُقوِّله ما لم يقل، ونحمله ما لا يحتمل، أو نزيد عليه ما ليس منه، أو ننقص منه ما هو فيه، أو نُقدِّم ما أخَّره، أو نؤخِّر ما قدَّمه. وهذا ما يحتاج إلى قواعد وضوابط تمنع تلاعب المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الزائغين.

QaradawiBooks.com

• **يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض:**

وهناك ممن يدَّعون الإسلام أناس يقولون: نحن نؤمن بالقرآن الكريم، ونخضع لأحكامه، ولكن في بعض المجالات دون بعض، فهم يقبلون أحكامه في مجال العقائد والعبادات والأخلاق، ولكن لا يقبلونها في شؤون التشريع والاقتصاد والسياسة وغيرها.

وبعضهم يقبل الأخذ بها في التشريع، ولكن في محيط الأسرة والأحوال الشخصية، لا في محيط المجتمع، وأمور الحكم والسياسة والاقتصاد، والعلاقات الدولية.

والعجيب أن يصدر هذا ممن يدَّعي الإسلام، ويزعم أنه رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وبالقرآن إمامًا!

كيف يصدر هذا ممن يعتقد أن القرآن كتاب الله، وأن كل ما بين دفتي المصحف كلام الله سبحانه؟

هل يستدرك هؤلاء على ربهم؟ أو هم يدَّعون أنهم أعلم منه بمصالح خلقه؟ أو أبرّ بهم منه جَلَّ شأنه؟

هل يحسب هؤلاء أنهم أنداد لله تعالى، ينازعونه في خلقه، ويشاركونه في حكمه؟ ألا ساء ما يحكمون!

كيف يكون المخلوق ندًّا للخالق؟ كيف يكون الإنسان المحدَث الفاني المحدود والعاجز، ندًّا للرب الأعلى، الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء. صاحب المشيئة المطلقة، والقدرة القاهرة، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟

ولقد رأينا مَن زعم أن «القرآن المكي» وحده هو الملزم لنا، وأما

QaradawiBooks.com

«القرآن المدني» فلا يلزمنا[1]؛ لأنه يتعرض لأمور من أمور حياتنا قد تتغير وتتطور، فلا يجوز أن نجمدها بقرآن ولا سنة!

وهذا ما أنكره القرآن على بني إسرائيل أشد الإنكار، وقرعهم عليه أبلغ التقريع، وتوعدهم عليه بأقسى الوعيد، حين انتقوا من أحكام التوراة ما يعجبهم فأخذوا به، وأهملوا منها ما لا يروق لهم فأعرضوا عنه، فقال سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

كما حذر الله تعالى رسوله ﷺ ـ وهو تحذير لكل أمته من بعده ـ أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزل الله إليه من الكتاب، فلا يحكم به، ولا يعمل بموجبه، يقول تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وذم القرآن أبلغ الذم طائفة من المنافقين يرفضون حكم الله ورسوله إذا دُعوا إليه ولا يذعنون له إلا فيما يوافق أهواءهم ومصالحهم الخاصة، ونفى عنهم الإيمان نفيًا صريحًا.

يقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥١].

(١) قال ذلك محمود محمد طه، السوداني المرتد المعروف.

QaradawiBooks.com

هذا هو موقف المؤمنين إذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله: إذعان بلا تردد، وطاعة بلا تلكؤ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ذلك أن عقد الإيمان بالله ربًّا، وبمحمد رسولًا، وبالقرآن إمامًا، يقتضي ويوجب ويلزم الرضا بما رضيه الله ورسوله، والالتزام بما ألزما به، وإلا كان الإيمان لفظًا بلا معنى، ودعوى بلا حقيقة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أما الآخرون الذين لا يُذعنون لحكم الله ورسوله، إلا إذا كان لهم فيه حق ومصلحة وهوى، فهم مرضى القلوب، المرتابون: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

### • القرآن كلٌّ لا يتجزأ:

والقرآن كلٌّ لا يتجزأ، وتعاليمه وأحكامه مترابطة متكاملة، بين بعضها وبعض ما يشبه الوحدة العضوية بين أعضاء الجسد الواحد، فبعضها يُؤثِّر في بعض. ولا يجوز أن يُفصل جزء أو أكثر منها عن سائر الأجزاء.

فالعقيدة تُغذي العبادة، والعبادة تغذي الأخلاق، وكلها تغذي الجانب العملي والتشريعي في الحياة.

ولا يسوغ في منطق الإيمان ولا منطق العقل أن يقرأ المسلم قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فيقول: سمعنا وأطعنا. ولكنه إذا قرأ في نفس السورة قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، قال: سمعنا وعصينا!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولماذا؟ لأن الآية الأولى في مجال العبـادات، والأخرى في مجال العقوبات؟

ومعنى هـذا أن الإنسان أصبـح معقبًا لحكم الله تعالـى، يأخذ منه ويدع، ويقبل منه ويرد، بهواه وحده، والله لا معقب لحكمه.

أو يأخذ من سورة البقرة آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ...﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥].

ولا يأخذ منها آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

لأن آية الكرسي في الإلهيات، وآيات الرِّبا في المعاملات!

ومثل ذلك يُقـال فيمن يقبل من سـورة المائدة قولـه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ...﴾ الآية [المائدة: ٦].

ويرفض من السورة قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٨].

ويقرأ قولـه تعالـى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحـج: ٧٨]، فيقـول: آخذ الصـلاة ولا آخذ الزكـاة؛ لأن الصلاة شـعيرة روحية خالصة، أما الزكاة ففريضة تتعلـق بالمال والاقتصاد، فأنا أقبل تلك، ولا أقبل هذه!

يا لله العجب! هل غدا العبد أعلـم من ربه؟ أو بات المخلوق أعلى من خالقه؟!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنه لم يعد ندًّا لله فحسب، بل زاد على ذلك، فجعل من نفسه محكمة عليا للتمييز، أو للنقض والإبرام، فينقض ما شاء له عقله أو هواه أن ينقض من أحكام الله، ويُبرم ما شاء له أن يُبرم!

إن الشيء المؤكد الذي لا خلاف عليه، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة ـ بمعنى أنه لم يعد في حاجة إلى إقامة أدلة عليه؛ لأنه مما يشترك في معرفته الخاص والعام ـ أن تعاليم القرآن كلها واجبة التنفيذ، ولا فرق فيها بين ما يسمى «روحيًّا» وما يسمى «ماديًّا»، ما يُعتبر من «شؤون الدين» وما يُعتبر من «شؤون الدنيا»، ما يتعلق بحياة «الفرد» وما يتعلق بحياة «الجماعة».

إن هذه التسميات والعناوين لا وجود لها في كتاب الله تعالى، ولا توجد فوارق معتبرة بين بعضها وبعض، ما دامت كلها في دائرة أمر الله سبحانه أو نهيه.

ومَنْ فتح المصحف وقرأ سورة الفاتحة، ثم شرع في سورة البقرة، وجد أول ما يطالعه وصف المتقين المهتدين بكتاب الله بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، فقرن بين الجانب الاعتقادي «الإيمان بالغيب»، والجانب الشعائري «إقامة الصلاة»، والجانب الاقتصادي «الإنفاق مما رزق الله».

وهكذا نجد أوصاف المؤمنين وأهل التقوى والإحسان، في سائر سور القرآن لا تفرق بين جانب وجانب. كما نجد ذلك واضحًا في أوائل سورة (الأنفال: ٢ ـ ٥)، وأول سورة (المؤمنون: ١ ـ ١١)، وفي أوسط سورة (الشورى: ٣٦ ـ ٣٩)، وفي أوصاف عباد الرحمٰن من سورة (الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦)، وفي أوصاف المحسنين من سورة (الذاريات: ١٥ ـ ١٩) وغيرها.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك نجده في الأوامر والنواهي والوصايا القرآنية، مثل: الوصايا العشر في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

ووصايا الحكمة في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٣٩].

فهذه كلها تجمع بين العقيدة والعبادة والخُلُق والسلوك، مما يتعلق بالدين وما يتعلق بالدنيا، وما يتعلق بالفرد أو الأسرة أو بالمجتمع، في سياق واحد، ونسج واحد لا ينفصل بعضه عن بعض، ولا يتميَّز بعضه عن بعض.

وأحيانًا يستخدم القرآن صيغة واحدة في طلب الأمور التي يعتبرها الناس مختلفة باختلاف مجالاتها، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فهذه صيغة واحدة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ وهي تفيد تأكيد الوجوب والفريضة استعملت في القصاص وهو في القانون الجنائي، وفي الوصية وهي من الأحوال الشخصية وشؤون الأسرة، وفي الصيام وهو من شعائر العبادات، وفي القتال وهو من شؤون العلاقات الدولية... وكلها مما كتبه وفرضه على المؤمنين.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# السُّنة النبوية

**السُّـــنة:** هي المنهج النبوي المفصل في تعليـــم الإسلام وتطبيقه وتربية الأمة عليه، والذي يتجسد فيه قولـــه تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ويتمثل ذلك في أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته[1].

**والسُّنة:** هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم.

فالقـــرآن هو الدستـــور الذي يحوي الأصـــول والقواعـــد الأساسية للإسلام: عقائده وعباداته، وأخلاقه، ومعاملاته، وآدابه.

**والسُّنة:** هي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن في ذلك كله.

ولهذا يجـــب اتباعها والعمل بما جاءت به مـــن أحكام وتوجيهات. وطاعة الرسول فيها واجبة، كما يُطاع فيما بلَّغه من آيات القرآن.

(١) انظر في تعريف السنة ومحتواها فـــي كتابنا: المدخل لدراسة السنة النبوية صـ٧ ـ٨٣، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

دلَّ على ذلك القرآن.

ودلت على ذلك السنة نفسها.

ودلَّ على ذلك إجماع الأمة.

ودلَّ على ذلك العقل والنظر.

وهذا موضح بأدلته في كتبنا الأخرى[1].

## • لا قرآن بغير سُنَّة:

ومع ذلك ابتليت أمتنا ـ قديمًا وحديثًا ـ بفئة قليلة العِدّة، ضعيفة العُدَّة، قصيرة العرفان، طويلة اللسان، زعموا أننا في غير حاجة إلى السُّنة، وأن القرآن يغنينا عنها، وأنه وحده مصدر الدين كله، عقائده وشرائعه، ومفاهيمه وقيمه، وأخلاقه وآدابه.

## • شُبهات أعداء السُّنَّة:

واستندوا فيما زعموا ـ ككل صاحب بدعة وضلالة ـ إلى شبهات حسبوها أدلة، وهي مردودة عليهم بحجج أهل العلم، الذين لا تخلو الأرض منهم.

**استدل الذين يزعمون أنهم أهل القرآن وأنصاره بما يلي:**

١ ـ قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

٢ ـ أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولم يتكفل بحفظ السُّنَّة.

---

(١) منها: المدخل لدراسة السنة النبوية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣ ـ أن النبي ﷺ، جعل للقرآن كُتَّابًا يكتبونه منذ نزل به جبريل عُرِفوا باسم «كُتَّاب الوحي»، ولم يجعل ذلك للسُّنَّة، بل صح عنه قوله: «**لا تكتبوا عني شيئًا غير القرآن**»(١).

٤ ـ أن السُّنَّة من أجل ذلك دخلها المنكر والموضوع، وما لا أصل له من الحديث، فضلًا عن الضعيف والواهي وما لا يصلح للاحتجاج به، واختلط الحابل بالنابل، فلم يعد في الإمكان التمييز بين ما يصح وما لا يصح.

- **حجج علماء السنة في الرد عليهم:**

وهذه الشبهات كلها لا تصمد أمام التمحيص العلمي، وكلها مردودة.

- **القرآن يبيِّن القواعد، والسُّنَّة تفصِّل الأحكام:**

١ ـ أما قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فالمراد بهذه «الكلية»: ما يتعلق بالأصول والقواعد الكلية التي يقوم عليها بنيان الدين في عقيدته وشريعته؛ ومن هذه الأصول: أن الرسول مبيِّن لما نُزِّل إليه، وبعبارة أخرى: أن السُّنة مبيِّنة للقرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ولم يفهم أحد ـ في الأولين ولا الآخرين ـ أن التبيان القرآني تبيان تفصيلي، وإلا فإن العبادة الأولى، والفريضة اليومية، والشعيرة الكبرى في الإسلام «الصلاة» لا يُوجد في القرآن أي تفصيل لها: لا عددها، ولا مواقيتها، ولا ركعاتها، ولا كيفياتها، ولا تفاصيل شروطها وأركانها، وكلها عُرِفَ بالسُّنَّة، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة.

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٤)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

### • حفظ الله للقرآن يستلزم حفظ السُّنَّة:

٢ ـ أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، يدل على حفظ القرآن بدلالة المطابقة، ويدل على حفظ السنة المبيِّنة للقرآن بدلالة التضمن؛ فإن حفظ المبيَّن يتضمن ويستلزم حفظ ما يبيِّنه؛ لأن هذا من جملة الحفظ. كما بيَّن ذلك الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالحفظ له مظهران: مظهر مادي، وهو حفظ الألفاظ والعبارات أن تُنسى أو تحذف أو تُبدَّل. ومظهر معنوي، وهو حفظ المعاني أن تُحرَّف أو تُمسخ وتُشوَّه.

والكتب السماوية السابقة لم يتكفل الله بحفظها، واستحفظها أهلها، فلم يحفظوها، فتعرَّضت لنوعين من التحريف: التحريف اللفظي بتبديل الألفاظ بأخرى أو إسقاطها، والتحريف المعنوي بتأويلها بما يُبعدها عن مراد الله تعالى منها.

وقد حفظ الله القرآن من كلا التحريفين، وكان البيان النبوي بالسنة من تمام حفظ الله تعالى لكتابه، وتصديقًا لوعده بذلك حين قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩].

ولقد أثبت التاريخ العلمي للمسلمين صدق ذلك، وحفظ الله تعالى سنة نبيه، كما حفظ كتابه الكريم.

وقام في كل عصر حُرَّاس أيقاظ، يحملون علم النبوة، وميراث الرِّسالة، يُورّثونه للأجيال، مشاعل تضيء، ومعالم تهدي، تصديقًا لتلك النبوءة المحمدية، والبشارة المصطفوية: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1].

(١) رواه ابن وضاح في البدع حديث رقم (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصححه =

QaradawiBooks.com

## • أطوار تدوين السُّنَّة:

٣ ـ صحيح أن النبي ﷺ لم يجعل للسُّنة كُتَّابًا يكتبونها كالقرآن، بل نهى عن كتابة غير القرآن في أول الأمر، لتتوفر الهمم على كتابة القرآن، لقِلَّة الكاتبين، وقِلَّة مواد الكتابة وتنوعها، وعُسرها، وخشية اختلاط القرآن بغيره. ولكنه كتب أشياء مهمة لتُبلّغ عنه وتُنفّذ، مثل كتبه في الصدقات والديات وغيرها، وأذن لبعض الصحابة أن يكتبوا، مثل عبد الله بن عمرو وغيره. وحثَّ على تبليغ الأحاديث لمن لم يسمعها بدقة وأمانة، وجاء في ذلك حديثه المستفيض، بل المتواتر عند بعض العلماء: «**نَضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها، فأدَّاها كما سمعها، فرُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع**»[(١)]، وفي رواية: «**فرُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه**»[(٢)].

ومن الثابت بيقين لدى الباحثين المتخصصين اليوم: أن تدوين السنة لم يبدأ في رأس المائة الأولى للهجرة، كما قيل يومًا، بل إن للتدوين أطوارًا بدأت منذ عصر النُّبُوة، ونمت بعد ذلك في عصر الصحابة فمن بعدهم، كما دلت على ذلك الدراسات العلمية الموضوعية.

---

= الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم وقوَّاه لتعدد طرقه في مفتاح دار السعادة (١/١٦٣، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (١/٢١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

وانظر: كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبوية صـ ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

(١) رواه أحمد (٤١٥٧)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والترمذي في العلم (٢٦٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٢)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حسن. كلاهما في العلم، عن زيد بن ثابت.

QaradawiBooks.com

## • جهود علماء الأمة في خدمة السنة وتنقيتها:

٤ ـ من المؤكد أن هناك مَنْ كذبوا على رسول الله ﷺ متعمدين لدوافع شتى، فاستحقوا أن يتبوؤوا مقعدهم بين عيني جهنم، ولا غرو، فهناك مَنْ افتروا الكذب على الله ذاته، ومَن قال: أُوحِيَ إليَّ ولم يُوحَ إليه شيء! ولكن من المؤكد أن علماء الأمة وصيارفة السنة، تصدَّوا لهؤلاء الدجالين، وكشفوا أستارهم، وفضحوا زيفهم، وقد قيل للإمام عبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟ قال: تعيش لها الجهابذة!

ولقد عاش لها الجهابذة النُّقاد بالفعل، وطاردوها كما يُطارد الخبراء النقود الزائفة في الأسواق، فقد تروج لدى بعض العوام، وتمرُّ من يد إلى يد ثانية في غفلة عن الأعين الساهرة، ثم لا تلبث أن تُضبط وينكشف زيفها وغشها.

وضع علماء الحديث القواعد الضابطة، ورفعوا المنارات الهادية، وأسسوا علوم الحديث ومصطلحه، واشترطوا لقبول الحديث شروطًا أشرنا إليها من قبل. وهو ما لم تفعله أمة سبقت، لحفظ تراث نبيها من الضياع أو التزوير.

وما قيل من أن الصحيح قد التبس بالضعيف، والحابل اختلط بالنابل، فهو ادعاء مَن لم يغُص في بحار هذا العلم الشريف، ولم يسبر أغواره، ولم يطلع على الجهود الضخمة التي بذلتها عقول كبيرة، ومَلَكات عالية، ومواهب خارقة، نذرت نفسها لخدمته وتجليته والدفاع عنه. فأسسوا علوم الرجال والطبقات والتواريخ، للثقات والمقبولين، وللضعفاء والمجروحين، وصنَّفوا في نحو تسعين علمًا ابتكروها عرفت باسم «علوم الحديث»، وكانت هي للحديث بمثابة

QaradawiBooks.com

«الأصول» للفقه. وأفردوا الصحيح من غيره، وعنوا بأحاديث الأحكام، وألَّفوا في الأحاديث الواهية والموضوعة. وكذلك في علل الأحاديث ونقدها.

إن التاريخ لم يسجل لأمة في حفظ تراث نبيها ما سجَّل لهذه الأمة الخاتمة. ووجود أحاديث زائفة لا يجعلنا نلقي الأحاديث كلها في سلة المهملات. هل يقول عاقل بإلغاء النقود السليمة وتحريم التعامل بها، أو اعتبارها عديمة القيمة؛ لأن هناك من المزوِّرين مَن زيَّفوا بعض العملات، وروَّجوها لدى بعض الغافلين؟!

- **الاستغناء عن السنة بالقرآن مخالف للقرآن:**

ثم إن الذين يزعمون الاستغناء عن السنة بالقرآن يخالفون ـ أول ما يخالفون ـ القرآن ذاته مخالفة صريحة.

فالقرآن يأمر بطاعة الرسول، بجوار طاعة الله تعالى، وذلك في عدد من الآيات الكريمة.

بل اعتبر القرآن الكريم طاعة الرسول طاعة لله تعالى، كما اعتبر بيعته بيعة لله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

- **وهذه بعض الآيات الآمرة بطاعة الرسول مع طاعة الله:**

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [التغابن: ١٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

ولو كانت طاعة الرسول تعني اتباع القرآن وحده، لم يكن هناك معنى لعطف الأمر بطاعته على طاعة الله تعالى، إذ العطف يقتضي المغايرة، وقد طلب الطاعة ـ في غير موضع ـ لكل منهما. فأفاد أن لكل منهما طاعة مستقلة.

وللعلامة ابن القيم كلام جيد في معنى الآية التي ذكرناها من سورة النساء[1].

- **جل أحكام الفقه مرجعها السنة:**

والحق الذي لا مراء فيه: أنَّ جل الأحكام ـ التي يدور عليها الفقه في شتى المذاهب المعتبَرة ـ قد ثبت بالسنة.

ومَن طالع كتب الفقه تبيَّن له ذلك بكل جلاء! ولو حذفنا السُّنَن، وما تفرَّع عليها واستُنبط منها من تراثنا الفقهي، ما بقي عندنا فقه يُذكر!

(١) إعلام الموقعين (٨/١).

QaradawiBooks.com

ولهذا كان مبحث «السُّنَّة» ـ باعتبارها الدليل التالي للقرآن ـ في جميع كتب أصول الفقه، ولدى جميع المذاهب المعتبَرة مبحثًا ضافيًا، طويل الذيول، يتناول حجيتها وثبوتها وشروط قبولها، ودلالتها، وأقسامها، إلى غير ذلك مما لا يخفى على الدارسين.

وهذا ـ كما قلت ـ ينطبق على جميع المذاهب، من مذهب داود وابن حزم الظاهري المنكرين للقياس والتعليل، إلى أبي حنيفة وأصحابه الذين يُعرفون باسم «مدرسة الرأي» في تاريخ الفقه الإسلامي.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# بين القرآن والسنة

وإذا كان كل من القرآن والسنة مصدرًا ربانيًّا للهداية والتشريع، فمما لا ريب فيه أنهما ليسا بمنزلة واحدة، وأن بينهما فروقًا أساسية:

١ ـ فالقرآن كله قطعي الثبوت؛ لأنه منقول بالتواتر اليقيني، جيلًا عن جيل، أما السُّنة فأقلها ما ثبت بالتواتر، وأكثرها إنما ثبت بطريق الآحاد.

٢ ـ القرآن كله ثبت بطريق الوحي الجليّ بواسطة نزول أمين الوحي ـ جبريل عليه السلام ـ على قلب النبي ﷺ: كما نطق بذلك القرآن نفسه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

أما السُّنة فمنها ما ثبت بطريق الإلهام والنفث في الرُّوع، وما ثبت بالرؤيا الصادقة، وكلا الطريقين ليس من الوحي الجليِّ. ومنها ما ثبت بطريق الاجتهاد، الذي يقره الله تعالى عليه، وهي ما يسمى «الوحي الباطن»، فإن الله تعالى لا يقره على خطأ، حتى لا يُتَّبع فيه.

٣ ـ القرآن لفظه ومعناه من الله تعالى، أما السُّنة ـ أعني القولية منها ـ فلفظها من النبي ﷺ. ولهذا لا يجوز رواية القرآن بالمعنى، بخلاف الحديث، أو السنة.

٤ ـ القرآن محفوظ بجملته وتفصيله، بألفاظه ومعانيه، بصريح وعد الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أما السُّنة فهي محفوظة ضمنًا، بحفظ الله للقرآن؛ باعتبارها بيانًا له، وحفظ المبيِّن يستلزم حفظ ما يبيِّنه، كما أن حفظ السنة إنما هو حفظ لها في الجملة لا في التفصيل.

٥ ـ القرآن متميز بالإعجاز، فهو الآية العظمى لمحمد ﷺ، بخلاف الحديث، وإن كان في قمة البلاغة البشرية.

### • السُّنة الصحيحة لا تعارض القرآن:

السنة ـ إذن ـ مبيِّنة للقرآن، أو مؤكِّدة له، أو شارعة لأحكام مستقلة في إطار مقاصده وكلياته، وليست معارضة له، ولا توجد سُنَّة صحيحة صريحة تعارض القرآن. وما وُجِد من ذلك فلا بد أنه صحيح غير صريح، أو صريح غير صحيح. وغير الصحيح لا اعتبار له، وغير الصريح يجب تأويله بما يتفق مع القرآن؛ لأن القرآن هو الأصل، والفرع لا يخالف أصله.

ويحسن بي أن أنقل هنا ما ذكره المحقق ابن القيم في «إعلام الموقعين» عن علاقة السنة بالقرآن، قال: «والسُّنَّة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

**أحدها**: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

**الثاني**: أن تكون بيانًا لما أريد بالقرآن وتفسيرًا له.

**الثالث**: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرِّمة لما سكت عن تحريمه. ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تُعارض القرآن بوجهٍ ما.

فما كان منها زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديمًا لها على كتاب الله، بل

QaradawiBooks.com

امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولـو كان رسول الله ﷺ لا يُطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به، وأنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه، لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]»[(١)].

## • مرجع السُّنَّة إلى القرآن:

هذه هي منزلة السُّنة من الكتاب: منزلة البيان من المبيَّن، فالقرآن هو الأصل والسنة شارحته وموضِّحته، وكل ما في السنة يرجع إلى الكتاب، بوجه من الوجـوه، وقد أوضح ذلك الإمام الشاطبـي في «الموافقات»، وأقام عليه الأدلة، وضرب له الأمثلة.

فتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو المرأة وخالتها، مثلًا ـ إنما هو ضرب من القياس علـى حكم القرآن في تحريـم الجمع بين الأختين، للاشـتراك في العِلَّة التي نبَّه عليها الحديث بقوله: «**إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم**»[(٢)].

وتوريث الجدة نصيب الأم عند فقد الأم قياس لها على الأم، فهي أمّ من وجه.

وتحريم كل ذي ناب من السِّباع تطبيق لقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، كما أشار إلى ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وتحريم الأكل والشرب في أواني الذهـب والفضة، وما في معناها تطبيق لما حفل به القـرآن من الحملة على التـرف والمترفين، واعتبار الترف من أسباب الفساد والانحلال للأمة حتى يدمِّرها تدميرًا.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٢/٢٢٠).

(٢) رواه ابن حبان في النكاح (٤١١٦)، وقال الأرناؤوط: حسن. والطبراني (١١/٣٣٧)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وتحريم الخلوة بالأجنبية تطبيق لقول القرآن: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، لأن النهي بقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ﴾، يعني النهي عن مقدمات الزِّنَى، والخلوةُ منه.

ومثل ذلك: أن النبي ﷺ لعن مع شارب الخمر تسعة آخرين[(١)]، وذلك يدخل في قوله تعالى عن الخمر: ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠]؛ والاجتناب أبلغ من مجرد الترك، فيتضمن العصر والسقي، والحمل والبيع، وما في معناها.

وقال ابن برَّجان: ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن، وفيه أصله، قَرُب أو بَعُد، فهمه مَن فهمه، وعَمِهَ عنه من عَمِه، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨][(٢)]، [(٣)].

فليس في السُّنَّة شيء خارج عن القرآن، فضلًا عن شيء يخالفه ويعارضه. وإنما فيها ما يبيِّن إجماله، أو يخصص عمومه، أو يقيِّد إطلاقه.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا.

* * *

(١) إشارة إلى الحديث: «لعن الله الخمر، ولعن شاربها، وساقيها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها». رواه أحمد (٥٧١٦)، وقال مخرجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، كلاهما في الأشربة، عن ابن عمر.

(٢) نقله الزركشي في البرهان (١٢٩/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

(٣) قد تأول بعض المفسرين الكتاب المذكور في الآية أنه «اللوح المحفوظ»، فالأولى الاستدلال بقوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩].

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

# الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

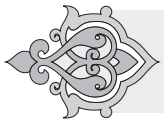

# فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة


| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الفاتحة** | | |
| ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ | ١ | ٢٤٩ |
| ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ | ٢ | ٢٤٣ |
| ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ | ٥ | ٢٦٦، ٣١٣، ٣٨٧ |
| ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ | ٦ | ٢١٧، ٣٨٧ |
| ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ | ٦، ٧ | ٧ |
| **سورة البقرة** | | |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ | ٣ | ٤٥٢، ٥٢٣ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ | ٢١، ٢٢ | ٢٦٩، ٢٨٧ |
| ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ | ٣٠ | ٢٦٢، ٤٦٢ |
| ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ | ٣٢ | ٢٢، ٢٤٩ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ... ﴾ | ٦٢ | ٤٥٢ |
| ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ... ﴾ | ٨٥، ٨٦ | ٣٧١، ٥٢٠ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ | ١١١ | ٢٥٨ |
| ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ | ١١٥ | ٢٧٩ |
| ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ | ١١٦ | ٢٥٦ |
| ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ... ﴾ | ١٣٢ | ٢٠١ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ... ﴾ | ١٤٣ | ٧، ٤٤، ١٧١، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ | ١٥٣ | ٢٩٢، ٣٥٧ |
| ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ | ١٦٣ | ٢٤٥ |
| ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ... ﴾ | ١٦٤ | ٢٤٣ |
| ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ... ﴾ | ١٦٦، ١٦٧ | ٤٢٠ |
| ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ... ﴾ | ١٧٣ | ٣٠٩، ٣٣٠، ٤١٣ |
| ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ... ﴾ | ١٧٧ | ٣٩١ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ | ١٧٨ | ٢٧٢، ٥٢١، ٥٢٤ |
| ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ | ١٧٩ | ٣٣٢ |
| ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ... ﴾ | ١٨٠ | ٢٧٢، ٥٢٤ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ... ﴾ | ١٨٣ | ٢٧٢، ٢٩٢، ٣٠٥، ٣٢٠، ٤١٢، ٥٢١، ٥٢٤ |
| ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ... ﴾ | ١٨٤ | ٣٣٦ |
| ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ | ١٨٥ | ٣٣٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ | ١٨٥ | ٤٩، ٣٣٣ |
| ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ... ﴾ | ١٨٧ | ٤٤٣ |
| ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ... ﴾ | ١٩٠ | ٣٠١، ٣٠٢، ٤٥٤، ٤٩٩ |
| ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ | ١٩٣ | ٤٥٤، ٤٩٩ |
| ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ | ١٩٥ | ٣٣٤ |
| ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ... ﴾ | ١٩٧ | ٢٩٢ |
| ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ | ٢٠١ | ٣١٣ |
| ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ | ٢١٣ | ٢٥٤ |
| ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ... ﴾ | ٢١٦ | ٢٧٢، ٥٠٠، ٥٢٤ |
| ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ... ﴾ | ٢١٩ | ٢٩٤ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ | ٢٢٢ | ٤٥٩ |
| ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ | ٢٢٨ | ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٥٠ |
| ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ | ٢٢٩ | ٤٤٥ |
| ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ | ٢٣٣ | ٣٣٣ |
| ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ | ٢٣٣ | ٤٤٣ |
| ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ | ٢٤٦ | ٢٧٢، ٥٢٤ |
| ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ... ﴾ | ٢٥١ | ٣٠٠ |
| ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ | ٢٥٤ | ٢٩٠ |

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ...﴾ | ٢٥٥ | ٢٥٠، ٥٢٢ |
| ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ | ٢٥٦ | ٣٨٢ |
| ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ...﴾ | ٢٧٢ | ٥٠٧ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ...﴾ | ٢٧٨، ٢٧٩ | ٣١٢، ٥٢٢ |
| ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ | ٢٨٥ | ٢٧٣ |
| ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ | ٢٨٦ | ٣٣٣ |
| ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾ | ٢٨٦ | ٣٨٣ |
| ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا ﴾ | ٢٨٦ | ٣٣٣، ٣٣٤ |
| **آل عمران** | | |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾ | ٧ | ٧ |
| ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ | ٨ | ٧٦ |
| ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ | ١٩ | ٢٠١ |
| ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ...﴾ | ١٩، ٢٠ | ١٩٢ |
| ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ...﴾ | ٢٦ | ٢٤٨ |
| ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا ﴾ | ٣٠ | ٢٠٦ |
| ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ | ٥٢ | ٢٠١ |
| ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ...﴾ | ٦٤ | ٧، ١٩٢، ٢٤٦، ٤٠٩، ٤٨٨، ٤٩٤ |
| ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا ﴾ | ٦٧ | ٢٠١ |
| ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ | ٧٩ | ٣٤١ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ | ٨٥ | ٢٠٠ |
| ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ | ٩٧ | ٣٧٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾ | ١٠٠ | ٤٧٠ |
| ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ | ١٠١ | ٣٤٤ |
| ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ | ١٠٣ | ٤٧٠ |
| ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾ | ١٠٤ | ٤٥٣، ٤٦٨، ٤٩٢ |
| ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ... ﴾ | ١٠٥ | ٤٧٠ |
| ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾ | ١١٠ | ٣١٠، ٤٥٣، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٩٢ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴾ | ١٣٥ | ٣٠٨ |
| ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴾ | ١٤٤ | ١٥، ٢٤٦ |
| ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ... ﴾ | ١٥٩ | ٥٦، ١٧١ |
| ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ | ١٥٩ | ٣١٨، ٣٩٣ |
| ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ | ١٦٤ | ٥٢٥ |
| ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ... ﴾ | ١٩٠ | ٢٠٥ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ... ﴾ | ١٩١ | ٢٤٩، ٤١٠ |
| **سورة النساء** | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... ﴾ | ١ | ٤٣٣ |
| ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ... ﴾ | ٤ | ٤٤٤ |
| ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾ | ١٣ | ٢١٧ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾ | ١٩ | ٤٤٢، ٤٤٨ |
| ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ ...﴾ | ٢٤ | ٤٤٤ |
| ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾ | ٢٦ ـ ٢٨ | ٦٦، ٣٣١ |
| ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ | ٢٩ | ٣٣٤، ٤١٤ |
| ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ...﴾ | ٣١ | ٣٠٩ |
| ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ...﴾ | ٣٤ | ٤٣٥، ٤٤٨، ٤٤٩ |
| ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ | ٤٣ | ٢٨٠ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ...﴾ | ٥٨ | ٢٩٨، ٣١٢، ٣٩٣، ٤٧٩، ٤٩٧ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ...﴾ | ٥٩ | ٤٧٩، ٤٩٧، ٥٣٢ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ | ٧١ | ٤٥٤ |
| ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ...﴾ | ٧٥ | ٣٠١، ٤٥٤، ٥٠٠ |
| ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾ | ٧٦ | ٣٠١ |
| ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ | ٨٠ | ٣٥١، ٥٣١، ٥٣٧ |
| ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ | ٨٢ | ٤٢٢ |
| ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ...﴾ | ٨٣ | ٧ |
| ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ | ٨٩ | ٤٨٢ |
| ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ...﴾ | ٩٠ | ٥٠٠ |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ...﴾ | ٩٧ | ٢٣٥، ٤٨٣ |
| ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ | ١٠٥ | ٤٩٧، ٥١٧ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ... ﴾ | ١٢٣، ١٢٤ | ٤٠٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ... ﴾ | ١٣٥ | ٤١٣، ٤٦٤، ٤٩٧ |
| ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... ﴾ | ١٣٦ | ٣٩١ |
| ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ | ١٦١ | ٣٧٩ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ | ١٧٤ | ٣٤٥، ٥١٧ |
| ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ | ١٧٦ | ٣١٩ |
| **سورة المائدة** | | |
| ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴾ | ٢ | ٣٠١، ٤٥٧ |
| ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ... ﴾ | ٣ | ١٩٢، ٤٦٦ |
| ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ... ﴾ | ٥ | ٥٠٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ... ﴾ | ٦ | ٥٢٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ... ﴾ | ٨ | ٣٠٥، ٣٠٧، ٤١٣، ٤٩٧، ٥١٠ |
| ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ | ٨ | ٤٦٤ |
| ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا ... ﴾ | ١٥، ١٦ | ٥١٨ |
| ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ | ٢٤ | ٣١٠ |
| ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ | ٢٧ | ٤١٠ |
| ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾ | ٣٢ | ٣٦٠، ٣٨١ |
| ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ... ﴾ | ٣٨ | ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٨٦، ٥٢٢ |
| ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ | ٤٥ | ٥٢١ |

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ...﴾ | ٤٨ | ٢٠٢، ٥١٨ |
| ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ | ٤٨ | ٢٠١ |
| ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ...﴾ | ٤٩ | ٣٧٣، ٣٩٣، ٥١٨، ٥٢٠ |
| ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾ | ٧٨، ٧٩ | ٤١٧، ٤٥٣، ٤٦٩ |
| ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ | ٩٠ | ٥٣٨ |
| ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ | ٩١ | ٣٣٦ |
| ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ...﴾ | ٩٢ | ٥٣١ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ | ١٠١ | ٧ |
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ...﴾ | ١٠٤ | ٤٢٠ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ | ١٠٥ | ١١ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ | ١٠٦ | ٣٨٦ |
| **سورة الأنعام** | | |
| ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ...﴾ | ١ | ٢١ |
| ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ | ٣٨ | ٥٢٦، ٥٣٨ |
| ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ...﴾ | ٥٩ | ٢٤٨ |
| ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ | ٩٠ | ٤٩١ |
| ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾ | ١٠٢، ١٠٣ | ٢٤٣ |
| ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ | ١١٤ | ٨، ٤٩٤ |
| ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ...﴾ | ١١٥ | ٣٥٠ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ | ١٤٣ | ٤٢٤ |
| ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ | ١٤٥ | ٣٠٥ |
| ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ...﴾ | ١٤٨ | ٤١٩ |
| ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ...﴾ | ١٥١ ـ ١٥٣ | ٥٢٤ |
| ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ...﴾ | ١٥٣ | ٤٦٩ |
| ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ | ١٥٥ | ٥١٧ |
| ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ | ١٦٢ | ٨، ٤٤ |
| ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ...﴾ | ١٦٢، ١٦٣ | ٤٦٦ |
| ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ | ١٦٤ | ٢٤٣، ٣٥٤ |
| **سورة الأعراف** | | |
| ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ | ٢٣ | ٢٢ |
| ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ...﴾ | ٣١، ٣٢ | ٢٩٥، ٣٠٦، ٣١١، ٣٢٩، ٤١٥ |
| ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ | ٣٢ | ٣٠٦ |
| ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا ...﴾ | ٣٨، ٣٩ | ٤٢٠ |
| ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ | ٥٩ | ٢٦٤ |
| ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ...﴾ | ٦١ ـ ٦٣ | ٢٥٢ |
| ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ...﴾ | ٦٤ | ٢٤٥ |
| ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ | ٦٥ | ٢٦٣ |
| ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ...﴾ | ٧٢ | ٢٤٥ |

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للبيع


| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ | ٨٦ | ٤٣٣ |
| ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ... ﴾ | ٨٩ | ٢٣ |
| ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ | ١٢٦ | ٢٣ |
| ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ | ١٢٩ | ٤٦٢ |
| ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ | ١٥٦ | ٢٤٩ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ... ﴾ | ١٥٧ | ٢٤، ٣٣٤، ٤١٥، ٥٣٧ |
| ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ | ١٥٨ | ١٨، ٣٦٥، ٤٦٨، ٤٩١ |
| ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ... ﴾ | ١٧٩ | ٤٢٣ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ | ١٨٥ | ٣١٢، ٤٢١ |
| **سورة الأنفال** | | |
| ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ | ٢ ـ ٤ | ٢٩١، ٣٧١ |
| ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ | ٥ | ٥٠٠ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾ | ٢٠ | ٥٣١ |
| ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ ... ﴾ | ٢٥ | ٢٣٤، ٣٨٦ |
| ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ | ٣٩ | ٣٤٢ |
| ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ... ﴾ | ٦٠ | ٤٥٤ |
| ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ | ٦١ | ٥٠٠ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ | ٧٢ | ٤٨٢ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة التوبة** | | |
| ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ ...﴾ | ١٣ | ٥٠٠ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ ...﴾ | ٢٣، ٢٤ | ٤٧٢ |
| ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ ...﴾ | ٢٤ | ٢٦٦ |
| ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ | ٣١ | ٤٩٤ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ ...﴾ | ٣٨، ٣٩ | ٤٥٤ |
| ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ...﴾ | ٧١ | ٤٥٨ |
| ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ...﴾ | ١٠٠ | ٢٤ |
| ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ | ١٠٣ | ٢٩٢، ٣٢٠، ٤١٢، ٤٥٧ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ | ١١٩ | ٤٦٥ |
| ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ...﴾ | ١٢٢ | ٨ |
| **سورة يونس** | | |
| ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ...﴾ | ٢ | ٢٥٢ |
| ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ | ١٥ | ٣٩٥ |
| ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ...﴾ | ١٥، ١٦ | ٣٩٥ |
| ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ | ١٨ | ٤٠٨ |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴾ | ٢٢ | ٢٤٤، ٢٨٣ |
| ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ...﴾ | ٣١، ٣٢ | ٢٤٤ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ | ٤١ | ٥٠٠ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ | ٥٧ | ٣٤٥ |
| ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ | ٥٨ | ٣٦ |
| ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ | ٥٩ | ٤٢٤ |
| ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ | ٨٤ | ٢٠١ |
| ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ | ٨٥ ـ ٨٦ | ٢٣ |
| ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ... ﴾ | ٩٩ | ٣٨٢، ٥٠٩ |
| ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ | ١٠١ | ٣١١، ٤٢١ |
| **سورة هود** | | |
| ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ | ٥٠ | ٤٩٦ |
| ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ | ٦١ | ٤٩٦ |
| ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾ | ٦١ | ٤٢٤، ٤٦٢ |
| ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ | ٨٤ | ٤٩٦ |
| ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ... ﴾ | ٨٨ | ٧٨ |
| ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ... ﴾ | ١١٣ | ٨، ٢٣٤ |
| ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ | ١١٨ | ٥٠٩ |
| **سورة يوسف** | | |
| ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ | ٢ | ٥١٨ |
| ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ | ١٨ | ٢٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ | ٦٤ | ٢٢ |
| ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ...﴾ | ١٠١ | ٢٣ |
| ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ...﴾ | ١٠٨ | ٨، ٤١٦ |
| **سورة الرعد** | | |
| ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ...﴾ | ١٥ | ٢٥١، ٢٦٧ |
| **سورة إبراهيم** | | |
| ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ...﴾ | ١ | ٥١٨ |
| ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ...﴾ | ٣٨ | ٢٢ |
| ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ ...﴾ | ٣٩ | ٤٣٢ |
| ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ...﴾ | ٤٠، ٤١ | ٢٢ |
| **سورة الحجر** | | |
| ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ | ٩ | ٣٠٤، ٣٤٧، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٥ |
| ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ | ٢٩ | ٣٥٥ |
| **سورة النحل** | | |
| ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴾ | ٣٦ | ٢٦٤، ٣٦٤، ٤٠٩ |
| ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ | ٤٤ | ١٨، ٥٢٧ |
| ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ | ٦٨ | ٢٥٣ |
| ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ...﴾ | ٧٢ | ٤٣٢ |
| ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ...﴾ | ٧٨ | ٤٢٣ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ...﴾ | ٨٩ | ٨، ١٧٠، ٥٢٦، ٥٢٧ |
| ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ...﴾ | ٩١ ـ ٩٣ | ٢٩٩ |
| ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ...﴾ | ١٢٥ | ٨ |
| ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ...﴾ | ١٢٦ | ٣٠٧ |
| **سورة الإسراء** | | |
| ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ | ٩، ١٠ | ٥١٨ |
| ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ | ١٥ | ٣٨٣ |
| ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾ | ٢٣ | ٥٢٤ |
| ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ...﴾ | ٢٩ | ٢٩٥ |
| ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ | ٣٢ | ٥٣٨ |
| ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ...﴾ | ٣٦ | ٤٢٣ |
| ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...﴾ | ٤٤ | ٢٥١، ٣٤٣ |
| ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ | ٥٧ | ٤٩٤ |
| ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ | ٧٠ | ٢٣٥، ٥٠٨ |
| ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ...﴾ | ٨٠ | ٢٣ |
| ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ...﴾ | ٨٥ | ٤٢٣ |
| **سورة الكهف** | | |
| ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا۟ ...﴾ | ١ ـ ٣ | ٢١ |
| ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ | ١٤ | ٢٤٣ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ | ٢٩ | ٥٠٩ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ | ٣٠ | ٤٥٢ |
| ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ | ٩٥ | ٤٥٧ |
| ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ | ١١٠ | ٣٥٧ |
| **سورة مريم** | | |
| ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ... ﴾ | ٥، ٦ | ٤٣٢ |
| ﴿ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ | ١٢ | ٣٠٩ |
| ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ | ٦٤ | ٣١٧، ٣٩٨ |
| **سورة طه** | | |
| ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ... ﴾ | ٤ ـ ٨ | ٢٥٠ |
| ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ... ﴾ | ٢٥ ـ ٢٩ | ٢٣ |
| ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ | ٤٩، ٥٠ | ٢٤٤، ٢٥٣ |
| ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ... ﴾ | ١٠٩ ـ ١١٢ | ٤٠٨ |
| ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ | ١١٤ | ٢٤ |
| ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ | ١٢١، ١٢٢ | ٢٢ |
| ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ... ﴾ | ١٣٢ | ٤١٧، ٤٥٠ |
| **سورة الأنبياء** | | |
| ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ | ٢٢ | ٢٤٥ |
| ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ | ٢٥ | ٢٦٤، ٣٦٤، ٤١٠ |


QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ | ٨٩ | ٤٣٢ |
| ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ | ٩٢ | ٤٦٩ |
| ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ | ١٠٧ | ١٩، ٣٦٥، ٤١٦، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٩١ |
| **سورة الحج** | | |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ... ﴾ | ١٨ | ٢٥١ |
| ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ | ٢٨ | ٣٢٠، ٣٥٨ |
| ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ... ﴾ | ٣٩، ٤٠ | ٥٠٠ |
| ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ... ﴾ | ٤٠ | ٣٠٠ |
| ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ... ﴾ | ٤١ | ٤٨٧ |
| ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ... ﴾ | ٦٨، ٦٩ | ٥٠٩ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ... ﴾ | ٧٧، ٧٨ | ٨ |
| ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا ... ﴾ | ٧٨ | ٤٦٥ |
| ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ | ٧٨ | ٥٢٢ |
| **سورة المؤمنون** | | |
| ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ... ﴾ | ١ ـ ٨ | ٢٩٠، ٤١١ |
| ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ | ٣٧ | ٢٥٤ |
| ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ | ٥٢ | ٤٦٩ |
| ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ... ﴾ | ٨٤ ـ ٨٩ | ٢٥٩ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ ...﴾ | ٩١ | ٢٤٥ |
| ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ | ٩٤ | ٢٤ |
| **سورة النور** | | |
| ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ ...﴾ | ٢ | ٣٢٢، ٣٨٦ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ...﴾ | ١٩ | ٣٢٣ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ...﴾ | ٢٧ | ٣١٢، ٣٢٣، ٣٨٢ |
| ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ...﴾ | ٣٠، ٣١ | ٣٢٣ |
| ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ | ٣١ | ٣٢٣ |
| ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ | ٣١ | ٣٠٨، ٣٢٣ |
| ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ ...﴾ | ٣٢ | ٣٢٤ |
| ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ...﴾ | ٣٦، ٣٧ | ٤٢٦ |
| ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ | ٣٧ | ٢٧٧، ٤٢٦ |
| ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ | ٤٠ | ١٩ |
| ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم ...﴾ | ٤٧ ـ ٥١ | ٥٢٠، ٥٢١ |
| ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ...﴾ | ٥١ | ٢٧٤، ٣٩٠، ٥٢١ |
| ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ...﴾ | ٥٤ | ٣٩٠، ٥٣٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ...﴾ | ٥٨ | ٣٢٣ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الفرقان** | | |
| ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ | ١ | ١٨، ٤٦٨، ٤٩١ |
| ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ | ٥٢ | ٤١٨ |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ... ﴾ | ٥٤ | ٤٣٥، ٥٠٢ |
| ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ... ﴾ | ٦٣ ـ ٦٨ | ٢٩١ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا ... ﴾ | ٧٤ | ٤٣٣ |
| **سورة الشعراء** | | |
| ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾ | ٢٣ ـ ٢٨ | ٢٤٣ |
| ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ | ٢٨ | ٢٤٣ |
| ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ... ﴾ | ٧٨ ـ ٨٢ | ٢٢ |
| ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ | ١٠٦ | ٤٩٦ |
| ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ | ١٦١ | ٤٩٦ |
| ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ | ١٩٣، ١٩٤ | ٥٣٥ |
| ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ | ٢١١ | ٢٤٦ |
| **سورة النمل** | | |
| ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ... ﴾ | ١٩ | ٢٣ |
| ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ ... ﴾ | ٤٠ | ٢٨٢ |
| ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ... ﴾ | ٥٢، ٥٣ | ٢٤٥ |
| ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ | ٦٤ | ٤١٩، ٤٢٤ |
| ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ ... ﴾ | ٦٦ | ٢٠٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة القصص** | | |
| ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ | ٨ | ٢٩٤ |
| ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ | ١٧ | ٢٣ |
| ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ | ٢٤ | ٢٣ |
| ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ ...﴾ | ٧٧ | ٣١٤ |
| **سورة العنكبوت** | | |
| ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ | ٤٥ | ٢٩٢، ٣٠٥، ٣٢٠، ٣٧٢، ٤١٢ |
| ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ...﴾ | ٦١ | ٢٤٤، ٤٠٨ |
| ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ | ٦٤ | ٢٨٥ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ | ٦٩ | ٨ |
| **سورة الروم** | | |
| ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ...﴾ | ٢١ | ٤٣٢، ٥٠٢ |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ...﴾ | ٢٧ | ٢٥٦ |
| ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ...﴾ | ٣٠ | ١٩٢، ٢٠٨، ٢٤٤، ٢٥٧، ٣٤٣ |
| ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ...﴾ | ٤٧ | ٢٤٥ |
| **سورة لقمان** | | |
| ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ | ١٣ | ٢٩٠ |
| ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ | ١٥ | ٥٠٧ |
| ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ | ١٨ | ٣١٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الأحزاب** | | |
| ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ...﴾ | ٢٥ | ٥٠١ |
| ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ...﴾ | ٣٦ | ٢٧٤، ٥٢١ |
| ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾ | ٣٩ | ٩، ٥٦ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ | ٤١، ٤٢ | ٤١٠ |
| ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ | ٧١ | ٥٣٢ |
| **سورة سبأ** | | |
| ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾ | ١ ـ ٢ | ٢١ |
| ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ | ١٥ | ٣٤٢ |
| ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ | ٢٨ | ٤٩١ |
| ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ...﴾ | ٤٦ | ٣١١، ٤٢١ |
| **سورة فاطر** | | |
| ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ ...﴾ | ١ ـ ٢ | ٢١ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ | ١٥ | ٢٨٢ |
| ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ | ٢٤ | ٢١٧ |
| ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ...﴾ | ٣٢ | ٣١٤ |
| **سورة يسٓ** | | |
| ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ...﴾ | ٣٦ | ٤٣١ |
| ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ ...﴾ | ٤٠ | ٢٥٣ |
| ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ ...﴾ | ٦٠، ٦١ | ٢٦٣ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الصافات** | | |
| ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ | ١٠٠، ١٠١ | ٤٣٢ |
| **سورة صَ** | | |
| ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ ... ﴾ | ٢٧، ٢٨ | ٢٥٥، ٤٠٨ |
| ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ | ٢٩ | ٤٢٢ |
| ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ | ٨٧، ٨٨ | ٤٩١ |
| **سورة الزمر** | | |
| ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ | ٣ | ٤٠٨ |
| ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ... ﴾ | ٢٩ | ٢٨٤ |
| ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ... ﴾ | ٥٣ | ٢٤٩ |
| **سورة فصلت** | | |
| ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ... ﴾ | ٣٣ | ٥٨ |
| ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾ | ٣٤ | ٣٠٥ |
| ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ | ٥٣ | ٤١٩، ٤٢١ |
| **سورة الشورى** | | |
| ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ | ١١ | ٢٤٨ |
| ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ... ﴾ | ١٣ | ٢٠١ |
| ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ ... ﴾ | ١٥ | ٥٠٩ |
| ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ | ٢١ | ٢٥٧ |
| ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ | ٣٨ | ٣١٨، ٣٩٣ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ | ٤٠ | ٣٠٧ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ ... ﴾ | ٥٢، ٥٣ | ٣٤٦ |
| **سورة الزخرف** | | |
| ﴿ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ ﴾ | ١٩ | ٤٢٤ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ ... ﴾ | ٢٣، ٢٤ | ٤٢٠ |
| ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ﴾ | ٧١ | ٣١٦ |
| **سورة الدخان** | | |
| ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ... ﴾ | ٣٨ ـ ٤٠ | ٢٥٥ |
| **سورة الجاثية** | | |
| ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ... ﴾ | ١٣ | ٣١٢ |
| ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ | ٢١، ٢٢ | ٢٥٦ |
| **سورة الأحقاف** | | |
| ﴿ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ | ٤ | ٤٢٤ |
| **سورة محمد** | | |
| ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ | ٣٨ | ٤٧٤ |
| **سورة الفتح** | | |
| ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾ | ١ | ٥٠١ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ | ١٠ | ٥٣١ |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ ... ﴾ | ٢٤ | ٥٠١ |

غير مرخصة للطباعة

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الحجرات** | | |
| ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ | ١٠ | ٢١٣، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٧٠، ٤٩٦ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ...﴾ | ١١ | ٣٨٢ |
| ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ | ١٢ | ٣٨٢ |
| ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ...﴾ | ١٢ | ٣٨٢ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ...﴾ | ١٣ | ٣٥٩، ٤٣٣، ٤٩٥ |
| ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ...﴾ | ١٥ | ٢٩١ |
| **سورة الذاريات** | | |
| ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ | ٢٠، ٢١ | ٤٢١ |
| ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ | ٢١ | ٣١١ |
| ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ | ٤٩ | ٤٣١ |
| ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ | ٥٦ | ٣٧٢، ٤٦١ |
| ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ ...﴾ | ٥٦ ـ ٥٨ | ٢٦٢، ٤٠٩ |
| **سورة الطور** | | |
| ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ | ٣٥، ٣٦ | ٦٠، ٢٤٤ |
| **سورة النجم** | | |
| ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ | ٢٣ | ٤١٩ |
| ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ | ٢٨ | ٤١٩ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ... ﴾ | ٣١ | ٢٥٦، ٢٥٨ |
| ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ | ٤٢ | ٣٤١ |
| **سورة القمر** | | |
| ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ | ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ | ٤٩ |
| **سورة الرحمن** | | |
| ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ... ﴾ | ٧ ـ ٩ | ٣٧٥ |
| **سورة الواقعة** | | |
| ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ | ١٠، ١١ | ٣١٤ |
| **سورة الحديد** | | |
| ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ... ﴾ | ١ ـ ٣ | ٢٥١ |
| ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ ... ﴾ | ٢٥ | ٩، ٢٥٤، ٣٢٠، ٤٨٦، ٤٩٧ |
| **سورة المجادلة** | | |
| ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ... ﴾ | ٧ | ٢٥١ |
| ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ ... ﴾ | ٢٢ | ٤٧٢ |
| **سورة الحشر** | | |
| ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾ | ٩ | ٤٥٥ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ... ﴾ | ١٠ | ٤٥٥ |

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الممتحنة** | | |
| ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ...﴾ | ٤، ٥ | ٩، ١٩ |
| ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ...﴾ | ٨ | ٥٠٣، ٥٠٧ |
| **سورة الجمعة** | | |
| ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ | ٩ | ٣٠٥ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ...﴾ | ٩، ١٠ | ٣٧٧، ٤٢٥ |
| **سورة المنافقون** | | |
| ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ | ٨ | ٢٣٥ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ...﴾ | ٩ | ٢٧٧ |
| **سورة التغابن** | | |
| ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ...﴾ | ١٢ | ٥٣٢ |
| **سورة الطلاق** | | |
| ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ...﴾ | ٧ | ٣٣٣، ٤٤٥ |
| ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ...﴾ | ١٢ | ٢٦٢ |
| **سورة التحريم** | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ...﴾ | ٦ | ٤١٧، ٤٥٠ |
| **سورة الملك** | | |
| ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ | ١ | ٢٤٩ |
| ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ | ١٤ | ٢٢٩، ٣٢٨ |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ ...﴾ | ١٥ | ٤٢٥ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة القلم** | | |
| ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ | ٤ | ٢٨٩ |
| **سورة الحاقة** | | |
| ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ... ﴾ | ٣٠ ـ ٣٤ | ٤٥٦ |
| **سورة نوح** | | |
| ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ | ٢٨ | ٢٢ |
| **سورة المدثر** | | |
| ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ | ٣٨ | ٣٨٣ |
| **سورة القيامة** | | |
| ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ | ١٩ | ٥٢٨ |
| **سورة الإنسان** | | |
| ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ... ﴾ | ٨، ٩ | ٣٠٣، ٥٠٧ |
| **سورة المرسلات** | | |
| ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ... ﴾ | ٢٠ ـ ٢٣ | ٢٠٥ |
| **سورة المطففين** | | |
| ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ... ﴾ | ١ ـ ٣ | ٣١٢ |
| **سورة الانشقاق** | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ | ٦ | ٣٤١ |
| **سورة الأعلى** | | |
| ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ | ١ ـ ٣ | ٢٥٣ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ...﴾ | ١ ـ ٥ | ٢٨٧ |
| ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ | ٢ ـ ٣ | ٢٠٥ |
| **سورة الفجر** | | |
| ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ...﴾ | ١٧، ١٨ | ٤٥٦ |
| ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ | ٢٩ | ٢٦٤ |
| **سورة الشمس** | | |
| ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ...﴾ | ٧ ـ ١٠ | ٣٧٧، ٤١١ |
| ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ | ٩، ١٠ | ٣١١ |
| **سورة الضّحى** | | |
| ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ | ١١ | ٣٦ |
| **سورة العلق** | | |
| ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ...﴾ | ١ ـ ٥ | ٣٥٦ |
| **سورة الزلزلة** | | |
| ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ...﴾ | ٦ ـ ٨ | ٢٠٥ |
| ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ | ٧ | ٨٣ |
| **سورة العصر** | | |
| ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ | ١ ـ ٣ | ٣١٠، ٣٢١، ٤١٦، ٤٥٨ |
| **سورة الماعون** | | |
| ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ... ﴾ | ١ ـ ٣ | ٤٥٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الكافرون** | | |
| ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ... ﴾ | ١ ـ ٦ | ٥٢، ٢٠٠، ٣٩٤، ٥٠٠ |
| **سورة النصر** | | |
| ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ | ١ ـ ٣ | ٨٤ |
| **سورة الإخلاص** | | |
| ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ... ﴾ | ١ ـ ٢ | ٢٤٥، ٣٥٤ |
| ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ | ٣، ٤ | ٢٤٨ |

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# فهرس الأحاديث النبوية الشريفة


| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| أ | |
| آمروا النساء في بناتهن | ٤٤٠ |
| آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر | ٣٧٢ |
| أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم | ٤٦٥ |
| اتقوا الله في النساء، فإنهن عوانٍ عندكم، أخذتموهن بأمانة الله | ٤٤٥ |
| احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجِز | ٣٠٩ |
| إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض | ٤٣٧ |
| إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة، كان لها أجرها، وله مثله بما كسب | ٤٤٩ |
| إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع | ٤٤٩ |
| إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر | ١٢، ٣٨٣ |
| إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمّروا أحدهم | ٤٨٤ |
| إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة | ٢٩٨، ٤٨٠ |
| إذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله | ٤٤٩ |
| اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون | ٣١٠ |
| أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح | ٤٣٤ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| استوصوا بالنساء خيرًا | ٤٤٧ |
| اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا | ٣٠٢ |
| أفتح هو يا رسول الله؟ فيقول: «نعم» | ٥٠١ |
| أقبح الأسماء حرب ومرة | ٥٠١ |
| ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ | ٢٧٥ |
| ألا إنَّ رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الإسلام حيث دار | ٤٨٣ |
| اللهم إنَّا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك | ٢٣٧ |
| اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل | ٢٣٦ |
| اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك أنتَ الرب وحدَكَ | ٤٩٥ |
| أليست نفسًا | ٥٠٩ |
| أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه | ٣٩٧ |
| أمر بوضع الجوائح | ٤٠١ |
| أمِّروا أحدكم | ٤٨٤ |
| أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه | ٤٣٩ |
| إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه | ١١ |
| إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها | ٣١٨، ٣٩٨ |
| إن الله سائل كل راع عما استرعاه: حفظ أم ضيع | ٤٣٦ |
| إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا | ٢٧٧، ٢٩٨ |
| إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب | ٤٧٥ |
| إن الله كتب الإحسان على كل شيء | ٢٧٧ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إن الله يبعث على رأس كلِّ مائة عام لهذه الأمة: مَن يجدد لها دينها | ١٣، ٥١ |
| إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه | ٢٧٧ |
| إن الله يحبُّ أن تُؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته | ٣٣٤ |
| إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر | ٢٣٦ |
| أن تعين قومك على الظلم | ٤٦٤ |
| أن جارية بكرا أتت النبي ﷺ، فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة | ٤٣٩ |
| إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات | ١٢ |
| إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا | ٣٨٢ |
| إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا | ١١ |
| إن السلطان ظل الله في الأرض | ٤٨٥ |
| إن في المال حقًّا سوى الزكاة | ٣٨٥ |
| إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة يريد أن يغرسها | ٣٠٩، ٤٢٦ |
| إن لجسدك عليك حقًّا | ٣١١ |
| إن لزوجك عليك حقًّا | ٤٣٦ |
| إن المرأة كالضلع إن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن استمتعت بها | ٤٤٧ |
| إن من الغيرة ما يحب الله، ومن الغيرة ما يبغض الله | ٤٤٧ |
| إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب | ٢٣٤، ٣٨٦ |
| إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقابه | ١١ |
| أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟... أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له | ٤٣١ |
| انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم | ٣٠٠ |
| أنظرت إليها | ٤٣٨ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم | ٥٣٧ |
| إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى | ١١ |
| إنما أنا أعلمكم بالله، وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر | ٣١٣ |
| إنما أنا رحمة مهداة | ٤١٦ |
| إنما أنت رجل واحد، فخذِّل عنا ما استطعت | ٣٩٥ |
| إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه | ٢٩٨ |
| إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق | ٢٨٩ |
| إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين | ٤٩، ٣٣٣، ٤٩٢ |
| إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه | ٣٦١ |
| أنه أغض للبصر وأحصن للفرج | ٤٣٣ |
| الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صُماتها | ٤٣٩ |
| الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى | ٢٩١، ٣٧١، ٤١٢ |
| أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب | ٤٩٥ |
| **ب** | |
| بعثت بحنيفية سمحة | ٣٣٣ |
| **ت** | |
| التاجر الصدوق يحشر مع الشهداء | ٤٢٧ |
| تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي | ١٣ |
| ترى المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد | ٤٥٦ |
| تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى | ٤٣٣ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم | ٤٧١ |
| تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا | ٤٢٣ |
| تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولنسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين | ٤٣٧ |
| ج | |
| جاهدوا المشركين بأيديكم، وألسنتكم وأموالكم | ٤١٨ |
| ح | |
| حديث أم زرع | ٤٤٦ |
| خ | |
| خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف | ٤٤٥ |
| خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم | ٤٧٢ |
| د | |
| دخلت امرأة النار في هرة حبستها | ٣١٢ |
| دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد | ٣٢٩ |
| دعوة المظلوم ـ وإن كان كافرًا ـ ليس دونها حجاب | ٥١٠ |
| دعوها فإنها منتنة | ٤٦٥ |
| دعوهم | ٥٠٨ |
| الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة | ٣٠٦، ٤٣٤، ٤٣٧ |
| الدين النصيحة... لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم | ٣١٠، ٣١٢، ٤٥٨ |
| ر | |
| الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء | ٤٥٦ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| رأيته يأمر بمكارم الأخلاق | ١٩٣ |
| رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبّ قائم ليس له من قيامه إلا السَّهَر | ٤١٢ |
| ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به. قال الله: قد فعلت | ٣٣٣ |
| **س** | |
| سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر | ٤٧١ |
| سووا صفوفكم | ٤٨٤ |
| سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله | ٢٣٥ |
| **ش** | |
| شهر الصبر وشهر المواساة | ٣٥٨ |
| **ع** | |
| «عبد الله ورسوله» | ٢٤٦ |
| **ف** | |
| فرُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه | ٥٢٩ |
| فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك | ٤٣٧ |
| فما أحل الله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو | ٤١٥ |
| في كل كبد رطبة أجر | ٣١٢ |
| **ق** | |
| قضى بشاهد ويمين | ٤٠٤ |
| **ك** | |
| كان رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد | ٤٤٦ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت | ٤٣٥ |
| كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة، كلُّ يوم تطلع فيه الشمس | ٢٧٦ |
| كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: فالرجل راع في أهل بيته | ٣٨٥، ٤٣٥ |
| كلمة حق عند سلطان جائر | ٢٣٥، ٤١٨ |
| كلُّ مولود يُولد على الفطرة وإنما أبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه | ١٩٣، ٢٥٧ |
| كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش | ٢٩٣ |
| كم من قائم ـ أي الليل بالتهجد ـ ليس له من قيامه إلا السهر | ٢٩٣ |
| ل | |
| لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين | ٢٧٥ |
| لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة | ٣٠٨ |
| لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض | ٤٧١ |
| لا تكتبوا عني شيئًا غير القرآن | ٥٢٧ |
| لا خير في دين لا صلاة فيه | ٣٦١ |
| لا صلاة لمنفرد خلف الصف | ٣٨٧ |
| لا ضرر ولا ضرار | ٤١٤، ٤٤٥ |
| لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى | ٤٧٥ |
| لا يحتكر إلا خاطئ | ٢٩٤ |
| لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاةٍ من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم | ٤٨٥ |
| لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه | ٤٤٩ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن | ٢٩١، ٤١٥ |
| لا يفرك ـ أي لا يكره ـ مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقًا رضي منها آخر | ٤٤٨ |
| لا يكن أحدكم إمعة، فيقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت | ٤٢٠ |
| لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه | ٤٥٥ |
| لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعَم | ١٢ |
| لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة، إني بعثت بحنيفية سمحة | ٣٢٩ |
| لقد رأيت رسول الله ﷺ يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد | ٣٢٩ |
| لم يُرَ للمتحابين مثلُ النكاح | ٤٤٠ |
| ليس بمؤمن مَن بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع | ٤٥٨ |
| ليس من البر الصيام في السفر | ٣٣٥ |
| ليس منا مَن دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية، أو مات على عصبية | ٤٦٤ |
| **م** | |
| المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف... | ٢٣٦ |
| المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبَّك أصابعه | ٤٥٧ |
| المؤمن مرآة المؤمن | ٤٥٨ |
| ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو | ٣١٧، ٣٩٨ |
| ما أكل أحد قط طعامًا أفضل من أن يأكل من عمل يده | ٤٢٧ |
| ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما | ٤٩ |
| ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة | ٤٢٦ |
| ما من نبي بعثه الله قبلي إلا كان له حواريون | ٤١٨ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها | ٤٤٩ |
| المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه | ٤٧٠، ٤٩٦ |
| المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده | ١٩٣ |
| المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم | ٤٧٠ |
| ملك كذاب | ٢٩٩ |
| من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد | ١٢، ١٩٣، ٢٥٧ |
| مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه | ١٣، ٢٣٤، ٣١٠ |
| من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه | ٤٣٤ |
| من سعادة ابن آدم: ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم: ثلاثة؛ من سعادة ابن آدم | ٤٣٤ |
| مَن عاد مريضًا ناداه مناد من السماء: طبتَ وطاب ممشاك | ٢٧٦ |
| مَن غشَّ فليس منا | ٢٩٥، ٣١٢ |
| مَن قاتل تحت راية عُمِّية، يغضب لعَصَبة، أو يدعو إلى عَصبة | ٤٦٤ |
| من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه | ٤٠١ |
| مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصِل رحمه | ٢٩١، ٤١١ |
| مَن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا | ٢٩٣ |
| مَن لم يَدَع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يَدَع طعامه وشرابه | ٢٩٣، ٤١٢ |
| مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية | ٤٨٠ |
| مَن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم | ١٢ |
| **ن** | |
| الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا | ٤٧٣ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| نَضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها، فأدَّاها كما سمعها | ٥٢٩ |
| نضَّر الله امرأً سمع منا شيئًا، فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع | ١٢ |
| نعم، صلي أمك | ٥٠٨ |
| نعم المال الصالح للرجل الصالح | ٣٠٦ |
| نهى النبي ﷺ المسافر أن يطرق أهله ليلًا | ٤٤٧ |
| **هـ** | |
| هذه بتلك | ٤٤٦ |
| هلك المتنطِّعون | ١٢ |
| **و** | |
| والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم | ٣٩٦ |
| وايْمُ الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها | ٤٦٠ |
| وفي بُضْعِ أحدكم صدقة | ٢٧٨ |
| **ي** | |
| يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني | ٢٨٢ |
| يا عبادي؛ إني حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا، فلا تَظَالموا | ٤٥٩ |
| يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ | ٢٨٥ |
| يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر | ٤٣٠ |
| يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين | ٥٢٨ |
| يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا | ١١، ٥٦، ١٧١، ٣٣٣ |
| يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله | ٤٨٤ |


QaradawiBooks.com

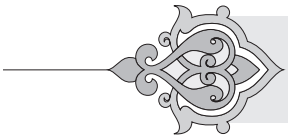

# فهرس الموضوعات

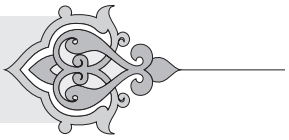


- **من الدستور الإلهي للبشرية** ..... ٧
- **من مشكاة النبوة (سنة رسول الله المبيِّنة للقرآن)** ..... ١١
- **من أقوال الصحابة والتابعين** رضي الله عنهم ..... ١٥
- **إهـــــــداء** ..... ١٧
  - **دعـــاء ومـنـاجـــاة** ..... ٢١
  - **القرضاوي عالم زمانه** ..... ٢٥
  - **تصدير مجموعة أعمال القرضاوي** ..... ٣٣

منهجي الذي اتبعته طوال حياتي ..... ٤٤
نهلت من معين الفقه الإسلامي على اتساعه ..... ٤٦
العناية بالتعليل والتدليل والموازنة ..... ٤٨
رأيي هو أحد الآراء ..... ٤٨
التشديد في الأصول والتيسير في الفروع ..... ٤٩
اهتمامي بحاجات العصر العملية والعلمية ..... ٥٠
الاجتهاد والتجديد والدعوة إليهما ..... ٥١
البعد عن المهاترات ..... ٥٢
وصية لإخواني العلماء ..... ٥٤
الوصايا العشر للعلماء والدعاة ..... ٥٥
هذه الموسوعة الكبيرة ..... ٥٩
محاور الموسوعة ..... ٥٩


غير مرخصة للطباعة

نسخة معاينة

QaradawiBooks.com

المحور الأول: التعريف بالإسلام ..... ٥٩
المحور الثاني: محور العقيدة ..... ٦٠
المحور الثالث: في الفقه وأصوله وما يتعلق به ..... ٦١
المحور الرابع: الفتاوى ..... ٦٤
المحور الخامس والسادس: القرآن والسنة وعلومهما ..... ٦٤
المحور السابع: فقه الأمة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلامية ..... ٦٦
المحور الثامن: التاريخ الإسلامي ..... ٦٧
المحور التاسع: الأدب والشعر ..... ٦٩
مذكراتي (ابن القرية والكتاب) ..... ٧٢
مسرحيتي عالم وطاغية ..... ٧٢
المحور العاشر: نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام ..... ٧٢
عنايتي بالأصول العشرين ..... ٧٣
المحور الحادي عشر: الخطب المنبرية ..... ٧٣
المحور الثاني عشر: المحاضرات العلمية ..... ٧٥
الحمد لله أولًا وآخرًا ..... ٧٦
لا يشكر الله من لا يشكر الناس ..... ٧٧
▫ **السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ القرضاوي** ..... ٨٧
مولد الشيخ ..... ٨٧
قرية صفط تراب ..... ٨٧
لقب عائلة القرضاوي ..... ٩٠
أسرة الشيخ الصغيرة ..... ٩٠
ختم القرآن ..... ٩٠
الالتحاق بالمدرسة الإلزامية ..... ٩١
الدراسة الابتدائية في معهد طنطا الأزهري ..... ٩٢
شيوخه في المرحلة الابتدائية ..... ٩٤
المرحلة الثانوية ..... ٩٤
بعض الكتب التي درسها في الابتدائية والثانوية ..... ٩٥

QaradawiBooks.com

الدراسة في كلية أصول الدين ..... ٩٦
الدراسة في معهد الدراسات العربية ..... ٩٧
الدراسات العليا بالأزهر ..... ٩٨
رسالة الدكتوراه ..... ٩٨
الشخصيات المؤثرة في شخصيته ..... ٩٩
أعماله الرسمية ..... ١٠٠
صلات الشيخ بكبار علماء الإسلام ..... ١٠٢
الجوائز التي حصل عليها الشيخ ..... ١٠٣
جهوده ونشاطه في خدمة الإسلام ..... ١٠٣
١ ـ مجال التأليف العلمي ..... ١٠٤
٢ ـ مجال الفقه والفتوى ..... ١٠٥
٣ ـ مجال الدعوة والتوجيه ..... ١٠٦
أ ـ المسجد ..... ١٠٧
ب ـ وسائل الإعلام ..... ١٠٨
ج ـ الدعوة بالقلم ..... ١٠٨
٤ ـ مجال المؤتمرات والندوات العلمية ..... ١٠٨
٥ ـ مجال المحاضرات والزيارات الجامعية ..... ١١٠
٦ ـ مجال المشاركة في المجالس والمؤسسات ..... ١١٢
٧ ـ مجال الاقتصاد الإسلامي ..... ١١٤
٨ ـ مجال العمل الاجتماعي والخيري ..... ١١٥
٩ ـ مجال ترشيد الصحوة ..... ١١٦
١٠ ـ مجال العمل الحركي والجهادي ..... ١١٧
▫ **رسائل علمية جامعية عن سماحة الشيخ الإمام القرضاوي** ..... **١٢١**
▫ **كتب منشورة عن سماحة الشيخ الإمام القرضاوي** ..... **١٢٧**
▫ **قائمة بأسماء العلماء والقادة والباحثين الذين شاركوا في السبعينية** ..... **١٣٣**
القسم الأول: الكلمات التكريمية ..... ١٣٣
القسم الثاني: المقالات والأبحاث في فكر الشيخ ومنهجه ..... ١٣٥

QaradawiBooks.com

▫ **قائمة بأسماء العلماء والقادة والباحثين الذين شاركوا في التسعينية ..... ١٣٩**
▫ **بعض المؤسسات التي شارك فيها الشيخ ..... ١٥٥**
▫ **(١) المعهد الديني بقطر ..... ١٥٥**
بروز المعهد الديني ..... ١٥٧
نشاطٌ متنوِّع في المعهد ..... ١٥٨
نشاط ثقافي عام بالمعهد ..... ١٥٨
خريجون من المعهد الديني ..... ١٥٩
▫ **(٢) الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ..... ١٦١**
مؤسسة خيرية إنسانية عالمية العطاء ..... ١٦١
تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية ..... ١٦١
رسالة الهيئة ..... ١٦٢
إشراف مباشر ..... ١٦٢
▫ **(٣) جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت وموقع إسلام أون لاين ..... ١٦٤**
أغراض جمعية البلاغ الثقافية ..... ١٦٥
مجلس إدارة الجمعية ..... ١٦٦
أهمية موقع إسلام أون لاين ..... ١٦٧
السياسة الإعلامية لموقع إسلام أون لاين ..... ١٦٨
جمهور إسلام أون لاين ..... ١٦٨
النوافذ الرئيسية للموقع ..... ١٦٩
الملامح العشرة لموقع إسلام أون لاين ..... ١٧٠
▫ **(٤) المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث ..... ١٧٣**
اسم المجلس وصفته ومقره ..... ١٧٣
اللقاء التأسيسي ..... ١٧٣
أهدافه ..... ١٧٣
وسائل تحقيق الأهداف ..... ١٧٤
مصادر الفتوى وضوابطها ..... ١٧٥

QaradawiBooks.com

كما ترتكز منهجيته على ..... ١٧٥
طريقة إصدار الفتاوى والقرارات ..... ١٧٥
العضوية ..... ١٧٦
اللقاء الدوري للمجلس ..... ١٧٧
اللجان الفرعية التابعة للمجلس ..... ١٧٧
إصدارات المجلس ..... ١٧٨
▫ **(٥) الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين** ..... **١٨٠**
الهياكل الإدارية للاتحاد ..... ١٨١
الجمعية العامة ..... ١٨١
مجلس الأمناء ..... ١٨١
الأمانة العامة ..... ١٨١
رئاسة الاتحاد ..... ١٨٢
الرؤية ..... ١٨٢
الرسالة ..... ١٨٢
المبادئ العامة ..... ١٨٢
أهداف الاتحاد ..... ١٨٤
مجالات العمل ..... ١٨٥

## المحور الأول

## التعريف العام بالإسلام

• **مقدمة** ..... **١٩٥**
• **الباب الأول: الحاجة إلى الدين** ..... **١٩٧**
▫ **معنى الدين** ..... **١٩٩**
الأديان السماوية ووحدتها ..... ٢٠٠
▫ **حاجة الإنسان إلى الدين** ..... **٢٠٣**
١ ـ حاجة العقل إلى معرفة الحقائق الكبرى في الوجود ..... ٢٠٣
٢ ـ حاجة الفِطرة البَشرية ..... ٢٠٧

QaradawiBooks.com

٣ ـ حاجة الإنسان إلى الصحة النفسية والقوة الروحية ..... ٢٠٨
٤ ـ حاجة المجتمع إلى بواعث وضوابط أخلاقية ..... ٢١٢
٥ ـ حاجة المجتمع إلى التعاون والتماسك ..... ٢١٣
▫ **كلام الإمام محمد عبده** ..... **٢١٧**
اعتراض من الملحدين وجوابه ..... ٢١٨
▫ **شهادة التاريخ والواقع** ..... **٢٢٣**
▫ **لا بديل عن الدين** ..... **٢٢٥**
العلم ليس بديلًا عن الدين ..... ٢٢٥
الفلسفة ليست بديلًا عن الدين ..... ٢٢٩
▫ **تفنيد مقولة «الدين أفيون الشعوب»** ..... **٢٣٣**
• **الباب الثاني: مقومات الإسلام** ..... **٢٣٩**
▫ **العقيدة** ..... **٢٤١**
ـ وجود الله تعالى ..... ٢٤٢
ـ إنما اللهُ إلهٌ واحد ..... ٢٤٥
ـ كمال الله تعالى ..... ٢٤٨
ـ الإيمان بالنبوَّات ..... ٢٥٢
ـ الإيمان بالآخرة ..... ٢٥٤
ـ خصائص العقيدة الإسلامية ..... ٢٥٦
١ ـ عقيدة واضحة ..... ٢٥٦
٢ ـ عقيدة الفطرة ..... ٢٥٧
٣ ـ عقيدة ثابتة ..... ٢٥٧
٤ ـ عقيدة مبرهنة ..... ٢٥٨
٥ ـ عقيدة وسط ..... ٢٥٩
▫ **العبادة** ..... **٢٦١**
ـ مهمة الإنسان في هذا الوجود ..... ٢٦١
ـ النداء الأول في كل رسالة: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ ..... ٢٦٣

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **معنى العبادة وحقيقتها** ..... **٢٦٤**
ـ معنى العبادة في اللغة ..... ٢٦٤
ـ العبادة في الشرع خضوع وحب ..... ٢٦٥
ـ شمول العبادة للدين كله ..... ٢٦٩
ـ العبادة تسع الحياة كلها ..... ٢٧١
ـ العبادة انقياد لمنهج الله وشرعه ..... ٢٧٣
ـ الأعمال الاجتماعية النافعة عبادة ..... ٢٧٤
ـ عمل الإنسان في معاشه عبادة بشروط ..... ٢٧٦
ـ حتى أعمال الغريزة وقضاء الشهوة ..... ٢٧٧
ـ آثار هذا الشمول في النفس والحياة ..... ٢٧٨
ـ شمول العبادة لكيان الإنسان كله ..... ٢٧٩

❖ **سر العبادة وغايتها** ..... **٢٨١**
ـ لماذا نعبد الله؟ ..... ٢٨١
١ ـ العبادة غذاء للروح ..... ٢٨٢
٢ ـ العبودية لله سبيل الحرية ..... ٢٨٤
٣ ـ العبادة ابتلاء إلهي يصقل الإنسان ..... ٢٨٤
٤ ـ العبادة حق الله على عباده ..... ٢٨٥

▫ **الأخلاق** ..... **٢٨٩**
ـ مكانة الأخلاق في رسالة الإسلام ..... ٢٨٩
ـ العقائد الإسلامية والأخلاق ..... ٢٩٠
ـ العبادات الإسلامية والأخلاق ..... ٢٩٢
ـ الأخلاق والاقتصاد ..... ٢٩٣
ـ السياسة والأخلاق ..... ٢٩٧
ـ الحرب والأخلاق ..... ٣٠٠
ـ بين أخلاق الإسلام وأخلاق اليهودية والمسيحية ..... ٣٠٣

❖ **خصائص الأخلاق الإسلامية** ..... **٣٠٤**
١ ـ أخلاق معلَّلة مفهومة ..... ٣٠٤

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ أخلاق عالمية ..... ٣٠٥
٣ ـ ملاءمة الفطرة ..... ٣٠٥
٤ ـ مراعاة الواقع ..... ٣٠٧
٥ ـ الإيجابية ..... ٣٠٩
٦ ـ الشمول ..... ٣١١
ـ من أخلاق الإسلام ما يتعلَّق بذات الفرد ..... ٣١١
٧ ـ التوازن ..... ٣١٣
ـ تعقيب ..... ٣١٥
▫ **التشريع** ..... **٣١٧**
ـ التشريع بين النصِّ وعدمه ..... ٣١٧
ـ متى تُفصِّل النصوص في التشريع؟ ..... ٣١٩
ـ من أهداف التشريع في الإسلام ..... ٣٢٠
ـ مكانة الحدود في التشريع ..... ٣٢١
ـ مكانة الحد في جريمة الزنى ..... ٣٢٢
ـ مكانة الحد في جريمة السرقة ..... ٣٢٤
ـ من خصائص التشريع في الإسلام: الشمول ..... ٣٢٦
ـ واقعية التشريع الإسلامي ..... ٣٢٨
ـ في التحليل والتحريم ..... ٣٢٨
ـ في تشريعات الزواج والأسرة ..... ٣٣٠
ـ تشريع الحدود والقصاص والتعزير ..... ٣٣١
ـ التيسير ورفع الحرج ..... ٣٣٢
ـ مراعاة سنة التدرج ..... ٣٣٥
• **الباب الثالث: خصائص الإسلام** ..... **٣٣٩**
▫ **الربانية** ..... **٣٤١**
١ ـ ربانية الغاية والوجهة ..... ٣٤١
ـ من ثمرات هذه الربانية في النفس والحياة ..... ٣٤٢
أولًا: معرفة غاية الوجود الإنساني ..... ٣٤٢

QaradawiBooks.com

ثانيًا: الاهتداء إلى الفطرة ..... ٣٤٣
ثالثًا: سلامة النفس من التمزُّق والصراع ..... ٣٤٣
رابعًا: التحرر من العبودية للأنانية والشهوات ..... ٣٤٤
٢ ـ ربانية المصدر والمنهج ..... ٣٤٥
ـ موضع الرسول في هذا المنهج الإلهي ..... ٣٤٥
ـ ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم ..... ٣٤٦
ـ الإسلام منهج رباني خالص ..... ٣٤٧
ـ عقيدة ربانية ..... ٣٤٧
ـ عبادات ربانية ..... ٣٤٨
ـ أخلاق ربانية ..... ٣٤٩
ـ تشريعات ربانية ..... ٣٥٠
▫ **الإنسانية** ..... **٣٥٣**
ـ بين الربانية والإنسانية ..... ٣٥٣
ـ ليس الإنسان ندًّا لله ..... ٣٥٤
ـ لا تنافي بين الربانية والإنسانية ..... ٣٥٤
ـ القرآن كتاب الإنسان ..... ٣٥٦
ـ محمد الرسول الإنسان ..... ٣٥٧
ـ الجانب الإنساني في رسالة الإسلام ..... ٣٥٧
ـ من ثمرات الإنسانية في الإسلام ..... ٣٥٨
ـ مبدأ المساواة الإنسانية ..... ٣٥٩
ـ شعائر الإسلام تثبت معنى المساواة ..... ٣٦٠
ـ المساواة أمام قانون الإسلام ..... ٣٦٠
▫ **الشمول** ..... **٣٦٣**
ـ رسالة الزمن كله ..... ٣٦٣
ـ رسالة العالم كله ..... ٣٦٤
ـ رسالة الإنسان كله ..... ٣٦٥
ـ رسالة الإنسان في أطوار حياته كلها ..... ٣٦٦

QaradawiBooks.com

ـ رسالة الإنسان في كل مجالات حياته ..... ٣٦٦
ـ شمول التعاليم الإسلامية ..... ٣٦٧
ـ شمول العقيدة الإسلامية ..... ٣٦٨
ـ شمول العبادة في الإسلام ..... ٣٦٩
ـ شمول الأخلاق في الإسلام ..... ٣٧٠
ـ شمول الالتزام بالإسلام كله ..... ٣٧٠
▫ **الوسَطيَّة** ..... **٣٧٥**
ـ عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن ..... ٣٧٥
ـ من مظاهر الوسطية في الإسلام ..... ٣٧٦
ـ وسطية الإسلام في العبادات والشعائر ..... ٣٧٦
ـ وسطية الإسلام في الأخلاق ..... ٣٧٧
ـ وسطية الإسلام في التشريع ..... ٣٧٨
ـ التوازن بين الفردية والجماعية ..... ٣٧٨
ـ ما قرره الإسلام لرعاية حقوق الفرد ..... ٣٨١
ـ ما قرره الإسلام لحماية حقوق المجتمع ..... ٣٨٤
▫ **الجمع بين الثبات والمرونة** ..... **٣٨٩**
ـ دلائل الثبات والمرونة في مصادر الإسلام وأحكامه ..... ٣٩٠
ـ الثبات والمرونة في هدي القرآن ..... ٣٩٣
ـ الثبات والمرونة في الهدي النبوي ..... ٣٩٤
ـ الفقه الإسلامي بين الثبات والتطور ..... ٣٩٧
ـ منطقة الفراغ التشريعي ..... ٣٩٨
ـ منطقة النصوص المحتملة ..... ٤٠٠
ـ تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد ..... ٤٠٢
• **الباب الرابع: أهداف الإسلام** ..... **٤٠٥**
▫ **بناء الإنسان الصالح** ..... **٤٠٧**
ـ إنسان إيمان وعقيدة ..... ٤٠٧
ـ إنسان نُسك وعبادة ..... ٤٠٩
ـ إنسان خُلُق وفضيلة ..... ٤١١

QaradawiBooks.com

ـ إنسان شريعة ومنهج ..... ٤١٣
ـ إنسان دعوة وجهاد ..... ٤١٦
ـ إنسان عقل وعلم ..... ٤١٩
ـ إنسان عمارة وإنتاج ..... ٤٢٤
▫ **بناء الأسرة الصالحة** ..... **٤٢٩**
ـ أفكار منحرفة عارضت الزواج ..... ٤٢٩
ـ الإسلام يرغب في الزواج ..... ٤٣٠
ـ مقاصد الإسلام من الزواج ..... ٤٣١
ـ وصايا للراغبين في الزواج ..... ٤٣٦
ـ حُسن اختيار شريك الحياة ..... ٤٣٦
ـ النظر إلى المخطوبة ..... ٤٣٨
ـ ضرورة رضا الفتاة ..... ٤٣٩
ـ حقوق المعاشرة بين الزوجين ..... ٤٤١
ـ حقوق الزوجة ..... ٤٤٤
ـ حقوق الزوج ..... ٤٤٨
▫ **بناء المجتمع الصالح** ..... **٤٥١**
• وأهم القيم الإسلامية في هذا المقام هي ..... ٤٥١
ـ الإخاء والمحبة ..... ٤٥٥
ـ التعاطف والتراحم ..... ٤٥٦
ـ التساند والتعاون ..... ٤٥٧
ـ التكافل والتضامن ..... ٤٥٧
ـ التواصي والتناصح ..... ٤٥٨
ـ التطهر والترقي ..... ٤٥٩
ـ العدالة ..... ٤٥٩
ـ مجتمع متقدم ..... ٤٦٠
ـ ارتباط التقدم بأهداف الحياة ..... ٤٦١
ـ الأهداف الأساسية للحياة الإنسانية ..... ٤٦١
ـ تقدم متكامل ..... ٤٦٢

QaradawiBooks.com

▫ **بناء الأمة الصالحة** ..... **٤٦٣**
ـ أوصاف الأمة الأساسية في القرآن ..... ٤٦٦
ـ الربانية ..... ٤٦٦
ـ الوسطية ..... ٤٦٧
ـ الدعوة ..... ٤٦٧
ـ الوحدة ..... ٤٦٩
ـ الإيمان بالأمة لا ينفي خصوصيات الأقوام ..... ٤٧١
ـ القومية عند حسن البنا ..... ٤٧٣
ـ خواص العروبة ..... ٤٧٥
▫ **بناء الدولة الصالحة** ..... **٤٧٧**
ـ الدليل من نصوص الإسلام ..... ٤٧٩
ـ الدليل من تاريخ الإسلام ..... ٤٨١
ـ الدليل من طبيعة الإسلام ..... ٤٨٤
ـ حاجتنا إلى دولة تحتضن الإسلام ..... ٤٨٨
▫ **الدعوة إلى خير الإنسانية** ..... **٤٩١**
١ ـ تحرير الإنسان من العبودية للإنسان ..... ٤٩٣
٢ ـ الأخوة والمساواة الإنسانية ..... ٤٩٥
٣ ـ العدل لجميع الناس ..... ٤٩٦
٤ ـ السلام العالمي ..... ٤٩٩
٥ ـ التسامح مع غير المسلمين ..... ٥٠٢
ـ أعلى درجات التسامح عند المسلمين وحدهم ..... ٥٠٥
ـ روح التسامح عند المسلمين ..... ٥٠٦
ـ الأساس الفكري لتسامح المسلمين ..... ٥٠٨

• **الباب الخامس: مصادر الإسلام** ..... **٥١١**

▫ **تمهيد** ..... **٥١٣**
ـ القرآن والسُّنَّة مصدرا الإسلام ..... ٥١٣
ـ لماذا لم يُذكر الإجماع والقياس ضمن مصادر الإسلام ..... ٥١٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

▫ **القرآن الكريم** ..... **٥١٧**
ـ يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ..... ٥١٩
ـ القرآن كلٌّ لا يتجزأ ..... ٥٢١
▫ **السُّنة النبوية** ..... **٥٢٥**
ـ لا قرآن بغير سُنَّة ..... ٥٢٦
ـ شُبهات أعداء السُّنَّة ..... ٥٢٦
ـ حجج علماء السنة في الرد عليهم ..... ٥٢٧
ـ القرآن يبيِّن القواعد، والسُّنَّة تفصِّل الأحكام ..... ٥٢٧
ـ حفظ الله للقرآن يستلزم حفظ السُّنَّة ..... ٥٢٨
ـ أطوار تدوين السُّنَّة ..... ٥٢٩
ـ جهود علماء الأمة في خدمة السنة وتنقيتها ..... ٥٣٠
ـ الاستغناء عن السنة بالقرآن مخالف للقرآن ..... ٥٣١
ـ وهذه بعض الآيات الآمرة بطاعة الرسول مع طاعة الله ..... ٥٣١
ـ جل أحكام الفقه مرجعها السنة ..... ٥٣٢
▫ **ـ بين والقرآن والسنة** ..... **٥٣٥**
ـ السُّنة الصحيحة لا تعارض القرآن ..... ٥٣٦
ـ مرجع السُّنَّة إلى القرآن ..... ٥٣٧

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ..... **٥٤١**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ..... **٥٦٩**

• **فهرس الموضوعات** ..... **٥٧٩**

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# فهرس كتب المجلد


• المقدمات ..... ٧

١ ـ مدخل لمعرفة الإسلام ..... ١٨٧


* * *

نسخة مجانية